

ISAA

<http://www.hakabeh.com>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِسْحَاقُ

نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَأَزْمَةُ الْكِيَانِ الْيَهُودِي الْقَدِيمِ

دكتور محمود أحمد المراغي



أشعياً

سبي بني إسرائيل
وأزمة الكيان اليهودي القديم



تصميم الغلاف : الأنة ريم محمود المراغى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِسْرَائِيلُ حَيًّا

نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَأَزْمَةَ الْكِيَانِ الْيَهُودِيِّ الْقَدِيمِ

دكتور محمود أحمد المراغي



دارالعلوم العربية
بيروت - لبنان



دار العلوم العربية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

الناشر

دار العلوم العربية

للطباعة والنشر

مقابل جامعة بيروت العربية

بناية عنان

صانق: ٣٠٧١٢٣

صوب: ١١-٩٥٣٥

بيروت - لبنان

الإهداء

إلى من عاشوا معي هموم هذا البحث
وشاركوني تبعاته صابرين راضين ..
إلى أسرتي الصغيرة :

زوجتي وأولادي





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

استطيع أن أؤكد - متجرداً عن عاطفة الباحث نحو بحثه - أن سفر إشعياء من أكثر أسفار أنبياء العهد القديم - إن لم يكن أكثرها جميعاً - أهمية لدى الباحثين لا يكاد يستغنى عن الاستشهاد به باحث في تاريخ مجتمع الشرق الأدنى القديم سياسياً أو دينياً ، ولا يغفله دارس لتاريخ الأديان ، والسفر مقدس لدى اليهود يتلون كثيراً من آياته في بركات صلاتهم ، ولدى المسيحيين أكثر قداسة إذ يعتبرونه خامس الأناجيل بعد متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

وأهمية السفر لا ترجع إلى كثرة إصحاحاته التي فاقت جميع أسفار الأنبياء عدداً وإنما ترجع إلى تعرضه للكثير من الأحداث السياسية الهامة في إحدى فترات الشرق الأدنى القديم وموقف إسرائيل من تصارع القوى العالمية الكبرى آنذاك مثل قوة آشور ومصر وبابل وفارس .

كما أن السفر يعكس طوراً جديداً من أطوار العقيدة اليهودية وعلاقة بني إسرائيل بالههم يهوه .

ولما كانت الفترة التي عاش فيها إشعياء النبي من أكثر فترات المملكة الإسرائيلية القديمة اضطراباً وقلقاً وانهياراً ، على مستوى الدين والأخلاق والسياسة فقد آثرت أن يكون عنوان البحث « النبي إشعياء وأزمة الكيان اليهودي القديم » .

فقد تحكمت هذه الأزمة في المجتمع اليهودي آنذاك حتى أدت إلى تشريد عشرة أسباط منهم في الشمال على أيدي الآشوريين ، ثم سقوط البقية الباقية منهم في الجنوب أسرى في بابل بعد تدمير اورشليم وتخريب المعبد .

وكانت أزمة الكيان اليهودي قد بدأت مع بداية النظام الملكي على يد النبي صموئيل لذلك رأيت أن أمهد للبحث بمدخل تناولت فيه بداية قيام النظام الملكي وسبب قيامه وكيفية تأسيسه وأهم ملوكه حتى السبي . . وحتى لا يكون هذا المدخل نافلة من القول وترفاً لا موجب له في البحث ، فقد جعلت اهتمامي فيه هو إبراز أهم عيوب النظام الملكي مما يمس الخلق والدين والسياسة وحياة الناس في ظل هذا النظام وأبرزت هذا الجانب بصورة أكثر جلاء ووضوحاً في الباب الأول عندما تحدثت عن الملك كأحد عناصر السلطة الاجتماعية في المجتمع العبري القديم .

والباب الأول من البحث تحت عنوان السلطة الاجتماعية عند العبريين ، قمت بتقسيمه إلى فصول ثلاثة ، كل فصل منها يتناول واحدة من السلطات الثلاث التي تمثلت في المجتمع العبري آنذاك وهي الكهانة والملكية والنبوة . وقد بدأت بالكهانة لأنها نظام سابق على النظامين الآخرين ، ليس في إسرائيل وحدها بل في سائر المجتمعات الإنسانية .

وبدأت بتعريف كلمة كاهن وأصل الكهانة الإسرائيلية ، ثم تحدثت عن أنواع الكهنة في إسرائيل ومراتبهم وواجباتهم ومخصصاتهم ، ثم بينت علاقة الكاهن بالسلطة الملكية . وبعد الكاهن تناولت الملك والإرهاصات الأولى للملكية في شريعة موسى ثم تحدثت عن التنظيم السياسي والإداري للمملكة منذ تاريخها القديم ، بعد ذلك حاولت إبراز أهم الانحرافات التي واكبت ملوك بني إسرائيل ، وأخطائهم التي تمس النواحي السياسية والخلقية والدينية ، وموقف السلطة الملكية من السلطة الدينية المتمثلة في الكهنة ، ثم بينت عوامل انقسام المملكة الموحدة وعلاقة كل من شطري المملكة المنقسمة بالآخر ومظاهر التنافر والتقارب بينهما ، وأثر المصاهرات الملكية للأمم المجاورة مما أدى إلى تسرب ديانات تلك الأمم إلى المجتمع الإسرائيلي ومزاحمة معابدها وكهنتها لمعبد وكهنة بيت الرب كما يروي الكتاب المقدس ، ثم الفوضى التي سادت نظام اعتلاء الحكم في المملكة الشمالية عن طريق الخيانة والمؤامرات وانتهاز الفرص مما جعل ذلك ينعكس على العلاقات الاجتماعية بين الشعب في المملكة الشمالية . ولم يكن الحال في مملكة يهوذا في الجنوب بأفضل منه في الشمال من

حيث الانحرافات الاجتماعية ، وإن كانت مملكة الجنوب أكثر استقراراً من مملكة الشمال ، إذ استمر حكم يهوذا متصلاً في نسل داود ما عدا فترة وجيزة تولت الحكم فيها (عثليا) زوجة يورام بن يهو شافاط وسليلا الأسرة الملكية في الشمال ، ولكن حكمها الذي استهله بمذبحة للنسل الملكي لم يستمر طويلاً وعاد الحكم إلى أسرة داود بعد قتلها وترويج حفيدها يوآش بن أخزيا . . واستمرت القلاقل والانحرافات في المملكتين ، وساء الأمر ، فكان لا بد من ظهور سلطة معارضة تقف في وجه انحرافات الحكام والمحكومين وتمثلت هذه السلطة في الأنبياء ، وأقصد بالأنبياء الذين ظهوروا في عصر الملكية ، ولذلك جعلت الحديث عن النبي بعد الحديث عن الملك لأن النبي المقصود هنا هو النبي الذي ظهر في عهد الملكية ليحمل لواء المعارضة ضد السلطتين الأخيرين سلطة الملك وسلطة الكاهن التي انكشمت وتفوقعت داخل المعبد بعيدة عن واقع حياة الشعب وما يعاينه ، مكتفية بأداء الطقوس الدينية وتكوين الثروات لذلك نسمي هؤلاء الأنبياء المعارضين بأنبياء الأزمة .

ومؤسس مدرسة المعارضة النبوية هو (إيلياهو) ثم تلميذه أليشع . .

وبدأت الحديث عن النبي بمناقشة معنى النبوة وهل هي أصيلة عند بني إسرائيل أم هي دخيلة عليهم ، ثم تحدثت عن موقف النبي من الملك ومن الكاهن ، وأهم أنبياء الأزمة وأثرهم الديني والاجتماعي .

وبعد الانتهاء من بيان عناصر السلطة الاجتماعية يجيء الباب الثاني من البحث وهو أطول الأبواب الثلاثة لأنه عمل توثيقي تحليلي للمصدر الأساسي الذي يعتمد عليه البحث وهو سفر إشعيا وقد قسمته إلى فصلين كبيرين الأول منهما يتناول السفر من حيث وحدته وبنائه وتاريخ تكوينه ، والثاني يتناول لغة السفر من الناحية التي يمكن بها الحكم على كون السفر لمؤلف واحد أو هو لأكثر من واحد .

وفي الفصل الأول تناولت مجموعة الإصحاحات التسعة والثلاثين الأولى وبينت في ضوء آراء الباحثين والمحققين نسبة هذه المجموعات إلى مؤلفها والفقرات التي اتفق العلماء على تاريخ ثابت لها ، والفقرات التي اختلفوا فيها

لغموضها واضطرابها ، ثم تناولت الإصحاحات السبعة والعشرين الأخيرة بالطريقة نفسها ، وعرضت آراء القائلين بتقسيم السفر إلى مؤلفين اثنين فقط الأول هو إشعيا النبي نفسه والثاني نبي مجهول الاسم أطلق عليه اسم إشعيا الثاني وكان يعيش في فترة السبي البابلي ، وعرضت لرأي مجموعة متأخرة من الباحثين يرون أن هناك مؤلفاً ثالثاً للسفر هو إشعيا الثالث وإصحاحاته (من ٥٥ - ٦٦) وهناك من يرى أن هذه المجموعة من الإصحاحات ترجع إلى أكثر من مؤلف .

ثم عرضت لآراء الذين يعارضون تقسيم السفر ويرون أن السفر كله من عمل نبي واحد هو إشعيا بن أموص .

ثم تناولت في الجزء اللغوي كذلك أسلوب السفر وأجريت مقارنة بين خصائص أسلوب أجزاء السفر لنعرف الى أي مدى تثبت وحدة السفر ، فقمت بمقارنات بين بعض الألفاظ والجمل وإحصاء لبعض الألفاظ التي كثر دورانها أو قل أو انعدم في بعض أجزاء السفر مبيناً دلالة هذا ومدى إثباته لوحدة أو عدم وحدة السفر .

أما الباب الثالث فقد خصصته للأثر السياسي والديني للسفر وقسمته الى فصلين الفصل الأول تناولت فيه الحديث عن إشعيا نفسه ، نسبه وعمره وموته ، ومن تسموا غيره بنفس الاسم في العهد القديم ، قبله أو بعده ، وأشهر من تسموا باسمه بعده من اليهود ، ثم تحدثت عن دوره السياسي في المملكة ومشاركته في أحداث عصره وأهميته السياسية .

أما الجانب الديني فقد عرضت فيه لأهم الأفكار الدينية في السفر ، إذ تحدثت عن طبيعة (يهوه) في السفر وفكرة القداسة والوحدانية ، ثم تعرضت لفكرة يوم الرب ، ثم تحدثت عن مفهوم النكبة ومفهوم الخلاص عند إشعيا ، وأخيراً تناولت فكرة المسيحية في السفر وتأويل كل من اليهودية والمسيحية للمسيح الذي أشار إليه إشعيا .

وأخيراً أنهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها أهم نتائج البحث .

والله ولي التوفيق . . . بيروت في ٢٢ يوليو ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

نشأة النظام الملكي في المجتمع العبري
حتى انهياره بالسبي البابلي



الملكية عند بني إسرائيل هي النظام السياسي الذي اختاروه بعد نزوحهم من التيه إلى أرض كنعان ، ومحاولة استقرارهم في فلسطين .

وكانت محاولة الاستقرار في فلسطين تلقى مقاومة كبيرة من أهل البلاد الأصليين الذين سلطوا غاراتهم على أولئك المغتصبين الذين وفدوا في هجرات تحت قيادة يشوع خليفة موسى ، ولم تكن هذه الهجرات ذات طابع سلمي ، وإنما « ضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهول والسفوح وكل ملوكها ، لم يبق شاردأ»^(١) ، بل إن سفر (يشوع ١١ : ٧ - ٢٤) يذكر لنا أن يشوع قد ضرب واحداً وثلاثين ملكاً في تلك البقعة من الأرض وملك أرضهم لبني إسرائيل ؛ .

وكان من الطبيعي أن تستيقظ روح المقاومة في أهل تلك البلاد المغتصبة فيما بعد ، فيشنون غاراتهم على هؤلاء الغاصبين الذين تشبثوا بالبقاء في تلك الأرض محتملين ما يلاقونه من أصحاب الأرض ، بعد « بؤسهم في مصر ، وحرمانهم الهائل في التيه ، مما جمع بينهم ، وأقنطهم وصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع الى الاقتراب حتى من المدن »^(٢) .

ولما كان الكيان اليهودي آنذاك مقسماً الى عشائر غير متففة في كثير من الأحيان ، أصبح من الضروري لصمودهم أمام مقاومة أصحاب الأرض ، أن يظهر بينهم من وقت لآخر قائد أو حاكم عسكري يسمى قاضياً *קַדְשֵׁי* يحاول جمع كلمة قومه وتوحيد صفوفهم ولم شملهم الممزق ، حتى يمكنهم الثبات في

(١) يشوع ١٠ : ٤٠ .

(٢) جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : ٣٥ .

الأرض التي نرحوا إليها ويجنبهم قدر الطاقة الانزلاق في الوثنية والفجور ، وقد لمع الكثير من هؤلاء القضاة في المجتمع العبري القديم ، مثل « إهود بن جيرا البنياميني » الذي خلص بني إسرائيل من حلف عجلون المؤابي مع بني عمون والعماليق الذين استدلوا بني إسرائيل ثماني عشرة سنة^(١) .

ولم يكن جميع قضاتهم من الرجال ، بل ظهرت عندهم نبية تدعى « دبورة » وكانت قاضية يصعد إليها بنو إسرائيل في جبل افرايم لتقضي لهم^(٢) ، في الوقت الذي كان فيه باراق بن أبي نوعم ، قاضياً كذلك يقود مع دبورة جيوش بين إسرائيل لإخضاع جيش ملك كنعان بمركباته وعتاده ، وكان النصر لباراق ودبورة التي كانت لها في هذه المناسبة ترنيمة تعتبر^(٣) من أقدم ما وصل إلينا مكتوباً من نصوص العهد القديم^(٤) .

ومن قضاة بين إسرائيل أيضاً « جدعون بن يواش » من سبط منسى وكانت عشيرته « هي الذلّي في منسى »^(٥) ، وكان أصغر أسرته ، وقد انتصر لبني إسرائيل على المديانيين الذين ضج منهم بنو إسرائيل ، وقد أطلق عليه لقب « يربعل » لأنه هدم معبد البعل وساريتته ومذبحه^(٦) .

ثم خلف « جدعون » ابنه « أيمالك » وكان من سُرية اتخذها أبوه جدعون ضمن نسائه الكثيرات اللائي أنجب منهن ما يربو على السبعين ولداً ، واستبدت شهوة الانفراد بالحكم عند « أيمالك » فقتل إخوته جميعاً باتفاق مع أخواله ، ولم يبق منهم سوى واحد يدعى « يوتام » كان الأصغر فيهم ونجا من المذبحة باختفائه بعيداً ، ولم تقف شهوة الانفراد بالحكم والتسلط عند « أيمالك » بتخلصه من إخوته ، بل انقلب على مساعديه في تلك المذبحة من أهل شكيم ، وفعل بهم ما

(١) قضاة : ٣ : ١٤ - ٢٤ .

(٢) قضاة : ٤ : ٥ .

(٣) دكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه : ٢٨ .

(٤) الإصحاح الخامس من سفر القضاة .

(٥) قضاة : ٦ : ١٥ .

(٦) قضاة : ٦ : ٢٥ .

فعله بإخوته . وإذا كان هذا العمل يعطينا صورة لذلك المجتمع البربري آنذاك ، فإن هذا الخلق سيتكرر فيما بعد عند بعض ملوك بني إسرائيل الذين أقاموا ملكهم ووطدوا سلطانهم على دماء إخوتهم والمقربين منهم ، مما استدعى انطلاق الأصوات النبوية المعارضة لمظاهر الفساد في المجتمع العبري طوال عهد الملكية وبعد زوالها ، ولقد كانت المعارضة الاجتماعية في عهد أبيمالك هذا قد تمثلت في امرأة أُلقت بشق رحى على رأس « أبيمالك » فشجته فأمر غلامه بأن يقتله حتى لا يقال إن امرأة قتلتها (١)

وليس « أبيمالك » وحده يمثل مظهراً من مظاهر الانحراف في حكم القضاة فقد جاء بعده « يفتاح الجلعادي » (٢) ، وهو ابن امرأة زانية ، وجلس عصابة من الأفاقيين وقد لجأ إليه بنو إسرائيل ليخلصهم من غارات العمونيين ، فسأوهم على ذلك بأن ينصبوه رئيساً عليهم إن هو ظفر بالعمونيين ، وظل في مفاوضات مع العدو حتى عبر إليهم حين فشلت مفاوضاته ، وكان أنه نذر أول من يلقاه ذبيحة للرب فكانت وحيدته أول من خرج للقائه بعد عودته منتصراً ، فحزن ولكنه نفذ وعده فيها بعد مهلة شهرين كما طلبت منه ، فكان عمله هذا وثيقاً إلى جانب كونه بربرياً همجياً .

أما « عثيثيل بن قناز » فقد كان محارباً قوياً أعاد لبني جلدته قدراً من روحهم المعنوية حين انتصر على « كوشان رشعتايم » ملك آرام « فاستراحت الأرض أربعين سنة » (٣) .

ومن أشهر قضاة بني إسرائيل في أساطير الأمم هو « شمشون الجبار » أو شمشون بن مَنُوخ « من سبط دان ، وهو « نذير الله من البطن » (٤) ، وقد كانت له جولات مع الفلسطينيين ظهرت فيها بطولاته الجبارة ، والكتاب المقدس يُرجع أيام

(١) قضاة : ١١ : ١٠ - ١١ : ١١ .

(٢) قضاة : ١١ : ٢٥ - ١١ : ٣٩ .

(٣) قضاة : ١٠ : ٣ - ١١ : ١١ .

(٤) قصة مولد « شمشون » في القضاة الإصحاح : ١٣ .

شمشون مع الفلسطينيين إلى رغبته في الزواج من إحدى الفلسطينيات^(١) ، وظل يحكم بني إسرائيل عشرين سنة حتى مات مع جمع غفير من الفلسطينيين حين هدم عليهم المعبد انتقاماً لفقد بصره .

وتعاقب كثير من القضاة على بني إسرائيل من أمثال « يائير الجلعادي » الذي ظل يقضي لهم عشرين سنة ، و « أبسالون » الذي قضى سبع سنوات بعد قضاء « يفتاح » و « أيلون الزبولوني » وظل في القضاء عشر سنين بعد « أبسالون » و « عبدون بن هليل الفرعتوني » وظل في الحكم ثمانية أعوام بعد « أيلون »^(٢) .

وقد اختلف المحققون في المدة الزمنية لعهد القضاة فمنهم من قدرها بأربعة قرون اعتماداً على نص التوراة^(٣) ، ومنهم من قدرها بقرنين من الزمان^(٤) ، ومنهم من أشار إلى صعوبة التحديد نظراً لصعوبة تحديد زمن غزو القبائل العبرية لفلسطين^(٥) ، كما أن بعض الباحثين حدد عهد القضاة بقرن من الزمان شغل

(١) القصة في سفر القضاة .

(٢) يلاحظ متي هنري في كتابه Matthew Henry's Commentary, P. 241 أن شرف الحكم في عهد القضاة لم يكن مقصوراً على يهوذا فقط كما حدث فيها بعد ولكنه كان منتشرأ في ثمانية أسباط هم : (١) يهوذا (عثنيل ، أبسالون) (٢) بنيامين (إهود بن جيرا) ، (٣) نفتالي (باراق) ، (٤) منسي (جدعون وأبيالك ، يفتاح ، عبدون) ، (٥) يساكر (تولع) ، (٦) زبولون (أيلون) (٧) دان (شمشون) ، (٨) لاوي (عالي وصمويل) .

أما الأسباط التي لم يمثلها أحد في حكم القضاة فهم (١) رأوين (٢) شمعون (٣) جاد (أو آشر) . (٣) دكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأذن القديم ، ص ٣٢٥ ، وأما متي هنري في كتابه Matthew Henry's Commentary, P.241 فقد قدر عهد القضاة بـ ٢٩٩ عاماً حسب احصاء « د.لايت فوت » كالآتي : (١) عثنيل بن يهوذا (٤٠ سنة) (٢) إهود بن بنيامين (٨٠ سنة) (٣) باراق بن نفتالي (٤٠ سنة) (٤) جدعون بن منسي (٤٠ سنة) (٥) أبيالك بن جدعون (٣ سنوات) (٦) تولع بن يساكر (٢٣ سنة) (٧) يائير بن منسي (٢٢ سنة) (٨) يفتاح بن منسي (٦ سنوات) (٩) أبسان (أبسالون) بن يهوذا (١٠ سنوات) (١٠) أيلون بن زبولون (١٠ سنوات) (١١) عبدون بن إفرام (٨ سنوات) (١٢) شمشون بن دان (٢٠ سنة) .

(٤) سباتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ١٤٠ ، ودكتور حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، ص ٨٠ وحدد الفترة بقرنين ونصف تقريباً .
(٥) ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم : ص ٣٤ نقلاً عن جفريز ص ٣٧ .

الربع الأخير من القرن الثاني عشر ق.م وثلاثة الأرباع الأولى من القرن الحادي عشر ق.م^(١) ، وأما القائلون بأن عصر القضاة استمر أربعة قرون فإنهم يرجعون الغزو الإسرائيلي لفلسطين إلى القرن الرابع عشر ق.م^(٢) .

وكانت سلطة القضاة كما يقول « موسكاتي »^(٣) « عارضة محدودة المدى والمدة ، وتذكرنا بسلطة زعماء القبائل في النظام البدوي الذي تتميز به الحياة السامية في مراحلها القديمة ، وكانت هذه السلطة تقوم أساساً على رضا الله عنهم وتأييده لهم مما جعل الباحثين يسمون تلك الفترة بعصر الرضا الرباني^(٤) » .

ولكننا إذا أردنا استجلاء حقيقة المجتمع العبري إبان عهد القضاة على ضوء ما ذكر في العهد القديم لوجدناه عصر قلاقل وحروب ، وتشتت في الصف وفي الكلمة ، ولم يكن ظهور هؤلاء القضاة إلا لمعالجة هذه المثالب ، فهم لا يعرفون طريق الرب إلا عند الشدائد واستحواذ الأزمات عليهم ، فقد « فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ، وعبدوا البعل ، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى ، من آلهة الشعوب الذين من حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب ، وعبدوا البعل وعشتاروت . . . الخ »^(٥) .

فكانت تحل بهم الأزمات فيقوم من بينهم قاض يقود صفوفهم ويسترد لهم بعض ما فقدوا ، وعندما يموت القاضي « كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها ، لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية »^(٦) .

وظل المجتمع العبري في عهد القضاة ينحدر من سيء إلى أسوأ ، فقد شن

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات الإنسانية : ج ٢ ص ٢٨٦ ، ومحمد عزه دروزه : تاريخ بني

إسرائيل من أسفارهم : ج ١ ص ١٤٨ .

(٢) ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم : ص ٣٤ نقلاً عن روبنسون وجفريز .

(٣) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) قضاة : ٢ : ١١ - ١٥ .

(٦) قضاة : ٢ : ١٩ .

الفلسطينيون على بني إسرائيل حرباً شديدة وهدموا لهم معبد سيلون واستولوا على تابوت العهد ، وكانوا إلى جانب الغارات الفلسطينية ، يتعرضون لغارات المديانيين والمؤابيين والعمونيين والآراميين بالإضافة إلى ما فعلته الفرقة بين صفوفهم الداخلية ، كل ذلك جعل الشعب يحاول النجاة من دمار محقق يكاد يفنيهم ، ففكر بعضهم في طريقة تلم شملهم ، وتوحد صفوفهم وتدرأ عنهم ما يتهددهم من دمار ، فتوجهوا إلى آخر قضاتهم ، « صمويل النبي » وطالبوه بأن يقيم عليهم ملكاً^(١) يتولى زمام الأمر ، ويقود الصفوف أمام الأخطار المحدقة بهم . . وكان ذلك أول عهد العبريين بالنظام الملكي .



(١) صمويل أول : ٦:٨ ، ١٩ - ٢٠ .

المملكة المتحدة
(شاءول ، داود ، سليمان)

(١) شاعول (١٠٤٤ - ١٠٢٩ ق. م)

« شاعول » هو أول ملك في تاريخ الملكية العبرية ، وإذا كان التاريخ يذكر شاعول كفاتحة لملوك بني إسرائيل ، فإن التاريخ يذكر « صمويل النبي » مؤسساً للنظام الملكي في المجتمع العبري ، فقد نزل على رغبة شيوخ بني إسرائيل حين توجهوا إليه مطالبين بملك عليهم مثل سائر الشعوب ، يقضي لهم ، ويخرج أمامهم ، ويحارب حروبهم^(١) فلم يجد « صمويل » بدأً من الامتثال لرغبتهم رغم اعتراضه على ذلك ، وتحذيره لهم بأن الملك سيتخذ من بينهم خدماً ، ويستولي على زروعهم وكرومهم وماشيتهم وأموالهم^(٢) ولكن الشعب صمم على مطلبه وبخاصة بعد ما رأوه من فساد القضاة ومنهم ابنا صمويل « يوثيل » و « آبيا » القاضيان ببئر سبع ، واللذان ضلوا في قضائهما ولم يسلكا في طريق الرب بل مالا وراء الكسب وأخذوا رشوة وعوجا القضاء^(٣) .

واختار صمويل لهم « شاعول » ملكاً ، وكان اختياره - كما يروي العهد القديم - اختياراً إلهياً ، إلا أن الجو العام للقصة منذ خرج « شاعول بن قيس » يبحث عن ابنه الضائعة ، يوحي بأن المصادفة كان لها نصيب وافر في اختياره ملكاً ، إذ إن فترة توليه أثبتت أنه لم يكن على درجة عالية من المقومات التي يجب توافرها فيمن يشغل هذا المنصب ، وكانت كل مؤهلاته كما وردت في العهد القديم هي أنه : « شاب ، وحسن ، ولم يكن رجل في بني إسرائيل أحسن منه ، من كتفه فما

(١) صمويل أول : ٨ : ٢٠ - ٢٢ .

(٢) صمويل أول : ٨ : ١٠ - ١٨ .

(٣) صمويل أول : ٨ : ٣ .

فوق ، كان أطول من كل الشعب»^(١) ، وربما أهله هذه الصفة لأن يكون رجل حرب ، ولكنه لم يكن رجل سياسة ، فقد حارب جميع أعداء بني إسرائيل الذين كانوا يهددونهم ، حارب المؤابيين والعموميين والأدوميين ، وحارب أيضاً ملوك صوبة والفلسطينيين وانتصر على العماليق ، واستطاع أن ينقذ بني إسرائيل من يد ناهبيهم .

أما الجانب السياسي فقد أخفق فيه شاءول ، مما أثار عليه الكثير من فئات الشعب ، وأحفظ عليه « صمويل » فسحب منه الثقة ففقد بذلك أهم سند له وهو السند الديني الشرعي الذي بمقتضاه تم تتويجه ملكاً ، وقد بدأ الصدام العلني بين صمويل وبين شاءول ، ليلة الهجوم على الفلسطينيين ، حين أعطى شاءول لنفسه حق إصعاد المحرقة الذي هو من صميم عمل صمويل الديني^(٢) ، والحادث الثاني حين خالف شاءول أمر الرب على لسان صمويل ، بعفوه عن « أجاج » ملك عماليق وعفوه عن الغنائم من خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف ، ولم ييدها جميعاً كما أمره صمويل^(٣) . . .

ويبدو أن صمويل حين أخفق في إقناع الشعب بعدولهم عن اختيار ملك عليهم أراد أن يجعل من صاحب السلطة الجديد شخصية دينية تخضع له حتى يكون صاحب النفوذ الأعلى في المجتمع ، فنصح شاءول قبل مسحه ملكاً بأن يذهب ليتنبأ مع زمرة الأنبياء النازلين من المرتفعة فيحل عليه روح الرب ويتنبأ معهم ويتحول إلى رجل آخر^(٤) ، ولقد أطاع شاءول أمر صمويل حتى أن الذين رأوه بين الأنبياء قال كل منهم لصاحبه مندهشاً « ماذا صار لابن قيس ، أشاءول أيضاً بين الأنبياء »^(٥) فصارت مثلاً .

ورغم ذلك فقد بدأت السلطة الدينية المتمثلة في صمويل آنذاك تشعر بخطر

(١) صمويل أول : ٢:٩ .

(٢) صمويل أول : ١٣:٨ - ١٢ .

(٣) صمويل أول : ١٥:٣ - ١٠ .

(٤) صمويل أول : ١٠:٥ ، ٦ .

(٥) صمويل أول : ١٠:١١ ، ١٩:١٨ ، ٢٤ .

السلطة الملكية الوليدة في ذلك المجتمع ، وبالتالي بدأ صمويل في معارضة شاعول الملك وتسفيه آرائه وأعماله ، وشحن عواطف الشعب ضده ، وكان من الممكن لو أن شاعول يتمتع بشيء من الدهاء السياسي أن يتجنب الكثير من المعارضة الدينية له ، ولكنه أقدم على أعمال ساعدت على ازدياد كراهية الكثيرين له ، فبالإضافة الى ارتكابه بعض ما يثير السخط الديني كتعديه على سلطة صمويل في إصعاد المحرقة ، كان له دور كبير مع « داود بن يسي » أثار عليه كثيراً من قبائل العبريين .

فقد كان داود الساعد الأيمن لشاعول في أهم انتصاراته الحربية ، إذ استطاع داود وهو بعد في دور الحداثة أن يقتل « جوليات » قائد الفلسطينيين الجبار الذي كان شاعول وجيشه يرجفون منه رعباً وهو يقف متحدياً ساخراً ، فلما تقدم ذلك الصبي « داود » وأردى جوليات الجبار بمقلعه ، وجز رقبتة بسيفه ، تم النصر لبني إسرائيل على الفلسطينيين ، وخرجت جموع بني إسرائيل ترقص وتتغنى وتلهج بشجاعة داود وبطولته التي بزت بطولة شاعول .

عندئذ بدأ إعجاب شاعول بداود يتحول إلى حقد وغيره وكراهية ، وفكر شاعول أو فكر له بعض أتباعه في طريقة يتغلب بها على داود ، فعرض عليه أن يزوجه ابنته « ميكال » حتى تكون له شَرَكاً وتكون يد الفلسطينيين عليه^(١) « فطلب شاعول من داود مهراً لابنته مائة غلفة من الفلسطينيين ، وبذلك يحقق شاعول أحد هدفين في صالحه ، الهدف الأول والأهم هو القضاء على داود ، فإن انتصر داود فسيكون شاعول بذلك قد تخلص من مائة من أعدائه ، ولكن داود أتى له بمائتين بدل المائة ، وتزوج داود من « ميكال » وكانت تحبه هي وأخوها « يوناثان بن شاعول » وأخذ نجم داود يعلو بين الشعب ، ومع علو نجمه كان يعلو غضب شاعول وحقده عليه ففكر في قتله أكثر من مرة ولكن داود ينجو بفضل مهارته الحربية من ناحية ، وبفضل حب « ميكال » له و « يوناثان بن شاعول » الذي كان يحذر داود من شر أبيه وينقل إليه نوايا أبيه السيئة وينصحه بالهرب والاختفاء من

(١) صمويل أول : ٢١ : ١٨ .

وجهه^(١)، كما تمكنت « ميكال » من الاحتيال لداود زوجها للهرب ، ففر إلى الرامة حيث تقابل مع صمويل النبي وأخبره بما يفعله شاعول^(٢) .

ثم توج شاعول أخطاءه بالقضاء على مدينة « نوب » وكانت مدينة للكهنة فأباد ثمانين كاهناً ودمر المدينة بمن فيها وما فيها^(٣) ، لأن « أخيمالك » الكاهن أوى داود وعطف عليه حين فر من وجه شاعول . ولم ينج من مذبح الكهنة تلك إلا صبي اسمه « أبياثار » أحد أبناء « أخيمالك » وقد صار رئيساً للكهنة فيما بعد في عهد داود .

وبذلك خسر شاعول سنداً قوياً ، بل تضاعف السخط ضده ، وواصل شاعول تعقبه لداود حتى كانت نهايته على أيدي الفلسطينيين هو وأبناؤه يونانان وأبيناداب وملكيشوع^(٤) ، فمات شاعول بخيائته التي خان بها الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه ، ومن أجل طلبه إلى الجان للسؤال ولم يسأل من الرب فأماته ، وحول المملكة إلى داود بن يس^(٥) .

وهكذا يمكن القول بأن شخصية شاعول كانت - حسب رواية العهد القديم - تفتقر إلى الحنكة السياسية ، والقدرة على تصريف الأمور بحكمة وذكاء وبعد نظر وتبصر بالعواقب ، فإنه رغم توفيقه في توحيد معظم القبائل في مستهل حياته الملكية إلا أن عجزه عن السيطرة على الفئات المتعارضة داخل مملكته قد منعه من توطيد انتصاراته وتثبيت سلطته ، كما أن نزاعه مع داود وما نجم عنه يعتبر من أهم عوامل سقوطه إذ أبعد عنه تأييد طبقة الكهنة القوية^(٦) ، كذلك يقرر ويلز^(٧) أن

(١) صمويل أول : ١٩ : ٢ .

(٢) صمويل أول : ١٩ : ١٨ .

(٣) صمويل أول : ٢٢ : ٢١ .

(٤) أيام أول : ١٠ : ٢ ، صمويل ثان : ١ : ٦ - ١٠ .

(٥) ويلاحظ أن في موت شاعول روايتين مختلفتين ، واحدة منها في أيام أول ، والثانية في صمويل ثان .

(٦) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ١٤٢ .

(٧) ويلز : معالم تاريخ الانسانية : ج ٢ ص ٢٩١ .

شاعول لم يكن أوفر حظاً في النجاح من القضاة . ومهما يكن من أمر فإن عهد شاعول يحدد بداية تأريخ العبرانيين كقوم لهم كيان سياسي (١) .



(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات الانسانية : ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) داود (حوالي ١٠٩ - ٩٧٤ ق.م)

عند التصدي للحديث عن داود نجد أنفسنا أمام شخصية ذات أبعاد متعددة فهو القائد المحنك الشجاع ، والسياسي الذكي ورجل الدين المحافظ على الشريعة والأديب الفصيح ، والفنان الماهر ، وهو المتجبر القاسي حيناً ، المتواضع الرقيق أحياناً .

وإذا كانت الملكية في بني إسرائيل قد بدأت بشاءول ، فإن داود هو المؤسس الحقيقي لها ، الذي أرسى دعائمها ، وساس شعب بني إسرائيل كما ينبغي لسياسة الملك أن تكون آنذاك ، كيفما يتفق وظروف المجتمع العبري المفكك الواقع تحت غارات الشعوب المجاورة ، ونضال أصحاب الأرض الحقيقيين عند عملية الاغتصاب الأولى^(١) ، التي قام بها العبريون في فلسطين ، وكان العبريون كما رأينا إبان عهد القضاة وبداية الملكية يحاولون تثبيت أقدامهم في تلك الأرض المغتصبة ولكن محاولاتهم كانت تفتقر إلى القيادة الذكية القادرة على تنظيم الجهود ، وتوحيد القبائل العبرية المتنازعة .

وإن كان شاءول قد صادف بعض النجاح في توحيد القبائل العبرية من أجل مواجهة الخطر المحدق بهم ، إلا أن الزمام قد أفلت من يده حين بدأ يتعقب داود للتخلص منه منذ انبهار الشعب ببطولة داود حين خلصهم من القائد الفلسطيني الجبار « جوليات » ، وكان تعقب شاءول لداود سبباً رئيسياً في فشل مملكة شاءول فقد انفرط عقد القبائل التي حاول شاءول توحيدها ، وذلك بتعاطف الكثير منهم

(١) دكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي : ص ٣٨ .

مع داود القائد الشجاع المضطهد من الملك ، بالإضافة إلى أن فكر شاول لم يعد موجهاً كله إلى مواجهة الأخطار الأجنبية ، بل أصبح موزعاً بين التخطيط لصد الغارات الأجنبية ، وبين التخطيط في كيفية الظفر بـداود والتخلص منه بعد أن كان داود قوة يمكن أن تضاف إلى قوة شاول ، ثم كان الخطأ الأكبر الذي ارتكبه شاول في حق نفسه وفي حق المجتمع حين قام بمذبحة الكهنة في نوب من أجل تعاطفهم مع داود . . .

كل تلك الأعمال التي قوضت ملك شاول ، كانت من أهم الأسباب التي مهدت السبيل أمام داود ليتولى حكم المملكة بنجاح وثبات كما سنرى .

فمن يكون داود؟ هو داود بن يسى بن عوبيد بن بوغز ويتهي نسبه كما جاء في العهد القديم^(١) إلى إبراهيم عليه السلام . . . وهو سابع إخوته البنين وأصغرهم^(٢) وهو ينتسب إلى سبط يهوذا ، ونشأ في بيت لحم ولذلك سمي أبوه « يسى البيتلحمي » .

تتويج داود :

كانت الظروف مهيأة لداود في تولي المملكة بعد موت شاول ، فهو القائد المظلوم المضطهد ، صاحب أعظم انتصار للعبريين على أعدائهم إبان حكم شاول وهو إلى جانب كونه حامل درع الملك السابق مما يعطيه حق خلافة ، كان كذلك مختاراً من الرب حين توجه صمويل النبي إلى بيت يسى البيتلحمي ، واختار داود من بين إخوته السبعة ، ومسحه ملكاً على إسرائيل باسم الرب^(٣) ، كما أن فترة هروب داود من وجه شاول وتنقله من مكان لآخر ، كانت فرصة سانحة لداود استطاع خلالها أن يكسب ثقة كثير من القبائل العبرية فالتفوا حوله .

(١) أيام أول : ٤:٢ - ١٤ .

(٢) وهم بالترتيب : أليآب ، أبناداب ، شمعي (أوشمه) ، نثشيل ، رداي ، أوصم ، داود ، وكان له أختان هما « صروية ، أيبجابيل ، صمويل أول : ٩:١٦ ، ١٣:١٧ ، أيام أول : الاصحاح الثاني .

(٣) صمويل أول : ١:١٦ - ١٣ .

فبعد أن ترك « نوب » التي أفناها شاءول بمن فيها وما فيها بسبب داود توجه إلى « جت » حيث استطاع أن يكسب رضا الفلسطينيين^(١) فمناحه مدينة « صقلغ »^(٢) ليقيم فيها ، وزار كذلك « عَدْلَام » حيث اجتمع إليه إخوته وبيت أبيه^(٣) وجمع حوله أربعمائة من المدنيين ، والموتورين ، الممرورين ، من حكم شاءول ثم توجه إلى « يهوذا » بعد أن أودع والديه عند ملك مؤاب ، ثم زار « قعيلة » حيث خلص أهلها من بطش الفلسطينيين ، وغادر « قعيلة » مع ستمائة من رجاله المحاربين حين علم أن شاءول سيتعقبه هناك^(٤) ، ثم توجه إلى جبل في « برية زيف » ومنها إلى « برية معون »^(٥) ثم « برية عين جدي »^(٦) ، حيث ظفر بشاءول وكان في إمكانه القضاء عليه ولكنه رفض ذلك لاعتبارات دينية وأخلاقية .

وهكذا كانت مطاردة شاءول لداود كسباً للشاني وخسارة للأول ، فما أن انتهت حياة شاءول حتى سارع رؤساء القبائل العبرية بجيوشهم يبايعون داود بالملك كما نرى في الإصحاح الثاني عشر من سفر أخبار الأيام الأول إذ يصور لنا كيف كانت فرحة الشعب بتملك داود حيث استمر الاحتفال ثلاثة أيام تبرع فيها الرؤساء بنفقات الطعام والشراب لأنه كان فرحاً في إسرائيل «

(١) وقد ذهب داود الى جت « مرتين ، الأولى حين اصطنع الجنون خوفاً من ملك « جت » الفلسطيني « أخيش بن معوك » صمويل أول : ٢١ : ١٠ ، والثانية حين أقام في صقلغ التي منحها له « أخيش » عندما اطمأن إليه : صمويل أول : ٢٧ : ٥ - ٦ .

(٢) « صقلغ » مدينة في جنوب يهوذا عينت لشمعون وسكنها داود حين تشرد ولم تذكر بعد هذا حتى أعيد إسكانها بعد النفي (أطلس الكتاب المقدس : ص ٢٠) .

وجاء عنها في « Clarendon Bible, P.177 » إنها موضع غير معين يبعد بمسافة ٢٢ ميلاً جنوب غرب « جت » وحسب المنقولات المصرية فإن الصقالة (The Zakkala) كانت قبيلة في حلف مع الفلسطينيين ، وقد يكون اسمها حفظ في صقلغ .

(٣) صمويل أول : ٢٢ : ١ - ٣ .

(٤) ملوك أول : ٢٣ : ١٣ .

(٥) صمويل أول : ٢٣ : ٢٦ .

(٦) صمويل أول : ٢٤ : ١ ، ٢٦ : ١٦ .

سياسة داود في الحكم :

أستفاد داود من أخطاء سلفه شاءول ، فاستهل حكمه بخطوة حكيمة كان يهدف من ورائها إلى تثبيت دعائم ملكه بأن يجمع كل بني إسرائيل على هدف واحد ولكي يضمن نجاح هدفه ، جعل ذلك الهدف هدفاً دينياً بالغ الأثر في نفوس الجماعة ، ذلك هو إعادة تابوت الرب ، « فشاور داود قواد الألوف والمئات ، وكل رئيس ، وقال داود لكل جماعة بإسرائيل : إِنَّ حَسَنَ عِنْدَكُمْ ، وكان ذلك من الرب إلهنا ، فلنرسل إلى كل جهة إلى إخواننا الباقين في كل أرض إسرائيل ، ومعهم الكهنة واللاويون في مدن مسارحهم ليجتموا إلينا ، فترجع تابوت إلهنا إلينا ، لأننا لم نَسأل به في أيام شاءول... وجمع داود كل إسرائيل من «شبحور مصر» إلى مدخل حماة ليأتوا بتابوت الله من قرية «يعاريم»^(١) .

وهكذا بدأ داود حكمه بتحقيق أمل ديني عظيم فشل شاءول في تحقيقه كما بدأ حكمه بالتشاور في الأمر وإشراك القيادات العسكرية والدينية معه في أمور المملكة وجمع الجميع تحت راية واحدة ، عادوا بالتابوت في موكب رائع استغله داود في زيادة التمكين لنفسه في نفوس ذوي السلطة الدينية الموثورين من شاءول بأن جعل شرف حمل التابوت مقصوراً على اللاويين^(٢) ، وقد ارتدى زي الكهنة يشاركونهم الغناء والرقص واللعب^(٣) حتى دخل التابوت أورشليم ، مما جعل «ميكال» زوجته «تحتقره في قلبها»^(٤) .

ولم يظهر ذكاء داود وسياسته في ذلك العمل وحسب ، وإنما أراد أن يضمن لنفسه في بداية حكمه فترة سلام يتفرغ فيها لتثبيت أقدامه وبناء مملكته فطبق سياسة المسالمة حتى في علاقته مع أعدائه ، فقد ظل فترة يحكم بصفته تابعاً

(١) أيام أول : ١٣ : ١ - ٥ ، صمويل ثان : الإصحاح السادس كله .

(٢) أيام أول : ١٥ : ٢ .

(٣) صمويل ثان : ٦ : ١٤ ، أيام أول : ١٥ : ٢٧ ، ٢٩ .

(٤) أيام أول : ١٥ : ٢٩ ووصفته ميكال بأنه يعمل عمل السفهاء فأجابها بأن عمله هذا من أجل الرب الذي اختاره دون أبيها شاؤل (صمويل ثان : ٦ : ٢٠ - ٢٢) .

للفلسطينيين^(١) كما أنه دعا الجبعونيين - وهم من بقايا الأموريين - وأظهر لهم أنه يريد أن يسترضيهم ويكفر عما فعله شاءول بهم ، فتفاوض معهم ونفذ لهم ما أرادوا وأصبح في أمان من جانبهم^(٢) .

كذلك ظهر حسن سياسة داود حين علم أن أهل « يابيش جلعاد » قد تعاطفوا مع خصمه شاءول ودفنوا جثته بعد موته ، فأرسل إليهم رسله قائلاً : « مباركون أنتم من الرب إذ قد فعلتم هذا المعروف بسيدكم شاءول فدفنتموه »^(٣) .

ثم أراد أن ييسط سلطانه على بقية قبائل العبريين في الشمال حيث استطاع « ايشبوشت » بن شاءول أن يسيطر عليهم بعد موت أبيه بمساعدة قائده أبنير بعد أن عبر به محانيم ، وظل إيشبوشت ملكاً على كل ما يقع شرق الأردن لمدة عامين^(٤) حتى دب خلاف بينه وبين قائده أبنير فأراد قائده أن ينتقم لنفسه من « إيشبوشت » بأن يساعد داود على ضم قبائل الشمال إليه ، وتم التفاوض بين أبنير وداود في ذلك الأمر وعند عودة أبنير لقي مصرعه على يدي أحد قواد داود ويدعى « يؤاب » بن صروية لعداوة كانت بينهما ، فحزن داود عليه ورثاه^(٥) ، ثم تمرد إثنان من بيت إيشبوشت عليه فقتلاه وهو نائم ، وذهبا برأسه إلى داود ولكنه أظهر غضبه لهذه الفعلة النكراء فأمر بقتلهما ودفن رأس « إيشبوشت » مع جثة قائده « ابنير » في حبرون^(٦) . وبذلك آلت القبائل الشمالية إلى سلطان داود .

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ٢ ص ٢٨٨ ، وموسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ١٤٣ .

(٢) صمويل ثان : ٢١ : ٣ - ٩ وفي هذه القصة نجد خلطاً في الرواية فيما يختص بميكال ابنة شاءول ، ففي صمويل ثان : ٢١ : ٨ يروى أن ميكال ابنة شاءول كان لها خمسة أبناء من عدرييل بن برزلاي المحولي وهؤلاء الأبناء الخمسة سلمهم داود للجبعونيين ضمن سبعة قتلوهم للثأر من شاءول ، ثم نجد في صمويل ثان : أن ميكال ابنة شاءول لم يكن لها ولد إلى يوم موتها . وكذلك في صمويل أول : ١٨ : ١٩ - ٢٠ ، يذكر أن عدرييل بن برزلاي لم يتزوج من ميكال ، وإنما تزوج من أختها « ميراب » أما ميكال فقد أحببت داود وتزوجته ، وحتى حين غضب أبوها شاءول على زوجها داود ، فإنه زوجها لفلطيل بن لايش وليس لعدرييل بن برزلاي (صمويل ثان : ٣ : ١٥) .

(٣) صمويل ثان : ٢ : ٥ - ٧ .

(٤) صمويل ثان : ٢ : ١٠ .

(٥) صمويل ثان : ٣ : ٢٥ - ٣٥ .

(٦) صمويل ثان : ٤ : ٧ - ١٢ .

وبعد أن تمت له السيطرة على قبائل الشمال أراد أن يحافظ على وحدة المملكة وأن يوطد سلطانه من موقع يتوسط جميع القبائل في الشمال والجنوب ، فكانت خطوته التالية أن وفق في اختيار العاصمة « حيث اقتضت قوته المساعدة اختيار عاصمة له في منطقة محايدة ، حتى يمكنه توحيد القبائل الشمالية والجنوبية وانتهى الأمر إلى اختيار معقل اليوسيين « أورشليم » التي كانت منيعة بقوة أصحابها المدافعين عنها والذين شغلوها منذ ٣٠٠٠ ق.م. (١) ، ثم أطلق عليها بعد ذلك اسم « مدينة داود » (٢) وأعد بها مساحة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس (٣) ، وبنى فيها قصره الملكي على أيدي معماريين من أهل صور بمساعدة ملكها حيرام (٩٨٠ - ٩٤٧ ق.م) وبصداقة داود مع حيرام بدأت العلاقات بين المملكتين وتوطدت دعائمها في عهد سليمان ثم استمرت بعد انقسام المملكة ، وتدعمت فيما بين مملكة الشمال « إسرائيل » ومملكة صور في عهد أسرة « آحاب » ملك إسرائيل الذي تزوج من « إيزابيل » صاحبة الدور الأكبر في نشر عبادة قومها الوثنية في إسرائيل .

وقد وسع داود من حدود مملكته إلى جهات لم تبلغها المملكة قبله ولا بعده (٤) إذ استطاع أن يجنب البلاد خطر الفلسطينيين ، كما استولى على آدوم ومؤاب وعمون وغزا دمشق ، وبغزوه آدوم تمكن من السيطرة على الطريق التجاري الهام بين بلاد الشام وبلاد العرب (٥) . ومن الناحية الدينية عمل داود على توطيد مكانة « يهوه » وجعل عبادته هي العبادة الرسمية في المملكة وأقام له مكاناً للعبادة .

R.K.Harrison: The Archaeology of O.T. P.65. (١)

(٢) أنظر دكتور حسن ظاظا : القدس ، مدينة الله أم مدينة داود ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) لم يشهد داود الهيكل وإن كان قد شرع في ذلك ، ولكنه ترك هذا العمل لابنه سليمان حسب ما أوصاه به النبي ناثان ، صمويل ثان : ١٢:٧

R.K.Harrison: The Archaeology of O.T. P.66. (٤)

حيث يذكر هاريسون أن إمبراطورية داود قد امتدت من خليج العقبة حتى ممر حماة بينما تشير مصادر أخرى إلى أن سلطانه قد امتد عبر الحدود المصرية .

(٥) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ح ٢ ص ٢٨٩ .

ولم يفت داود أن ييسط حمايته على السلطة الدينية في البلاد فألحق الكاهن الأكبر ببلاطه وجاهد ليجعل من الهيئة الدينية إدارة من إدارات الدولة وتبعه في ذلك ابنه سليمان ، وقد تأثر داود في ذلك بالملوك والأباطرة في مسلكهم تجاه السلطة الدينية في مثل هذه الأحوال^(١) .

أما عن شخصية داود وما مرت به من أزمات سياسية واجتماعية وما ورد في العهد القديم من هزات تعرضت لها شخصية داود فذلك سنتناوله في الباب الأول عند الحديث عن الصراع بين السلطات الاجتماعية في المجتمع العبري .

ومات داود وهو يناهز السبعين عاماً كما يشير العهد القديم في الآية الرابعة من الإصحاح الخامس في صمويل الثاني إذ تقول الآية : « وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ، وملك أربعين سنة »^(٢) .

والى داود يرجع مبدأ الوراثة في الحكم الملكي عند بني إسرائيل وذلك حين أمر بأن يخلفه في الحكم ابنه سليمان الذي توج ملكاً على بني إسرائيل ، وداود ما يزال حياً^(٣) .

(١) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ١٤٢ .

(٢) جاء في نهاية الأرب للتوري ١٤ ص ٨١ أن داود مات عن مائة سنة .

(٣) ملوك أول : ١ : ٢٩ ، ٣٠ .

سليمان (حوالي ٩٦٠ - ٩٢٥ ق.م)

ورث سليمان الملك عن أبيه داود فأصبح بذلك ثالث ملك على بني إسرائيل، وآخر ملك في المملكة الموحدة بعد شاول وداود، وينتسب سليمان من جهة أمه إلى الحِيثين ، فهو من « بتشيع » التي كانت قبل زواجها من داود امرأة « أوريا الحثي » أحد قواد داود ، ويروى العهد القديم أن داود قد استولى على هذه المرأة بعد أن فتن بجمالها ، وأنجب منها ولداً قبل أن يتزوج منها وأما الرب الغلام عقب ولادته تأديباً لداود الذي استولى على بتشيع بعد أن احتال في التخلص من زوجها « أوريا الحثي »^(١) .

ويرى بعض الباحثين أن ملوك بني إسرائيل الثلاثة الذين حكموا مملكتهم الأولى الموحدة وهم شاول وداود وسليمان لم يكونوا من اليهود الخالص ، وإنما امتزج نسبهم بأجناس أخرى فيقول الدكتور نجيب ميخائيل « ولو صدقنا ما أوردته التوراة فإن شاول ثمرة مزيج من اليهود ونساء يابيش جلعاد أو الراقصات من بنات شيلوه »^(٢) .

وأما داود فمن نسل فارس ثمرة اتصال يهوذا بكتته ثامار وكانت زوجة يهوذا

(١) انظر القصة في صمويل ثان : ١١ : ٢ - ١٧ ، ١٢ : ١٣ - ١٦ والرؤية الإسلامية لهذه القصة كما يروي النويري (نهاية الأب حـ ١٤ ص ٦٢) عن الثعلبي أن داود لم يتصل بزوجة أوريا إلا بعد انقضاء عدتها ، ورواية أخرى للنويري (نفس المرجع ص ٦٦) أن بتشيع لم تكن زوجة لأوريا وإنما كانت مخطوبة له وأن قتل أوريا لم يكن بتدبير من داود وإن كان داود قد فرح لقتل أوريا حيث أفسح له الطريق إلى بتشيع ، وقد فسرت الآيات القرآنية من ٢١ - ٢٣ من سورة (ص) على ضوء خبر تلك الحادثة .

(٢) دكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : حـ ٣ ص ٣٦٧ هامش .

كذلك كنعانية ، وأما سليمان فهو كما رأينا كان ابن داود من بتشيع زوجة أوريا الحثي فهي من الحثيين^(١) .

وكان لبتشيع هذه دور واضح في تعيين سليمان ملكاً^(٢) ، وذلك بمساعدة ناثان النبي ، وبذلك انتصرت بتشيع - صاحبة النفوذ في القصر الملكي - على أبيشج الشونمية خادمة داود في مرضه ، إذ يبدو من سياق رواية العهد القديم^(٣) أن « أبيشج » هذه كان لها دور في إعلان أدونيا نفسه ملكاً على بني إسرائيل دون علم أبيه داود اعتماداً على أنه أكبر إخوته في العمر ، وساعده في ذلك كل من أبياتار الكاهن ويواب قائد جند داود^(٤) .

سياسة سليمان في المملكة :

استهل سليمان حكمه بالتخلص من أخيه « أدونيا » وكل من التف حوله في محاولة تنصيب نفسه ملكاً على بني إسرائيل ، فأمر بقتل أخيه أدونيا ، ثم خلع أبياتار الكاهن من منصب الكهانة وطرده وعين بدلاً منه صادوق رئيساً للكهنة كذلك جعل سليمان « بنياهو بن يهوياذاع » قائداً للجيش ، وأمره بأن يقتل القائد السابق « يواب بن صروية » الذي احتمى إلى جانب المذبح في خيمة الرب ، ورغم ذلك

(١) وجاء في كتاب « العرب واليهود في التاريخ » للدكتور أحمد سوسة ، طبعة ثانية ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ نقلاً عن الكاتب الفرنسي « جان لوي برنار » أن سليمان لم يكن يهودياً وإنما كان آشورياً « كان نائب الملك معيناً من الخارج » وهوشلما نصر الذي (عبرته) اليهود فحولوا اسمه إلى سليمان وقد اغتيل على يدهم ، ويقول : « وأرجح كون سليمان سامياً كما كانوا ساميين أولئك الاشوريون المنحدرون من جبال زاغروس ومن صياصي القفقاس ومعهم شطر من الأكراد ، كل هؤلاء هبطوا إلى ما بين النهرين ليخضعوها بعد أن دب في أوصالها الانحلال . . . الخ » ثم يقول : « فهو نصف عربي (وهذه حصته البابلية) وهو نصف كردي ، وهذا يفسر لنا الصداقة التي تربط سليمان بالملوك الفينيقين الذين ساعدوه في بناء الهيكل » .

(٢) أنظر قصة تنصيب سليمان في ملوك أول : ٤ : ١ - ٤٨ .

(٣) ذلك لأن أدونيا لم يكن له بعد فشله في محاولة الاستيلاء على الملك غير مطلب واحد وهو الزواج من بتشيع ، ملوك أول : ١٧ : ٢ .

(٤) يواب بن صروية وهو ابن أخت داود كما يروي النويري (نهاية الأرب : ح ١٤ ص ٦٢) عن الثعلبي .

نقد فيه حكم الإعدام ، ونقد سليمان وصية أبيه داود بقتل « شمعي بن جيرا
البنياميني » .

وبعد أن تخلص سليمان من أعدائه وأجرى التغييرات اللازمة في مؤسسات
الدولة الدينية والعسكرية بدأ ينفذ آماله وأهدافه في الحكم فانتهج لذلك سياسة
جديدة داخل المملكة وخارجها حتى استطاع أن يجعل فترة حكمه العصر الذهبي
لبنى إسرائيل في تاريخ مملكتهم .

فقد بدأ سليمان بتكوين الديوان الملكي العالي كما نرى في بداية الإصحاح
الرابع من سفر الملوك الأول : « كان الملك سليمان ملكاً على جميع إسرائيل
وهؤلاء هم الرؤساء الذين له : عزريا بن صادوق الكاهن وأليحورف وأخيا ابناشيشا
كاتبان ، ويهوشافاط بن أخيلود المسجل ، وبنياهو بن يهوئاداع على الجيش ،
وصادوق وأبياتار كاهنان ، وعزرياهو بن ناثنان على الوكلاء ، وزابود بن ناثنان
كاهن وصاحب الملك ، وأخيشار على البيت ، وأدونيرام بن عيدا على
التسخير ، ثم كون النظام الإداري للمملكة فقسمها إلى اثني عشر قسماً إدارياً
بعدد أسباط بني إسرائيل وجعل على كل قسم منها وكيلاً له يجمع الميرة ويتولى
كل واحد منهم تقديم الميرة إلى بيت سليمان شهراً في السنة ، وحين قسم
سليمان مملكته اثني عشر قسماً تعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل
الأسباط الإثني عشر وكان هدفه من ذلك إضعاف النزعة الانفصالية بينهم ^(١) ،
فعاشر الجميع آمنين وكل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان إلى بئر
سبع ^(٢) .

وامتد طموح سليمان إلى أكثر من توطيد ملكه بين قبائل العبريين داخل
المملكة فقد أراد أن يساير حضارات الأمم المتقدمة المحيطة به ، وأن يكون له
نصيب في بعض الطرق التجارية العالمية الهامة ، فدفعه ذلك الطموح إلى توطيد
علاقاته ببعض الأمم الأجنبية وبخاصة تلك الأمم التي يمكن أن تعود صداقتها عليه
بالنفع الحضاري والاقتصادي والعسكري ، فجدد ما كان قد بدأه أبوه داود من
صلات مع حيرام ملك صور وبدأ حيرام بإغراء سليمان باستخدام الطريق الجديدة

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثاني من المجلد الأول ، ص ٣٣٤ ترجمة محمد بدران .

(٢) ملوك أول : ٣٥ : ٤ .

عبر فلسطين بدلاً من طريق مصر في تجارته مع العرب وأفريقية ، كما اعتمد سليمان في تشييد الهيكل والقصر الملكي على حيرام اعتماداً كلياً فقد كانت الخامات والمهارات الفنية المختلفة التي استخدمت في بناء الهيكل مجلوبة كلها من « صور »^(١) ، ولم يكن لبني إسرائيل إلا الخدمة والتسخير في قطع الأخشاب ونقلها إلى مكان البناء .

ومن أجل التجارة كذلك كان اتصال سليمان بملكة سبأ^(٢) التي سعت إليه وجرت بينهما مفاوضات عادت بعدها ملكة سبأ إلى بلادها راضية .

وهناك مظهر هام من مظاهر اهتمام سليمان بتوطيد علاقاته مع الشعوب الأجنبية ، ذلك المظهر كما يبيده لنا العهد القديم بوضوح هو اتخاذ سليمان زوجات عديدات أجنبيات ، فقد صاهر فرعون مصر^(٣) الذي ساعده في الاستيلاء على جازر التي أحرقتها وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطائها مهراً لابنته امرأة سليمان^(٤) . وربما ساعد ذلك على أن يسيطر سليمان على الطريق الساحلي ذي الأهمية التجارية .

ولم تكن المصاهرة مقصورة على ابنة فرعون ، فقد « أحب سليمان نساء غربية كثيرة مع بنت فرعون ، مؤايبات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات »^(٥) .

(١) أيام ثان : ١١ : ٤ .

(٢) أيام ثان : ١ : ٩ - ٣ ، ملوك أول : ١٠ : ١ - ١٠ ، وقد كثرت القصص والأساطير حول اتصال ملكة سبأ بسليمان (راجع : سيرة الحبشة تأليف الحيمي الحسن بن أحمد : تحقيق دكتور مراد كامل سنة ١٩٥٨) .

(٣) ويرى هـ.ج. ويلز في « معالم تاريخ الإنسانية » ح ٢ ص ٢٩٤ طبعة ثالثة ترجمة عبد العزيز جاويد ، أن قبول فرعون مصر مصاهرة ملك صغير كسليمان دليل على انحطاط مهابة مصر واضطراد تدهورها آنذاك ، إذ لم يكن يسمع لبأن قوة مصر أن تصبح أميرة مصرية زوجة لعاهل بابلي ، وربما يتنازل فرعون مصر ويقبل في حريمه أميرة بابلية أما العكس فلا .

(٤) ملوك أول : ٩ : ١٦ .

(٥) ملوك أول : ١١ : ١ .

ويبلغ عدد نساء سليمان من الزوجات سبعمائة ، ومن السراري ثلاثمائة حسب رواية العهد القديم (١) .

وإذا تحدثنا عن الناحية الدينية في عهد سليمان ، فإن أبرز عمل قام به كان بناء الهيكل الذي استمر العمل فيه حتى السنة الرابعة من ملك سليمان على بني إسرائيل (٢) ولكن الذي أفقد ذلك العمل الضخم أهميته الدينية هو ما نتج عنه من أمور تسببت في متاعب كثيرة للشعب ، إذ أراد سليمان أن يبني هيكلًا للرب يكون غاية في الجمال والجلال ، ولم تكن لديه الخبرات الفنية ، والكفاءات المعمارية التي تستطيع تنفيذ ذلك المشروع الضخم ، فلجأ إلى حيرام ملك صور الذي انتهز الفرصة وطلق يستخدم مملكة سليمان طريقاً عاماً يسلكه لينفذ بذلك إلى البحر الأحمر فيبني فيه السفن ، وأصبح سليمان بالنسبة للملك التاجر حيرام لا يتجاوز منزلة المعاون له على تحقيق خطته ومشروعاته الواسعة النطاق (٣) .

كما أن بناء المعبد والقصر تكلف نفقات باهظة ، كانت سبباً في إرهاب الشعب بالضرائب فضلاً عن إرهابهم الجسدي بالسخرة في البناء وقطع الأخشاب والأحجار (٤) .

ولم يكن إرهاب الشعب بالضرائب الباهظة ، نتيجة لبناء المعبد والقصر الملكي وحسب ، ولكن حسب رواية العهد القديم كانت نفقات سليمان الخاصة بطعامه (٥) وشراؤه ونسائه وخيله وحاشيته ، ضمن أسباب معاناة الشعب الذي يدفع

(١) ملوك أول : ٣: ١١ ويذكر ول ديورانت « قصة الحضارة » - ٢ من المجلد الأول ص ٣٣٣ : « أن المؤرخين يقصون عدد زوجات سليمان السبعمائة وسراريه الثلاثمائة إلى ستين وثمانين على التوالي » .
(٢) ملوك أول : ١: ٦ ، ولكن الآية ٣٨ من نفس الإصحاح تذكر أن إكمال الهيكل في جميع أموره استغرق سبع سنين .

(٣) أنظر : هـ.ج. ويلز « معالم تاريخ الإنسانية » - ٢ ص ٢٩٣ ، ٢٩٥ .

(٤) إذ بلغ عدد المسخرين ثلاثين ألفاً من جميع رجال بني إسرائيل يرسلهم بالتناوب إلى لبنان لقطع الأخشاب وسخر سبعين ألفاً يحملون أحمالاً ، وثمانين ألفاً يقطعون أحجاراً من الجبل ، ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاثمائة من المتسلطين على الشعب العاملين العمل ، ملوك أول : ٥ : ١٣ - ١٧ .

(٥) « كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرسميد ، وستين كردقيق وعشرة ثيران مسمنة ، وعشرين ثوراً =

كل هذه النفقات كما أن كثرة حريمه نتج عنها ما هو أخطر من زيادة النفقات التي يتحملها الشعب إذ يروي العهد القديم أن سليمان لكي يرضي نساءه سمح لهن بإقامة معابد خاصة لآلهة نساءه الأجنبية وإرضاء للشعوب التي اتصل بها مما شوه صورة العمل الديني الضخم في بناء المعبد^(١) .

وحتى ذلك المشروع الذي اعتبره اليهود من عجائب الدنيا والذي تكلف ما تكلف من نفقات وجهود نجد كثيراً من المؤرخين يهونون من قيمته في معرض الحديث عن عدم دلالة المعبد على أصالة حضارية عند اليهود لأنه من صنع الفينيقيين الصوريين وقد بني على نمط المعابد الكنعانية هو والقصر الملكي اللذين تعدهما التوراة مثلاً لأوج عظمة سليمان^(٢) . وحتى تسمية الهيكل مأخوذة من كلمة « هيكال » الكنعانية ويرجع المصطلح الى أصل بابلي آشوري^(٣) ، ويقول هـ.ج. ويلز عن مبالغة العهد القديم في وصف أعمال المعبد والقصر : «وإذا قيست هذه إلى جمال وعجائب المباني والتنظيمات التي قام بها عاهل عظيم كتحتومس الثالث أو رمسيس الثاني أو نفر من الفراعين الأخر ، أو سرجون الثاني أو سردانايايوس أو نبوخذ نصر العظيم ، فإنها تبدو من التوافة البيئات »^(٤) .

وعلى أي حال فإننا نرى أن سليمان بينائه للمعبد كان قد أسس مركزاً روحياً قوياً لليهود عبر بهم من المرحلة البدائية للدين إلى مرحلة تبشر بالوحدانية في العقيدة وإن كانوا قد سبقوا بها . كما أن ما يروى عن تساهل سليمان في السماح

من المراعي ومائة خروف ما عدا الأيائل والظباء واليحمير والأوز المسمن (ملوك أول : ٤ : ٢٢ - ٢٣) .
(١) تقول الآيات (٤ - ٩) من الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول : « وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمّلت قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إله كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتورت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل تجاه أورشليم وللملك رجس بني عمون » .
(٢) دكتور أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢٩٨ ، نقلاً عن فيليب حتي : تاريخ سورية ، ص ٢٠٤ .

(٣) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ح ٢ ص ٢٨٩ .
(٤) هـ.ج. ويلز : معالم تاريخ الإنسانية ، ح ٢ ص ٢٩٥ ، وانظر جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : ص ٤٦ ، وانظر طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٠ .

بتسلل عبادات أجنبية وثنية ، وتشيد معابد لها - إن صحت هذه الروايات - وإنما كان ذلك نتيجة حرصه على تقوية المملكة وضممان صداقة الكثيرين من الأمم المتحضرة القوية بطريق المصاهرة ، أو المصالح المتبادلة^(١) ، وهناك ما يؤيد نزعة سليمان الدينية وحرصه على حرمان الأماكن المقدسة ، فقد أخرج زوجته بنت فرعون من مدينة داود إلى البيت الذي بناه لها لأنه قال « لا تسكن امرأة في بيت داود ، لأن الأماكن التي دخل إليها تابوت الرب إنما هي مقدسة »^(٢) .

كذلك لم يقصر سليمان في أداء الطقوس الدينية التي وصى بها موسى وداود من قبل ، فالمحرقات تؤدي حسب وصية موسى في السبت والأهلة والمواسم ثلاث مرات في السنة في عيد الفطر وعيد الأسابيع وعيد المظال^(٣) .

كذلك على المستوى الاقتصادي حقق سليمان لمملكته كثيراً من النجاح ، فقد أصبحت أورشليم في عهده من أنشط الأسواق التجارية في الشرق الأدنى وإن لم تكن على الطرق التجارية الكبرى ، كذلك أنشأ سليمان أسطولاً تجارياً في البحر الأحمر وشجع التجار الفينيقيين على أن يسيروا قوافلهم التجارية داخل أرض فلسطين وازدهرت في عهده تجارة رابحة قوامها استبدال مصنوعات صور وصيدا بغلات إسرائيل الزراعية وكان يحصل على إتاوات من جميع القوافل المارة بفلسطين^(٤) .

وإذا كان الباحثون على ضوء روايات العهد القديم يحاولون إرجاع السبب في انقسام مملكة العبريين بعد سليمان إلى أخطاء ارتكبها سليمان في حكمه مثل

(١) يقول موسكاتي « الحضارات السامية القديمة » ص ١٤٤ « فالرواية اليهودية تنعي على سليمان أنه أدخل صوراً أجنبية من العبادة ، ولسنا ندري أنما هو هذا نطاق الحيل الدبلوماسية أم لا ، ولكنه كان رغم المنافع التي قد يكون جلبها من ناحية السياسة الخارجية ، خطوة هدئت بالخطر الوحدة القومية للشعب العبري » ، وانظر كذلك هامش (١) من الصحيفة ٤٤٣ من الجزء السابع من دائرة معارف الدين والأخلاق في مقال لـ Kennen يقول فيه إن « الحالات الخاصة بإدخال سليمان للعبادات الأجنبية والتي وردت في (ملوك أول ١: ١١ - ٨ ، ٣٣) ، ملوك ثان : ٢٣ : ١٣ ، لم تؤيدها أية وثائق قديمة .

(٢) أيام ثان : ١١ : ٨ .

(٣) أيام ثان : ١٢ : ٨ - ١٦ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ح ٢ من المجلد الأول ص ٣٣٢ ، ٣٣٤ .

زواجه بالأجنبيات الكثيرات مما أدى إلى انتشار عبادات غريبة ، ومثل نفقاته الباهظة ما كان منها شخصياً وما كان منها للإنتفاق على المعبد والقصر فيجب علينا عند الحديث عن أسباب انقسام المملكة من بعده ، ألا نغفل بعض العوامل التي لم يكن سليمان مصدراً لها ، فطبيعة التمرد والجحود أصيلة في نفوس اليهود وبخاصة في تلك الفترة القريبة من البداوة الفظة ، كما أن فتن القصور الملكية أمر طبيعي في كل زمان ومكان ، وبخاصة إذا حركتها دول لها مصلحة كما حدث في قصر سليمان حين استعملت مصر أحد الأركان الهامة في قصر سليمان لحسابها ، ولم تياس حتى عندما فشلت المؤامرة بانكشاف أمر العميل يربعام بن نباط وفراره إلى مصر حتى تهيأت الظروف بموت سليمان فأكملت مصر الفرعونية ما أرادت على يدي نفس القائد الهارب إليها يربعام بن نباط ، وساعد على نجاحه عدم النضج السياسي لشخصية رجبام بن سليمان حين خلف أباه في الحكم .

أما انتشار الوثنية في عهد سليمان ودخول عبادات غريبة فإننا نستبعد أن يكون سليمان قد ساعد في ذلك إرضاء لزوجاته ، كما يقال ، وإنما الذي ساعد على انتشارها طبيعة عهد سليمان الذي أطلت فيه المملكة على حضارات أخرى واختلط الشعب بشعوب كثيرة تمر تجارتها عبر بلاده فيحدث التأثير والتأثر باللقاء الثقافات والحضارات ، بل يكون التأثير أبلغ من التأثير إذا كان المتأثر أقل ثقافة وحضارة ورقياً في الفكر كما كان بنو إسرائيل حين يلتقون عن طريق القوافل التجارية المارة بأرضهم ، بألوان شتى من الحضارات والثقافات والأفكار . . . كما يجب علينا ألا نغفل طبيعة بني إسرائيل كذلك في عدم حرصهم على التمسك بدين وسرعة انجذابهم إلى ديانات جديدة وتحولهم إليها ونصوص العهد القديم سخية في ذكر هذه الطبيعة في بني إسرائيل منذ خروجهم من مصر حتى زوال كيانهم . . .

وشعب هذه طبيعته لا يكون غريباً عليه أن تنتشر العبادات الغريبة بينه في عهد سليمان خصوصاً وأن العهد القديم يذكر لنا أن آلفاً عديدة عاشت في لبنان واختلطت بالأجانب حين أرسلهم سليمان عمالاً يقطعون الأخشاب والأحجار إبان بناء المعبد ، كما أن آلفاً أخرى من الأجانب قد أرسلهم حيرام ملك صور

ليقوموا بتشيد المعبد وهندسته . . .

هذه كانت عوامل لا يجب إغفالها عند الحديث عن أسباب انتشار العبادات الأجنبية في عهد سليمان ، والحديث عن أسباب انقسام المملكة بعد سليمان .



المملكة المنقسمة

رغم أن الانقسام لم يحدث في مملكة بني إسرائيل إلا بعد موت سليمان ، إلا أن الظواهر كانت تشير إلى ذلك في أخريات عهده ، ومن أهم هذه الظواهر تصدع القيادة العسكرية المتمثل في تمرد يربعام بن نباط على سليمان بمساعدة قوتين لهما خطرهما ، القوة الأولى كانت تحركها أصابع فرعون مصر الطامع في استعادة النفوذ المصري على منطقة فلسطين لأهميتها التجارية والعسكرية^(١) ، والقوة الثانية كانت منبثقة عن روح السخط الديني من أجل انتشار العبادات الغريبة في البلاد مما جعل أخيا الشيلوني يقوي من عزيمة يربعام المتمردة على حكم سليمان ويبث في نفسه الأمل بأنه سيستقل بحكم عشرة أسباط من بني إسرائيل^(٢) .

كما أن قبائل الشمال لم تكن فيما يبدو مستريحة في حكم سليمان ، ويظهر ذلك جلياً في المفاوضات التي دارت بين رؤساء القبائل الشمالية وبين رحبعام بعد موت أبيه سليمان حين زار القبائل الشمالية ليستطلع مدى استعدادهم لمبايعته خلفاً

(١) وما يؤكد ذلك أن شيشنق فرعون مصر احتضن يربعام بن نباط واتخذ لاجئاً سياسياً طيلة فترة هربه من سليمان وما أن مات سليمان حتى ترى يربعام يسرع بالعودة إلى بني إسرائيل مكوناً مملكة مستقلة في الشمال وسرعان ما تتحرك مطامع شيشنق فيغزو مملكة يهوذا وإسرائيل معاً إذ الهدف عنده ألا يجعل سلطاناً قوياً يسيطر على هذه البقعة (أنظر ملوك أول : ١٤ : ٢٥) وقد سجل شيشنق على جدران معبد الكرنك وصفاً مفصلاً لانتصاراته على الإسرائيليين عام ٩٢٠ ق.م في صورة ظهر فيها ١٥٦ من الأسرى كل منهم يمثل مدينة من مدن العبريين التي استولى عليها فرعون (أنظر : جون الدر : الأحجار تتكلم : ترجمة الدكتور عزت زكي ص ٨٥) .

(٢) ملوك أول : ١١ : ٢٩ - ٣١ .

لأبيه ، وكان أولئك المفاوضون على درجة من الذكاء والدهاء استغلوا بها شخصية رجبام المندفعة غير الناضجة في ميدان السياسة وذلك حين وصفوا أباه سليمان بأنه كان ظالماً قاسياً عليهم لا تعرف الرحمة قلبه ، في معاملتهم ، وأنهم مستعدون لأن يبايعوه إن هو أصبح أحسن من أبيه وأقسط في معاملتهم ، فاندفع رجبام يهددهم بأنه سيضاعف عذابهم ويتشدد في تأديبهم أكثر من أبيه ، عندئذ بدا الموقف وكان رجبام هو الذي تقع عليه مسئولية انقسام المملكة واستقلال الشمال بأسباطه العشرة عنه^(١) .

وفي الواقع أن الفرق كان كبيراً بين قبائل الشمال وبين قبائل الجنوب في درجة التحضر الفكري والاجتماعي ، فقد كان أهل الشمال أهل زراعة واستقرار يعيشون على زراعة القمح والزيتون والكروم والحاصلات الزراعية الأخرى الناتجة من أراضيهم الخصبة بالنسبة لأراضي الجنوبيين الذين كانوا رعاة بالدرجة الأولى ، كما أن أهل الشمال كانوا أكثر تأثراً بالكنعانيين وبتقافتهم وديانتهم الوثنية ولم تتمكن منهم عبادة يهوه كما كانت في الجنوب^(٢) ، كل ذلك كان من العوامل الهامة التي أدت إلى استقلال الشمال عن الجنوب وانقسام المملكة ، فهي في جوهرها عوامل طبيعية ، وسياسية ، ودينية ولهذا فمن الإجحاف بسليمان أن نلقي عليه كل التبعة في انقسام مملكة العبريين بعده .

(١) مملكة الشمال إسرائيل :

ومؤسسها يربعام بن نباط القائد المنشق على سليمان كما عرفنا ، وقد تميز حكمه بحرصه الفائق على إظهار شخصية مملكته الوليدة ، وتأكيد استقلالها عن حكم أسرة داود ، لذلك اتخذ « شكيم » عاصمة له لأنها تمثل مكاناً له أهميته في

(١) ملوك أول : ١٢ : ٣ - ١٦ .

(٢) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ح ٢ - ص ٢٩١ .

حياة العبريين الروحية^(١) ، كما أنه اتخذ عجلين من ذهب رمزاً لديانة مملكته وجعل أحدهما في أقصى شمال المملكة في « دان »^(٢) ، والثاني في أقصى الجنوب في « بيت إيل »^(٣) ، وجعل كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بني لاوي وبنَى المرتفعات وعمل عيداً كالعيد الذي في يهوذا^(٤) ، ذلك حتى يجابه نفوذ أورشليم الروحي الذي قد يجذب إليه شعب الشمال .

وظل يربعام بن نباط في الحكم اثنين وعشرين عاماً^(٥) كان أغلبها في صراع سياسي وديني بينه وبين مملكة الجنوب يهوذا^(٦) .

وتؤكد أسفار العهد القديم وبخاصة الملوك وأخبار الأيام أن يربعام بن نباط هو مؤسس النظام الديني الوثني الراسخ في مملكة الشمال ، وأول من فتح الأبواب واسعة لشتى صنوف الانحراف ، ومختلف ضروب الفساد فكان ممهداً لمن تلاه من ملوك ساروا في نفس طريقه وعلى الدرب ذاته اللهم إلا القليل جداً منهم الذي

(١) فهي مدينة بين عيال وجرزيم زارها إبراهيم (تكوين ١٢ : ٦) ويعقوب (تكوين ٢٣ : ١٨) ودفن فيها يوسف (يشوع ٢٤ : ٣٢) وأعطيت شكيم لنسي (يشوع ١٧ : ٢) وكانت إحدى مدن اللاويين (يشوع ٢١ : ٢١) وفيها جمع يشوع الشعب وألقى عليه خطابه الوداعي (يشوع ١ : ٢٤) وكانت مدينة أبيالك (قضاة ١ : ٩ وما يليه) وفيها تسلّم يربعام الملك (ملوك أول ١ : ١٢ وما يليه) لم يرد ذكرها بعد النفي ، غير أن يوسفوس قال إن يوحنا هركالوس هدمها وهي حديثاً تل البلاطة (أنظر أطلس الكتاب المقدس ط ١٩) وهي الآن « نابلس » تحريفاً عن اسمها اليوناني « نابلس » أي المدن الجديدة وهي على مسافة ٣٤ ميلاً شمال أورشليم ، أنظر تفصيلاً عنها في أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ص ١٧٩ .

(٢) في أقصى شمال فلسطين (ملوك أول ٤ : ٢٥) وكانت في عهد القضاة تدعى لايش (قضاة ١٨ : ٧) حتى استولى عليها سبط دان وأعاد بناءها وأطلق عليها اسماً جديداً (قضاة ١٨ : ٢٩) وتدعى حديثاً تل القاضي .

(٣) مدينة إلى الشمال من أورشليم على حدود بنيامين (يشوع ١٨ : ١٣) وكان اسمها قبل ذلك « لوز » (تكوين ٢٨ : ١٩) زارها إبراهيم (تكوين ١٢ : ٨) ويعقوب (تكوين ٢٨ : ١٩) وجعلها يربعام بن نباط معبداً حتى هدمه يوشيا ملك يهوذا (ملوك ثان ٢٣ : ١٥) تدعى حديثاً « بيتين » .

(٤) ملوك أول : ١٢ : ٣٠ .

(٥) ملوك أول : ١٤ : ٢٠ .

(٦) ملوك أول : ١٥ : ٦ ، أيام ثان : ١٣ : ٢ - ٢٠ .

فضل عبادة الرب على عبادة الوثن مثل « ياهو بن نمشي » (١) .

وإذا كان يربعام قد استهمل حكمه دون أي اكتراث بفضل الرب كمصدر لحماية شعبه وسرورهم (٢) ، فإن ابنه « ناداب » لم يكن بأفضل منه ، فقد سلك طريق أبيه حتى جاء « بعشا بن أخيا » من بيت يساكر (حوالي ٩٥٣ - ٩٣٠ ق. م) ففضى على ناداب ولما يمض عليه في خلافة أبيه أكثر من عامين وأباد بعشا كل من بقي من أسرة يربعام .

ولم يكن استيلاء بعشا على الحكم وقضاؤه على أسرة يربعام حياً في الإصلاح أو محاولة منه للقضاء على الفساد وإنما كان حياً في التملك والسيطرة مما يدل على فساد الحكم في مجتمع قلق ، فقد سلك بعشا مسلك سابقه حتى تولى بعده ابنه « أيلأ » الذي لم يعمر في الحكم أكثر من عامين حتى صعد عليه أحد قواده ويدعى ، « زمري » ففعل « بأيلأ » كما فعل بعشا بأسرة يربعام ، إذ قضى زمري على « أيله » وهو يسكر في « ترصه » (٣) ثم جلس على كرسي المملكة وقضى على بقية بيت بعشا قضاء مبرماً ، ويبدو بوضوح من خلال قصة « زمري » كما يرويها العهد القديم أن هذه الانقلابات لم تكن إصلاحية المقصد بقدر ما هي انتهاز للفرص من أجل تحقيق مطمع شخصي حتى ولو كان ذلك على دماء جماهير غفيرة من أسرة الحاكم السابق وأتباعه وأنصاره ، فقد كانت المدة التي تولى فيها « زمري » حكم إسرائيل لا تتعدى سبعة الأيام تمكن خلالها من القضاء على أسرة بعشا وانتهى انقلابه هذا بانتحاره خوفاً من غضبة الشعب عليه فدخل القصر الملكي وأشعل فيه النار فاحترق مع بقية منقولات القصر (٤) .

وتستمر صورة المجتمع القلق بعد انتحار « زمري » فينقسم الشعب إلى

(١) عاشر ملوك إسرائيل (حوالي ٨٨٤ ق. م) أو الحادي عشر إذا أخذنا في الاعتبار أحد ملوكهم وهو « نمش » الذي لم يتعد حكمه يوماً واحداً بعد « زمري » الذي حكم سبعة أيام فقط (ملوك أول : ١٥ : ١٦ - ٢٢) .

(٢)

William Blaikie Amanual of Bible history, P.215.

(٣) مدينة كنعانية ملكية وكان بها أسرة يربعام (ملوك أول : ١٧ : ١٤) .

(٤) ملوك أول : ١٨ : ١٦ .

قسمين قسم يرشح « عمري » وقسم آخر يرشح « تبني » ، ولكن كفة عمري « كانت أرجح فمات «تبني» وتولى « عمري » مملكة إسرائيل وكانت فترة حكم « عمري » صحيفة جديدة في حياة مملكة الشمال ، سجل فيها ارتباط المملكة برابطة نسب مع مملكة « صور » حين اتخذ أبنه « آخاب » زوجة من الأسرة الملكية في « صور » كانت تدعى « إيزابل » وبدخول إيزابل القصر الملكي في إسرائيل دخلت المملكة طوراً جديداً من أطوار الانحراف الديني والخلقي^(١) .

كما أن « عمري » هو أول من اتخذ « السامرة » عاصمة لمملكة إسرائيل بعد أن أسسها يربعام في « شكيم » وكان نقل العاصمة من شكيم إلى السامرة بعد ست سنوات من حكمه الذي لم يدم أكثر من اثني عشر عاماً ، خلفه بعد ها ابنه آخاب .

ورغم أن مدة حكم آخاب لم تدم أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، إلا أنها كانت من العلامات البارزة في تاريخ مملكة إسرائيل الشمالية فقد أينعت في عهده ثمار الوثنية التي كان يربعام بن نباط قد وضع بذورها عند تأسيس المملكة .

وكانت « إيزابل » الصيدونية زوجة « آخاب » ذات دور هام في توجيه دفة الحكم والحاكم وجهة تنافي الدين والخلق الإنساني ، فإلى جانب تفانيها في نشر عبادة البعل التي جلبتها معها من وطنها ، كانت سيفاً مصلتاً على رقاب كل من عارضها أو حاول الحد من استشراف الفساد الديني والخلقي ، فقد ذهب ضحيتها مئات من أنبياء الرب المصلحين ، وقام صراع بينها وبين النبي « إيليا التشبي » وبخاصة حين انتقم لأنبياء الرب^(٢) ، مما اضطره للهرب من وجهها بعد أن توعدته بسوء العاقبة .

وظل آخاب وإيزابل سادرين في غيهما ، حتى كانت نهاية آخاب في حرب

Konnet Encyc, of Raligion and Ehtics.

(١)

Laracl, V. vii P.442.

(٢) ملوك أول : ١٨ : ٢٢ - ٤٠ .

ضد بنهدد في راموت جلعاد شرقي الأردن^(١) ، وكان آخاب قد استحث جاره وصهره « يهو شافاط بن آسا » ملك يهوذا ليشارك معه في هذه المعركة التي لم يأخذ فيها آخاب بنصيحة النبي « ميخا بن يملة » إذ حذره ميخا من تلك المعركة تحذيراً شديداً صريحاً أغضب آخاب فأساء إلى « ميخا بن يملة »^(٢) ، ولكن نبوءة ميخا تتحقق ويتبدد جيش آخاب ويصاب آخاب بجرح نافذ ينقل على أثره إلى السامرة حيث يموت وتعلق الكلاب دمه في نفس المكان الذي قتل فيه آخاب « نايوث اليزرعيلي » ظلماً^(٣) .

ثم أصبح بنهدد يصنع ما يروق له في جلعاد بجانب الأردن^(٤) ، وساعده على ذلك أن « اخزيا بن آخاب » الذي خلف أباه في الحكم كان ضعيف الشخصية ولم يقيم بأي محاولة لاسترداد شيء من الأرض خصوصاً وأن مدة حكمه لم تدم أكثر من عام ، وكان من الناحية الدينية يسير على نهج سلفه الوثنيين مما أغضب عليه إيليا التشي وأنذره بالنهاية لأنه لجأ إلى « بعل زبوب » إله عقرون يسأله الشفاء من آثار سقطته في السامرة من كوة عليته^(٥) . ولما لم يكن لأخزيا وريث للحكم من بنيه فقد تولى الحكم بعده أخوه « يهورام بن آخاب » الذي استطاع التغلب على مؤاب

(١) وهي مدينة لاوية في جاد (يشوع ٢١: ٣٧ ، ٣٨) وكانت في المنطقة السادسة من التقسيم الإداري للمملكة الموحدة في عهد سليمان (ملوك أول ٤: ١٣) وحارب آخاب سورية لأجلها وقتل (ملوك أول ٢٢: ٣ ، ٢٩ وما بعدها) ، وأرسل اليشع إليها نبياً ليمسح ياهو بن نمشى ملكاً على إسرائيل (ملوك ثان ١: ٩) وهي على مقربة من الرمثا حديثاً .

(٢) ملوك أول : ١٦: ٢٢ وما بعدها .

(٣) ملوك أول : ١: ٢١ - ١٩ ، ويبدو أن الحقل الذي كان يملكه نايوث اليزرعيلي وقتل دفاعاً عنه إثر مؤامرة دبرتها إيزابل لنايوث للتخلص منه ، هذا الحقل كان شوماً على كل أسرة آخاب ، فقد لعقت الكلاب دم آخاب في نفس الموضع (ملوك أول : ٢٢: ٣٨) كما تنبأ له إيليا (ملوك أول ٢١: ١٩) كما أن يورام بن آخاب قتله ياهو بن نمشى الثائر وألقيت جثته في حقل نايوث اليزرعيلي (ملوك ثان ٩: ٢٤ - ٢٦) ثم ألحق ياهو بن نمشى « إيزابل » زوجة آخاب بابنها يورام في نفس الموضع كذلك (ملوك ثان ٩: ٣٣ - ٣٧) .

Wiliam Blaikie, Amanual of Bible history P.217.

(٤)

ويعلق نفس المؤلف بأن إسرائيل لم تكن طوال عهد آخاب في خصومة دائمة مع سورية ، بل إن آخاب تحالف في عام ٨٥٤ ق.م مع بنهدد وآخرين غيره ضد قوة آشور الصاعدة بقيادة شلمانصر في موقعة « قرقر » على نهر العاصي (لم يرد ذكر « قرقر » في الكتاب المقدس) .

(٥) ملوك ثان : ١: ١ - ٨ .

بمساعدة ملك إدوم وملك يهوذا « يهوشافاط »^(١) كما أن « يهورام » حاول أن يخفف بعض انحرافات أبيه وأمه في الناحية الدينية فأزال تمثال البعل من المملكة .

ولكن ثورة « ياهو بن نمشى » بتحريض من « أليشع » النبي قضت على « يهورام بن آخاب » واقتلعت جذور هذه الأسرة الملكية التي جعلت من المملكة أرضاً خصبة للوثنية وللعبادات الأجنبية .

ولما كانت ثورة ياهو بن نمشى وليدة الدفع النبوي ومنبثقة عن غضبة دينية فقد اجتاحت هذه الثورة كل مظاهر العبادات الأجنبية وأزال ياهو مراكز تلك العبادات وقضى على أنبياء وكهنة الوثنية قضاء مبرماً في حيلة رائعة^(٢) .

وكانت « لياهو بن نمشى » حروب مع « حزائيل » ملك آرام ، انتصر فيها حزائيل انتصاراً ساحقاً على إسرائيل كما تنبأ له أليشع من قبل^(٣) .

وقد ظل « ياهو » في الحكم قرابة ثمانية وعشرين عاماً ، خلفه بعدها ابنه « يهو آحاز » ولكنه لم يكن خلفاً على نهج سلفه ، فلم يكمل ما بدأه أبوه من إصلاح ديني شامل في المملكة ، وقد استطاع حزائيل ملك آرام أن يحطم شعب إسرائيل في ظل حكم « يهو آحاز » وأبيد معظم شعب المملكة^(٤) .

وتدور الدائرة على آرام بعد موت « حزائيل » فينتصر « يهوآش » الذي خلف أباه « يهو آحاز » في حكم إسرائيل ، ينتصر على « بنهدد » بن حزائيل ثلاث مرات

(١) ملوك ثان : ٩ : ٣ .

(٢) ملوك ثان : ١٠ : ١٨ - ٢٧ .

(٣) ملوك ثان : ٨ : ١٠ - ١٣ ، ومن المعروف أن إيليا كان قد مسح في يوم واحد كلاً من حزائيل ملكاً على آرام ، وياهو بن نمشى ملكاً على إسرائيل وأليشع بن شافاط نبياً يخلفه بعد اختفائه (ملوك أول : ١٩ : ١٥ - ١٦) . وبذلك يكون ياهو بن نمشى قد أعدته السلطة الروحية للحكم مرتين : مرة بمسحه من إيليا النبي ومرة أخرى حين أرسل أليشع أحد الأنبياء لمسحه ملكاً على إسرائيل .

(٤) ملوك ثان : ١٣ : ٧ .

استرد فيها ما كان « حزائيل » قد اغتصبه من مدن إسرائيل في عهد يهو آحاز « (١) .

واستطاع « يهو آش » كذلك أن يتصدى لمملكة يهوذا ويهزمها إبان حكم أمصيا الذي أصر على لقاء حربي بينه وبين يهو آش رغم تحذير الأخير له من مغبة هذا اللقاء ، ولكن أمصيا أصر على ذلك فلم يجد يهو آش بداً من اللقاء الذي خرج منه أمصيا مهيبض الجناح خاوي الوفاض إذ استولى يهو آش على « كل الذهب والفضة وجميع الأنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت المال والرهناء ورجع إلى السامرة » بعد أن هدم سور أورشليم .

ولم تزد مدة حكم بهو آش على خمس عشرة سنة مات بعدها وخلفه ابنه يربعام الثاني الذي يعتبر وحده مرحلة من مراحل الملكية في إسرائيل إذ استمر حكمه إحدى وأربعين سنة ، استطاع خلالها أن يرد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة ، غير أنه لم يقم بإصلاحات دينية بل سار في نهج السالفين الأوائل مؤسسي المملكة وكان آخر من تولى ملك السامرة من أسرة ياهو بن نمش هو « زكريا بن يربعام » ولم يدم حكمه أكثر من ستة أشهر لقي بعدها مصرعه على يد أحد قواده ويدعى « شلوم بن يابيش » وبموت زكريا ينتهي حكم أسرة « ياهو » الذي استغرق ما يزيد على القرن .

وفي الواقع أن مملكة إسرائيل بدأت تلوح فيها نذر الفناء بعد موت يربعام الثاني ، ومما يدل على ذلك اضطراب الحكم وفساده فكثرت الانقلابات . فحكم زكريا بن يربعام كان ستة أشهر وحكم شلوم بن يابيش قاتل زكريا ومغتصب المملكة منه لم يدم أكثر من شهر واحد ، إذ قتله « مناحم بن جادي » (٢) واستولى على عرش إسرائيل لمدة عشر سنوات لم يكن فيها أسعد حظاً من غيره ، بل إنه كما يروي العهد القديم كان يشعر باهتزاز كرسي المملكة من تحته فاستعان على

(١) ملوك ثان : ١٣ : ٢٥ .

(٢) ملوك ثان : ١٤ : ١٤ .

ذلك بـ « فول » ، ملك آشور^(١) ففرض لذلك على الشعب جزية مرهقة كان يدفعها لملك آشور حتى يغمض عنه عينيه ويعينه على الثبات في كرسي المملكة^(٢) .

وبعد موت « مناحم » تولى ابنه « فقحيا » فحكم إسرائيل وكانت الأحوال قد بلغت درجة عظيمة من الاضطراب والفساد والخطر حتى انتهى حكم أسرة مناحم حين قتل « فقحيا » على يد صديقه وأحد المقربين منه « فقح بن رمليا » واستمر « فقح » قرابة العشرين عاماً في حكم إسرائيل ، وكانت المملكة إذ ذاك تسير إلى نهايتها بخطا حثيثة ، إذ استولى « تغلات فلاسر » ملك آشور على كثير من مدن إسرائيل الهامة وأخذ كل أرض نفتالي كذلك وسباهم إلى آشور^(٣) .

وظلت المملكة حقبة من الزمن تعيش في فوضى وهمجية حتى جاء آخر ملوك إسرائيل « هوشع بن أيلة » وقتل « فقح بن رمليا » واستولى على عرش السامرة^(٤) .

ولا نستطيع القول بأن المملكة في ظل حكم « هوشع بن أيلة » كانت حرة مستقلة ، إذ إن هوشع كان عبداً خاضعاً « لشلمانصر » ملك آشور وكان يدفع له الجزية المجزية ، وحين علم شلمانصر أن هوشع قد تطلع إلى مصر يطلب منها العون ثم أحجم عن دفع الجزية ، قام شلمانصر بالقبض على « هوشع » ثم أوثقه وأودعه السجن ثم حاصر السامرة ثلاث سنوات سقطت بعدها في يده وكان ذلك

(١) فول هذا ، هو تغلات فلاسر ، حيث لم يرد ذكر هذا الاسم (فول) إلا في ذلك الموضع من ملوك ثان ١٩ : ١٥ .

(٢) ملوك ثان : ١٩ : ١٥ - ٢٠ .

(٣) ملوك ثان : ٢٩ : ١٥ .

(٤) مما يدل على الفوضى والاضطراب في تلك الفترة أن رواية العهد القديم تضطرب عند تحديد فترة حكم هوشع بن أيلة ، آخر ملوك إسرائيل ففي ملوك ثان (٣٠ : ١٥) « إن هوشع بن أيلة تولى الملك في السنة العشرين من حكم يوثام ملك يهوذا مع أن يوثام ملك يهوذا كما يقول نفس الإصحاح من (ملوك ثان ١٥ : ٣٣) لم يحكم سوى ست عشرة سنة فقط في يهوذا ، ثم نجد في (ملوك ثان ١٧ : ١) أن هوشع بن أيلة قد تولى ملك إسرائيل في السنة الثانية عشرة من حكم آحاز بن يوثام .

في السنة التاسعة من حكم « هوشع بن أيلة » وسبى شلمانصر يهود إسرائيل إلى آشور وفرقهم في مدنها^(١) ، وبانتهاء سنة ٧٢٢ ق.م كانت مملكة إسرائيل الشمالية قد أزيلت من الوجود السياسي للمنطقة^(٢) .



(١) ملوك ثان : الإصحاح السابع عشر كله .

(٢) ويقول Lewis Browne في كتابه : The Wisdom of Israel ص ٤٧ « إن مملكة إسرائيل لو قدر لها بعد تشريدتها نبي مثل إرميا يواصل شحذ همّة المسييين حتى يمكنهم تحقيق كيانهم مرة أخرى - كما فعل مع يهودا - لما ضاع الأسباط العشرة هذا الضياع » .

مملكة الجنوب يهوذا

ورث « رجبام » الملك عن أبيه سليمان ، ولكن ملكه اقتصر على الجزء الجنوبي من مملكة سليمان بعد انقسامها وأبقى « أورشليم » عاصمة سياسية ودينية لأن بها المعبد الذي بناه أبوه سليمان ، ولم يكن عهد رجبام خالياً من المشكلات الدينية والسياسية ، فقد زاد انتشار العبادات الغربية بين الشعب ، وكذلك زال السلام الذي كان يميز مملكة سليمان ، وكان ذلك أمراً لا بد منه بعد انقسام المملكة إذ حدثت مناوشات عسكرية غير قليلة بين المملكتين الشمالية والجنوبية ، وقضى رجبام في الحكم قرابة سبع عشرة سنة ، خلفه بعدها ابنه آبيا^(١) وتشابهت سنوات حكمه الثلاث بسنوات حكم أبيه ، ثم خلف آبيا ابنه « آسا » وقد أجرى بعض الإصلاحات الدينية بأن نزع المرتفعات^(٢) ، وتمائيل الشمس ، وبنى مدناً حصينة في يهوذا ، وجهاز جيشاً قوياً كامل العتاد والعدة^(٣) وانتصر على الكوشيين وغنم منهم مغنم كثيرة ، ونزع الرجاسات التي في أرض يهوذا وبنيامين والتي في المدن التي أخذها من جبل إفرائيم ، ثم جدد مذبح الرب^(٤) . ولكن في السنة السادسة والثلاثين من ملكه هاجمه « بعشا » ملك

(١) اختلفت رواية العهد القديم في ذكر اسم أم آبيا بن رجبام فقد جاء في أيام ثان (١٩/١١ ، ٢٢) أن اسمها « معكة بنت أبشالوم » ثم جاء في أيام ثان (٢/١٣) أن اسمها « ميخايا بنت أورثيل » من جعبة .
(٢) يبدو أن انتزاع المرتفعات لم يكن كاملاً في كل يهوذا ، بدليل أن الإشارة إلى نزع المرتفعات يتكرر عند الحديث عن ملوك لاحقين فلو أن انتزاع المرتفعات كان كاملاً في عهد أحد هؤلاء الملوك ، لما ورد في العهد القديم نفس المعنى في عهد ملوك لاحقين ، أو قد يكون الانتزاع كاملاً ثم تبي المرتفعات بعد ذلك ثم يأتي من يعيد هدمها .. وعلى أي الحالين فهذا دليل وجود عبادات أجنبية طيلة بقاء مملكة يهوذا .

(٣) أيام ثان (٨/١٤) .

(٤) أيام ثان (٨/١٥) .

إسرائيل ، فطلب « آسا » النجدة من بنهدد ملك آرام ، ودفع إليه فضة وذهباً من خزائن بيت الرب حتى استجاب له « بنهدد » ونقض عهده مع بعشا وضربه ، فانسحب بعشا من يهوذا^(١) .

واستمر حكم « آسا » في يهوذا إحدى وأربعين سنة خلفه بعدها ابنه « يهوشافاط » ويذكر لنا سفر أخبار الأيام الثاني في بداية الإصحاح السابع عشر ، أن يهوشافاط تشدد على إسرائيل وكان له جيش قوي في كل مدن يهوذا ، وكان الرب معه لأنه سار في طرق أبيه داود وأن يهوشافاط كان له غنى وكرامة بكثرة لأن كل يهوذا كان يقدم له الهدايا ، وأن هبة الرب كانت على جميع ممالك الأراضي التي حول يهوذا ، فلم تجرؤ هذه الأراضي على محاربتة ، بل كانوا يقدمون له الهدايا كالفضة ، من الفلسطينيين ، وآلاف الكباش والثيروس من العريان . (أيام ثان ١٧ / ١١) . ويتضح من هذه الرواية أن كل ما كان يقدم له تحت اسم هدايا لم يكن في الواقع هدايا حب ومودة بل كانت ضرائب في صورة هدايا .

كما أن رواية نفس الإصحاح تفيد بأن سفر الشريعة كان موجوداً في عهد يهوشافاط وأنه كان يرسل إلى رؤسائه ومعهم الكهنة اللاويون ليعلموا يهوذا ومعهم سفر الشريعة^(٢) . ومن بداية الإصحاح الثامن عشر من أخبار الأيام الثاني نستدل على أن يهوشافاط هو أول ملوك يهوذا الذين عملوا على إيجاد تقارب بين مملكة يهوذا وبين مملكة إسرائيل الشمالية ، وكان ذلك عن طريق المصاهرة والتزاور ، حيث صاهر آخاب^(٣) كما جاء في العهد القديم^(٤) .

ولم يقتصر في محاولة التقريب بين المملكتين على المصاهرة والتزاور فحسب ، بل انضم مع آخاب في حرب ضد الآراميين في راموت جلعاد تلك الحرب التي قتل فيها آخاب كما عرفنا ، وفر يهوشافاط عائداً إلى داره بعد أن كاد

(١) أيام ثان (٦٠١/١٦) .

(٢) أيام ثان (٩٠٧/١٧) .

(٣) أيام ثان (١/١٨) ولكننا نستبعد أن يكون يهوشافاط نفسه هو الذي تزوج من أسرة آخاب ، ولكن قد

تكون هذه المصاهرة باتخاذ يهوشافاط زوجة من أسرة آخاب لابنه يهورام وهذه الزوجة هي عثليا (أيام ثان ٦/٢١) .

يقتل . ولكن المؤابيين لم يغفروا ليهوشافاط اشتراكه مع آخاب ضدهم ، فقصدوا يهوذا ومعهم بنو عمون ولكن الحظ كان إلى جانب يهوشافاط إذ اشتبك المغيرون مع سكان جبل ساعير قبيل الوصول إلى يهوذا ، فساعد كل من الفريقين على إهلاك الآخر ، وخرج يهوشافاط ليجمع غنائم الفريقين وعاد منتصراً غانماً دون حرب وأكمل ما كان قد بدأه من ترنيمة الشكر للرب في وادي بركة^(١) .

ولم يتعظ يهوشافاط بما حدث له من جراء اشتراكه مع آخاب في حرب ضد آرام ، وكذلك لم يستمع إلى تأنيب « ياهوبن نمش »^(٢) من أجل ذلك أيضاً ، فنجده يكرر ما فعله مع آخاب ، بأن ينضم مع « أخزيا بن آخاب » ملك إسرائيل ، في عمل سفن تسيير إلى ترشيش ، وتم صنع السفن فعلاً في عصبون جابر^(٣) ، ولكن المشروع يفشل^(٤) .

واستمر حكم يهوشافاط قرابة خمس وعشرين سنة وجاء من بعده ابنه « يهورام » ملكاً على يهوذا فاستهل حكمه بقتل جميع إخوته بالسيف ومعهم بعض من رؤساء القوم^(٥) وقد تزوج « عثليا » من أسرة آخاب ملك إسرائيل ، وفي عهده استشرى فساد ديني وخلقي نتبينه من خلال التعنيف المكتوب الذي بعث به إليه إيليا النبي^(٦) .

وكان نتيجة هذا الانحلال أن يهوذا أصبحت هدفاً لغارات الفلسطينيين والعرب ففتحوها واستولوا على كل أموال بيت الملك وبنه ونسائه ، ولم يبق له إلا أصغر أبنائه « يهو آحاز » الذي خلفه بعد موته بداء المعدة بعد ثماني سنين من

(١) أيام ثان (١/٢٠ - ٣٠) .

(٢) أيام ثان (١/١٩ - ٢) .

(٣) كانت محط رحال للقوم في تيهة في البرية (عدد ٣٣/٣٥ - ٣٦) وأسس سليمان فيها مرفأ (ملوك أول ٢٢/٤٨ ، ٤٩) .

(٤) أيام ثان (٣٥/٢٠ - ٣٧) .

(٥) أيام ثان (٤/٢١) وهنا يتضح تأثير عثليا زوجته السامرية إذ إن هذا الأسلوب هو أسلوب ملوك إسرائيل الشمالية .

(٦) أيام ثان (١٢/٢١ - ١٦) .

حكمه ليهوذا في اورشليم . ولم يستمر « يهوآحاز » أو « أخزيا » في الحكم أكثر من عام واحد كان حكمه فيه كسابقه ، وقد استأنف ما بدأه جده يهوشافاط من تعاون وتقارب مع مملكة إسرائيل ، إذ انضم أخزيا إلى يهورام بن آخاب ملك إسرائيل لمحاربة حزائيل ملك آرام في راموت جلعاد ، وتكررت الهزيمة ، وأصيب ملك إسرائيل ، وذهب أخزيا لعيادته^(١) فهلك معه في ثورة « ياهو بن نمشى » ، التي أباد فيها أسرة آخاب وكل أرجاسهم .

وبمقتل أخزيا بن يهورام « تحدث فجوة في تاريخ بيت داود الحاكم في يهوذا ، ولكن سرعان ما يسد شعب يهوذا تلك الفجوة التي استمرت قرابة سبع سنين هي مدة اغتصاب « عثليا » للحكم^(٢) بعد مقتل ابنها أخزيا عند أخواله في السامرة ، وبمسح يوأش وهو صغير ملكاً على يهوذا وقتل عثليا بنت عمري أزيلت الفجوة التي حدثت في أسرة داود الحاكمة على يهوذا واتصل الحكم في بيت داود مرة أخرى^(٣) .

وقد تولى يوأشي الحكم وهو في السابعة من العمر ، وكان الحكم الفعلي لزوج أخته « يهوياداع » رئيس الكهنة ، الذي تعهد يوأش منذ طفولته حتى مسحه ملكاً ، وظل يهوياداع حتى موته وهو يرعى يوأش ، ولكن « يوأش » لم يحفظ جميل « يهوياداع » ولم يذكر أنه مدين بحياته وبملكه « ليهوياداع » فقد أمر يوأش بقتل « زكريا بن يهوياداع » حين لبسه روح الرب وقام يعظ الناس في يهوذا ويأمرهم بالتزام وصايا الرب^(٤) ، وفي نفس العام أرادت آرام أن تؤدب يهوذا لمؤازرتها إسرائيل ضدها ، فهجم الآراميون على يهوذا وسلبوا ونهبوا وقتلوا وعادوا بغنائمهم الى ملك آرام في دمشق ، أما يوأش الملك فقد أصابه المرض ، وقتله عبدان له أحدهما ينتمي الى العمونيين من جهة أمه واسمه « زاباد » والآخر ينتمي الى

(١) أيام ثان (٦/٢٢) يقول : « ونزل عزريا بن يهورام . . . وصحتها : « ونزل أخزيا بن يهورام » .

(٢) أيام ثان (١٠/٢٢ - ١٢) .

(٣) أيام ثان (١/٢٣ - ١٥) .

(٤) انظر أيام ثان (٢٠/٢٤ - ٢١) .

المؤايين من جهة أمه كذلك واسمه « يهوذا » وانتهى حكم يوأش بعد أربعين سنة من توليه الحكم وخلفه ابنه « أمصيا » .

ومما يسترعي الانتباه في رواية أخبار الأيام الثاني عن أمصيا في ٣/٢٥ ، ٤ أنه يقول : « ولما تثبتت المملكة عليه قتل عبده الذين قتلوا الملك أباه ، وأما بنوهم فلم يقتلهم ، بل كما هو مكتوب في الشريعة في سفر موسى حيث أمر الرب قائلاً ، لا تموت الآباء لأجل البنين ، ولا البنون يموتون لأجل الآباء ، بل كل واحد يموت لأجل خطيته » .

فمن الواضح هنا أن سفر الشريعة موجود وأن القصاص عادل حسب شريعة موسى ، ولكن هل مصدر هذه الشريعة التي تنهي عن أخذ أحد بجريرة غيره وتأمراً بالآلة تزر وازرة وزر أخرى ، هو نفس المصدر الذي يصدر عنه حديث إيليا التشبي مثلاً حين كتب إلى يورام بن يهوشافاط ملك يهوذا قائلاً : « هكذا قال الرب إله داود أبيك ، من أجل أنك لم تسلك في طرق يهوشافاط أبيك وطرق آسا ملك يهوذا ، بل سلكت في طرق ملوك إسرائيل . . . وقتلت إخوتك . . . هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة » (١) .

وإذا كان « يهوشافاط » ملك يهوذا هو أول من عمل على توثيق الروابط بين يهوذا وإسرائيل فإن « أمصيا » - كما يبدو من سيرته - يتخبط في تصرفاته وقراراته . فتراه حين عزم على محاربة بني ساعير أراد تدعيم جيشه بأن استأجر من إسرائيل مائة ألف محارب بمائة مثقال من الفضة (٢) ، ثم ينصاع لأمر رجل الله الذي يعنفه لاستعانته بمحاربين من إسرائيل فيخرج هؤلاء المحاربين من جيشه وتضيع عليه الفضة التي دفعها أجراً لهم ، وما يكاد يعود من حرب الإدوميين في جبل ساعير حتى يجد المرتزقة الإسرائيليين الذين استغنى عن خدماتهم قد اقتحموا يهوذا في غيبته وأعملوا فيها القتل والسلب انتقاماً لأنفسهم (٣) ، ثم يدخل أمصيا - بناء على

(١) أنظر أيام ثان (١٢/٢١ - ١٤) .

(٢) أيام ثان (٦/٢٥) .

(٣) أيام ثان (١٣/٢٥) .

طلبه - في معركة مع يهوآش ملك إسرائيل ، وكانت الدائرة فيها على يهوذا ، وحطم ملك إسرائيل سور اورشليم ونهب كل نفائس بيت الرب وبيت الملك وكان ذلك درساً لملك يهوذا الذي رفض نصح يوأش ملك إسرائيل بالإبقاء على ما بين المملكتين من ود .

ولم يقتصر تخبط « أمصيا » وفشله على الميدان العسكري ، بل نراه يأتي معه بالهة بني ساعير الإدوميين الذين هزمهم ويسجد لهذه الآلهة ويوقد لها^(١) ، وهو الذي فعل ما فعل مع المرتزقة الإسرائيليين وأصابه ما أصابه منهم لأنه استمع الى نصيحة رجل الله .

وحين شعر أمصيا بأن الشعب قد ضاق ذرعاً بأعماله هرب الى لخيش فلحقوا به هناك وقتلوه وحل محله في الحكم ابنه عزيا أو « عزريا » (٨١٠ - ٧٥٨) الذي أصلح بعض ما أفسده أبوه وحارب الفلسطينيين والعرب وبنى مدناً في أرض أشدود والفلسطينيين^(٢) .

وكان لعزيا من اسمه دليل على أعماله القوية في إقامة تحصينات وأبراج في اورشليم وفي البرية ، وازدهرت الفلاحة في عهده ، وكان له جيش قوي ضخم ، وذاع صيته حتى داخله الغرور « فخان الرب إلهه ودخل الهيكل ليوقد على مذبح البخور »^(٣) ، مصطدماً بهذا العمل مع الكهنة اللاويين ، ثم أصيب بالبرص فظل حتى مات ، وكان ابنه « يوتام » على بيت الملك إبان مرض أبيه واستمر يوثام في الحكم بعد موت أبيه (٧٥٨ - ٧٤٢)^(٤) فأكمل ما كان بدأه أبوه من إصلاحات وبناء المدن والأبراج والقلاع في الغابات ، وأحرز نصراً على العمونيين فغنم الكثير منهم من القمح والشعير والفضة جزية يدفعونها له ، وظل في الحكم قرابة ست عشرة سنة ومثلها قضى ابنه آجاز في الحكم بعد أن خلفه على يهوذا فهدم كل

(١) أيام ثان (١٤/٢٥) .

(٢) أيام ثان (٦/٢٦) .

(٣) أيام ثان (١٦/٢٦) .

(٤) سنة وفاة عزيا هي السنة التي بدأت فيها نبوة إشعيا (إشعيا ١/١) .

ما بناه آباؤه، ففي مجال الدين أعاد بناء المرتفعات ، وأوقد لآلهة أخرى غريبة وأسخط الرب وأصبح آحاز مخلصاً لأشور كل أيامه وقلد رجاسات الأمم التي طردها الرب ، فأحرق بنيه في النار^(١) وأغلق أبواب بيت الرب ، وعمل لنفسه مذابح في كل زاوية في أورشليم ، وعرض يهوذا للحرب والسلب والسبي وأحاطت العداوة بيهوذا من كل صوب ، فتعرضت لهجوم رصين ملك آرام مع ففتح بن رمليا ملك إسرائيل^(٢) ، كما تعرضت يهوذا كذلك لغارات الادوميين والفلسطينيين الذين استولوا على كثير من مدن يهوذا الساحلية والجنوبية^(٣) . ثم هجم تغلات فلاسر (تغلات فلناسر أيام ثن ٢٨/٢٠) ملك آشور على يهوذا فاسترضاه آحاز بما جمعه له من بيت الرب وبيت الملك ومن الرؤساء ، وقد أسخط آحاز الرب ولم يسمع لكلام أنبيائه . .

ومات آحاز سنة ٧٢٧ ق.م وخلفه ابنه حزقيا الذي كان تلميذاً مخلصاً لإشعيا^(٤) فقد ظهر تأثير إشعيا فيه منذ اعتلائه كرسي الحكم في يهوذا فاعترف بخيانة أبيه للرب وأمر بفتح أبواب بيت الرب وتطهيره من الرجاسات التي كانت سبباً لكل ما حل بيهوذا من مصائب ، وتظهر تعاليم إشعيا بوضوح في عبارات حزقيا^(٤) .

وأعاد حزقيا تقسيم الكهنة وأداء الطقوس الدينية أداء سليماً « لأنه من أيام سليمان بن داود ملك إسرائيل لم يكن كهذا في أورشليم (أيام ثان ٣٠/٢٦) .

ويبدو أن هذه الحركة الدينية الإصلاحية وانجذاب كل الشعب نحو حزقيا والإغراق في التدين وهدم المرتفعات وإقامة الأعياد والإفاضة في تقديم الذبائح للرب كان ذلك رد فعل لما عاناه الشعب أيام حكم آحاز وبعض سابقه من غارات

(١) أيام ثان (٣/٢٨) .

(٢) إشعيا (١/٧ - ٩) .

(٣) أيام ثان (١٧/٢٨ - ١٨) .

(7) George Adam Smith (The Expositor's Bible) Vol. III. P.615.

(٤) أيام ثان (٥/٢٩ - ١١) .

أجنبية ردها الأنبياء والصالحون إلى الابتعاد عن الصلاح . . ولكن أيام «حزقياهو» لم تدم هيئة لينة فقد عاود سنحريب ملك آشور هجومه على يهوذا ، ولكن حزقيا على ضوء استشارة إشعيا حَصَّن سوراً وأورشليم وطم المياه والينابيع التي كانت خارج المدينة وظل سنحريب محاصراً أورشليم حتى تحققت نبوءة إشعيا وانهمز سنحريب بجيش من السماء^(١) . .

ولم تكن إصلاحات حزقيا مقصورة على النواحي الدينية فحسب بل امتدت الى نظم الري والمال والعمل على تقريب القبائل اليهودية وكان أثر إشعيا واضحاً في كل إصلاحات حزقيا . . حتى أنه بعد موته انقلب الحال بعد أن خلفه ابنه منسي فقد كان حزقيا نوراً بين ظلامين ظلام سلفه وأبيه آحاز ثم ظلام خلفه وابنه منسي الحاكم الدموي الإرهابي الذي أعاد تاريخ جده آحاز وزاد على موبقاته العياقة والسحر والتفاؤل واستخدام الجان والتوايح^(٢) ولم يشب إلى رشده إلا بعد أن أخذه ملك آشور أسيراً إلى بابل فأجرى بعض الإصلاحات بعد عودته .

ومما يلفت النظر في تاريخ الملكية عند بني إسرائيل منذ شاءول حتى انتهاء الملكية في الدولتين أن منسي كان أطول الملوك بقاء في الحكم ، فقد ظل خمساً وخمسين سنة في أورشليم^(٣) وخلفه ابنه آمون^(٤) الذي لم يكن أفضل من أبيه في الحكم فقتله عبيده في بيته بعد ستين من توليه الحكم^(٥) ، ولا يستبعد أن يكون للكهنة يد في قتل آمون حتى لا يطول فساده كما طال فساد أبيه ، ومما يقوي هذا

(١) إشعيا (٥/٣٧ - ٧ ، ٣٦) .

(٢) أيام ثان (٢/٣٣ - ٧ ، ٩ - ١٠) وانظر إشعيا (٦/٢ - ٩) ، (١٩/٨) .

(٣) أيام ثان (١/٣٣) .

(٤) يلاحظ هنا مدى ميل منسي إلى آلهة الأمم الأخرى حتى أنه سمي ابنه «آمون» Ammon على اسم إله مصري وقد يكون الاسم مأخوذاً عن Ammon بمعنى الأمين أو الشجاع ، ولكن هذا الاسم لم يكن وارداً في أسماء اليهود ما عدا اسم رئيس المدينة في عهد أخاب (ملوك أول ٢٢/٢٦) الملك الوثني مما يجعل هذا مرجحاً لأخذ الاسم عن العبادة المصرية التي لم يكن هناك حرج منها في إسرائيل آنذاك .

(٥) يلاحظ أن قتل الملك في يهوذا كان يختلف في بواعثه عن قتل الملك في إسرائيل ففي يهوذا كان القتل يتم غدرًا من عيد الملك ليتنقل الحكم إلى الابن أو الوريث - الشرعي كما حدث في قتل يوأش وتولى ابنه أمصيا ، وكما حدث مع آمون أما في الشمال فقد كان القتل نتيجة ثورة لاغتصاب الحكم .

الاحتمال أن ابن الملك القليل كان حدثاً لا يتعدى ثمانية أعوام وحرص الكهنة على رعاية الابن « يوشيا » رعاية أعادت لهم مكانتهم التي فقدوها أو كادوا في عهد منسي (١) ، فقد أعيد ترميم المعبد وتزيينه وأحرقت عظام كهنة الآلهة الغربية على مذابحهم (٢) .

كما أن شأن الكهنة قد ارتفع حين تم على أيديهم العثور على سفر الشريعة (٣) ، وأعيد للكهنة مجدهم ومغانمهم كما هو مبين في الإصحاح ٣٥ من أخبار الأيام الثاني .

وظل يوشياهو في الحكم إحدى وثلاثين سنة حتى مات متأثراً بجراحه في معركة كركميش عند الفرات بينه وبين « نخاو » ملك مصر .

وخلفه ابنه « يهو آحاز » ولكن المملكة كانت تجتاز خريف العمر وبدأت القوى الخارجية تلعب بمصيرها ، فلم يكد يهو آحاز يضع قدميه في ساحة الحكم حتى عزله ملك مصر بعد ثلاثة أشهر وأحل محله أخاه « إياقيم » ، وأصبح ملوك يهوذا يحكمون ولا يملكون ، حتى الاحتفاظ بأسمائهم لم يعد في إمكانهم فقد غير ملك مصر اسم الياقيم وجعله « يهوياقيم » وفرض على يهوذا إتاوات تدفعها له ، وظل يهوياقيم خاضعاً لقوة مصر حتى ظهرت قوة جديدة طردت سلطان مصر من يهوذا واحتلت مكانها وكان هذا ما يخشاه إشعيا ، وكثيراً ما نادى بالابتعاد عن الاعتماد على مصر . . فقد ظهرت قوة بابل وجاء نبوخذ نصر ملك بابل وسبي « يهوياقيم » إلى بابل وأحل محله ابنه « يهوياكين » وأخذ نبوخذ نصر بعض آنية الهيكل ليضعها في هيكله ببابل . ولم يمض على يهوياكين ثلاثة أشهر حتى فعل به نبوخذ نصر ما فعله بأبيه وعين بدلاً منه أخاه « صدقياهو » (يروى في ملوك ثان ١٧/٢٤) أن « صدقياهو » لم يكن أخا يهوياكين وإنما هو عمه واسمه متنيا وغيره نبوخذ نصر إلى صدقياهو) .

(١) وهذا يذكرنا بما فعله يهواداع رئيس الكهنة في رعاية يوأش بعد ثورة عثليا واستيلائها على الحكم حتى قتلها يهواداع وولى يوأش الحكم تحت رعاية يهواداع .

(٢) أيام ثان (١٣ - ٥/٣٤) .

(٣) أيام ثان (١٥ - ١٤/٣٤) .

واستمر حكم صدقياهو إحدى عشرة سنة في اورشليم اتسمت بالفساد والانحراف وكان صدقياهو آخر ملوك يهوذا التي بدأت تترنج منذ أخذت في التمرد على قوة بابل الصاعدة بتحريض من مصر فامتنعت عن دفع الجزية وتمادت في تمردها على قوة نبوخذنصر ولم تلتفت لتحذيرات النبي إرميا آنذاك للملك يهوياقيم حتى سقطت يهوذا سنة ٥٩٦ ق.م خاضعة لحملة « نبوخذ نصر » التي أسفرت عن السبي البابلي الأول وكان يهوياقيم من بين الأسرى الذين بلغ عددهم سبعة آلاف محارب وألف عامل مكبلين . . ولم تكذ يهوذا تفيق من أثر الصدمة حتى كان السبي البابلي الأعظم سنة ٥٨٦ ق.م . بعد حصار دام عاماً لم يستطع فيه ملك مصر الذي حرض يهوذا على تكرار التمرد على سلطة بابل أن يصنع شيئاً لإنقاذها^(١) ، وكان نبوخذنصر هذه المرة شديد الانتقام بالغ التأديب فدمر اورشليم وأحرق الهيكل وسلب خزائنه وخزائن بيت الملك وبلغ عدد المسبيين أربعين ألفاً غير آلاف القتلى ، وتم التنكيل بصدقياهو آخر ملوك يهوذا إذ فقت عيناه بعد أن رأى بهما ذبح أولاده ثم سيق الى بابل بين الأسرى .

ومن هذا العرض للملكية في بني إسرائيل منذ نشأتها حتى زوالها بالسبي البابلي سنة ٥٨٦ ق.م نستطيع أن نتبين أهم ملامح هذا المجتمع ، مما كان يواكب النظام الملكي من انحراف وفساد في المجال السياسي في الداخل والخارج ، والمجال الديني والخلقي .

وأهم هذه المآخذ ما صاحب النظام الملكي من تطاحن وصراع من أجل الوصول الى الحكم أو من أجل البقاء فيه ، ذلك منذ شاءول ومواقفه من داود ، كذلك كانت فترة حكم داود لا تخلو من المنغصات السياسية والخلقية كتلك المواقف التي نسبها العهد القديم إلى داود في قصته مع زوجة قائده أوريا الحثي والاعتداء الخلقي الذي وقع من أحد أبنائه على إحدى أخواته وما نشأ عن ذلك من سفك دماء وعداوة بين الإخوة ، كذلك تمرد « أبشالوم » على أبيه محاولاً انتزاع السلطة منه ، والصراع الذي حدث بين أبناء داود في أخريات حياته من أجل

(١) (طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ج١ ص ٢٠٩ .

الوصول إلى الحكم ، ذلك الصراع الذي انتصر فيه سليمان على أخيه الأكبر « أدونيا » وما فعله سليمان بأخيه هذا وأعوانه من الكهنة والقواد ، ثم ما كان من تمرد « يربعام بن نباط » على سيده سليمان من أجل الاستيلاء على السلطة بإيعاز من فرعون مصر الذي احتضن يربعام بعد هربه من وجه سليمان حتى وافته الفرصة بعد موت سليمان ، فعاد يربعام من مصر واستطاع استقطاب قبائل الشمال ضد يربعام بن سليمان وكون منهم مملكة في الشمال تولى هو حكمها واتخذ عاصمة لها شكيم حتى جاء « عمري » فحولها إلى السامرة وظلت المملكة الشمالية المنشقة يتعاقب عليها ملوك يسلكون في سبيل الوصول إلى الحكم طرقاً منحرفة من المؤامرات والفساد والقتل وانتهاز الفرص ، وامتد الفساد من القصور الملكية إلى الشعب الذي سيطرت عليه الطبقة البغيضة فازداد الأغنياء غنى وامتأ الفقراء فقراً ، وضاعت الحقوق ، وانتشر الظلم والفسق والفجور ، وكان يربعام بن نباط قد أسس صرح الوثنية في المملكة الشمالية منذ انفصاله عن أورشليم ومعبداها .

ولم يكن مجتمع الجنوب يُفضّل مجتمع الشمال كثيراً اللهم إلا في الاستقرار النسبي للمجتمع واستمرار الحكم في أسرة داود دون محاولة الوصول إليه عن طريق التآمر والقتل باستثناء ما فعلته « عثليا » سليلة ملوك الشمال بمحاولتها انتزاع الحكم من أسرة داود من خلال المذبحة التي قامت بها لأطفال النسل الملكي ، ولكن الحكم عاد إلى أسرة داود بفضل جهود الكاهن الأعظم « يهوئاداع » غير أن المجتمع كان يعج بالانحرافات في مختلف النواحي ، فالوثنية قد رسخت جذورها منذ حكم سليمان وما زالت ، وضاعت الحقوق وانضوت سلطة الكاهن تحت سلطة الملك منذ عهد سليمان .

كذلك ما كانت عليه العلاقات بين المملكتين من عداوة وبغضاء وتنافس في معظم الأوقات ، حتى استعانت كل مملكة على أختها بقوة أجنبية .

وساء الأمر في كل من المملكتين داخلياً وخارجياً مما استدعى ظهور سلطة جديدة تعارض هذا الانحراف ، وتقف في وجه فساد النظام الحاكم الذي ترعرع في ظله فساد المجتمع دينياً وأخلاقياً ، فارتفع صوت الأنبياء منادياً بالإصلاح ،

يعارض كلاً من السلطتين السلطة الدينية المتمثلة في الكاهن وما آلت إليه من ابتعاد عن المشاركة الفعالة في علاج ما فسد ، واكتفائها بالناحية الشكلية من الدين متمثلة في التقدّمات والذبائح وحرص الكهنة على الثراء دون محاولة الوقوف في وجه السلطة الملكية ، فانبرى الأنبياء يعارضون كلاً من الكاهن والملك على السواء . . . وأصبح في المجتمع العبري ثلاث سلطات إجتماعية سلطة الكاهن التي اکتفت بالعمل داخل المعبد ، وسلطة الملك المسيطرة على كل شيء وسلطة النبي التي تعارض السلطتين السابقتين .

وهذه السلطات الثلاث التي وجدت في المجتمع العبري القديم هي موضوع الباب الأول من البحث .



الباب الأول

السلطة الاجتماعية عند العبريين

- ١ - الكاهن
- ٢ - الملك
- ٣ - النبي

الفصل الأول الكاهن

كلمة כֹהֵן (كوهين) في العبرية تعني الشخص الذي يؤدي خدمة دينية في الديانة اليهودية . ولكن ليس هناك رأي إجماعي في الإشتقاق العبري لكلمة כֹהֵן (كوهين) وقد تكون الكلمة شبيهة في المعنى باللفظ اليميني « كرب » المساوي للأصل العبري קרב بمعنى « يقرب » . فهذه العلاقة توضع إلى حد كبير المعنى الحالي للكلمة . وفي المصطلح اللغوي الدقيق في الشريعة استعملت الكلمة للشخص الذي يقرب للحضرة السماوية^(١) بينما يبقى الآخرون بعيداً ، وعادة ينتسب هؤلاء المقربون إلى نسل هارون .

ومن المحتمل أن تكون المادة الأصلية للفعل קָרַב (كَهَنَ) هي المادة السامية العامة « ك ون » ويكون أصل الفعل « كان » بمعنى « ثبت » أو « وقف » أحياناً وبهذا يكون الكاهن الوحيد الذي من حقه أن يمثل أو يقف أمام الرب .

والدليل الذي يدعوننا إلى الاعتقاد في أن الهاء في קָרַב (كَهَنَ) أصلها واو هو أن كثيراً من المواد السامية حلت الهاء فيها محل الواو في بعض المواضع مثل مادة « ن و ر » جاءت منها كلمة « نهار » فـ « ن ه ر » بدلاً من « ن و ر » .

كذلك دورة الزمن تسمى « دهر » . ولكننا نقول دار الزمن يدور ، ولا نقول دهر الزمن يدهر . والتسمية في الكهنة كانت تنسب في كثير من الأحيان الى العمل الرئيسي لهم ، فكهنة اليمين كان الواحد منهم يسمى « كرب » كما قلنا أي المقرب ومنها جاء اسم « معد يكرب » .

(١) خروج (٢٢/١٩) ، (٢٠/٣٠) وكذلك أنظر : M.Unger (Unger's Biblio Dict.) P.882.

كما أن كلمة « كاهن » كان أصلها كائن أي الواقف أمام الرب فالألف هنا قلبت همزة في صيغة اسم الفاعل والألف كما عرفنا أصلها واو استبدلت بالهاء في الاستعمال الحالي وهذا القلب قد يحدث حتى في اللهجات العامية مثل العامية المغربية التي استبدلت الهاء بالواو في نهض فنطقوها « ناض » ، « ينوض » .

كما أن الأصل واحد كذلك في « ذاب » و « ذهب » والمعدن الذهب هو الذي يذوب على النار أسرع من غيره ، ولذا نجد الفعل « ذهب » غير موجود في اللغات السامية الأخرى . .

والكاهن غير اليهودي يطلق عليه اليهود اسم **לַי** (كومييس) وقد أورد لها جزيبوس^(١) عدة معان منها : Lay protrait أي رقد مستلقيا « ففيها معنى الاستسلام الإرادي » ومنها Turn round أي دار حول أو طاف حول . . ومنها Priest أي كاهن . .

وفي العبرية الحديثة **כֹּהֵן** (كومار) . وفي الآرامية **ܟܘܗܢܐ** (كومرا) أي كاهن الرب .

وفي العهد القديم جاءت الكلمة في صيغة الجمع **כֹּהֲנִים** (٢) لتدل على أنبياء الوثنية ، ووردت صيغة الجمع في آية واحدة مع كلمة **כֹּהֲנִים** (كهنة) في (صفنيا ٤/١) : **וְנִבְּחֵנוּ יְהוָה אֱלֹהֵינוּ וְלֹא כָל-אֱלֹהֵי-הָאֲרָצוֹת וְהַכֹּהֲנִים וְהַכֹּהֲנִים** .
وأمد يدي على يهوذا وعلى كل سكان أورشليم وأقطع من هذا المكان بقية البعل اسم الكماريم مع الكهنة .

فورود كلمة « كماريم » مع كلمة كهنة في موضع واحد دليل على أن هناك فرقاً بين النوعين من الكهنة وقد أوردتها الترجمة البرتستانئية العربية بنفس لفظها العبري « كماريم » مع أن الترجمة الانجليزية^(٣) ترجمتها بمعنى « الكهنة

W. Gesoniuss: H.E.Lexicon.

(١)

(٢) ملوك ثان (٥/٢٣) ، هوشع (٥/١٠) وقد ترجمت في الأولى بمعنى كهنة الأصنام .

The Jerusalem Bible.

(٣)

المزورون أو المدلسون Spurious priests ، رغم أن نفس الترجمة الانجليزية ترجمت كلمة כֹּהֲנִים بالكهنة Priests وكذلك الترجمة العربية البرتستانتية ترجمتها « كهنة » ولم تكتبها بلفظها العبري في هوشع ٥/١٠ كما سبق في صفنيا .

أما الكهانة كما يفسرها العرب فإن المسعودي يقول^(١) : « تنازع الناس في معناها فمنهم من قال إنها صفاء النفس واطلاعها على أسرار الطبيعة ، ومنهم من أرجعها إلى الاتصال بالأرواح المنفردة - وهي الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، ومنهم من ذهب إلى أن التكهّن سبب نفساني يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس ، ومنهم من قال إن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه لأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان ، ومنهم من ربط الكهانة بالوحي الفلكي . »

أما ابن خلدون^(٢) فإنه يصف الكهانة بأنها من خواص النفس الإنسانية وأنها انسلاخ من البشرية إلى الملكية بالفطرة ، ثم يقول : « ولا يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المعقولات لأن وحيه من وحي الشيطان ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس » .

هذا هو تعريف الكهانة عند العرب وهو يحصرها في الشعوذة وادعاء معرفة الغيب والتكهّن بما سيحدث وهو أقرب إلى التنبؤ عند بني إسرائيل أو العرافة .

أما معنى الكهانة في الكتاب المقدس فهو أنها وظيفة روحية دينية تعليمية للتقرب من الرب والقيام بأداء أعمال التقرب بالقرابين وبدل على ذلك اشتقاقات الكلمة كما وردت في العهد القديم^(٣) على لسان الرب : **וְהָלַכְתָּ אֶת-
אֶהְרֹן אֶת בְּגָדֵי-הַקֹּדֶשׁ וְנִשְׁחַתְתָּ אֹתוֹ וְקִשְׁתָּ אֹתוֹ וְכִהֵן לְךָ .**

« وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكون لي » .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ١٠٠ .

(٣) خروج : ٤٠ : ١٣ .

وكذلك نفس المعنى في مخاطبة الرب لموسى (١) :

« وتلبس هارون أخاك إياها وبنيه معه وتمسحهم وتملاً أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لي » .

وكذلك نفس المعنى في (خروج ٢٩ : ١) وفي كهانة أليعازر وإشامار أمام هارون (عدد ٣ / ٤) .



(١) خروج : ٢٨ : ٤١ .

الكهانة في بني إسرائيل

وظيفة الكاهن قبل أيام موسى كانت تتمثل في رب الأسرة أو في رئيس القبيلة وبذلك كانت سلطة اجتماعية لها احترامها ومكانتها فنقرأ في سفر أيوب (١ : ٥) :
« وكان لمادارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدمهم ، وبكر في الغد وأصعد مُحْرقات على عدوهم كلهم لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنيّ وجدفوا على الله من قلوبهم ، هكذا كان أيوب يفعل في كل الأيام » .

كذلك كان الحال بالنسبة لإبراهيم^(١) وإسحق^(٢) ويعقوب^(٣) فقد بنوا مذابح وقدموا أضحيان ونذروا أنفسهم وما يملكون للرب .

وكان الكهنوت أحياناً ينتقل من الأب إلى ابنه البكر ، وعندما أمر موسى كل رئيس عائلة أن يذبح خروف الفصح يرجح أن نظام كهنوت العائلات كان له وجود آنذاك بأن يكون رب كل أسرة كاهناً لبيته^(٤)
أما في مصر فقد ارتبط اليهود بكهانة من نوع آخر هي الكهانة المصرية ويتمثل هذا الارتباط في مصاهرة يوسف^(٥) لكاهن « أون » واسمه « فوطى فارع » إذ تزوج « يوسف » من « أستات » ابنة كاهن أون التي يستدل الباحثون^(٦) من اسمها على أنها كانت كاهنة للإله « نيث » .

(١) تكوين : ٧ : ١٢ ، ١٨ : ١٣ .

(٢) تكوين : ٢٦ : ٢٥ .

(٣) تكوين : ٣٣ : ٢٠ ، ٣٥ : ١ ، ٣ ، ٧ .

(٤) أنظر : فؤاد عقاد في « قاموس الكتاب المقدس » مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ١٩٧١ ، ط. ثانية ، ص ٧٩١ .

(٥) تكوين : ٤١ : ٤٥ .

(٦) Unger's Bible dictionary, P.881.

وكانت هذه المصاهرة سبباً في أن أعفي يوسف أرض الكهنة من أن تصير لفرعون^(١) كما أن نشأة موسى في قصر فرعون وربما في معاهد ومعابد الكهنة المصريين^(٢) كانت سبباً قوياً في إيجاد ارتباط معين بين الكهانة المصرية وبين الكهانة الإسرائيلية .

ومن علماء المصريين - وفي طبيعتهم برستيد وويجال - من يرى بعد المقابلة بين صلوات إخناتون والمزامير المنسوبة إلى داود أن حكماء الإسرائيليين كانوا يطلعون على أسرار المحارب في مصر ، ولاسيما الأسرار التي كانت محجوبة عن الدهماء إذ كانت الديانة العليا مقصورة على كبار الأحرار وتلاميذهم^(٣) .

أما في أيام موسى فقد اتخذت الكهانة شكل الاختيار الإلهي وذلك حين رد موسى على مقاوميه من بين إسرائيل الذين عارضوه في ترفعه عليهم هو وأخوه هارون إذ قال لهم موسى : « غداً يعلن الرب من هو له ، ومن المقدس ، حتى يقربه إليه ، فالذي يختاره يقربه إليه »^(٤) .

ويرى بعض الباحثين^(٥) أن هذه الآية تمثل مفتاح فكرة الكهانة في العهد القديم حيث تشتمل على ثلاثة عناصر : (١) الذي يختاره الرب له (٢) المقدس (٣) الذي يؤذن له بالقرب من الرب ، فالأول يعبر عن الحالة الأصلية الجوهرية والثاني يعبر عن الأهلية ، والثالث يعبر عن وظيفة الكهانة نفسها .

وفوق هذه العناصر الثلاثة تأسست شخصية كل الشعب المؤمن فقد اختيروا ليكونوا شعب الله الخاص^(٦) ، وليكونوا للرب مملكة كهنة وأمة مقدسة^(٧) .

(١) تكوين : ٤٧ : ٢٦ .

(٢) أعمال الرسل : ٧ : ٢٢ .

(٣) عباس عمود العقاد : ابراهيم أبو الانبياء : ١٧٦ .

(٤) عدد : ١٦ : ٥ .

M.Unger: (Unger's Bible Dictionary) P.881.

(٥)

(٦) تثنية : ٧ : ٦ .

(٧) خروج : ١٩ : ٥ ، ٦ .

ويشير العهد القديم إلى نوعيات مختلفة من الكهنة ، وهذا التنوع نشأ من طبيعة المناخ الديني والسياسي والاجتماعي في بيئات الكهنة سواء أكانت هذه البيئة في بني إسرائيل أم كانت لغيرهم من الأمم المجاورة ، المعاصرة لهم أو التي سبقت وجودهم كأمة لها نظام وشكل معين ، فعلى سبيل المثال كان هناك :

(١) الكاهن الملك :

أي الذي يجمع إلى سلطته الملكية سلطة الكهانة ، وأقدم من يشير إليهم الكتاب المقدس في هذا النوع هو « ملكي صادق » الذي كان ملكاً على شاليم يخرج خبزاً وخمراً ، وكان كاهناً للرب^(١) .

كذلك كانت الإشارة إلى داود حين قال له الرب : « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق »^(٢) ، والإشارة تتجه أيضاً إلى أن أبناء داود كانوا كهنة^(٣) .

ثم « يهوشع بن يهو صادق » الذي قال عنه الرب لذكريا « فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه »^(٤) .

وما ورد عن مملكة الكهنة بعد السبي^(٥) ، فهم يكونون كهنة وذوي سلطان سياسي معاً ليحكموا الأمم ويتأمرؤا على مجدهم .

(٢) كهنة لديانات أخرى غير ديانة يهوه :

وهؤلاء كان منهم من هو خارج إسرائيل وسابق لعهداها ، مثل « فوطي

(١) خروج : ١٤ : ٨ .

(٢) مزمو : ١١٠ : ٤ .

(٣) صمويل ثان : ٨ : ١٨ .

(٤) زكريا : ٦ : ١٣ .

(٥) اشعيا : ٦١ : ٦ ، خروج : ١٩ : ٦ .

فارح « كاهن » أون « الذي صاهره » يوسف^(١) ، ومثل كاهن مديان الذي صاهره موسى بعد أن ساعد بناته السبع على سقاية غنم أبيهن^(٢) .

ومن هؤلاء أيضاً كهنة « داجون » في فلسطين إذ كانت آلهتهم « داجون » على هيشة سمكة وتكسرت حين أخذ الفلسطينيون تابوت الرب إلى أشدود وأدخلوه إلى بيت « داجون » وأقاموه بقربه^(٣) .

كذلك كان هناك كهنة البعل في خارج إسرائيل ، وداخل إسرائيل وبخاصة في عهد آخاب^(٤) ، ومن كهنة البعل كاهن اسمه « متان »^(٥) وفي عهد الإصلاح قضى كل من « يوشياهو » ملك يهوذا (٦٤١ - ٦١٠ ق.م) ومن قبله « ياهو بن نمشى » ملك إسرائيل (٨٨٤ - ٨٥٦ ق.م) على كل كهنة آخاب وكل نسله وكل عبدة البعل^(٦) وكهنته وأنبياؤه .

ويشير ارميا النبي إلى أن هناك كهنة يعبدون الشمس والقمر وكل جنود السموات وكانوا يسجدون لها ويستبشرونها مشتركين في ذلك مع بعض ملوك يهوذا ورؤسائها وعظماؤها^(٧) .

كذلك كان هناك كهنة « كوش »^(٨) ، وقد ذكرها ارميا كذلك^(٩) ، كما ذكر كهنة « ملكوم »^(١٠) ، كما أن البعض من هؤلاء الكهنة قد خدموا أمام أصنامهم في

(١) خروج : ٤٥ : ٤١ .

(٢) خروج : ١٦ : ٢ وهنا تذكر التوراة أن اسم حمى موسى هو « رعوثيل » وفي موضع آخر في خروج : ١ : ٣ تذكر أن اسمه « يثرون » .

(٣) صمويل الأول : ١ : ٥ - ٥ . وكلمة (داج) بالعبرية تعني (سَمَكَة) .

(٤) تميز حكم آخاب بالفساد في كل الأمور .

(٥) ملوك ثان : ١١ : ١٨ ، أيام ثان : ٢٣ : ١٧ ، وصفنيا : ١ : ٤ .

(٦) أيام ثان : ٣٤ : ٥ ، وملوك ثان : ١٠ : ١١ ، ١٩ .

(٧) أرميا : ١ : ٨ - ٢ .

(٨) كموش آلهة المؤابيين .

(٩) ارميا : ٤٨ : ٧ .

(١٠) أنظر ارميا : ٤٩ : ٣ في ذكر كهنة « ملكوم » آلهة العمونيين .

نفس المعبد^(١) ، وُسِّمِحَ لِأَخْرَيْنِ غَيْرِ مَخْتُونِينَ قَلْباً وَلِحْماً ، أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ فِي مَقْدَسِ الرَّبِّ فَيَنْجَسُوا بَيْتَ الرَّبِّ بِتَقْرِيْبِهِمُ الْخَبْزَ وَالشَّحْمَ وَالذَّمَّ .^(٢)

وبعد أن سبى آشور سكان السامرة وأسكن محلهم أمماً كثيرة من « بابل » و« كوت » و« حماة » و« عوآ » و« سفر وايم » كان هذا الخليط من المجلوبيين لا يتقي الرب فأمر آشور بأن يُرْسَلَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنَ الْمَسِيْبِينَ لِيَعْلَمَهُمْ عِبَادَةَ الرَّبِّ ، فَكَانَتْ كُلُّ جَمَاعَةٍ لَهَا آلِهَتُهَا الْخَاصَّةُ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي الْمَرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمَلَهَا السَامِرِيُّونَ وَكَانَ لِكُلِّ عِبَادَةٍ كَهَنَتُهَا الَّتِي يَقْرَبُونَ لِأَجْلِهِمْ فِي بِيُوتِ الْمَرْتَفَعَاتِ^(٣) .

(٣) الكهنة اللاويون :

بعد أن استقرت الديانة اليهودية كان جواز الانخراط في طريق الكهانة أن يكون المرشح لها من فرع لاوى ومن نسل هارون ، وقد كان موسى وهارون كاهنين كما يشير العهد القديم إلى ذلك^(٤) .

وقد اختار الرب بني لاوى ليقرّبهم إليه وليعملوا خدمة مسكنه وليقفوا أمام الجماعة لخدمتهم وليطلبوا كهنتها^(٥) . ولكن موسى أراد أن يختار للكهانة من بين بني إسرائيل جميعاً ، « هارون » ونسله ، وذلك حين جمع اثنتي عشرة عصا من رؤساء بني إسرائيل ، كل عصا ترمز إلى سبط من أسباطهم ، ومن بين تلك العصى كانت عصا « هارون » عن سبط لاوى مكتوباً عليها اسمه ، ثم وضع موسى العصى في خيمة الشهادة كما أمره الرب ، وفي الغد يدخل « موسى » فيجد عصا هارون قد أفرخت وأزهرت وأنضجت لوزاً ورأى في هذا دليل اختيار الرب لهارون ونسله^(٦) .

(١) حزقيال : ٤٤ : ١٢ .

(٢) حزقيال : ٤٤ : ٧ .

(٣) ملوك ثان : ١٧ : ٢٤ - ٣٣ .

(٤) مزمور : ٩٩ : ٥ « موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه » .

(٥) عدد : ١٦ : ٨ - ١٠ .

(٦) عدد : ١٧ : ١ - ١١ .

وأصبح منذ ذلك الوقت في قانون القداسة أن الكاهن من كان من نسل هارون، حتى أن الكتاب المقدس إذا تحدث عن هارون فإنه يستخدم كلمة «الكاهن» معرفة بهاء التعريف العبرية «כֹּהֵן»^(١) توكيداً وتعظيماً .

ثم انتقلت الكهانة من هارون إلى أكبر أبنائه «إلغاز» بأمر سماوي عند موت هارون^(٢) . ولذلك أصبحت الكهانة من نصيب الابن البكر الخالي من العيوب والتشوهات البدنية ومن كان ذا عيب بدني فإنه لا يلي الكهانة ولو كان بكرًا من نسل هارون ، وتولى الكهانة بعد «إلغاز» ابنه البكر «فينحاس» لتستمر الكهانة في نسله من بعد^(٣) وبذلك صارت الكهانة القانونية في بني هارون^(٤) .

(٤) الكهنة الصدوقيون :

وقد كثرت الآراء في أصل نسبة هؤلاء الكهنة ، فهناك رأي يردمهم إلى كاهن قديم كان يحكم شاليم (القدس) اسمه « ملكي صادق »^(٥) ، وكان كنعانياً من ملوك ييوس (القدس) وقد ورد ذكره في العهد القديم^(٦) حين بارك إبراهيم .

ويقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا^(٧) نقلاً عن جريتش وجنيير ولاجرانج في دائرة المعارف العبرية : « إن الروايات الفريزية القديمة تقول إن « أنتيوسخس السلوقي » الذي كان من كبار كهنة الهيكل الثاني وعاش حوالي سنة ٣٠٠ ق.م كان له تلميذان أحدهما اسمه « صدوق » والآخر اسمه « بيتوس » وإلى الأول منهما تنسب هذه الفرقة » .

(١) لاويون : ٧:١ ، ٨ ، ٢١ : ٢١ ، عدد : ١١:٢٥ .

(٢) عدد : ٢٣:٢٠ - ٢٨ .

(٣) عدد : ١٢:٢٥ ، ١٣ ، قضاة : ٨:٢٠ .

(٤) لاويون : ٥:١ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٢:٢ ، ٢:٣ ، ١:٢١ .

عدد : ٣:٣ ، ٨:١٠ .

(٥) دكتور عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ ، ص ٣٩ .

(٦) تكوين : ١٨:١٤ - ٢٠ .

(٧) دكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه ، ص ٢٥٧ .

وقريباً من هذا الرأي نجد رأياً آخر^(١) يرى أنهم فرقة من الفرق اليهودية ينتسبون إلى رائدهم الأول « صدوق » وقد ظهرت هذه الفرقة في عهد المكابيين وكانت تنتمي إليها طبقة الكهنة وبعض الكتبة من اليهود الذين يميلون إلى مسالمة الرومان .

وقد يكون أصل هؤلاء الكهنة يعود إلى الصدوقيين الكهنة الأوائل الذين جاء ذكرهم عند « حزقيال »^(٢) بأنهم بنو « صادوق » الكاهن الذي كان من زمن داود ، وحسب هذا الرأي يكون الكهنة الصدوقيون من نسل لاوي كما يصفهم « حزقيال » بأنهم المقربون إلى الرب دون بقية اللاويين الذين ابتعدوا عنه وضلوا وراء أصنامهم يحملون إثمهم^(٣) .

والى جانب أنواع الكهنة السابقة نجد تقسيماً آخر لهم من حيث رتبة الكاهن

١ - الكاهن الأعظم :

وهذه الصفة للكاهن تدل بوضوح على أنه الرجل الذي يكون على رأس كل الشؤون الكهنوتية ورئيس كل الكهنة ، وكان يتميز عن بقية الكهنة بأمر منها طريقة تكريسه للكهانة وتمييزه في المخصصات الكهنوتية وفي الملابس وغير ذلك .

وكان الكاهن يمسح بالزيت المقدس^(٤) يصب فوق رأسه حتى يرمز هذا الى تدشين كامل للكاهن ، فقد أمر الرب « موسى » بأن يمسح « هارون » وبنيه ويقدهم ليكهنوا له^(٥) .

ومن صفات الكاهن الأعظم أنه هو الذي صب على رأسه دهن المسحة وملئت يده ليلبس الثياب لا يكشف رأسه ، ولا يشق ثيابه ، ولا يأتي إلى نفس

(١) دكتور أحمد نسيم سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، ص ٤٨٠ .

(٢) حزقيال : ٤٠ : ٤٦ .

(٣) حزقيال : ٤٣ : ١٩ ، ٤٤ : ١٥ - ١٦ ، ٤٨ : ١١ .

(٤) عن الزيت المقدس أنظر : خروج : ٣٠ : ٢٢ - ٢٥ .

(٥) خروج : ٣٠ : ٣٠ .

ميتة ، ولا يتنجس لأبيه أو أمه ، ولا يخرج من المقدس لثلا يدنس مقدس إلهه ، وأن يتزوج امرأة عذراء من قومه وألا يدنس زرعه بين شعبه ، وألا يكون به عيب خلقي كأن يكون أعمى أو أعرج أو أفتس ، أو بأحد أطرافه زيادة أو نقص ، وألا يكون أحدب ولا أكتم ولا في عينيه بياض ، ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصي^(١) ، وأن يكون شرعي المولد .

وورد ذكر الكاهن العظيم كذلك لـ « يهوئاداع »^(٢) الذي كان صاحب فضل في إنقاذ يوأش (٨٧٨ - ٨٣٩ ق.م) من مذبحه عثليا وتنصيبه ملكاً على يهوذا وهو ما يزال بعد صبيماً .

كذلك كان يدعى « حلقياهو »^(٣) بالكاهن العظيم وهو الذي وجد سفر الشريعة إبان حكم الملك « يوشياهو » (٦٤١ - ٦١٠ ق.م) في أورشليم .

أما بعد السبي فقد لقب بالكاهن العظيم كل من « يهوشع بن يهو صادق »^(٤) و « إلياشيب »^(٥) .

٢ - الكاهن الرأس :

وهذا اللقب تقريباً هو نفس اللقب السابق « الكاهن العظيم » أو رئيس الكهنة فقد أطلق هذا الاسم على سرايا الكاهن^(٦) الذي اقتيد الى ملك بابل ، وقتل في السنة التاسعة عشرة للملك « نبوخذ نصر » ملك بابل .

كذلك أطلق على « أماريا »^(٧) الكاهن الذي عينه يهوشافاط ملك أورشليم

(١) لاويون : ٢١ : ١٠ - ٢٠ .

(٢) ملوك ثان : ١٢ : ١٠ .

(٣) ملوك ثان : ١٢ : ١٠ .

(٤) ملوك ثان : ٢٢ : ٤ ، ٨ ، ٢٣ : ٤ ، أيام ثان : ٣٤ : ٩ .

(٥) حجاي : ١ : ١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢ : ٢ ، ٤ ، زكريا : ٣ : ١ ، ٨ ، ٦ : ١١ .

(٦) نحيا : ٣ : ١ ، ٢٠ ، ١٣ : ٢٨ .

(٧) ملوك ثان : ٢٥ : ١٨ ، ارميا : ٥٢ : ٢٤ .

(٨) أيام ثان : ١٩ : ١١ .

(٩١٤ - ٨٨٩ ق. م) ليقضي لليهود في كل أمور الرب ، كذلك أطلق الاسم على « يهو ياداع » الكاهن العظيم ، ومن قبله أطلق على « عزريا »^(١) الكاهن الذي كان في زمن عزريا ملك يهوذا (٨١٠ - ٧٥٨ ق. م) وكان عزريا هذا على رأس الكهنة الثائرين على الملك « عزيا » الذي تعدى على اختصاصهم الديني ودخل إلى هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور^(٢)

وبما يدل على أن الاسم פִּזְיֹן קְהֹנִים = الكاهن الرأس هو نفس الاسم פִּזְיֹן קְהֹנִים أن الكاهن الرأس أطلقت على هارون كذلك^(٣) .

وربما كان جزنيوس^(٤) يقصد هذا الاسم « الكاهن الرأس » عندما صحح كلمة קְהֹנִים אֲתָה = أترى أنت ؟ واقترح أن تكون קְהֹנִים אֲתָה في صمويل ثان (٢٧ : ١٥) :

« وقال الملك (داود) لصادوق الكاهن أراء أنت . عد الى المدينة بسلام . أما بعد التصحيح فتكون : « وقال الملك (داود) لصادوق الكاهن الرأس أنت عد الى المدينة بسلام » . وبهذا يستقيم المعنى ، إذ أن الملك داود أرسل وفداً الى المدينة « أورشليم » التي تركها داود عند ثورة ابنه أبشالوم وكان هذا الوفد الاستطلاعي مكوناً من صادوق الكاهن وابنه أخيمعص ويونانان ابن الكاهن آبيانار وطلب داود من « صادوق » أن يكون هو الكاهن الرأس أو رئيس الجماعة ، ويفترض جزنيوس أن كلمة קְהֹנִים في الآية إنما هي تحريف مما حدث بعد السبي ويقول كذلك إنه رغم غموض النص قبل التصحيح فإن سميث لا يرتضي هذا التصحيح .

وبعد لقب الكاهن الأعظم أو العظيم أو الرأس نجد لقباً آخر أقل رتبة في الكهانة وهو :

(١) أيام ثان : ٢٦ : ٢٠ ، ٣١ : ١٠ .

(٢) أيام ثان : ٢٦ : ١٦ - ١٨ .

(٣) عزرا : ٧ : ٥ .

(٤)

٣ - الكاهن الثاني :

وهو كاهن الطبقة الثانية « وأمر الملك » « يوشيا » « حلقيا » الكاهن العظيم
وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الأنية
المصنوعة للبلع وللسارة ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم . . . » (١) .

وقد أطلق لقب الكاهن الثاني على كاهن يدعى « صفنيا » (٢) .

وورد الجمع من الكهنة العظام بلفظين في العهد القديم هما :

לַיָּהוָה הַכֹּהֲנִים = رؤساء الكهنة و לַיָּהוָה -
הַכֹּהֲנִים = الكهنة الرؤساء أو (الرؤوس) أو رؤس الكهنة .



(١) ملوك ثان : ٢٣ : ٤ .

(٢) ملوك ثان : ٢٥ : ١٨ ، ارميا : ٥٢ : ٢٤ .

عمل الكهنة ومخصصاتهم

١ - عمل الكاهن :

أساس العمل المنوط بالكاهن هو القيام بمتطلبات العبادة من نظام الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية ، وعدا ذلك فإنه كان يخدم في الاحتفالات والتطهير ، ويعتني بالآنية المقدسة والمنارة الذهبية والأثاث المقدس وإطلاق الصوت في الأبواق المقدسة ، وحمل تابوت العهد^(١) .

وقد وضحت واجبات الكاهن منذ تلقي موسى من الرب تعاليم الديانة والوصايا التي يخص بها هارون ونسله بالذات ، كما كثرت في سفر اللاويين وصايا الرب إلى موسى بصيغة معينة ، أكثرها موجه إلى هارون وقومه^(٢) ، « وكلم الرب موسى قائلاً كلم هارون وبنيه الكهنة »^(٣) .

وفي هذه الوصايا الموجهة إلى هارون وبنيه الكهنة وضحت أركان التعبد التي يناط بالكهنة أمر القيام بها وأمر تعليمها وتوضيحها للشعب ، فإلى جانب بيان المحلل والمحرم في الطعام من حيوان البر والبحر ، والطيور ، والدبيب ، والمحلل والمحرم من المشروبات ومن النساء ، وبيان نجاسات الرجال^(٤)

(١) فؤاد عقاد : قاموس الكتاب المقدس : ص ٧٩١ .

(٢) لاويون : ٦ : ٨ ، ٢٤ ، ١١ : ١ ، ١٣ : ١ ، ١٤ : ٣٣ ، ١٥ : ١ ، ٢١ : ١٦ ، ٢٢ : ١ ، ١٧ .

(٣) لاويون : ١٧ : ١ .

(٤) لاويون : اصحاحات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، وكلها في احكام البرص : حزقيال : ٤٤ : ٢٣ ، ٢٥ .

والنساء^(١) وطرق التطهر من هذه النجاسات ، كذلك الأعياد والمواسم^(٢) والزرع والحصاد .

إلى جانب هذا يظهر دور الكهنة الرئيسي في كيفية تنفيذ شرائع القرايين والذبائح المختلفة ، والكفارات بأنواعها ، وأن هذه الأعمال لا يقوم بها إلا الكهنة من أبناء هارون لتقديم قربان التقدمة^(٣) ، وكفارة خطية الكاهن الممسوح^(٤) .

والذبائح مثل ذبيحة الخطية^(٥) ، وذبيحة الإثم^(٦) وذبيحة السلامة^(٧) .

ثم بيان شرائع كل المحرقات^(٨) والتقدمات^(٩) ودور الكاهن فيها .

كما كان الكاهن الأعظم يتزعم مواسم الحج إلى أماكن العبادة حيث تتم الشعائر بضجيجها وعجيجها .

وكان من عمل الكاهن كذلك أن يقوم بدور المعلم والقاضي^(١٠) بين الناس في خصوماتهم وما ينجم بينهم من مشكلات في تعاملهم فيما بينهم « فإذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم ، أو بين دعوى ودعوى ، أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك ، فقم واصعد إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك واذهب إلى الكهنة اللاويين ، وإلى القاضي^(١١) الذي يكون في تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء »^(١٢).

(١) لاويون : ١ : ١٢ - ٨ .

(٢) لاويون : إصحاح ٢٣ كله ، عدد : ٢ : ٣٥ ، حزقيال : ٢٤ : ٤٤ .

(٣) لاويون : ١ : ٢ ، ١٤ : ٦ .

(٤) لاويون : ٣ : ٤ - ١١ .

(٥) لاويون : ٤ : ٢٨ ، ٦ : ٢٤ .

(٦) لاويون : ٧ : ١ ، ٥ : ٦ .

(٧) لاويون : ٣ : ١ .

(٨) لاويون : ٦ : ٨ .

(٩) لاويون : ٦ : ١٤ .

(١٠) حزقيال : ٢٤ : ٤٤ .

(١١) المقصود بالقاضي هنا الحاكم أو القائد العسكري .

(١٢) تثنية : ١٧ : ٨ - ٩ ، حزقيال : ٢٣ : ٤٤ ، ٢٤ .

ومن لم يمثل لأمر الكهنة وسلطانهم أو ينحرف عن تعاليمهم فإنه يكون قد طغى ويصبح جزاؤه القتل^(١) .

ولم تقف سلطة الكاهن عند المواطن العادي وحسب ، بل امتدت إلى أولى الأمر من الملوك والقواد ، فكان لا بد للملك من أن يمسه الكاهن عند تتويجه حتى يستمد القوة السماوية في حكمه ، وحدث ذلك منذ بداية النظام الملكي حين مسح صمويل كلا من «شاهول»^(٢) و «داود»^(٣) ملكين على بني إسرائيل ، كذلك سليمان حين مسحه صادوق الكاهن^(٤) .

ولا تنتهي سلطة الكاهن عند مسح الملك بالزيت المقدس عند تتويجه بل تمتد سلطته على الملك طوال أيام حكمه ، فإن الملك عليه «عندما يجلس على كرسي مملكته أن يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين ، فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه . . . ولثلا يحيد عن الوصية يمينا أو شمالاً لكي يطيل الأيام على مملكته هو وبنوه في وسط إسرائيل»^(٥) .

٢ - مخصصات الكهنة :

كان في مقابل الأعمال التي يقوم بها الكهنة ، وما يضطلعون به من مسئوليات دينية أن تخصص لهم مخصصات من دخل المعبد من الذبائح والتقدمات والنذور ولكون الكهنة لا نصيب لهم مما لبني إسرائيل من ملك فالرب هو نصيبهم ، لذلك كان من حقهم أن تكون لهم وقائد الرب ونصيبه^(٦) مما فرضه على الشعب من تقدمات يحصل الكاهن منها على أطايبها ، فله من الذبائح بقرأ

(١) تثنية : ١٧ : ١١ - ١٢ .

(٢) صمويل أول : ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١ ، ١٥ : ١ .

(٣) صمويل ثان : ١٦ : ١٣ .

(٤) ملوك أول : ١ : ٣٩ .

(٥) تثنية : ١٧ : ١٨ - ٢٠ .

(٦) تثنية : ١٨ : ١ ، ٢ ، حزقيال : ٤٤ : ٢٨ .

كانت أم غمماً ، الكرش والفكان ، والساعد الأيمن والصدر^(١) ، كذلك باكورات كل الشمار والتاج على اختلاف صنوفه ، فله أول الحنطة ، وأول الخمر وأول الزيت وأول جزاز الغنم .

كذلك له من جميع الذبائح حتى ذبيحة الإثم التي لها نفس شريعة^(٢) ذبيحة الخطية فإن الكاهن الذي يكفر بها تكون له ، وكذلك للكاهن جلد المحرقة التي يقربها ، وله « كل مقدمة خبزت في تنور وكل عمل في طاجن أو على صاج وكل ملتوتة بزيت ، أو ناشفة ، تكون لبني هارون من الكهنة جميعهم »^(٣) .

كل ذلك فريضة على الشعب يقدمها للكاهن لأن الرب اختار الكاهن من جميع أسباط إسرائيل ليخدم باسمه هو وبنوه كل الأيام^(٤) .

وكانت هذه المخصصات للكهنة دون سواهم ، فلا يتمتع بها أي أجنبي ولا يأكل منها نزيل الكاهن ولا أجيره ، ولا ابنته المتزوجة من رجل أجنبي إلا إذا طلقت أو تزلت بغير نسل من الأجنبي ورجعت إلى بيت أبيها ، أما ابن الكاهن فله أن يتمتع بما خصص لأبيه ، كذلك يتمتع بها العبد الذي يملكه الكاهن أو الولد الذي في بيته^(٥) .

(١) تشية : ٣ : ١٨ ، ٤ ، لاويون : ٣١ : ٧ - ٣٢ .

(٢) في التلمود يرم على الكاهن أن يأكل من ذبيحة الخطية .

(٣) أنظر لاويين : ٥ : ٧ - ١٧ ، حزقيال : ٤٤ : ٢٩ ، ٣٠ ، لاويين : ٢٣ : ١٠ .

(٤) تشية : ٥ : ١٨ .

(٥) لاويون : ١٠ : ٢٢ - ١٣ .

سلطة الكاهن في ظل النظام الملكي

يقول « ويلز »^(١) إن أقدم الحكومات الممدنة كانت حكومة كهنوتية ، ولم يكن الملوك والقواد هم الذين دفعوا بالناس إلى المحراث والى حياة الاستقرار ، بل يرجع الفضل في ذلك إلى الأفكار الخاصة بالآلهة . . . كما أن جميع حكام « سومر » الأولين كانوا بلا استثناء من الكهنة ، وأنهم لم يرتقوا عروشهم إلا لأنهم رؤساء الكهنة .

وسلطان الكهنة قديم في العالم وكان يقوم في نهاية الأمر على إقناعهم الناس بأن كل أضرب نشاطهم موجهة للخير . ولكن هذا السلطان قد زال من العالم القديم منذ خمسة وعشرين قرناً حيث كان الكاهن صاحب السلطان الأعلى .

والمجتمع العبري لم يكن يختلف كثيراً عن أي مجتمع مبتدىء ، يكون الولاء فيه والرغبة والرهبنة جميعاً تحت لواء السلطة الروحية ، حتى أن كثيراً من المجتمعات البدائية كانت تصنع لنفسها سلطة روحية تخضع لها وتركع ، وتقرب القرابين إليها ، وتجعل لها سدنة يحرسونها ويتوسطون بين الآلهة المخلوقة وبين صانعيها المتعبدين في محرابها^(٢) .

(١) هـ.ج. ويلز « معالم تاريخ الإنسانية » ، ترجمة عبد العزيز جاويد ج ١ ص ٢٠٩ .

(٢) إقرأ في سفر القضاة الإصحاح (١٧ ، ١٨) قصة « ميخا » الافرايمي الذي صنع آلهة مسبوكة وترانيم ، وكرس ابنه كاهناً لها ، ثم استأجر عابر سبيل لاوياً ليكون له كاهناً . كذلك قصة الدانيين الذين اختطفوا الكاهن اللاوي ليكون كاهناً لهم .

لذلك كانت سلطة الكاهن الروحية تمثل النفوذ الأول في حياة العبريين حتى ظهور النظام الملكي . وقد رأينا الى أي مدى بلغت علاقة الرب بالكاهن في وصايا الرب لموسى ، ومدى تمجيد هارون وبنيه ، ومبلغ ما يؤديه الشعب للكهنة ، ووجوب طاعة الشعب للكهنة ولكل ما يشيرون به وما يصدرونه من أحكام وأوامر تجعل القتل جزاء من يخالفها .

وظل نفوذ الكهنة في المجتمع العبري غير مدافع ، حتى بدأ النظام الملكي بناء على رغبة الشعب الملحة ، رغم معارضة السلطة الروحية المتمثلة في صمويل آنذاك^(١) .

وقد تحقق ما توقعه صمويل من أخطار النظام الملكي وطغيان نفوذه على السلطة الروحية ثم بدأ النزاع بين كل من السلطين السلطة الروحية متمثلة في صمويل والسلطة الملكية متمثلة في شاول ولم يكن قد انقضى عام على نشأة النظام الملكي ، وذلك حين اعتدى شاول على بعض اختصاصات صمويل الدينية بأن أصعد المحرقة وذبائح السلامة عندما كان في الجلجال يواجه غارات الفلسطينيين ، ومن خلال القصة التي يرويها سفر صمويل^(٢) نكاد نستشق أن صمويل قد تعمد أن يحمل شاول على إصعاد المحرقة نيابة عنه ، وذلك حتى يجد صمويل سبباً يعنف به شاول ويهدده بزوال سلطته الملكية ، فالقصة تصور مدى الضيق والقلق الذي يكابده شاول وجيشه من كثرة عدد الفلسطينيين المعادين له ، وطال انتظار شاول لصمويل من أجل إصعاد المحرقة للرب طلباً لتفريج الكرب وتبديد الغمة ، وانتظر شاول سبعة أيام حسب موعد صمويل له ، ولكنه لم يأت في مواعده إلى الجلجال ، فتفرق الشعب من حول شاول مما اضطره أن يقوم بإصعاد

(١) يقول م . ص . سيجال « حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل » ص ٤٠ أن صمويل حين نصب ملكاً على إسرائيل قد أضعف بعمله هذا من الأثر الديني النبوي في حياة الأمة ، إذ أخرج قيادتها من يد النبي إلى صولجان الملك ، وتحولت الأمة من الأساس الديني إلى الأساس العلماني حين أصبح رئيسها قائداً عسكرياً مدنياً وبهذا انتهى أمر إسرائيل كأمة تيوقراطية وكشعب مختار ، الله ملكه والنبي قائده ، وأصبح دولة علمانية ككل الأمم المجاورة .

(٢) صمويل الأول (١ : ١٣ ، ١٥) .

المحرقة بنفسه حين يش من مجيء صمويل ، ثم نجد صمويل وقد ظهر عقب انتهاء شاءول من إصعاد المحرقة كي يلزمه بالخطأ والإدانة ، ورغم اعتذار شاءول والحاحه على صمويل في التماس العذر إلا أن صمويل يصر على رفض الاعتذار ويتمادى في تعنيف شاءول وتهديده .

ففي هذه القصة يبرز لنا جانب من الصراع بين السلطة الجديدة في المجتمع وهي سلطة الملك وبين السلطة العتيدة وهي سلطة الكاهن التي عارضت هذا النظام الجديد من قبل أن يولد خوفاً من استلاب السلطان منها ، وحرصاً على أن تظل صاحبة السيادة المطلقة في المجتمع .

ولكن سلطة الكاهن كانت ترى في ولادة السلطة الملكية بداية النهاية لسلطانها فقد بدأ الشعب يشعر بأهمية النظام الجديد الي أصر وألح على وجوده عندما بدأت السلطة الجديدة في جمع شتات القبائل العبرية لمواجهة عدو مشترك يتهدهم جميعاً ويحرمهم لذة الاستقرار وبدأ الملك رأس النظام الجديد يقود الصفوف ليدراً الأخطار المحدقة بالجماعة ويحقق أحلامهم ، فبدأت سلطة الكاهن تنقلص بالتدرج وشعرت السلطة الدينية بهذا الخطر الزاحف فانطلق صمويل يشهر أسلحته التي قد يحطم بها هذه القوة الجديدة أو يحد من خطرها على سلطانه فاختر سلاحاً لها من نفس معدنها حتى تآكل نفسها بنفسها ، وأسرع الى بيت « يسي البيتلحمي » ومسح ابنه « داود » ملكاً على إسرائيل وبدأ الصراع بين القوتين الملكيتين قوة شاءول الملك الذي نصبه صمويل على الشعب وقوة « داود » الذي نصبه صمويل نفسه ملكاً وشاءول ما يزال ملكاً .

وبهذا العمل يكون صمويل هو المؤسس الأول للنظام الملكي في بني إسرائيل وهو نفسه أول من غرس بذرة الدمار لهذا النظام ، ذلك الدمار الذي يتمثل في الصراع على السلطة الملكية . . ونجح صمويل في تحطيم شاءول حتى جعله يتضرع إليه مقرأً بخطئه ملتمساً منه الغفران والصفح ، متعهداً له بالأل يخالف أمره ، وكان ذلك حين أصدر صمويل أمره باسم الرب إلى شاءول بإبادة « عماليق » وألا يبقى منهم رجالاً ولا نساء ولا أطفالاً وأن يبيد حتى البهائم ، ففعل شاول ما أمر به غير أنه عفا عن ملكهم « أجاج » ، واستبقى خيار البقر والغنم والثنيان والحرف

وكل ما رأه جيداً يمكن أن ينفع شعبه ويقدم منه صعيدة للرب . . . وما كاد « صمويل » يسمع ما فعله شاول حتى شن عليه ثورة عارمة بتهمة مخالفة الرب والتمرد على أوامره وذلك حتى يهيج الشعب على هذه السلطة الجديدة التي حذرهم منها حين طالبوه بها ، ومرة أخرى يحاول شاول استرضاء صمويل واستغفاره دون فائدة^(١) .

وما يزال صمويل غير يائس من تشويه هذه السلطة أمام جماعة بين اسرائيل حتى استطاع أن يحمل الشعب على الإقرار بخطئهم حين ألحوا عليه بإقامة ملك عليهم فقد جاء صمويل الى الشعب يوم الحصاد الذي ينتظرونه وقال لهم : إني أدعو الرب فيعطي رعداً ومطراً ، فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذي عملتموه في عيني الرب بطلبكم لأنفسكم ملكاً^(٢) فخاف الشعب من صمويل وأقروا له بأنهم كانوا مخطئين حين عصوه وأصروا على تملك ملك عليهم^(٣) .

وظلت السلطة الدينية في صراع مع السلطة الملكية الوليدة المرتجفة حتى بعد موت صمويل . فقد ظلت رهبته تلاحق شاول مما جعل شاول يلجأ إلى امرأة صاحبة جان كي تحضر له روح صمويل ليستشيره في بعض أمره ويلتمس منه العون ، ولكن صمويل يعرض عنه حتى في موته إذ أعرضت روحه - كما يروي العهد القديم - عن شاول ومضت توبخه وتهدهده كما كان يفعل صمويل في حياته^(٤) .

وأصبح شاول يعاني من الأمراض النفسية التي جلبها عليه صمويل فبدأ يقاوم ثورة « داود » بطريقة لا تَعْقَلُ فيها ، وبات جنون الخوف من « صمويل » ومسيحه الملك الجديد « داود » يدفع شاول إلى محاولة القضاء على غريمه والتشبث بالسلطة بطريق عجلت بزواله وزوال اجتماع الشعب من حوله ، وكان ذلك في القرار الخطير الذي اتخذه شاول دون وعي بإبادة « نوب » مدينة الكهنة

(١) صمويل أول (١ : ١٥ ، ٢٧) .

(٢) صمويل أول (١٧ : ١٢) .

(٣) صمويل أول (١٩ : ١٢) .

(٤) صمويل أول (٧ : ٢٨ ، ٢٠) .

التي آوت الثائر « داود » أثناء تعقب « شاءول » له ، ففي يوم واحد قتل خمسة وثمانين كاهناً وأفنى رجال المدينة ونساءها وأطفالها ، حتى البهائم ، ولم ينج من المدينة أحد سوى وليدٍ واحدٍ للكاهن « أخيمالك بن أخيطوب » وكان ذلك الناجي هو « أبياتار » الذي أصبح في عهد « داود » كاهناً أعظم وظل في منصبه الديني العظيم هذا حتى خلعه « سليمان » ونفاه وعين بدلاً منه « صادق » . .

وقد ساعدت الظروف على أن تحتفظ السلطة الكهنوتية بهيبتها وكيانها في عهد « داود » . وكان داود قد استفاد فائدة عظيمة من أخطاء شاءول ، فحين خلا مقعد الحكم الملكي بموت شاؤل لم تعترض سبيل داود أي عوائق في التفاف الشعب حوله ومبايعته بالملك اللهم إلا بعض القبائل الشمالية التي ظلت تحت حكم «إشبوشت بن شاءول» حتى قتل وعادت هذه القبائل إلى الصف من جديد .

وكما قلنا في الحديث عن الملكية العبرية من أن داود استهل حكمه بإرضاء السلطة الدينية الغاضبة على شاؤل قاتل الكهنة والأطفال والنساء في « نوب » فتقرب داود كثيراً إلى هذه السلطة وعين « أبياتار » كما قلنا كاهناً أعظم ، وجعل أول قرار له وهو على كرسي الحكم ، أن يعيد تابوت العهد من حوزة الفلسطينيين وأن يكون شرف حمل هذا التابوت مقصوراً على الكهنة اللاويين . . وأن يشترك في هذا العمل الرائع كل قبائل بني إسرائيل ، وفي ذلك لم لشملهم وتوحيد لشتاتهم .

ولم يكن « داود » أول من اختار الكهنة اللاويين لحمل « تابوت الرب » ولا هو آخر من قام بهذا العمل ، فقد سبقه « يشوع » تلميذ موسى « في أن جعل الكهنة اللاويين يحملون التابوت ليعبروا به نهر الأردن أمام الشعب^(١) ثم يقام احتفال عظيم بهذه المناسبة يستمر ستة أيام وفي كل يوم يدورون بالتابوت حول مدينة « أريحا » التي انتصروا عليها وعلى ملكها الجبار^(٢) .

وبعد داود قام ابنه سليمان بنفس العمل ، غير أن سابقه يشوع وداود نقلًا

(١) يشوع (٣:٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٧) .

(٢) يشوع (٦:١ ، ١٧) .

التابوت التي خيمة الاجتماع ، أما سليمان فقد نقله^(١) الى الهيكل الضخم الذي شيده بناء على وصية أبيه « داود » . ومنذ عهد « داود » اقتصرت سلطة الكهنة على خدمة التابوت والتذكير بالرب والشكر له والتسبيح وإصعاد المحرقات^(٢) .

ولكن داود كان أكثر إبرازاً لأهمية الكهنة ، فقد جعل من أبيئار مستشاراً له في معظم أموره بل قام « أبيئار » و « صادوق » بدور هام مع داود أثناء أزمة ثورة « أبشالوم » على أبيه ، واعتمد داود عليهما وعلى « يونانان » بن « أبيئار » وعلى « جوشاي الأركي » في تزويده بما يجد من أحداث وأخبار في المدينة أثناء هربه من وجه ابنه « أبشالوم »^(٣) .

ولكن سلطة الكهنة بالرغم من احترام السلطة الملكية لها في عهد داود إلا أنها كانت دائماً تسعى لتحقيق المزيد من أرباحها في ظل النظام الملكي ، ويتضح ذلك من محاولة الكهنة أن يكون لهم الفضل على السلطة الملكية ، وذلك عندما خرج « أبيئار » في موكب « أدونيا » بن « داود » مناصراً له على « سليمان » عندما حاول أدونيا أن ينفرد بالحكم دون أخيه سليمان . وفي هذا الحادث كذلك يظهر الانقسام في داخل السلطة الكهنوتية . ففي الوقت الذي خرج فيه « أبيئار » مناصراً « لأدونيا » هو وقائد الجيش « يواب بن صروية » امتنع « صادوق » الكاهن و « بنيياهو بن يهوئاداع » عن الخروج في موكب « أدونيا » ثم بايعا « سليمان » ويبدو أن « صادوق » كان يعرف ببعده نظره أن كفة « سليمان » ستكون هي الراجحة في النهاية وانتظر حتى تمت المفاوضات الداخلية في القصر بين كل من ناثان النبي وسيدة القصر الملكي « بثشبع » أم سليمان وإقناعهما داود بتعيين سليمان ملكاً بدلاً من أدونيا عندئذ جاءت فرصة « صادوق » حين أرسله داود بصحبة ناثان النبي وبنيياهو بن يهوئاداع القائد ومعه قادة الجيش^(٤) ونادوا « بأمر الملك داود » بتسليم « سليمان » ومسح « صادوق » « سليمان » ملكاً . وبالتالي فاز « صادوق » بمنصب

(١) ملوك أول (٣ : ٨ ، ١١) .

(٢) أيام أول (٢ : ١٥ - ٤ ، ٢٥ - ٢٦) ، (١٦ : ٤ - ٦ ، ٣٧ - ٤٣) .

(٣) صمويل ثان (١٥ : ٢٧ - ٢٩) ، (٣٥ - ٣٧) .

(٤) ملوك أول (٨ : ١) .

الكاهن الأعظم بعد طرد « أبياتار » .

وبذلك أصبحت سلطة الكاهن أداة في يد الملك يوجهها حسب أغراضه فانحرفت عن مسارها ، ولم تعد السلطة القادرة على الاستقلال في توجيه الأمور بين الشعب بل ازداد موقفها ضعفاً فلم تعد قادرة على مقاومة الديانات الغربية التي بدأ نشاطها يتسع في المدن^(١) وتبنى لها معابد خاصة ويكون لها كهنتها وسدنتها حتى استتب لها الأمر بعد الانقسام ورسخت جذورها في الشمال على يدي « يربعام » بن نباط واستمرت في الجنوب حتى السبي .

ونظراً لأن الكهانة سلطة لها أصولها العريقة في المجتمع وجذورها الضاربة في النفوس منذ القدم فإن الملكية وهي سلطة طارئة مستحدثة في المجتمع العبري لم تستطع القضاء على سلطة الكاهن قضاء مبرماً وإن استطاعت أن تحتويها وتجعلها سلطة تابعة للسلطة الملكية ، ودليل ذلك أن سلطة الكاهن كانت لا تفتأ تشرئب وتعلو كلما وجدت الفرصة سانحة لذلك مثلما حدث في أمر تنصيب « يوأش بن أخزيا » ملكاً على يهوذا وقتل عثليا (٨٨٤ - ٨٧٨ ق.م) وتديبير كل ذلك على يدي الكاهن الأعظم « يهوياذاع » الذي تولى قيادة الثورة على عثليا منذ مقتل « أخزيا » حتى تم له التخلص منها وتعيين « يوأش » الملك الصغير الذي ظل تحت إشراف وسيطرة الكاهن « يهوياذاع » حتى موته .

وما أن مات « يهوياذاع » حتى أدركت السلطة الملكية مدى النفوذ الكهنوتي الذي سيطر على المملكة منذ قيادة « يهوياذاع » للثورة ضد « عثليا » حتى موته وأدرك يوأش « كذلك أن نفوذ يهوياذاع سيتماد بعد موته في ابنه زكريا بن يهوياذاع ، حين لبسه روح الرب وقام يدعو بالإصلاح ، فأمر « يوأش » الملك بقتل زكريا بن يهوياذاع ، فرجموه بالحجارة في بيت الملك حتى مات^(٢) . فتنفس الملك في جو التحرر من سلطان الكهنة وتنفست معه العبادات الغربية وترك كثير من الشعب عبادة يهوه واتجهوا إلى عبادة السواري والأصنام^(٣) .

(١) من الديانات الغربية التي انتشرت أيام سليمان : عشتروت إلهة الصيدونيين ، وكموش إله المؤابيين ، وملكوم إله العمونيين (ملوك أول : ١١ : ٣٣) .

(٢) أيام ثان : ٢٤ : ٢١ - ٢٢ .

(٣) أيام ثان : ٢٤ : ١٧ .

وانكشمت سلطة الكاهن بعد « يهوئاداع » وإن كانت تنتفض أحياناً غاضبة إذا ما حاولت السلطة الملكية أن تعتدي على أخص أعمالها كما حدث مع « عزيا » ملك يهوذا حين دخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور ، فانتفض الكاهن « عزريا » غاضباً ومعه ثمانون من الكهنة وثاروا ضد اعتداء الملك على اختصاصهم وقالوا له : « ليس لك يا عزيا أن توقد للرب ، بل للكهنة بني هارون المقدسين للإيقاد ، اخرج من القدس لأنك خنت وليس لك كرامة من عند الرب الإله » (١) .

ولكن سلطان الكهنة كان في انحدار مستمر حتى وصل إلى العجز التام عن مقاومة السلطة الملكية حتى في أخص خصوصيات الكاهن ، وأصبح الكاهن يآتمر بأمر الملك دون محاولة الاعتراض حتى ولو كان في تصرف الملك عدوان صارخ على الدين ، فعندما سار « آحاز » ملك يهوذا (٧٤٢ - ٧٢٦) إلى دمشق لزيارة « تغلت فلاسر » ملك آشور ، رأى مذبح دمشق فأعجبه فأرسل من دمشق رسماً للمذبح وبعث به إلى « أوريا » الكاهن وأمره بأن يقيم مذبحاً لبيت الرب في أورشليم مثل مذبح دمشق فأطاع « أوريا » الأمر الملكي ونفذ ما أراه « آحاز » ولم يقتصر الأمر على هذا بل إن آحاز بعد عودته من دمشق أمر أوريا بالإبقاء على هذا المذبح الجديد (٢) .

وظل أمر الكهنة يسير في طريق يضيق كلما اتسعت سلطة الملك ويزداد انطواؤهم وخنوعهم في ظل الملوك العتاة المنحرفين مثل منسى وابنه آمون وأصبح عمل الكهنة ينحصر في شكليات الدين ومظهره الخارجي فقط دون التعمق في روح الدين وحقيقته وانخفاض صوتهم في الأوقات التي يجب أن يكونوا هم أول من يثور ضد الانحراف والفساد كما وصفهم إرميا بأنهم لم يقولوا أين هو الرب (٣) .

(١) أيام ثان : ١٦ : ٢٦ - ١٨ .

(٢) ملوك ثان : ١٦ : ١٠ - ١٨ .

(٣) إرميا : ٢ : ٨ .

لذلك أصبح من الضروري أن يرتفع صوت المصلحين في المجتمع ليعارضوا صمت الكهنة وانحراف الملوك وظلم القضاة وفساد الشعب فظهرت قوة جديدة تنادي بإدانة الفساد ومرتكبيه ومشجعيه وكانت تلك القوة هي قوة الأنبياء والمصلحين الذين عارضوا كلاً من السلطتين : السلطة الملكية المنحرفة الفاسدة وسلطة الكاهن التي آثرت السلامة بالسكوت عما يحدث ولاذت بالصمت لتحقق مغنم شخصية في ظل الديانة الشكلية وإقامة الطقوس واستغلال القرابين والذبايح والتقدمات باسم الدين .

وتلك السلطة المعارضة هي التي سنعالجها بعد المبحث التالي .



الفصل الثاني المَلِك

تعلمت الإنسانية النظام الملكي من قصة بدء الخليقة البابلية إذ تصور لنا القصة الكون ببيئة دولة يحكم فيها الآلهة ، وتصور لنا الأسطورة كذلك أصل الملك حيث انتخبت الآلهة في أثناء الأزمة الحادة التي مرت بها « الإله مردوخ » ليكون بطلها وملكاً عليها وتنازلت له عن سلطاتها ومن هنا نشأ النظام الملكي في بابل وآشور وأخذة عنهما العبريون^(١) .

ويقول « ميريل أونجر »^(٢) : « إن أي جماعة حين تستقر في منطقة ما وتشكل نفسها في مجتمع منظم كانت تصبح تحت رئاسة رأس ملكي ، ليس في مصر فقط ولكن في شاليم وفي جيران وفي كل المدن الصغيرة التي أتى إليها زعماء القبائل ، كان يظهر فيها ملك بصورة ثابتة » وحتى في الأقطار الصغيرة جداً كان فيها ملوك بمثابة حكام ، حيث كان في منطقة فلسطين وما جاورها ما يربو على الثلاثين ملكاً^(٣) .

ولم يكن النظام الملكي في إسرائيل مفاجئاً أو التفكير فيه وليد الوقت الذي نشأ فيه ، بل كانت هناك إرهابات بهذا النظام منذ هبراهيم^(٤) حين خاطب الرب إبراهيم قائلاً : « وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون » .

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ص ٤٥٨ .

(٢) Unger's Bible Dictionary. P.631.

(٣) أنظر: يشوع: ١٢: ٧ - ٢٤ .

(٤) تكوين: ١٧: ٦ ، ١٦ ، ٣٥: ١١ .

هذا الوعد الذي أعطاه الرب لإبراهيم قد تجدد على يدي موسى^(١) ، بل إن الرب وضع على لسان موسى الدستور الأول للملك ، وهذا الدستور حسب ما ورد في سفر التثنية (١٧ : ١٤ - ٢٠) يجعل من الشروط الواجبة في الملك :

- ١ - أن يكون واحداً من الشعب ولا يختار الغريب .
- ٢ - ألا يسرف الملك في امتلاك الخيول .
- ٣ - ألا يكثر من الزوجات حتى لا يزيغ قلبه .
- ٤ - ألا يكثر من امتلاك الذهب والفضة .
- ٥ - أن يحفظ هذه الشريعة وأن يستنسخها لنفسه في كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ليستذكرها كل أيام حياته ولا يحيد عنها هو وأبناؤه .

وكما يقول « ميريل أونجر »^(٢) إن بهذا القانون الملكي اتحدت المملكة الأرضية بالحكومة الدينية ، فقد ظل الملك منذ شاؤل يجلسه « يهوه » على العرش الملكي ليحكم الشعب دون أن يختاره الشعب ، فالملك مدين باختياره وتوليته للرب فقط واعتماده كذلك على الرب فقط وبالتالي فهو مطالب بتنفيذ رغبات الرب الذي اختاره وإلا رفضه الرب واختار غيره .

والملوك كمسحاء من الرب اعتبرهم الشعب أشخاصاً مقدسين^(٣) دون أن يكونوا مؤلهين ودون أن يكونوا بعيدي المنال عن رعاياهم ، وهم عادة يقودون جيشهم في الحروب^(٤) ويديرون الأعياد جهاراً^(٥) .

غير أنه لم يحدث اختيار إلهي للملك إلا مع شاؤل وداود اللذين مسحهما صمويل النبي أما من جاء بعدهما من ملوك منذ سليمان حتى انهيار المملكتين فقد كان أمر توليهم يخضع لأحد طريقتين :

(١) تثنية : ٣٦ : ٢٨ .

Unger's Bible Dictionary, P.542.

(٢)

(٣) صمويل أول : ٧ : ٢٤ ، ١١ ، ١٦ ، ٢٣ ، صمويل ثان : ١٦ : ١ .

(٤) صمويل أول : ٢ : ١٢ ، صمويل ثان : ٦ : ٥ .

(٥) صمويل أول : (إصحاح : ٦) ، ملوك ثان : (إصحاح : ٨) .

أ - طريق الوراثة الذي بدأ بسليمان واستمر من بعده في نسل داود الذي حكم الجزء الجنوبي من المملكة المنقسمة حيث لم يشذ إلا في حالة واحدة فقط عند اغتصاب « عثليا » للحكم فترة قصيرة عادت بعدها الملكية إلى بيت داود حتى السبي البابلي .

ب - والطريق الثاني كان طريق الثورات والانقلابات واغتصاب الحكم وقد ظهر هذا واضحاً في مملكة إسرائيل الشمالية منذ أن انشقت بأسباطها العشرة عن مملكة سليمان تحت قيادة « يربعام بن نباط » المأجور من مصر ضد مملكة سليمان^(١) .

وكان للمملكة تنظيم إداري يتمثل في الحرس الملكي من الجلادين צִבְרָיִם والسعاة פְּלִיָּאִים الذين ينفذون كل ما ينطق به الملك^(٢) ، ثم مساعدون للملك يعملون كأفراد أو رؤساء أو مستشارين^(٣) .

ووردت وظائف في التنظيم الإداري للمملكة في سفر صمويل الثاني (٨: ١٦-١٨ ، ٢٠: ٢٣-٢٦ ، وأخبار الأيام الأول : ٢٧: ٣٢-٣٤ ، والملوك الأول ٤: ١-٦)^(٤) .

ولكي نأخذ صورة واضحة للسلطة الملكية في مملكة بني إسرائيل فإننا

(١) لم يكن من ملوك الشمال مسيح غير «ياهو بن عئش» الذي مسحه النبي «إيليا التشي» بأمر الرب . كما مسح «إيليا» كذلك «حزائيل» ملكاً على آرام ومسح «أليشع بن شافاط» نبياً يخلفه : ملوك أول : ١٩ : ١٥ - ١٦ .

(٢) صمويل ثان : ١٥ : ١٨ ، ٢٠ : ٧ .

(٣) ملوك أول : ٤ : ٢ .

(٤) هذه الوظائف مثل :

١ - رئيس الجيش أو رئيس القواد .

٢ - قائد الجلادين والسعاة .

٣ - المسجل ، وقد يكون حارس الأرشيف في الحكومة .

٤ - الكاتب أو سكرتير الحكومة .

٥ - الكاهن الأعظم .

٦ - المستشارون الخصوصيون (كهنة أو أصدقاء للملك) ويسمون أيضاً رؤساء أمام الملك (أيام

أول : ١٨ : ١٧) أو مثل الشيوخ الذين وقفوا أمام سليمان (ملوك أول : ١٢ : ٦) وهم الذين

نعرض لأهم ملامح هذه السلطة على المستوى السياسي للملك داخل الدولة في علاقاته بالشعب وإدارات الدولة في الداخل ومدى نجاحه أو إخفاقه في قيادة الأمور وتوجيه دفة المملكة عسكرياً ودينياً حتى يمكننا في النهاية تكوين صورة واضحة عن مدى تأثير وتأثر كل من عناصر السلطة الاجتماعية في المجتمع العبري آنذاك .

ففي فترة المملكة الموحدة تمكن شاءول إلى حد ما من توحيد القبائل العبرية لصعد غارات العدو الذي يهدد كيان الدولة ، واستطاع شاءول إلى حد ما أن يبرز أهمية وحدة اليهود من أجل بقائهم ، وكان بإمكانه تحقيق أضعاف ما حققه من انتصارات لولا عقبات معينة أوجدتها ظروف خاصة تنبثق من قلق القيادة الدينية وخوفها من أن يفلت الزمام من يدها كلية ليتنقل إلى هذه السلطة الجديدة على المجتمع والتي طالب بها الشعب من أجل الصمود أمام أخطار العدو المتربص . فكان شاءول محاطاً بمشاكل عدة من الخارج ومن الداخل على السواء ، فمن الخارج كانت مواجهته لأعدائه^(١) وما يتطلبه هنا من قوة وتأييد من الداخل ولكن الجبهة القوية في الداخل كانت ضده وهي الجبهة الدينية التي يتزعمها صمويل . وكان هذا الصراع بينه وبين صمويل يتمثل في تسفيه آراء الملك والحط من قيمته

كانوا يقفون في حضرة الملك (ملوك ثان: ٢٥: ١٩، أرميا: ٥٢: ٢٥).

٧- ملاحظ (رئيس فعلة) للأعمال العمومية (ملوك أول: ١٦: ٥).

٨- أمناء الصندوق الملكي (وزراء مالية) مثل حراس كنوز أورشليم بمساعدة أمناء مال الملك الذين يقومون بحراسة ساحات وحقول الملك وكرومه وقطعانه ألخ (أيام أول: ٢٧: ٢٥ - ٣١) إلى

جانب قواد يعملون كرؤساء جبة الضريبة (ملوك أول: ٤: ٧ - ١٩).

٩- قائد البلاط (مشير البلاط الملكي) أو وإلى القصر (ملوك أول: ٤: ٥).

١٠- وكان هناك أيضاً ساقى الخمر (ملوك أول: ١٠: ٥) وحارس خزانة الملابس (ملوك ثان: ١٠: ٢٢) وكان هناك أيضاً خدم من طبقة أدنى مما ذكر .

وخلافاً للشريعة (تثنية: ١٧: ١٧) كان للملوك عدد هائل من الزوجات والسراري (المحظيات) (صمويل ثان: ٥: ١٣ ، ملوك أول: ١١: ٣ ، أيام ثان: ١١: ٢١) وهؤلاء السراري كن بعد موت

الملك يصبحن من ممتلكات من يخلفه (صمويل ثان: ١٢: ٨) .

(١) كانت لشاؤل حروب مع العمونيين في يابيش جلعاد وأظهر فيها براعته وشجاعته ، وكانت له غارة ضد الفلسطينيين في ضمّاش وأغار كذلك على مؤاب وعمون وأدوم وصويا ولو أنه لم يسجل فيها نتائج هامة ، كما كانت له غارة ضد العماليق في الصحراء الشمالية وآخر حروبه كانت مع الفلسطينيين حيث انهزم وانتحر .

ومحاولة إقناع الشعب بعدم جدوى هذا النظام الذي تشبثوا به ، وبلغ الصراع أشده حين توجه صمويل إلى داود ومسحه ملكاً على بني إسرائيل مما أزمى لهيب الصراع الداخلي بين شاول وبين داود وأتباعه وضاعت الحلقات على شاول حتى أصبح يتصرف دون وعي بعاقبة الأمور وأحكم شاول الدائرة على نفسه حين طاش صوله وأباد مدينة الكهنة نوب بما فيها ومن فيها فانصرف عنه الكثيرون حتى ابنه . . ونجحت السلطة الدينية في تشويه صورة النظام الملكي الذي تشبث به الشعب وفرضه فرضاً . .

ورغم أن المجتمع ظل مضطرباً حتى في عهد داود غير أن داود كان أحكم من شاول وعرف كيف يستفيد من أخطاء سلفه كما رأينا في الحديث عن ملوك بني إسرائيل ، إذ استطاع داود أن يكسب رضاء الجبهة الدينية في الدولة حين بدأ عهده بتجميع القبائل لاستعادة تابوت الرب وجعل شرف الريادة في هذا العمل للكهنة اللاويين ، كما استطاع استمالة بعض قبائل الشمال التي انشقت عليه بقيادة ايشبوشث بن شاول . .

وكانت لداود مناورات سياسية ناجحة مع الفلسطينيين إبان هربه من وجه شاول ونجح في تثبيت دعائم مملكته ، واستطاع توسيع حدودها وانتصر على أعدائه وجعل للمملكة مكانتها بين الممالك المجاورة ووطد صداقته مع حيرام ملك صور . . ولم يكن أمام داود أي عقبات سوى تلك التي تفجرت من داخل بيته حين ثار عليه ابنه أبشالوم ثورة عنيفة اضطرت داود إلى الهرب من وجه ابنه وكان ثمن إخماد هذه الثورة أن فقد ابنه الثائر .

ومن قلاقل قصره أيضاً ما حدث من عدوان أخلاقي من ابنه « أمنون » على ابنة داود « تamar » أخت أبشالوم مما جعل أبشالوم يحتال بعد ذلك في قتل أخيه المعتدي على شرف أخته^(١) . ومن قبل كل هذا ما رواه العهد القديم عن قصة

(١) صمويل ثان : ١٣ : ٣٣ ، ويقول O.Jessie Lace (The Cambridge Bible Comm.) إن معظم مصاعب داود في مملكته كانت بسبب الاحتكاك والغيرة التي نمت بين أبنائه غير الأشقاء ، وخصوصاً في نهاية حكمه عندما زادت - المضاربة وتدبير المؤامرات حول من يخلف داود في الحكم .

داود مع «بتشبع» زوج قائده أوريا الحثي^(١) .

واختتم داود ملكه بمحاولة ابنه الكبير «أدونيا» اغتصاب الملك وما يزال أبوه حياً ، ولكنه نجح في إبطال تتويج أدونيا ابنه بأن بعث بصادوق الكاهن لتتويج سليمان ملكاً على يهوذا^(٢) .

وقد دخل النظام الملكي في عهد سليمان مرحلة جديدة اتسع فيها نفوذه وسلطته أكثر مما كان في عهد داود وبدأت السلطة الملكية تبرز لتحتوي السلطة الدينية وتجعلها إدارة من إدارات المملكة وقد أحست السلطة الكهنوتية بما هي مقبلة عليه من اضمحلال فبدأت تزج بنفسها في التيار السياسي حين خرج الكاهن أياثار مناصراً أدونيا بن داود في محاولة اعتلاء عرش يهوذا ، ثم كان ما حدث من صراع وانقسام في هذه السلطة عندما تدخل صادوق الكاهن في محاولة نقل السلطة الملكية من أدونيا إلى سليمان بخطة رسمها صادوق مع أم سليمان ونائنان النبي في محاولة إقناع داود بتنصيب سليمان ملكاً على يهوذا ونجحت الخطة وتمت هزيمة أدونيا وأنصاره^(٣) .

وما أن اعتلى سليمان عرش يهوذا حتى بدأ عملية تطهير شاملة في جهاز الحكم فأمر بقتل أخيه أدونيا^(٤) وقتل قائد الجيش يوآب بن صروية^(٥) وخلع «أياثار» الكاهن من وظيفته وهدده بالقتل وعين صادوقاً كاهناً أعظم^(٦) ، وعين «بناياهو بن يهوياح» قائداً للجيش بعد أن تخلص من «يوآب»^(٧) .

وبهذا العمل أصبحت وظيفة الكاهن خاضعة للسلطة الملكية التي أمسكت بدفة الأمور في المجتمع العبري ..

(١) صمويل ثان : ١١ : ٢ - ٦٦ ، ١٢ : ١ - ١٥ .

(٢) ملوك أول : ١ : ١ - ٧ .

(٣) ملوك أول : ١ : ١٠ - ٢١ ، ٢٦ ، ٣٢ - ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٩ .

(٤) ملوك أول : ٢ : ٢٢ - ٢٥ .

(٥) ملوك أول : ٢ : ٣٤ .

(٦) ملوك أول : ٢ : ٢٧ .

(٧) ملوك أول : ٢ : ٣٥ .

بعد أن تخلص سليمان من الجهاز الإداري الذي كان يناصر أخاه أدونيا ،
وكون جهازاً جديداً مالياً له عسكرياً ودينياً واجتماعياً واستتب له الأمر في المملكة
بدأ يحقق ما كان يريد من تطوير في المجتمع وكرس جهده وماله في بناء المعبد
الذي عهد به إليه أبوه داود ، وكان هذا المشروع الضخم من أهم انجازاته .

وكان طموح سليمان إلى تكوين مملكة على مستوى الممالك المتحضرة من
حوله آنذاك من الأسباب التي جعلت عهده يتسم بالسلام وعقد صداقات بينه وبين
الأمم المجاورة وتدعيم هذه الروابط عن طريق التجارة أو الصناعة أو عن طريق
المصاهرة على نحو ما رأينا في الحديث عن الملكية العبرية .

وكانت السياسة التي سارت عليها المملكة في عهد سليمان كما يصورها
العهد القديم سبباً في الكثير من النتائج السيئة في المجتمع العبري . .

فإن اتساع السلطة الملكية وازدياد نفوذها في عهد سليمان أدى إلى
اضطراب ديني واقتصادي واجتماعي . . فمن الناحية الدينية انتشرت في يهوذا
معابد الوثنية إرضاء لزوجاته الأجنبية كذلك كان النظام الاقتصادي للقصر
الملكي مخالفاً للدستور الملكي الذي نادى به الشريعة ، فالبدخ في نفقات
القصر ، وامتلاك الخيول الكثيرة والذهب والفضة ، واتخاذ الكثير من الزوجات
كل هذا يتنافى مع ما ورد في الشريعة من واجبات الملك^(١) .

كما أن كثرة النفقات التي يستلزمها القصر الملكي^(٢) مع نفقات مشروع بناء
الهيكل اضطرت الملك إلى فرض ضرائب باهظة أثقلت كاهل الشعب إلى جانب
نظام التسخير^(٣) في بناء المعبد .

ومما زاد من تدمير الشعب وانبعاث النعرات القبلية القديمة أنه حين قسم
المملكة تقسيماً إدارياً يتكون من اثني عشر قسماً بعدد الأسباط ، وجعل على كل

(١) تثنية : ١٧ : ١٤ - ٢٠ .

(٢) ملوك أول : ٤ : ٢٣ - ٢٦ .

(٣) ملوك أول : ٥ : ١٣ - ١٨ ، ٧ : ١ - ١٢ ، ٦ : ١٤ - ٣٨ .

قسم والياً يقوم بجمع الضرائب منه^(١) كان القسم الذي منه سليمان معفي من
الضرائب التي تعاني منها بقية الأقسام .

كل ذلك كان له أثره في تفكك الكيان اليهودي وانقسام المملكة بعد موت
سليمان وانشقاق عشرة من الأسباط في شكل مملكة مستقلة في الشمال يحكمها
ملوك من غير بيت داود ومملكة أخرى في الجنوب يحكمها آل داود . . وبدأ
الضعف والفساد والانحراف يدب في أوصال المملكتين حتى زالتا من الوجود . .
ويصف العلامة « مند نهل »^(٢) مملكة داود وسليمان بقوله : « إن امبراطورية داود
وسليمان لم تكن سوى دولة وثنية على نمط الدول الوثنية في الشرق الأدنى ، وقد
انتهت بالفوضى السياسية والدمار لأنها كانت مثل سائر الدول الوثنية القديمة ، أكثر
اهتماماً بالقوة والمجد ، من التصرف بشكل يستجيب لرفاهية المواطنين أو الدول
المجاورة . لقد كان هذا نبذاً تاماً لرسالة موسى النبوية ، فقاوسوا ما كان لذلك من
عواقب » .

وظلت السلطة العليا للملك حتى بعد انقسام المملكة الموحدة لإسرائيل في
الشمال ويهوذا في الجنوب غير أن مملكة الجنوب كانت الظروف تسمح فيها أحياناً
للسلطة الدينية المتمثلة في الكاهن بأن تبرز ويكون لها دور في توجيه السياسة وإن
كان هذا الدور غير مباشر وإنما هو يتم من خلال السلطة الملكية وبخاصة عندما

(١) من مصادر الدخل الحكومي في المملكة :

١- تبرعات من الشعب القادر : صمويل أول : ١٠: ٢٧ ، ١٦: ٢٠ ، وتبرعات من الزوار الغريباء ،

ملوك أول : ١٠: ١٠ ، ٢٥ ، أيام ثان : ٣٢: ٣٢ .

٢- الضرائب التي تجبى من الشعب بنظام ، ملوك أول : ٤: ٧ ، صمويل أول ١٧: ٢٥ .

٣- هدايا تقدمها الشعوب التابعة (المحكومة) ، صمويل ثان : ٨: ٢ ، ملوك ثان : ٣: ٤ ،

أشعيا : ١: ١٦ .

٤- غنائم الحرب ، صمويل ثان : ٨: ١١ ، ١٢: ٣٠ .

٥- محصول الأملاك الحكومية مثل الحقول والكروم والمراعي ، أيام أول : ٢٧: ٢٥ ، أيام ثان :

١٠: ٢٦ .

٦- أرباح تجارية وغيرها ، ملوك أول : ١٠: ١١ ، ١٤ ، ٢٢ .

(٢) د. أحمد سوسة ، « العرب واليهود في التاريخ » ص ٣٠١ .

يكون الملك صغير السن نشأ في رعاية الكاهن وتعاليمه^(١) . أما مملكة الشمال فلم يكن للسلطة الدينية فيها أثر .

وتتضح صورة السلطة الملكية في المملكة المنقسمة ونتائجها من خلال النظر إلى الحالة السياسية والحالة الدينية في مجتمع كل من المملكتين .



(١) كالذي حدث من أمر يوأش مع يهوئاداع الكاهن .

١ - الحالة السياسية

أ - نظام اعتلاء الحكم :

كان النظام الذي اتبع في يهوذا كما عرفنا من قبل هو النظام الوراثي منذ موت سليمان واستقلال ابنه « رجبام » بحكم القسم الجنوبي من المملكة المنقسمة . . فقد كان فشل السياسي بالغاً بعد موت أبيه مما أدى إلى انقسام المملكة وضياع عشرة أسباط من حكم أسرة داود . . وبالرغم مما أصاب شطري المملكة من قلاقل واضطراب فإن الأمر في الجنوب كان أكثر استقراراً منه في الشمال . ومن أهم مظاهر هذا الاستقرار السياسي النسبي هو امتداد الحكم في أسرة داود حتى السبي البابلي سنة ٥٨٦ ق.م باستثناء فترة حكم « عثليا » الوجيزة .

ومن الواضح أن شعب يهوذا كان صادق الولاء لأسرة داود الحاكمة فلم يرد في تاريخ مملكة يهوذا أن حاول أحد اغتصاب الحكم منها رغم انحراف أكثر من ملك من بيت داود .

وعلى النقيض كان الأمر في الشمال إذ انعدم الولاء لحكامهم حتى يربعام بن نباط مؤسس المملكة الشمالية لم يكن التفاهم حوله إلا نتيجة خيبة أملهم في رجبام بن سليمان ، لذا وجدنا أكثر من بيت يتعاقب على حكم إسرائيل ، وكانت أطول الأسر بقاء في حكم إسرائيل هي أسرة ياهو بن نمش الذي مسحه إيليا التشبي ملكاً على إسرائيل والذي أنهى حكم أسرة آخاب الفاسد وظلت أسرة ياهو تحكم إسرائيل ما يربو على القرن ٨٨٤ - ٧٧٢ ق.م بدأت بياهو وانتهت بحفيده زكريا بن يربعام بن يوأش بن يواخاز بن ياهو . وكان نصف هذه المدة

تقريباً من نصيب يربعام بن يوأش ٨٢٥ - ٧٧٣ ق.م (١) فكان أطول ملوك أسرته بقاء في الحكم بل أطول ملوك إسرائيل جميعاً بقاء في الحكم فمنهم من لم يدم حكمه أكثر من شهور أو أيام أو ساعات مثل : « تبنى » الذي لم يكتمل له يوم واحد في الحكم ، و « زمري » الذي قضى على أسرة بعشا واغتصب الحكم منها لم يعمّر أكثر من أسبوع على عرش المملكة حتى مات منتحراً عندما وجد نفسه محاصراً بثورة شعبية عارمة فلجأ إلى إحراق بيت الملك الذي كان معتصماً به .

و « شلوم بن يابيش » وهو الملك السادس عشر على إسرائيل لم يقض في الحكم أكثر من شهر . كذلك « زكريا بن يربعام » آخر ملوك بيت ياهو لم يستمر حكمه سوى ستة شهور .

ومن هذا نستطيع أن ندرك شيئاً من الاضطراب السياسي الذي كان يسود مملكة إسرائيل الشمالية ذلك الاضطراب الذي كان أحياناً كثيرة يصل إلى حد الهمجية ، فلم يكن الملك الجديد الثائر يكتفي باغتصاب الحكم من سابقه بل كثيراً ما كان يلجأ إلى قتل الملك القائم ثم إنزال نفس المصير بجميع أهل بيته كما فعل بعشا بأسرة يربعام ، وزمري بأسرة بعشا وياهو بن نمشى بأسرة آخاب .

ومن مظاهر هذه السياسة المضطربة في إسرائيل أن قرابة نصف ملوكها ماتوا قتلى وضحايا للثائرين عليهم من أجل اغتصاب الحكم ومنهم « ناداب بن يربعام » وأيلا بن بعشا ، و « يورام بن أخزيا » و « زكريا بن يربعام » و « شلوم بن بابيش » و « فقحيا بن مناحم » و « فقح بن رمليا » . وقد اعتلى عرش إسرائيل عشرون ملكاً في مدة لا تتجاوز القرنين والنصف في حساب الزمن .

(١) هذا التقسيم هو تقسيم « دي لابورت » ولكن الكتاب المقدس يذكر أن يربعام بن يوأش ظل يحكم إسرائيل مدة إحدى وأربعين سنة فقط «ملوك ثان: ١٤: ٢٣ وليم بلايكي في : The Manual Bible History ص ٢٠٨ . كذلك يذهب « روبرتسون نيكول » في « The Expositor's Bible » ج ٢ ، ص ٤٦٣ إلا أنه يختلف في فترة حكمه فيرى أنها ٧٨١ - ٧٤٠ ق.م أما أونجر Unger's Bible Dictionary ص ٦٣٢ الذي يحدد مدة حكم يربعام الثاني ٧٨٧ - ٧٤٧ ق.م فإنه يقول : « إن عملية تنسيق المعاصرة بين مدد حكم ملوك يهوذا وملوك إسرائيل ، أصبحت مشكلة صعبة جداً تختبر فيها عبقرية الباحثين منذ سنوات عديدة .

وأما مملكة يهوذا فبالرغم من أنها لم تكن بمنأى عن الاضطراب إلا أنها كانت أكثر استقراراً من مملكة إسرائيل في الحكم ، ومن أهم مظاهر هذا الاستقرار النسبي استمرار الحكم في أسرة واحدة هي أسرة داود ، كما أن عدد ملوك يهوذا يتساوى مع عدد ملوك إسرائيل رغم استمرار الأولى في الحكم ضعف مدة استمرار الثانية تقريباً . . وأكثر من ملك في يهوذا تجاوزت مدة حكمه نصف القرن مثل « منسي » مثلاً : ٦٩٨ - ٤٦٣ ق.م و « عزيا » ٨١٠ - ٧٥٨ ق.م . كما استمر حكم آساما يزيد على الأربعين سنة (٩٥٥ - ٩١٤) وكذلك يوأش (٨٧٨ - ٨٣٩ ق.م) .

كما أن القتلى من ملوك يهوذا لا يتعدى عددهم أربعة ملوك ولم يقتلهم أحد من الشعب نائراً أو مغتصباً للحكم كما كان الحال في إسرائيل بل كان قتلهم نتيجة تأمر خارجي كثيراً ما نفذه ماجورون من عبيد القصر . .

وكان أول ملوك يهوذا القتلى « أخزيا بن يورام » الذي قتله « ياهوبن نمشى » في ثورته على حكم أسرة آخاب وتخلص ياهو من « يهورام » ملك إسرائيل ثم قتل « أخزيا »^(١) ملك يهوذا وتعقب إخوة أخزيا حتى قتلهم^(٢) . وبذلك تم له التخلص من أسرة آخاب في الشمال ومن نسل أولاد عثليا بنت آخاب كذلك . وثاني ملوك يهوذا القتلى هو « يوأش بن أخزيا » الذي قتله عبدان له^(٣) لا مطمع لهما في حكم أو جاه مما يبين أنهما ماجوران ليد أجنبية . . أما الملك الثالث القتيل فهو « أمصيا بن يوأش » وهو الوحيد الذي ثار عليه شعبه في اورشليم فهرب ولحقوا به وقتلوه في لاختيش^(٤) وربما لم تخل الثورة من عناصر أجنبية أزكتها فثارت ضده الفتنة كما يذكر العهد القديم .

ورابع الملوك القتلى في يهوذا هو « آمون بن منسي » وكان قتله على أيدي

-
- (١) ملوك ثان : ٢٤:٩ - ٢٧ .
(٢) ملوك ثان : ١٣:١٠ .
(٣) ملوك ثان : ٢٠:١٢ - ٢١ .
(٤) ملوك ثان : ١٩:١٤ .

عبيده^(١) الذين فتك بهم شعب يهوذا وملكوا ابنه « يوشيا » من بعده . . وهكذا كان ولاء شعب يهوذا لبيت داود ، يفتك الشعب بمن يعتدي على أحد من بيت داود الحاكم حتى ولو كان المعتدي وثيق الصلة « بيت داود مثل عثليا أم الملك أخزيا » فقد فتك بها الشعب بأمر يهوياذاع الكاهن لأنها ليست من نسل داود وكانت مغتصبة للحكم بعد مذبحه رهية كادت تقضي بها على النسل الملكي فقتلها شعب يهوذا وأعاد الحكم إلى بيت داود الذي استمر فيه حتى السبي البابلي سنة ٥٨٦ ق.م وأسر آخر ملوكهم « صدقياهو » . .

ب - علاقة كل من النظامين الشمالي والجنوبي بالآخر :

كان من الممكن أن تظل المملكة الموحدة دون انقسام لو أن صاحب السلطة الملكية « رحبعام » بعد موت أبيه سليمان ، أحسن التصرف واتبع الحكومة والتعقل وبعد النظر في سياسة القبائل الشمالية حين أقبلت عليه آملة في تخفيف ما أنقل به أبوه عليهم ، فكان رده قاطعاً لكل أمل لديهم فاندلعت نيران الثورة التي كانت غافية إبان حكم سليمان . وتم انفصال الأسباط العشرة في مملكة مستقلة في الشمالي يحكمها « يربعام » القائد الهارب من وجه سليمان وصنيعة فرعون مصر من أجل تفتيت مملكة سليمان وعاد رحبعام إلى يهوذا غضبان أسفاً بعد أن كادت قبائل الشمال تفتك به ورجموا قائده المكلف بجمع الضرائب منهم حتى أماتوه^(٢) .

وبدأ منذ ذلك الحين صراع بين السلطتين الملكيتين في الجنوب والشمال وتواصل الصراع بعد موت « رحبعام » بين ابنه « آبيا »^(٣) وبين « يربعام » وانهمز يربعام أمام « آبيا » . ويتضح من خلال الخطبة الحماسية التي ألقاها « آبيا » على يربعام وجيشه^(٤) مدى تمسك « آبيا » بالرب وبالعقيدة ، ومدى ابتعاد يربعام

(١) ملوك ثان : ٢١ : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) W.G.Blaikie (Annual History of Bible) P.102.

(٣) ملوك أول : ٦ : ١٥ .

(٤) أيام ثان : ١٣ : ٢٠ ، ملوك أول : ١٥ : ٣٢ .

وإسرائيل عن الرب . . وانتهت الحرب بينهما بأن تمكن « آبيا » من إبادة معظم جيش يربعام ، واستولى على بيت ايل ، ويشانة ، وعقرون ، وكل القرى التابعة لها .

ولم تنته الجفوة بين المملكتين بموت « يربعام » و « آبيا » ولكن النزاع استيقظ بين خليفتهما « آسا » ملك يهوذا و « بعشا » ملك إسرائيل الذي بنى الرامة ليحكم بها الحصار على « آسا » ولما رأى « آسا » أن موقفه ضعيف يتهدهد الخطر استعان على « بعشا » « بينهدد » ملك آرام بعد أن دفع إليه فضة وذهباً من بيت الرب وبيت الملك ، حتى انتصر « آسا » وبني أهل يهوذا « جبع » و « المصفاة » من أنقاض الرامة التي كان بعشا يبنها لمضايقة « آسا »^(١) .

وفي الحقيقة ظل الصراع بين النظامين الملكييين قائماً حتى نهاية إسرائيل ، من خلال الصراعات المتصلة كان يحدث بعض التقارب بين المملكتين فيتهدان الطرفان فترة معينة حتى تسترد الأنفاس ويندلع القتال وكانت إذا شعرت إحدى المملكتين بالضعف أمام الأخرى استعانت بالقوى الأجنبية بعد دفع الثمن كما حدث من استعانة « آسا » بملك « آرام » كما رأينا ، وكما استعان « قحح بن رمليا » في الشمال برصين ملك دمشق ضد « آحاز » ملك يهوذا .

ومن الملاحظ أن يهوذا كانت هي البادئة دائماً بالتقارب أو بالتنافر . . فعهد التقارب بدأه « يهوشافاط » بن آسا (٩٥٥ - ٩١٤ ق.م حين صاهر أسرة آخاب واتخذ عثليا زوجة لابنه « يورام » .

وكان استئناف التنافر والقتال بينهما على يدي ملك يهوذا « أمصيا » الذي استنفر « يوأش »^(٢) ملك إسرائيل واشتبك الجيشان وكانت الدائرة على « أمصيا »

(١) أيام ثان : ١:١٦ - ٦ .

(٢) يوأش بن يوأحاز بن ياهو بن نمش . . وقد حاول يوأش تهدئة غضب أمصيا والإبقاء على السلام بين الجارتين مذكراً لإياه بما بينهما من روابط . . ولكن أمصيا حفيد عثليا بنت آخاب صمم على محاربة يوأش حفيد ياهو بن نمش قاهر أسرة آخاب وقتل أبناء عثليا بنت آخاب . . وكان النصر في النهاية ليوأش . . ويبدو في الحقيقة أن أفضل بيت حكم إسرائيل في الشمال هو بيت ياهو بن نمش صاحب أكبر إصلاح ديني واجتماعي في إسرائيل منذ إنشائها حتى زوالها .

فهدم « يوأش » سور أورشليم ، ونهب بيت الرب وبيت الملك وأخذ الرهائن وعاد غانماً إلى السامرة^(١) .

وحدث في عهد آحاز بن يوثام ملك يهوذا عدوان آخر من إسرائيل على يهوذا فسبى الإسرائيليون من بني يهوذا أعداداً ضخمة من البنين والبنات والنساء ، ونهبوا أيضاً غنيمة وافرة عادوا بها إلى السامرة^(٢) . .

وبقراءة تاريخ المملكة المنقسمة نلاحظ أن « يهوشافاط » رابع ملوك يهوذا أدرك بأفق واسع أن الأمور التي تسير فيها سياسة المملكة منذ جديه رحبعام وآبيا حتى أبيه آسا لم تكن سياسة تضمن ازدهار المملكة . . أو حتى بقاءها ، فالحرب بين يهوذا وجارتها إسرائيل وبين يهوذا والأمم المجاورة كانت تستنزف جميع القوى في المملكة ، فضلاً عن زعزعة الجانب الديني والخلقي بين الشعب .

لذا حاول يهوشافاط أن يقتدي بجده سليمان في تحقيق السلام قدر ما يستطيع حتى يتمكن من البناء والازدهار في الداخل ، فكون جيشاً قوياً ثم بدأ حركة تعليمية واسعة للشعب^(٣) في كل مدن يهوذا ، وكان لا بد له لكي يواصل البناء الداخلي والإصلاح من أن يكون آمناً من الأخطار الخارجية ، وحتى يوفر الجهد والمال اللازمين للبناء ، ولم يكتف بمهادنة إسرائيل في الشمال وحسب بل أراد أن يضم قوتها إلى قوته ويستفيد من تفوقها عليه حضارياً واقتصادياً ، فصاهر ملكها « آخاب » وزار السامرة فأكرمه آخاب إكراماً عظيماً^(٤) .

ويؤكد « يهوشافاط » لأخاب قوة الروابط بين الشعبين عندما استطلع آخاب رأى يهوشافاط في مؤازرته ضد الآراميين في راموت جلعاذ ، فرد عليه يهوشافاط

(١) ملوك ثان : ١٤ : ٨ - ١٦ ، أيام ثان : ٢٥ : ١٧ - ٢٤ .

(٢) أيام ثان : ٢٨ : ٨ ويلاحظ عند قراءة هذا الجزء من العهد القديم (٢٨ : ٨ - ١٤) نجد أن فترة تبلغ حوالي عشر سنين مرت على إسرائيل لم يكن لها ملك وذلك بعد أن تولى آحاز عرش يهوذا بوقت قليل حتى قبيل موته ويتضح ذلك من عدم ذكر اسم أي ملك لإسرائيل في هجومها على يهوذا . كذلك كان الخطاب موجهاً من « عوديد » النبي إلى رؤوس بني افرايم ، أيام ثان : ٢٨ : ١٢ ، ٩ ، ٨ ، وكذلك ملوك ثان : ١٦ : ١ ، ١٧ : ١ .

(٣) أيام ثان : ١٧ : ٧ - ٩ .

(٤) أيام ثان : ١٨ : ١ - ٢ وقد كانت المصاهرة كما يبدو بأن اتخذ يهوشافاط لابنه رام عثليا بنت آخاب زوجة كما ورد في أيام ثان ٢١ : ٦ .

قائلاً : « مثلي مثلك ، وشعبي شعبك ، ومعك في القتال »^(١) ثم دخلا المعركة التي قضى فيها على حياة « آخاب » وكاد يقضي على حياة « يهوشافاط » .

واستمر يهوشافاط في موالاته للشمال حتى بعد موت « آخاب » ، ورغم تعنيف ياهو بن حناني الرائي ليهوشافاط وتهديده له عقب عودته مهزوماً من معركة راموت جلعاد التي ناصر فيها آخاب إلا أن يهوشافاط واصل التعاون مع ابن آخاب « أخزيا » وصنعا سوياً « أسطولاً » في « عصيون جابر » لنقل التجارة إلى ترشيش^(٢) ولكن المشروع لم ينجح .

وتواصلت الصلات بين المملكتين في عهد يورام بن يهوشافاط الذي تزوج من عثليا بنت آخاب وأنجب منها أبناء « قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب الى المحلة »^(٣) ، ولم يبق من أبناء يهورام سوى أخزيا أصغرهم الذي تولى ملك يهوذا بعد موت أبيه .

واستمر أخزيا في علاقة الود والتعاون مع إسرائيل وأعاد ما صنعه جده يهوشافاط إذ اتحد أخزيا مع يهورام بن أخزيا ملك إسرائيل ضد حزائيل ملك الآراميين في نفس موقع المعركة السابقة « راموت جلعاد » ، وكانت نتيجة المعركة مثلماً حدث أيام آخاب ويهوشافاط ، إذ منيت إسرائيل بالهزيمة وأصيب ملك إسرائيل بجراح ظل يعالج منها حتى قضى عليه « ياهو بن نمش » وأباد كل بيت آخاب وعلى أخزيا ملك يهوذا وأخوته .

وانتهى عهد الوفاق بين المملكتين بزوال أسرة آخاب ولأسباب أخرى أهمها أن الرباط الوحيد الذي كان يربط المملكتين بقوة قد انقطع بعد قتل عثليا بنت آخاب فقد بدأ التقارب بين المملكتين بوجودها وانتهى بانتهائها ، كما أن الشعب لم يكن راضياً عن هذا التقارب ولا السلطة الدينية المستضعفة كذلك . . .

(١) أيام ثان : ٣ : ١٨ .

(٢) أيام ثان : ٣٥ : ٢٠ - ٣٦ .

(٣) أيام ثان : ١ : ٢٢ .

٢ - السلطة الملكية والحالة الدينية

بعد أن أشرنا إلى الحالة السياسية في الداخل وفي الخارج في ظل النظام الملكي المنقسم ، نشير إلى الوضع الديني في ظل السلطة الملكية آنذاك ، وبالنظرة الشاملة إلى الحالة الدينية عند العبريين القدماء نلاحظ أنها بدأت قوتها تضمحل بعد قيام الملكية وقد بلغ الفساد الديني في مملكة إسرائيل أشده في ظل بيت آخاب^(١) .

والعهد القديم لا يبريء حكم داود وسليمان من خلخلة في العقيدة وبخاصة عهد سليمان كما سبق ، ويقول بعض الباحثين^(٢) : « إنه لمن الواضح حتى في عهد داود أن مجموعة من الناس لم يكونوا صادقي الإيمان بالرب ودليل ذلك نجاح ثورة أبشالوم ، ثم يقول : « . . . ولكن الميل الصادق كان للوثنية ومما قوي هذا الانعطاف إلى الوثنية هو الاختلاط بالأمم الغربية الذي تمسك به سليمان ، وأن الوثنية في عهد سليمان قد ضربت بجذورها بعيداً في الأعماق إلى درجة أن كل غيرة الملوك المصلحين الذين جاءوا من بعده قد فشلت في استئصال شأفة الوثنية .

(١) أنظر : William Blaikio, Amanual History of Bible, P.208.

حيث يقسم تاريخ المملكة الشمالية إلى أربع فترات مع ذكر حالة الوثنية وشكلها في كل فترة : ١ - الفترة الأولى وأشهر ملوكها يربعام بن نباط وفي هذه الفترة رسخت الوثنية وتأصلت . ٢ - الفترة الثانية وأشهر ملوكها آخاب بن عمري وفي هذه الفترة ازدهرت الوثنية تماماً . ٣ - الفترة الثالثة وأشهر ملوكها ياهوربن نمشى وفي هذه الفترة توقفت (تعطلت) الوثنية قليلاً بتأثير الأنبياء . ٤ - الفترة الرابعة وأشهر ملوكها يربعام الثاني وفي هذه الفترة أعطت الوثنية ثمارها الطبيعية وذلك بالخراب المطلق للمملكة .

(٢) نفس المرجع السابق : ص ٢٠٢ .

فالسطة الاجتماعية قبل الملكية كان النفوذ الأعلى فيها للدين وبعد استقرار النظام الملكي بدأ هذا النفوذ في التحول تدريجياً الى سلطة الملك وأصبح الملك قمة السلطات في المجتمع تخضع له كل الهيئات العسكرية والدينية في المجتمع وأصبح في مقدور الملك أن يخلع من يشاء ويعين من يشاء في القيادات العسكرية بل وفي القيادات الدينية كما فعل سليمان في بداية توليه الحكم .

ويرى موسكاتي^(١) وكذلك هـ.ل. اليسون^(٢) أن داود وسليمان قد أدركا القوة المركزية الدينية وسلطة الكاهن الأعظم فاتبعوا السياسة التي يتبعها الملوك والأباطرة دائماً في مثل هذه الأحوال ، وذلك بأن بسطوا حمايتهما على الدين ، وألحقوا الكاهن الأعظم ببلاطهما وجاهدا ليجملا الهيئة الدينية إدارة من إدارات الدولة .

ولكن المملكة الجنوبية كانت تحافظ إلى حد ما على المظهر الديني فيها خصوصاً وأن في عاصمتها أورشليم بيت الرب الذي بناه سليمان ، وفيه تابوت الرب ، قبله لديانة بني إسرائيل ، وكما أن سليمان اهتم اهتماماً كبيراً بإنشاء الهيكل وبحفلات تدشينه فإنه باسم الملك أيضاً تم الارتداد عن يهوه . وقد وجدنا كثيراً من الباحثين يشيرون إلى رسوخ الوثنية منذ عهد سليمان ودليل ذلك أنها بقيت في يهوذا حتى زوالها على أيدي البابليين ، وكثيراً ما يشير العهد القديم الى محاولات جادة لإزالة الوثنية من يهوذا من جانب بعض الملوك الصالحين^(٣) ولكنها

(١) سباتينو موسكاتي : تاريخ الحضارات السامية القديمة ، ترجمة وتعليق الدكتور السيد يعقوب بكر ، ص ١٤٢ .

(٢) هـ.ل. اليسون : تفسير الكتاب المقدس ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٣) فقد ورد عن « آسا » ثالث ملوك يهوذا في أيام ثان : ١٤ : ٢ - ٥ أنه نزع المذابح الغربية المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري ونصح الشعب أن يطلبوا الرب إله آبائهم وأن يعملوا حسب الشريعة والوصية ونزع من كل مدن يهوذا المرتفعات وتماثيل الشمس . . . وكذلك جاء عن يوشافاط بن آسا : أيام ثان : ٢٠ : ٣٢ - ٣٣ أنه سار في طريق أبيه آسا . . . إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لم يعدوا بعد قلوبهم لإله آبائهم . وفي عهد « يوآش بن أئزيا » ترك الشعب بيت الرب إله آبائهم وعبدوا السواري والأصنام فكان غضب الرب على يهوذا وأورشليم ، أيام ثان : ٢٤ ، ١٧ ، ١٨ .

كانت تعود فتزدهر لأن جذورها ثابتة في أرض يهوذا . وإذا كان العهد القديم قد نص على انتشار ورسوخ العبادات الوثنية في عهد سليمان فإنه لم يذكر قط أن سليمان نفسه انصرف عن عبادة إله إسرائيل إلى عبادة غريبة^(١) على عكس ابنه رجبعام الذي لم يكده يكمل عامه الخامس في حكم يهوذا ويستتب له الأمر حتى « يترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه »^(٢) .

ثم سجد أمصيا بن يوآش لآلهة بني ساعير التي جاء بها معه بعد عودته من حرب الأدوميين وأقامها وأوقد لها^(٣) ، كذلك صنع « آحاز » تماثيل مسبوكة للتعليم التي كان الشعب قد حطمها بعد قتله عثليا بنت آخاب^(٤) وقتلوا متان كاهن البعل أمام المذبح . وتمادى آحاز في وثنيته فأوقد في وادي هنوم وعبر بنيه في النار وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء وجمع كل آنية بيت الرب وقطعها وأغلق أبواب الهيكل وعمل لنفسه مذابح في كل زاوية في أورشليم وفي كل مدينة من يهوذا عمل مرتفعات للإيقاد للآلهة الغريبة^(٥) واستورد من دمشق حين زارها نظاماً جديداً للمذبح في بيت الرب ولم يتمهل حتى يعود لينفذ المشروع بل أرسل إلى أورياً الكاهن بأن يجعل المذبح في بيت الرب مثل مذبح دمشق وبعد عودته من دمشق أجرى تعديلات كثيرة في بيت الرب إرضاء لتغلات فلاسر ملك آشور^(٦) .

وما يكاد حزقيا يصلح ما أفسده أبوه آحاز ويعيد للدين هيئته تحت إشراف إشعيا النبي ويقضي على كل مظاهر الوثنية التي خلفها آحاز حتى يأتي منسى بن

(١) ويذكر هـ.ل. ألبون : تفسير الكتاب المقدس ، ج ٢ ص ١٩٥ أن سليمان لأسباب سياسية وجد نفسه مضطراً للسماح للعبادات التي تمثلها هذه الزوجات والتسهيل لها ، وقد بدأت هذه العبادات أول الأمر مقصورة على داخل القصر الملكي ، لكن كلما زاد عدد الزوجات الوثنيات كلما سمح لتلك العبادات بالتحول إلى عبادات شعبية .

(٢) أيام ثان : ١ : ١٢ .

(٣) أيام ثان : ١٢ : ٢٥ .

(٤) أيام ثان : ١٧ : ٢٣ .

(٥) أيام ثان : ٢ : ٢٨ - ٤ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٦) أيام ثان : ١٠ : ١٦ - ١٨ .

حزقيا فنتكس الحالة الدينية ويعاودها الداء الذي أصابها به آحاز بل أشد وزاد على آحاز العيافة والتفاؤل والسحر واستخدام الجان فأصل يهوذا وسكان أورشليم^(١) .

وحدث رد فعل لكل هذا الانحراف الديني في عهد الملك يوشياهو حفيد منس فقد عاد يوشياهو إلى وحدانية متشددة في تثبيت الطقوس^(٢) ، وفي عهده عثر على سفر الشريعة وقام « حلقياهو » الكاهن بتسليم سفر الشريعة الذي قال إنه عثر عليه في أثناء ترميم المعبد إلى شافان الكاتب ليقراه على الملك والشعب^(٣) ، ويبدأ يوشيا بهذا الاكتشاف عهداً جديداً يتسم بالصلاح والورع .

أما عن الحالة الدينية في عهد ملوك المملكة الشمالية فإن ظروف إنشاء المملكة أوجبت على مؤسسها يربعام بن نباط أن يقيمها على الوثنية منذ نشأتها وإلا لما كان يضمن استمرار الولاء الشعبي لذلك سور المملكة بالوثنية حين جعل عجلين من الذهب أحدهما في أقصى جنوب المملكة في بيت ايل على حدود يهوذا والثاني في أقصى الشمال في « دان » وأمر الشعب بأن يحج إليهما عوضاً عن بيت الرب في أورشليم وجعل موعد الحج بعد الفصح بشهر ، وكان يخشى أن يعاود الشعب الحنين إلى حكم أسرة داود إذا ما توجهوا بالحج إلى بيت الرب في أورشليم وفي هذا يقول وليم بلايكي^(٤) « إنه لمن الصعب أن نقول أيهما أعظم في هذه الخطوة أهي البراعة أم الالحاد » .

واهتم يربعام بتحسين شكيم العاصمة الأولى لإسرائيل الشمالية وكان من الممكن أن تعلمه هذه الأماكن أن السواتر والأبراج ليست إلا سبلاً ضعيفة للدفاع إذا قورنت بوجود الرب وخشيته وأنعمه ، ولكنه لم يعر أي اهتمام لدرس من هذا النوع^(٥) ومكن للوثنية في إسرائيل ، وأحسن غرس بذورها وتعهدها هو ومن جاء

(١) أيام ثان : ٢:٣٣ - ٩ .

(٢) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٦ .

(٣) ملوك ثان : ٨:٢٢ .

(٤) William Blaikie: Amanual History of Bible, P.207.

(٥) نفس المرجع السابق : ص ٢٠٧ .

بعده حتى آتت أكلها الحتمية بدمار المملكة وتشريد أهلها إلى الأبد سنة ٧٢٢ ق.م .

وكانت أسرة آخاب أو بيت عمر من أكثر حكام إسرائيل تعهداً للوثنية والفساد الديني والخلقي ومحاربة لكل من يحاول الإصلاح والاستقامة وتمثل ذلك في اضطهاد أنبياء الرب والقضاء على الكثير منهم على يدي ايزابل الوثنية زوجة آخاب وكانت فينيقية متعصبة للبعل إله صور .

ولم يشذ أحد من ملوك إسرائيل في تعهده للوثنية وإخلاصه لها سوى ياهو بن نمش محطم أسرة آخاب بوثنيتها وآلهتها وكهنتها ، ذلك لأن ياهو كما عرفنا من قبل الملك الوحيد في إسرائيل الذي مسح الرب بيد النبي ايليا الذي استخلف النبي اليسع ليكمل الرسالة من بعده في إسرائيل .

ورغم أن مملكة إسرائيل كانت أكثر تقدماً وغنى وازدهاراً من دولة الجنوب يهوذا إلا أن يهوذا كانت أقل انحرافاً وفساداً لأنها أقل احتكاكاً بالأمم الغريبة التي كانت موجودة دائماً في مجتمع مملكة إسرائيل الشمالية بحكم التجارة والثروة .

ويمكننا أن نلاحظ مدى ما كانت إسرائيل تتردى فيه من انحراف ديني واجتماعي من خلال صيحات الأنبياء ضدها مثل عاموس وإشعيا واليسع وهوشع وغيرهم . . . فقد ضاعت فيها حقوق الناس وحياتهم كما حدث مع نايوت اليزرعيلي^(١) في عهد آخاب وإيزابيل .

كما انتشر بين طبقات الشعب الدنيا الجوع والقحط والفقير المدقع الذي أدى إلى أن يأكل الناس أطفالهم^(٢) ، وانتشار الفجور كالزنا والربا^(٣) وكما يقول جوستاف لوبون^(٤) عنها بأنها كانت مسرحاً لأفزع الفجائع بما كان يقع فيها من اغتصاب ومذابح ، واستعانة بالأجنبي ، مما أثار ازدراء الأمم المجاورة دوماً ، فلم

(١) ملوك أول : ١:٢١ - ١٣ .

(٢) ملوك ثان : ٢٤:٦ ، ٢٨ ، ١:٧ - ٤ .

(٣) ملوك ثان : ١:٤ - ٣ ، ٢٢:٩ .

(٤) جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٤٠ .

تنفك هذه الأمم تطالب بإبادة بؤرة الفوضى والتمرد تلك .

تلك هي آثار السلطة الملكية في مملكة بني إسرائيل الموحدة ومملكتها بعد الانقسام حتى الزوال ، تناولنا فيها الجانب السياسي في الداخل وكذلك الحالة الدينية ونتحدث في الجزء الآتي بعد ذلك عن العنصر الثالث من عناصر السلطة الاجتماعية عند العبريين وهو السلطة النبوية أو سلطة النبي المعارضة في مملكة بني إسرائيل .



الفصل الثالث النبي

حظيت ظاهرة النبوة عند بني إسرائيل بالكثير من جهود الباحثين وشرح العهد القديم والمتصدين لدراسة الديانة اليهودية ، ذلك لأن النبوة في بني إسرائيل كانت قاسماً مشتركاً في شتى مناحي حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، ذلك رغم اختلاف دور النبوة ومفهومها من فترة إلى أخرى منذ خروجهم الأول من مصر تحت قيادة موسى حتى ذوبان كيانهم في مجتمعات الإمبراطوريات التي هدمت بناءهم السياسي وشتمهم بين أسر وقتل وضياح جزاء ما كانوا يقترفون من أعمال جلبت عليهم كل ما حل بهم .

وللحديث عن ظاهرة النبوة والأنبياء في بني إسرائيل لا بد من الإشارة إلى دلالة لفظ « النبي » ودور النبوة في مجتمعهم وأثر الأنبياء في حياة بني إسرائيل .

أصل النبوة وتطور دلالتها :

يذهب Cornill^(١) إلى أن بلاد العرب كانت التربة الأصلية لكلمة « نبي » أو « نبوة » ويرى في تعضيد ما ذهب إليه أن أصل صيغة الفعل التي تناسب كلمة « نبي » لم توجد في اللغة العبرية القديمة . كذلك يرى العقاد^(٢) أن كلمة النبي عربية لفظاً ومعنى ، فمن حيث اللفظ لأن مادة « النبأ » و « النبوءة » أصيلة في اللغة ، ومن حيث المعنى لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعها كلمة واحدة في

١) Cornill. Encyc. Religion and Ethics, (Prophecy. Vol. 10.

(١)

٢) عباس محمود العقاد « إبراهيم أبو الأنبياء » ص ١٥٩ .

(٢)

اللغات الأخرى ، فهي تجمع معاني الكشف والوحي والإنباء بالغيب والإنذار والتبشير ، وهي معان متفرقة تؤديها اللغات الحديثة بكلمات متعددة ، فالكشف مثلاً تؤديه في اللغة الانجليزية كلمة Revelation ، والوحي تؤديه كلمة Inspiration واستطلاع الغيب تؤديه كلمة Oracle أو Divination ، ولا تجتمع كلها في معنى النبوة كما تجتمع في هذه الكلمة باللغة العربية .

كما أن كلمة النبوة في اللغة العربية أصيلة ، وغير مستعارة من معنى آخر ، لأن اللغة العربية غنية جداً بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما إليها من الكلمات التي لا تلتبس في اللسان العربي بمعنى النبوة كما تلتبس في الألسنة الأخرى عند أصل التسمية واشتقاق المعاني الجديدة من الألفاظ القديمة .

وعلى هذا يرى العقاد أن العبريين استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد اتصالهم بها لأن العبريين كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالأباء ، وكانوا يسمون المطلع على الغيب بعد ذلك باسم « الرائي » ، ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار .

ومما يؤيد استعارة العبريين للكلمة من العرب أن التوراة قد أشارت إلى ثلاثة أنبياء من العرب غير « ملكي صادق » الذي التقى به ابراهيم الخليل عند بيت المقدس وهؤلاء الأنبياء الثلاثة هم « يثرون »^(١) ، و « بلعام »^(٢) ، و « أيوب »^(٣) الذي يقال إنه ظهر قبل اثنين وأربعين قرناً .

أمّا م. ص. سيجال المفكر والباحث اليهودي^(٤) فإنه يرى أن النبي

(١) وهو شعب الذي صاهره موسى وهو نبي مدين قبل خروج بني إسرائيل من مصر ولكن العقاد

يرى أن شعبياً ليس هو « يثرون » وإنما هو قريبه « شوياب » بمعنى محبوب الله .

(٢) أنظر قصة « بالاق » و « بلعام » في سفر العدد الإصحاحات : ٢١ - ٢٤ وكذلك إشارة ميخا إليه في : ٥ : ٦ .

(٣) ويرى الرحالة « برترام توماس » في كتابه : Alarms and Exploration in Arabia أن أيوب من أهل عمان ، ولكن كل المفسرين يتفقون على أنه من أبناء الجزيرة العربية ومن أقدم أنبيائها . أنظر العقاد « إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٦٠ ، ١٦١ » .

(٤) م. ص. سيجال ، « حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل » ، ترجمة وتعليق د. حسن ظاظا ص ١٧ .

(صاحب الاستغراق الروحاني) ليس دخيلاً على بني إسرائيل من الكنعانيين كما يقول بعض الباحثين . ويقول « سيجال » : « ويبدو أن لفظ « النبي » خاص ببني إسرائيل ، فليست هناك نقوش تثبت وجوده في الكنعانية أو الفينيقية » .

على أن « سيجال » يتفق تقريباً مع « كورني Cornill » في أن الفعل « نبأ » الذي اشتق منه الاسم « نبي » لا يوجد في عبرية العهد القديم ، في صورته الأساسية ، أي الثلاثي المجرد ، فالفعل الذي استخدم للدلالة على عمل النبي في العهد القديم جاء في الصيغ المزيّدة على زنة « فَعَلَ » و « تَفَعَّل » وهي صيغ مشتقة من الاسم « نبي » .

ويعتمد « سيجال » في اعتقاده بأن الاسم « نبي » قديم جداً في العبرية الإسرائيلية ، وأنه يصعد إلى ما قبل التاريخ من حياة بني إسرائيل ، على حقيقة يراها هو وهي أن الفعل المجرد « نبأ » الذي اشتق منه « النبي » كان موجوداً ولكنه نسي مع توالي العصور التاريخية ، وانتهى أمره واختفى من اللغة ، ومعنى ذلك أنه لا مجال للقول بأن « النبي » حين استعمل بدلاً من « الرائي » معنى استحدث في إسرائيل من أيام صمويل فقط^(١) .

ولكن أستاذنا الدكتور حسن ظاظا يرى أن هذا اللقب كان معروفاً قبل العبريين ، عند الكنعانيين والآراميين والبابليين والآشوريين ، وأن بني إسرائيل أخذوه أول الأمر عن بعض أولئك الأقوام^(٢) .

وسواء أكان اللفظ وصل إلى العبريين عن طريق العرب أم عن طريق الكنعانيين فإنه دخيل عليهم وليس أصيلاً عندهم كما يزعم « سيجال » حيث أن الحجة التي يستند إليها « سيجال » ليست من القوة إلى درجة الإقناع ، وإلا فما دليله على أن الفعل المجرد « نبأ » كان موجوداً وأزاله النسيان من اللغة العبرية على توالي العصور ؟ ..

(١) صمويل أول : ٩ : ٩ .

(٢) د. حسن ظاظا « الساميون ولغاتهم » ص ٨١ .

وقد استعمل العهد القديم صيغتين مزيدتين مشتقتين من لفظ « نبي » ،
 أحدهما صيغة « تَفْعَل » والأخرى صيغة « نَفْعَل » (في العبرية נִפְעַל وأصلها
 נִפְעַל قبل إدغام النون الثانية في الباء وتشديدها) . وهذه الصيغة الثانية
 تفعل جعل العهد القديم استعمالها في الأغلب خاصاً بالأنبياء الكبار
 مثل : أرميا ١: ٢٠ « יְרַמְּדָה נְבִיא אֶת־הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה : »
 (أرميا تنبأ بهذه الكلمات) وفي حزقيال ٧: ٣٧ « ...
 » וְנִבְאִיתִי בְּאִשׁוֹר יְצִיתִי « (تنبأت كما أمرت) وفي عاموس ٣: ٨ « אֲדַבֵּר יְהוָה
 דְּבַר מִי לֹא תִבְנֶה : » (الرب قد تكلم فمن لا يتنبأ) ووردت في عاموس ٧: ١٥
 في صيغة الأمر « וְיִקְחֵנִי יְהוָה מֵאַחֲרַי הַצֵּאֵן וְיִאֶמֶר אֵלַי יְהוָה לֵךְ הַנְּבִיא
 אֶל־יְיָ יְשׁוּרָאֵל : » (فأخذني الرب من وراء الضأن ، وقال لي الرب : اذهب تنبأ
 لشعبي إسرائيل) .

وكذلك وردت في عاموس ٧: ١٢ ، ١٣ حين قال أمصيا ملك يهوذا
 لعاموس : « أيها الرائي اذهب واهرب إلى أرض يهوذا وكلّ هناك خبزاً ، وهناك
 تَنبَأُ : חֹזֶה לֵךְ בְּרַחֲלֶךָ אֶל־אֶרֶץ יְהוּדָה וְאֶכְלֶשֶׁם לֶחֶם וְיִשֶׁם מִנְּבִיא :
 وفي حزقيال ٢١: ٢١ في صيغة الأمر كذلك » ...

(وتنبأ على غابة أرض التعب) إلا أن
 هذه الصيغة نفسها נִפְעַל استخدمت لغير الأنبياء الكبار أنبياء يهوه بل
 استعملت كذلك أكثر من مرة للأنبياء الكذبة وأنبياء البعل^(١) .

ومثال ذلك ما ورد في أرميا ٢: ٨ « וְהִנְבִיאִים נְבִיאִי בְּבַעַל
 (والأنبياء تنبأوا ببعل) .

(١) لأن سيغال يرى أن هذه الصيغة مقصورة على الأنبياء الكبار فقط ، ويعلل مجيئها مع الأنبياء
 الكذبة وأنبياء البعل بأن ذلك حدث من أجل المزاجية الصوتية فقط لاقترانها بكلمة
 נִפְעַל-א-ם ، وإذا لم تكن مقرونة بهذه الكلمة فلا بد أن يتلوها مباشرة النص على أن نبوءتهم
 كاذبة (م . ص . سيغال « حول تاريخ الأنبياء ») ص ٣٩ .

وكذلك في ارميا ٢٣: ٢١ « **לֹא-דַבַּרְתִּי אֲלֵהֶם וְהֵם יִבְּאוּ:** »
 (لم أتكلّم معهم ، بل هم تنبأوا) وكذلك في ارميا ٢٣: ٢٦ .

(الأنبياء المتنبئين بالكذب) . **הַנְּבִיאִים יִבְּאוּ הַלְלוֹתָם**

أما صيغة **תִּפְעַל** **הִתְפַּלֵּל** فيرى « سيجال » أنها لا تدل على معنى
 تكلم كلام النبوة^(١) ولكن « سَلَكَ سلوك الأنبياء » و « عمل عمل نبي » مثل وصف
 زمرة الأنبياء في قصة تملك شاول فهي منطوقة في النص « وهم متنبئون »^(٢).

ويقول سيجال : « وصيغة **תִּפְעַל** هذه لم تستعمل في العهد القديم قط
 لأعمال الأنبياء الكبار ، الذين أرسلهم الرب وحفظت لنا نبوءاتهم في الكتب
 المقدسة » ويقول : « إن هذه الصيغة وردت مرة واحدة فقط مستعملة لكلام نبوي
 وذلك في حزقيال : ٣٧ : ١٠ : **וְהַנְּבִיאִים שָׂאֵלָה אֶתְּי וַיִּבְּאוּ בְּחֵם הַרְּפִיחַ**

ويرجح « سيجال » كذلك أن النطق الأصلي للكلمة كمنطقها في آية ٧ من
 نفس الإصحاح **וַיִּבְּאוּ** وأنه تحول إلى صورته الحالية لمجاورته
 اللفظي **הַנְּבִיא** ، **הַנְּבִיא** في آية ٩^(٣) .

كما استخدمت صيغة « **תִּפְעַל** » في التعبير عن عمل الشيوخ الذين حلت
 عليهم روح موسى^(٤) . كما حلت روح النبوة على شاول عندما مسح ملكاً ، وكما
 حلت روح الله على داود عندما مسح ملكاً^(٥) ، وعلى القضاة كذلك^(٦) .

كما استعملت صيغة « **تفعل** » لنبوءة أنبياء بعل خاصة^(٧) ، واستعملت لنبوءة

(١) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٢) صمويل أول : ١٠ : ٥ .

(٣) حزقيال : ٣٧ : ٩ .

(٤) عدد : ٢٥ : ١١ - ٢٧ .

(٥) صمويل أول : ١٠ : ١٠ ، ٣ : ١٦ .

(٦) قضاة : ٣ : ٣٠ ، ١١ : ٢٩ ، ٥ : ١٣ .

(٧) ملوك أول : ١٧ : ٢٩ ، ارميا : ٢٣ : ١٣ .

الأنبياء الكذبة^(١) ، واستعملت نفس الصيغة في الحديث عن نبوة نبي الله على لسان من لا يؤمن بنبوته وذلك حين استعملها آخاب في حديثه عن نبوة « ميخا بن بعل »^(٢) واستعملها عدو لإرميا وهو يتحدث عن نبوة ارميا^(٣) .

ويختتم « سيجال » حديثه المفصل عن استعمال هذه الصيغة بقوله :
« والواقع أن استعمال صيغة « تفعل - تنبأ » له لون واحد هو « صنَع صنَع النبي دون أن يكون بحق نبياً ، أي ادعى النبوة » .

وقد وردت أفعال في التوراة على هذه الصيغة تفيد ادعاء المرض دون أن يكون الفاعل في الحقيقة مريضاً^(٤) ، وادعاء الغنى دون أن يكون الفاعل في الحقيقة غنياً^(٥) .

وقد استعمل العهد القديم حوالي عشرة ألفاظ للدلالة على النبي ، أشهرها ثلاثة هي : אִיִּירָה ، אִיִּירָה ، אִיִּירָה

أما الكلمة الأولى אִיִּירָה أي الرائي فهي من الفعل رأى الذي يفيد الرؤية الحسية ، أو الغيبية بمعنى رؤية ما لم يستطع رؤيته عامة الناس من أمور غيبية .

ويندرج تحت هذا الاسم العراف والحكيم والساحر والكاهن .

ويقسم المسعودي^(٦) ادعاء علم الغيب إلى كهانة وعرافة ورؤيا ، وقد فصل المسعودي فيها وجعل العرافة في مرتبة دون الكهانة ، وذكر من عرافي العرب « الأبلق الأسدي » و « الأجلح الزهري » و « عروة بن الأسدي » و « رباح بن كحلة » عراف اليمامة الذي قال فيه عروة :

(٦) ملوك أول : ٢٢ : ١٠ ، أيام ثان : ١٨ : ٩ ، أرميا : ١٤ : ١٤ ، حزقيال : ١٣ : ١٧ .

(٧) ملوك أول : ٢٢ : ٨ ، ١٨ ، أيام ثان : ١٨ : ٧ ، ١٧ .

(٨) أرميا : ٢٩ : ٢٦ ، ٢٧ .

(٩) صمويل ثان : ١٣ : ٥ ، ٦ .

(١٠) أمثال : ١٣ : ٧ ، أنظر سيجال ص ٣٩ .

(١) المسعودي « مروج الذهب ومعادن الجوهر سنة ١٣٤٦هـ ، ج ٢ ص ٨٢ وما بعدها .

جعلتُ لعرافِ اليمامةِ حكمةً وعرافِ نجدٍ إن هما شَفِيائِي

ويقول المسعودي : « ولا أمة خلت إلا كانت فيها كهانة » ويقصد بالكهانة هنا محاولة معرفة الغيب بطرق شتى ، كالفحص في أكباد القرابين أو في الأزام ، أو القداح أو الأنصاب ، أو عن طريق العيافة والقيافة ، والزجر والسائح والبارح من الطيور ، أو عن طريق النظر في الأفلاك والكواكب حسب علامات معروفة استقبت أصولها وتأويلاتها عن سابقين في ذلك المجال .

أما ابن خلدون فإنه يرى في العراف نوعاً من أولئك الأشخاص الذين يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ، ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا من غيرها^(١) .

وأما كلمة רָאָה = حازي فمدلولها لا يختلف عن كلمة רָאָה = راء ، والكلمتان تقابلهما في الإنجليزية كلمة Seer.

و רָאָה صيغة اسم الفاعل من الفعل רָאָה بمعنى رأى وفي الآرامية רָאָה بمعنى رأى^(٢) أو شاهد بالعينين .

وفي العربية « حَزَى » بمعنى رأى رؤية داخلية « باطنة » والحازي هو العراف أو المنجم أو الفلكي وقد ورد الفعل רָאָה في أشعيا في صيغة الماضي بمعنى رأى أو نظر^(٣) وفي أيوب^(٤) ، وفي المزمير^(٥) وغير ذلك . ومن الفعل جاءت كلمة רָאָה بمعنى رؤية أو رؤيا في أشعيا^(٦) .

ووردت في ميخا^(٧) بمعنى رؤيا في حالة غيبوبة .

(١) ابن خلدون «مقدمة كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر» ص ١٠٥ .

(٢) أنظر مادة רָאָה في معجم جزيوس ص ٣٠٢ .

(٣) أشعيا : ٨ : ٥٧ .

(٤) أيوب : ١٥ : ١٧ .

(٥) زمور : ٣ : ٦٣ .

(٦) وكذلك في أشعيا : ١ : ١ .

(٧) ميخا : ٣ : ٦ .

وأما لفظه
معنى لفظه الرائي
فقد اختلف الباحثون في مدى اختلافها أو اتفاقها مع
أو الحازي ، فيقول « متي هنري »^(١)
إن الأنبياء كانوا يسمون بالرؤاة ، ولذلك سميت نبوءاتهم « رؤى » ، فالرؤيا عنده
هي ما يراه النبي بعيني عقله ، وما يتنبأ به قبل وقوعه بواسطة الكشف الإلهي
بوضوح تام كما لو كان يراه بعيني رأسه .

كذلك « سيجال »^(٢) يعارض الرأي القائل بأن النبي كان شخصاً مختلفاً
تمام الاختلاف عن الرائي والحازي ، فهو لاء يرون أن النبي كان ذا
« شطحات »^(٣) أو استغراق روحاني ، صاحب حرارة ووجد روحاني يصل به إلى
حد التجرد عن المادة ، وذلك عندما كان الروح يستولي عليه ، ويملاً نفسه
وجسده كما في حالة المس ، وإذا هو تحت سلطان الروح قد رأى ما رأى وفعل ما
فعل وقال ما قال .

ويرى تيودور هـ. روبنسون أن حالة الوجد الروحي أو « الشطح » قد وصلت
إلينا من خلال قصة مصرية قديمة من القرن الحادي عشر قبل الميلاد و خلاصة
القصة أن أميراً مصرية يدعى « ون آمون » فكر في الرحلة إلى « ببلوس » Byblos
في شمال سورية لهدف مزدوج ، القيام بنشاط تجاري ثم التعريف بعبادة « آمون »
وقد حملت صورته على إحدى سفنه ، وكان حاكم سورية « بعل ذاكر Baal
Zaker » لا يرغب فيما سعى إليه الأمير المصري ، وكان كل يوم يصدر أوامره إلى
الأمير المصري بالعودة إلى مصر ، وبعد انصرام تسعة عشر يوماً فقد الأمير
المصري الأمل ، وفي ليلة أعد عدته ليعود في اليوم التالي من حيث أتى ، ولكنه
في الصباح فوجيء برسالة تفيد بأنه بالأمس مساء في مهرجان شعبي انتابت أحد
نبلاء « ببلوس » الشبان حالة غيبوية دينية أو وجد روعي ، وتحدث باسم بعل

Matthew Hen's Commentary P.827.

(١)

م.ص. سيجال « حول تاريخ الأنبياء » ص ١١ .

(٢)

(٣) هذه ترجمة الدكتور حسن ظاظا لكلمة Ecstasy الأوربية ومعناها الغيبوية التي يفقد فيها الشخص
شعوره الحسي تحت تأثير عوامل روحية وهي تكون إما في صورة تشنجات عضلية أو غيبوية هادئة
وانطلاق لوقت ما عن مجال الحواس العادي .

« بيلوس » قائلاً : أنه قد أمر باستقبال الإله الجديد « آمون » وأتباعه وتكريمهم فوراً^(١) .

ولذلك يقول « تيودور هـ . روبنسون » : « ولا يبدو أن حالة الوجد الروحي هذه كانت جزءاً من التراث الشائع للجنس السامي . ويرى أن الموطن الأصلي لهذه الحالة فيما يبدو بوضوح هو « آسيا الصغرى » وفلسطين وذلك بتأثير الحثيين ذلك الجنس الغامض .

ويبدو أن « سيجال » يقصد تيودور هـ . روبنسون حين قال : « وهذه الحالة من الشطح في رأي هؤلاء الباحثين غريبة تماماً عن طبيعة النفس السامية ، وأصلها من آسيا الصغرى ثم انتقلت من هناك إلى « سورية » فبلاد الكنعانيين ، وعلى ذلك يكون - التحول من « الرائي » إلى النبي قد جاء إلى بني إسرائيل من الخارج وتأثير الكنعانيين » .

وحسب هذه النظرية - كما يقول سيجال - تنتفي صفة النبوة عن كثير من أنبياء بني إسرائيل وعلى ذلك لا يكون صمويل نبياً ولا « جاد » ولا « ناثان » ولا « أخيا الشيلوني » ولا حتى « موسى » فكل هؤلاء ما داموا لم يخضعوا لحالة « الشطح » فهم في الأصل عرافون ورؤاة فقط ، وأما ما ورد في الكتاب المقدس من إطلاق اسم « نبي » عليهم في أكثر من موضع فإنما ذلك قد كتب بأيدي سفرة متأخرين ، بعد أن نسيت في إسرائيل مميزات « الرائي » وما بينه وبين النبي من فروق .

ويرى « سيجال » أن هذه النظرية كلها مبنية على أساس مزعزع إذ إن صفة النبي قد أعطيت لناثان في فقرة اتفق الجميع على إيغالها في القدم وهذه الفقرة تشمل الإصحاحين الأول والثاني من سفر الملوك الأول إذ يرى الباحثون أن هذه الفقرة قد كتبت في أوائل حكم سليمان ، وبإيد معاصرة لناثان وليس من الجائز بحال القول بأنه في كل موضع من هذه الفقرة جاء فيه « ناثان النبي » كان مكتوباً

(١) Theodore H. Robinson «Prophecy and Prophets in Ancient Israel», P.P. 33, 34.

في الأصل « ناثان الرائي » ، وقياساً على هذا لا تنتفي صفة « نبي » عن كل من وصفوا بها في الكتاب المقدس^(١) .

فيخطيء « سيجال » كل الباحثين الذين يصفهم بأنهم توهموا أن هناك فرقاً بين « الرائي » وبين « النبي » .

والآية التاسعة من الإصحاح التاسع من سفر صمويل الأول تُعتبر محور كل ما دار من جدل حول الرائي والنبي فبينما يراها بعض الباحثين أثراً تاريخياً في غاية الأهمية^(٢) يصفها سيجال بأنها ليست من صميم القصة وإنما هي حاشية من يد ناسخ أراد أن يفسر لفظه « الرائي » وأن الباحثين قد أخطأوا في فصلهم بين « الرائي » و « النبي » وأنه لا فرق بين معنى كل من اللفظين ، فالرائي أو الحازي ليس شخصاً غير قابل للشطحات كما يظن أصحاب نظرية التفريق بين الرائي والنبي ، فكلاهما يرى الرؤى الإلهية . وأن اللفظين لا يعينان نوعين متميزين من « رجل الله » بل هما يعينان اتجاهين وعلاقتين لنفس الرجل ويكمل كل منهما الآخر .

فالرائي أو الحازي يعين صلة رجل الله بالله^(٣) . والنبي يعين صلة رجل الله بالأمة ، فهو فم الله يتحدث به ، ويسمع كلام الله الذي سمعه هو في رؤيا النبوة ، وعلى هذا فإن موسى و صمويل أو عاموس وأشعيا وأمثالهم كان كل منهم رائياً ونبياً معاً ، بمعنى أن الرائي أو الحازي هو من يرى أبعد مما يراه الإنسان العادي لأنه يرى بعض الأسرار الإلهية .

(١) ولعل سيجال وهو يهودي مفكر عميق المعرفة بمجال تخصصه ، خير من يعرف حقيقة ما أشار إليه تلميذه وأستاذنا الدكتور « حسن ظاظا » في كتابه « الساميون ولغاتهم ص ٦٧ ، ٦٨ » من أن العبريين هم « الأمة الوحيدة تقريباً التي كتبت تاريخها بيدها ، وبحسب هواها ، ثم زعمت أن ذلك التاريخ قد أنزل من السماء ، وأنه فوق الجدل والنقاش ، وأنهم حين كتبوا تاريخهم هذا أغاروا على المآثورات الشعبية للأمم القديمة التي عرفوها ، وأضافوا إليها من بقايا الفولكلور الذي حفظته ذاكرتهم منذ بداوتهم الأولى ، فنسجوا من ذلك كله أسطورة اختلطت فيها حكمة الحكماء وشرائع الأنبياء بحكايات الأبطال الخرافيين » .

(2) Theodore H. Robinson «Prophecy and the Prophets in ancient Israel», P.35.

(٢) عدد : ٢٤ : ٤ - ١٦ .

أما النبي فهو بالإضافة الى رؤيته لبعض الأسرار الإلهية فهو داعية للإيمان
بقدره الله ولتنفيذ أمر الله .

وسيلة التنبؤ :

كانت تهيئة رجل الله للتنبؤ تتم أحياناً بمصاحبة الآلات الموسيقية^(١) كالدف
والعود والرباب والناي والصنوج ليشعر بصفاء الروح ، ويمكنه استلهام الغيب ،
والى جانب الموسيقى يرجح « تيودور هـ . روبنسون »^(٢) أن تكون قد استخدمت
أنواع مختلفة من العقاقير محتوية على مسكر وذلك في حالة أنبياء بعلى .

وكانت بعض الحالات تبدأ بتركيز البصر على شيء أو موضوع خاص ، وأن
مثل هذه الحالة كما يقول « روبنسون » وهي حالة انعدام الوعي أو نصف الوعي
كانت مألوفة من معظم الناس آنذاك^(٣) .

ويذكر روبنسون العديد من صور تهيئة رجل الله لاستقبال الوحي أو لاكتناه
الغيب ، ومنها حالات تشبه نوبات الصرع الحادة مثل توتر الأعصاب ، وتقلص
العضلات والنطق بالفاظ لا تكاد تفهم مع أن أونجر Unger^(٤) ينفي هذه الحالة
التشنجية Ecstasy عن أنبياء بني إسرائيل فيقول : « إن مثل هذه النظرية تعرف
النبوذة اليهودية بتعريف وثني ، فإن مدعي الغيب في العالم الوثني قد افترض انهم
حين يكونون تحت تأثير الوحي يكونون في حالة عقلية عبر عنها الإغريق بكلمة
Ecstasis فإن قواهم العقلية تكون معطلة تماماً »^(٥) .

(١) صمويل أول : ١٠ : ٥ ، ملوك ثان ٣ : ١٥ ، أيام أول : ٢٥ : ١ .

(٢) Theodore H. Robinson «Prophecy & the profets in anchient Israel» ; P. 32.

(٣) ربما يشبه ما نسميه الآن بالتنويم المغناطيسي .

(٤) M.Unger's Bible Dictionary P.893.

(٥) ويستعرض أونجر في حديثه بعض المذاهب القديمة في هذه النظرية كمدرسة الإسكندرية وفيلون
التي اعتبرت أن النبي يكون في حالة غيبوبة كاملة حين يصبح تحت تأثير الروح المقدس ، أما
أثيناغوراس فقد رأى أن النبي يكون في حالة ذهول ، مجرداً من قواه الطبيعية فتستخدمه الروح كآلة
و« مونتائوس » يرى نفس النظرية حين يقول : « يتحكم القدير وحده في روح النبي الذي يتفهم
وعيه إلى الوراثة » .

ثم يقول : « والأنبياء العبريون لم يكونوا متميزين بمثل هذه الخواص . . . ولكنهم كانوا يتميزون بوعي ذاتي عاقل ، ولم يفقدوا امتلاكهم لأنفسهم ، بل يتكلمون بإدراك كامل للظروف الكائنة . وفي نفس الوقت فإن عقل النبي يبدو كما لو أنه ارتقى فوق حالته العادية ، ولا يكون عقل النبي سلبياً إلا عند استقباله الوحي في الرؤى والأحلام ، أما عند إعلانهم لرؤاهم فإنهم يكونون في حالة وعي تام وامتلاك كامل للفهم إذ إنهم يبلغون رسالة إلهية بأمانة ، ولذلك فإنهم يستهلون كلماتهم النبوية بصيغ مثل : « كانت عليّ يد الرب » (حزقيال : ١ : ٣ ، ١٤ : ٣ ، ٢٢ : ٣٣) ، ومثال « رؤيا إشعيا بن أموص » (إشعيا : ١ : ١) ، ومثل « حزقيال رأى » (حزقيال : ١ : ١) ومثل : « هكذا قال الرب » (إرميا : ١ : ٨ ، ١٩ : ٢ ، ١٩ : ٣٠ ، ١١ : ٢ ، عاموس ١١ : ٢ ، ٥ : ٤ ، ٣ : ٧) ، ومثل « كلمة الرب جاءت إلى (يونس : ١ : ١ ، يوئيل : ١ : ١) .

ويرى روبنسون^(١) أن هناك صيغاً اصطلاحية مثل « حلت عليه روح الرب » تدل على اقتراب وقوع هذه الحالة ، ويستشهد على ذلك بصمويل أول : ١١ : ٦^(٢) فيما يختص بحالة شاءول حين حلت عليه روح الرب ، وقد صارت لعنة عليه لأن نشاط الروح لم يكن مهذباً له وأن ما كان يحل به هو الذي جعله ينشد الراحة بعزف داود له ، وأن الروح الذي كان يحل عليه قد وصفه الكتاب المقدس بالروح الرديء من قبل الله حين حاول قتل داود وهو يعزف له^(٣) وأن حالة الجنون هذه كثيراً ما كانت تعتره فيتجرد من ملابسه وينام عارياً لمدة أربع وعشرين ساعة .

وقد تباينت صور حيوات الأنبياء ، فكان منهم من يفضل العزلة ملتصقاً بالمفاوز أو الأنهار صائماً متهجداً زاهداً كما قال دانيال عن نفسه^(٤) « لم أكل طعاماً شهياً ولم يدخل في فمي لحم ولا خمر ، ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع وفي

(١) Theodor H. Robinson. «Pophecy and the Prophets in ancient Israel», P.31.

(٢) صمويل أول : ١١ : ٦ « فحل روح الرب على شاءول عندما سمع هذا الكلام وحمى غضبه » .

(٣) صمويل أول : ٨ : ١٠ .

(٤) دانيال : ١ : ٨ ، ١٠ : ٣ - ٥ .

اليوم الرابع والعشرين من الشهر الأول إذ كنت إلى جانب النهر العظيم دجلة رفعت عيني ورأيت .

ومنهم أنبياء المجاميع مثل أولئك الذين أهانهم آخاب وقتلهم^(١) ، أو مثل أنبياء البعل الذين جمعهم « إيليا » على جبل الكرمل وأبادهم وكان عددهم أربعمئة نبي^(٢) .

وإن هذه الأعداد الضخمة من أنبياء بني إسرائيل الذين يذكرهم الكتاب المقدس لدليل على حالة مجتمعهم آنذاك .

وظهور الأنبياء أو المصلحين عند العبريين كان منذ فجر استيطانهم لفلسطين ، وتكاثر عدد هؤلاء في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وبخاصة في الرامة^(٣) وكانوا يدعون إلى قوة الإيمان بالله ، ويشحذون همم مواطنيهم حتى يصمدوا أمام الفلسطينيين وكان لهذه المجاميع النبوية أو كما يسميها الباحثون الآن « المدارس النبوية »^(٤) تلاميذ يطلق عليهم اسم « أبناء الأنبياء »^(٥) .

وكان الله يختار من بين هؤلاء التلاميذ عدداً ويقبلهم أنبياء ليعلموا الشعب ما يريد منهم ، ويختصهم الله بوحيه^(٦) .

ولعل عاموس كان يعني ذلك حين قال لأمصيا^(٧) كاهن بيت إيل : « لست

(١) ملوك أول : ١٩ : ١٠ .

(٢) ملوك أول : ١٨ : ٢٠ - ٢٩ .

(٣) ملوك أول : ١٩ : ١٩ - ٢٤ .

(٤) يقول Unger في Unger's Bible Dictionary ٨٩١ : « لقد اتخذ صمويل مقاييس ليقوم بعمله الخاص من أجل إصلاح دائم له تأثير سريع ولذلك فقد أسس مؤسسات أو معاهد للأنبياء كان أحدها في حياة صمويل في الرامة (صمويل أول : ١٩ : ٢٠) وكان عملهم الأساسي يشبه عمل أولئك أصحاب المعاهد اللاهوتية .

(٥) وقد تأسس لبني الأنبياء مدارس في بيت إيل وفي أريحا وفي الجلجال وغيرها (أنظر ملوك ثان : ٢ : ٣ - ٥ ، ٤ : ٣٨ ، ٦ : ١) وكان رئيس المدرسة النبوية يدعى بالأب أو السيد (أنظر صمويل أول : ١٠ : ١٢ ، ملوك ثان : ٢ : ٣) .

أنظر أنيس صايغ « قاموس الكتاب المقدس » ص ٩٤٩ .

كان أمصيا من كهنة الوثنية في بيت إيل في أيام يربعام الثاني ملك إسرائيل ، وقد أوغر أمصيا صدر =

أنا نبياً ولا أنا ابن نبي ، بل أنا راع وجاني جميز^(١) .

صوت المعارضة النبوية في المجتمع العبري وأمثلة لأهم أنبياء الأزمة :

أخذت موبقات المجتمع العبري تنمو وتزايد ، وصور الانحراف الديني والخلقي تتسع ، وكان هذا يواكب الملكية منذ ظهورها ، ثم اتسعت دائرته بعد انقسام المملكة الموحدة ، فحدث ما حدث في مملكة الشمال المنشقة لإسرائيل ، منذ نشأتها بما غرسه « يربعام بن نباط » فيها من بذور الوثنية المجلوبة من عبادات الأمم الغربية ، وما تبع ذلك من انهيار الأخلاقيات بين طبقات المجتمع الحاكمة والمحكومة على السواء ، كذلك لم تسلم المملكة الجنوبية التي يحكمها بيت داود من تسلل العبادات الغربية منذ حكم سليمان ، وكان نفوذ هذه العبادات يتفاوت قوة وضعفاً بحسب نوعيات ملوك أورشليم كما بينا في الحديث عن السلطة الملكية عندهم .

كل ذلك إلى جانب ضمور السلطة الكهنوتية وانضوائها تحت النفوذ الملكي وتحولها إلى إدارة من إدارات الدولة تخضع لسلطان الملك ، وتأتمر بأمره ، وأصبح صوت الكهنة لا يتعدى جدران المعبد حيث يقومون بما يتعلق بالطقس الديني ، دون محاولة لإسهام في إصلاح المجتمع المتردي في الرذيلة ، لكل ذلك كان لا بد من ارتفاع صوت المصلحين محذرين ومنذرين ، تنبث صيحاتهم من قلب ذلك المجتمع المريض كله ، فانطلق صوت الأنبياء ، يعارض كل انحراف مهما كان مصدره دون خشية من بطش حاكم أو اتقاء غضبة كاهن ، ولم يكن الصوت النبوي المعارض للفساد ينبع من طبقة اجتماعية واحدة . بل كان منهم من خرج من طبقة الفقراء المعدمين الذين طحتهم رحى الظلم مثل عاموس الراعي الفقير جاني الجمير ومثل ميخا القروي البائس ، ومنهم سليل الأمراء والنبلاء كأشعيا بن أموص^(٢) .

الملك يربعام الثاني ضد عاموس مما جعل الملك يهدر دم عاموس (عاموس: ٧: ١٠ - ١٤) .

(١) عاموس: ٧: ١٤ .

(٢) فابوه أموص كما قرر الباحثون كان أخا أمصيا ملك أورشليم (٨٣٩ - ٨١٠ ق.م) .

وكان لا بد أن يكون هؤلاء المعارضون غير مقيدين بوظيفة تخضع للسلطان حتى ولو كانت الوظيفة دينية كوظيفة الكاهن مثلاً ، بل كان انتماءهم الأول ، وولاؤهم الأساسي ليهوه ، ومن هذا المنطلق كانوا ينصبون أنفسهم بأنفسهم^(١) لهذا العمل عن طريق إعلانهم على الناس أمر اختيار الرب لهم لأداء ذلك الواجب الإصلاحي كما أعلن عاموس عن نفسه^(٢) ، وكما أعلن إشعيا عن نفسه^(٣) ، كما يذهب ارميا إلى أن الرب قد اختصه بالرسالة قبل أن يصوره في بطن أمه ، وأن الرب وكله على الشعوب وعلى الممالك ليقلع ويهدم ويتقص ويبني ويغرس^(٤) ، ودانبال الذي صور لنا أمر تكليف الرب له عن طريق رسوله جبرائيل^(٥) وذلك بعد أن أعده الرب بمجموعة من الرؤى يلقنه ملاك الرب تأويلها ، وما ورد في هذه الرؤى من تصوير رائع لحيوانات وأدميين وأحجار كريمة في صور مختلفة مما كان واضحاً في رؤى أنبياء السبي بالذات كتلك الصورة التي وصفها «حزقيال» في رؤياه التي يخبرنا في آخرها باختيار الرب له نبياً منذراً ، إلى أمة إسرائيل المتمردة^(٦) .

وعلى هذا لم يكن العمل النبوي يتم بتكليف من سلطة أرضية مهما كان لونها^(٧) .

كذلك لم يكن النبي مسيحاً لكاهن كما هو متبع في وظيفة الملك والكاهن

-
- (١) ه.ج. ويلز معالم تاريخ الإنسانية ترجمة عبد العزيز جاويش ج ٢ ص ٣٠٢ .
(٢) عاموس : ١٥:٧ «فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل» .
(٣) أشعيا : ١٠:٦ - ١٠:١٠ حيث صور لنا إشعيا ذلك المشهد الرائع الذي تم فيه اختيار الرب له نبياً لبني إسرائيل الذين تنجست شفاهم .
(٤) أرميا : ١٠:١ - ١٩ .
(٥) دانيال : ٢:١٠ - ٢:٢١ .
(٦) حزقيال : ٢:٢ - ٧ .
(٧) ويقرر موسكاتي في «الحضارات السامية القديمة» ص ١٥٠ أن النبوة كانت فضلاً من الله يسبغه على النبي ، فهي تأتي على النبي من تلقاء نفسها على غير توقع أو رغبة في كثير من الأحيان ، فهي إذن ظاهرة جبرية ، وعلى هذا يفسر «موسكاتي» معنى كلمة «نبي» بالمدعو أي الذي يدعوه الله ، ومن هنا كان يسمى في كثير من الأحيان «رجل الله» . مثل الشيح مثلاً هو «رجل الله» في ملوك ثان : ٤ : ٢٥ .
٤٣ ، ١٥:٥ ، ٢٠ ، وهو النبي في ملوك ثان : ٣:٥ ، ٨ ، ١٣ .

على السواء وإذا كان اختيار الرب للنبي عن طريق بشر فلا بد أن يكون هذا البشر نبياً مثله كما حدث في استخلاف « ايليا التشبي » « لاليشغ » أو « أليسع » وهو « إلياس » ليكمل له عمله النبوي^(١) ، ومن قبل هذا كان اختيار « موسى » لخليفته « يشوع بن نون »^(٢) .

لأجل ذلك كانت صيحة الأنبياء تدوي في جراحة وإقدام غير مكبلة بقيود الوظيفة الدنيوية وإغراءاتها المادية كوظيفة الكاهن مثلاً ، لذلك لم تكن لأحد رئاسة عليهم إلا لضمائرهم التي تستمد سلطانها من الرب مباشرة مما جعلهم لا يخشون في الحق إلا قوة السماء فعارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة جريئة ، وإن كان « موسكاتي »^(٣) يرى في أمر معارضتهم الجريئة للسلطة الملكية ما رآه بعض العلماء من أن هذه النبوة تعبير عن انبعاث روح الحرية الموروثة عن حياة البداوة ، تلك الروح التي رأت في الملكية بدعة منكرة ، ونظماً منقولاً عن العالم الخارجي المعادي لإسرائيل .

ومهما كان الباعث على هذه المعارضة الجريئة للسلطة الملكية فإنها وجدت منذ نشأة النظام الملكي واحتدت بعد انقسام المملكة بشكل واضح ومن مظاهر المعارضة النبوية للسلطة الملكية قبل انقسام المملكة أن أول صوت نبوي ينطلق بالمعارضة كان هو نفس الصوت الذي أعلن تتويج أول ملك ، وهو صوت « صمويل » ضد شاول « كما بينا في الحديث عن السلطة الملكية وفي عهد « داود » ، كان صوت المعارضة ينطلق من النبيين « جاد » و « ناثان » ودليل ذلك في الحادث الذي ينسبه العهد القديم لداود مع « بتشبع » زوجة أوريا الحثي وإنذار « ناثان » النبي لداود الملك بجزأين اليمين له نتيجة فعلته مع « بتشبع » وزوجها « أوريا » أحد الجزأين عاجل وهو موت الابن الذي أثمرته علاقة « داود » غير الشرعية مع « بتشبع » والجزء الثاني آجل ويتمثل في اعتداء أحد أبناء داود على

(١) ملوك أول: ١٦: ١٩ .

(٢) تثنية: ٩: ٣٤ .

(٣) سباتينو موسكاتي « الحضارات السامية القديمة » ص ١٤٥ .

عرض إحدى بنات داود^(١) ، بل إن إنذار ناثان لداود يتضمن جانباً آخر حين قال له : « والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد »^(٢) مشيراً بذلك إلى منازعات أبناء داود فيما بينهم ، قتل « أبشالوم » لأخيه أمنون الذي اعتدى على شرف أخته « ثامار » ، وثورة « أبشالوم » على أبيه داود وانتهت بقتل « أبشالوم » مما أصاب داود بالحزن الشديد^(٣) ، ومحاولة « أدونيا » اغتصاب الملك دون أخيه « سليمان » مما جعل سليمان يقتل أخاه حين استقل بالحكم .

كذلك تتمثل معارضة « ناثان النبي » لداود في تعنيفه له على مخالفته للرب في أمر التعداد الذي أجراه على بني إسرائيل^(٤) . . ثم معارضة « أخيا الشيلوني » لسليمان بطريق غير مباشر حين حرص « يربعام بن نباط » على الثورة ضد سليمان ليمزق مملكته جزاء له على تسامحه في انتشار العبادات الأجنبية مما جعل الشعب يسجد لآلهة الصيدين والمؤابيين والعمونيين^(٥) ، فكان « أخيا الشيلوني » بذلك سبباً في تمزيق مملكة « سليمان » وكان « أخيا الشيلوني » نفسه هو أول من عارض « يربعام بن نباط » بعد استقلاله بحكم الشمال ، فصب « أخيا » نغمته على « يربعام » الملك المنحرف ، وبعث « أخيا » برسالة معارضته شفوية إلى يربعام مع زوجة يربعام حين توجهت بأمر زوجها إلى « أخيا » متخفية تنشد شفاء ابنها المريض^(٦) .

على أن المعارضة النبوية للملوك قبل انقسام المملكة كانت ما تزال هادئة التبرات مما يتناسب مع قلة استفحال الخطر وبساطة الانحراف ، وقد يكون هذا أيضاً لابتعاد ملوك المملكة الموحدة عن العنجهية والتكبر ، ولقد كانت لهم تلك المزية الأبوية أو العسكرية ، فملوك المملكة الموحدة لم يكونوا مشابهين لعاهلي

(١) صمويل ثان : ١٢ : ١١ ، ١٣ : ١٤ - ٢١ .

(٢) صمويل ثان : ١٢ : ١٠ .

(٣) صمويل ثان : ١٨ : ١٩ - ٣٣ .

(٤) صمويل ثان : ٢٤ : ٩ - ١٥ .

(٥) ملوك أول : ١١ : ٣١ - ٣٣ .

(٦) ملوك أول : ١٤ : ١ - ١٣ .

آسيا المتكبرين الذين هم ضرب من أشباه الآلهة فلا يقترب منهم إلا بارتجاف وتعريض النفس للموت ، فكان شاءول وداود وسليمان يعيشون قريباً من الشعب بلا تكلف^(١) .

ولكن صوت المعارضة أخذ يشتد ويحتد بعد انقسام المملكة ، ونمو الانحراف الديني والخلقي والسياسي وبخاصة في الشمال حيث اتخذت المعارضة شكلاً جديداً فتياً على يدي النبي « ايليا التشيبي » مع « ياهوبن حناني » النبي المعارض لحكم « بعشا » وابنه « أيلة »^(٢) في إسرائيل .

وكان ظهور « ايليا التشيبي » يتناسب مع طبيعة المرحلة التي ظهر فيها ، فقد كان دوره البارز وعمله الشاق في معارضة أسرة « آخاب » التي وطدت أركان الوثنية وأرست دعائمها في إسرائيل دوراً يجعل من « ايليا » رائداً للمعارضة النبوية ، ومؤسساً لمدرسة الأنبياء المعارضين إن جاز هذا التعبير ، فقد تصدى « ايليا » لانحراف « آخاب » وزوجته « إيزابل » عابدة البعل وراعيته في إسرائيل وكانت مواقف معارضته تنطق بالجهاد البطولي حقاً ، فمن مواقفه هذه تحديه وحده لأخاب وإيزابل ، بما صنع بأنبياء البعل الأبعماة والخمسين فوق جبل الكرمل وقضائه عليهم جميعاً هم وأنبياء السواري الأربعمائة^(٣) انتقاماً لأنبياء الرب الذين قضت عليهم « إيزابل » وقد أثار انتقام « ايليا » نائرة « إيزابل » وتوعدته فهرب إلى بئر سبع في يهوذا^(٤) ولم يعد إلى إسرائيل إلا لجهاد جديد ضد ظلم آخاب وإيزابل لنايوت اليزرعيلي حين تأمرا عليه وقتلاه ليستوليا على أملاكه جوراً^(٥) ، ومن الغريب هنا أن « آخاب » الشرير الجبار يستمع إلى تائب « ايليا » وتهديده له ولكل بيته ولا يحاول إيذاء « ايليا » بل يشق ثيابه ندماً على ما فعل ثم يلبس المسوح

-
- (١) جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر : ص ٥٤ .
 - (٢) ملوك أول : ١ : ١٦ - ٧ ، ١٢ .
 - (٣) ملوك أول : ١٨ : ١٩ - ٤٠ .
 - (٤) ملوك أول : ١ : ١٩ .
 - (٥) ملوك أول : ١ : ٢١ - ١٦ ، ١٩ - ٢٦ .

ويصوم في صحوة مفاجئة لضميره^(١) .

ولم يكن جهاد « إيليا » ومعارضته للسلطة الملكية أمراً مقصوداً على مملكة إسرائيل الشمالية وحسب ، بل إن نشاطه يمتد إلى مملكة يهوذا في الجنوب فقد أرسل « إيليا » رسالة مكتوبة إلى « يهورام » ملك يهوذا ينذره فيها بانتقام الرب منه ومن شعبه ومن بنيه ومن نسائه ومن كل ما له انتقاماً عظيماً ، وأنه سيبتلي بأمراض كثيرة في أمعائه جزاء انحرافه عن جادة الحق واتباعه أهواء ملوك إسرائيل الذين صاهرهم بزواجه من « عثليا » ولأنه قتل اخوته من بيت أبيه وكانوا أفضل منه^(٢) .

وبالرغم من هذا الجهاد البطولي الذي قام به « إيليا » ضد أسرة آخاب وما قام به كذلك « ناثان » ضد عمل « داود » مع أوريا الحثي ، وزوجته « بثشبع » وما قام به « أخيا الشيلوني » من إثارة يربعام بن نباط ضد سليمان حتى أفلح في تفتيت مملكته ، نجد المفكر اليهودي « سيجال » ينكر كل هذه الأعمال ويصف « جاد » و« ناثان » النبي بأنهما لم يكونا سوى خادمين لداود ومستشارين له فقط ، ويصف « إيليا التشبي » بعد عمله البطولي على جبل الكرمل ضد الوثنية وسدنتها مما أحفظ عليه « آخاب وايزابل » ففر من وجه جبروتهما ، يضيف « إيليا » بعد كل هذا بأنه كان كعبد بين يدي سيده^(٣) .

وفي الواقع أن أكثر من نبي كانت ترتفع صيحاتهم ناصحين ومحذرين ومهددين للحاكم والمحكوم عند حدوث أزمات خلقية أو دينية أو عسكرية في الأمة ، ففي عهد « آخاب » مثلاً لم تكن المعارضة مقصورة على « إيليا » وحده رغم عنف معارضته قولاً وعملاً بل يرتفع صوت نبي آخر ينذر « آخاب » بالعاقبة الوحيمة التي ستحل به وبجنوده إن هو حارب الآراميين ، وكان صاحب هذا الإنذار هو « ميخا بن يملة » الذي وجه إنذاره « لآخاب » شجاعاً متحدياً نفاق أنبياء آخاب ، وغير مبال بتهديد آخاب له بالحبس والتعذيب ، وقل شمل الإنذار

(١) ملوك أول : ٢١ : ٢٧ .

(٢) ملوك أول : ٢١ : ١٢ - ١٥ .

(٣) م. ص. سيجال : حول تاريخ الأنبياء ، ص ٤٠ ، ٤١ .

« يهوشافاط » ملك يهوذا الذي جاء إلى « آخاب » ليناصره ويؤازره في حربه مع الأراميين^(٢) ، ولم يسلم « يهوشافاط » كذلك من معارضة « ياهو بن حناني » في يهوذا مؤنباً إياه على ما فعل من مناصرة آخاب وعودته من المعركة مهزوماً كاد يحل به ما حل بآخاب من هلاك^(٣) .

إذن كان الصوت النبوي المعارض ينطلق جريئاً في كل أرجاء المملكتين في الجنوب وفي الشمال عندما يقع ما يستحق المعارضة من فساد وانحراف في السلطة الملكية في الميدان العسكري أو في الميدان الديني كما عنف « إيليا التشيبي » « أخزيا بن آخاب » ملك إسرائيل (٨٩٧ - ٨٩٦ ق.م) حين لجأ إلى « بعل زبوب » إله « عقرون » يلتمس عنده الشفاء من مرضه ، فأثار هذا الانحراف الديني ثائرة « إيليا التشيبي »^(٣) .

ولم ينقطع صوت الأنبياء الناصح المهذب المنذر طوال فترة الملكية حتى انهيار الدولتين وكانت تتعدد الأصوات في الفترة الزمنية الواحدة إذا ما كانت الحاجة تدعو إلى ذلك بل كان « النبي » إذا أحس بالحاجة إلى من يكمل رسالته مسح غيره نبياً ممن يتوسم فيهم القدرة على إكمال الرسالة كما فعل « إيليا التشيبي » بمسحه « أليشع » نبياً يخلفه ويتمم ما بدأه من نضال جاد ، وكأنه أدرك خطورة المرحلة المقبلة بعد موته فاختر خليفة له يستطيع مواصلة النضال ضد الفساد والانحراف .

وتسلم « أليشع » أو « اليسع » مسؤوليته من أستاذه « إيليا » الذي انطلق إلى السماء في عاصفة تحمله عربة نارية^(٤) ، ويقوم « أليشع » النبي بما أوصاه به « إيليا » فيتولى مسؤولية القضاء على بيت « آخاب » ويبعث بأحد أتباعه من الأنبياء إلى « راموت جلعاد » نائباً عنه في مسح « ياهو بن نمشي » ملكاً على إسرائيل ،

(١) ملوك أول : ٧ : ٢٢ - ٢٨ ، أيام ثان : ٤ : ١٨ - ٢٧ .

(٢) أيام ثان : ١ : ١٩ - ٣ .

(٣) ملوك ثان : ١ : ١ - ١٧ .

(٤) ملوك ثان : ١ : ٢ - ١٢ .

فيقوم « ياهو » ذلك القائد الخطير بعملية تطهير واسعة النطاق في إسرائيل وبدأ بالقضاء على آخر بيت آخاب فقتل الملك « يورام » (٨٩٦ - ٨٨٤ ق.م) حفيد آخاب وقتل « ايزابل » التي حاولت إغراءه بجمالها للإبقاء على حياتها ، ثم استأصل شأفة أسرة آخاب جميعاً ، وطهر إسرائيل من الأوثان وأبياتها وكهنتها ، وبهذا يكون قد تحقق كل ما أُنذر به إيليا النبي « آخاب » في حياته ، وأصبح واقعاً ملموساً حققه « أليشع » على يدي « ياهو بن نمش »^(١) لذلك يعتبر كل من « إيليا » و « أليشع » طليعةً للأنبياء الكبار في إسرائيل في القرن التاسع ق.م وإليهما يرجع رد الفعل ضد وثنية آخاب والقضاء على صور العبادة الوثنية^(٢) .

ولما كانت جذور الوثنية ضاربة في أعماق تربة إسرائيل الشمالية فإن النتائج الطيبة التي حققتها جهود « إيليا » و « أليشع » لم يكتب لها البقاء الطويل فانبعثت الوثنية من جديد وأينعت جذور الفساد في مجتمع المملكة على أيدي ملوك ساروا في طريق « يربعام بن نباط » مما كان سبباً في ظهور جهود جديدة في منتصف القرن الثامن ق.م لأنبياء يكملون رسالة رواد المعارضة ، ومن أهم هؤلاء الأنبياء عاموس في حوالي ٧٥٠ ق.م^(٣) ، وهوشع حوالي ٧٥٠ ق.م وميخا حوالي ٧٤٠ ق.م ، وهؤلاء من الأنبياء الذين وصلت إلينا أعمالهم في أسفار تحمل أسماءهم خلافاً لسابقيهم « إيليا وأليشع » اللذين لم يتركنا كتباً تحمل اسميهما ، وقد يكون ذلك لتغلب الجانب العملي في دعوتهما على الجانب القولي^(٤) .

ولقد كان النشاط النبوي - كما سبق ذكره - يسير هبوطاً وصعوداً في خط مواز تقريباً لحالة المجتمع ، فينشط العمل النبوي حيث تزداد الانحرافات ، ويسكن

(١) ملوك ثان : ٣٠:٩ - ٣٧ .

(٢) سباتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٥ .

(٣) هذا التاريخ أورده فيليب حتي في « موجز تاريخ الشرق الأدنى » ص ٨٩ ، وهناك تاريخ آخر لعاموس هو ٧٦٠ ق.م أنبته دائرة معارف الدين والأخلاق ، ج ١٠ ، ص ٣٨٥ .

(٤) والأنبياء الذين ليس لهم أسفار تحمل أسماءهم هم بحسب ترتيبهم التاريخي : أخنوخ - نوح - إبراهيم - يعقوب - هارون - موسى - بلعام - صموئيل - داود - ناثان - صادوق - جاد - أخيا - عدو - شمعي - عزريابن - عوديد - حناني ياهو بن حناني - إيليا - أليشع - ميخا بن يملة - زكريا بن يوياداع - عوديد - يهوون .

حيث تقل المفسد ، وتلمس هذا إذا نظرنا مثلاً إلى فترة حكم «ياهو بن نمشى» في إسرائيل (٨٨٤ - ٨٥٦ ق.م) ذلك الملك الذي قضى على كل مظاهر الفساد والانحرافات ، والوثنية وأنبياؤها وكهنتها ، وطهر إسرائيل من أسرة آخاب ، وكان الوحيد بين ملوك إسرائيل الذي رفع راية الإصلاح بين ربوع المملكة ، ففي عهده وعهد ابنه يوأحاز وحفيده يوأش أي في الفترة من ٨٨٤ ق.م حتى ٨٢٥ ق.م لا تكاد تسمع صوتاً نبوياً في إسرائيل يرتفع معارضاً لحكم «ياهو» ، وحتى النبي الذي ظهر في تلك الفترة توجهت رسالته إلى خارج إسرائيل ، وكان نشاطه النبوي في نينوي ذلك هو النبي يونس بن متي^(١) حوالي ٧٨٥ - ٧٤٥ ق.م وكانت رسالته معاصرة لأسرة «ياهو بن نمش» .

وكذلك النبي الكبير «أليشع» الذي شهد حكم أسرة «ياهو بن نمشى» حتى حكم «يوأش بن يوأحاز» لا تكاد تسمع له صوتاً معارضاً للسلطة الملكية آنذاك بل كان ياهو وابنه يوأحاز وحفيده يوأش مخلصين لأليشع ، مطيعين له حتى مات^(٢) .

وما أن مات أليشع وتولى حكم إسرائيل يربعام بن يوأش ٨٢٥ - ٧٧٣ ق.م الذي جدد ما كان عليه الحال قبل إصلاحات جده ياهو حتى انطلق صوت نبوي جديد هو صوت عاموس النبي الريفى راعي الضأن بقرية تقسوع قرب بيت لحم يهوذا . ذلك النبي الذي مهد الطريق لمن جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل في تطوير الديانة العبرية ، ونقلها إلى مرحلة جديدة في تصور وحدانية الله وشموله وعالميته ، وأنه ليس الإله الخاص ببني إسرائيل وإنما هو إله كل الشعوب^(٣) .

كان عاموس يبشر وينذر في شجاعة وعنف ، يذكر قضاء الله على الأمم مثل دمشق وغزة وصور ، ثم يتحدث عن الدينونة التي سيقضي بها الرب على يهوذا وإسرائيل جزاء انتشار الكفر والظلم والفساد وما يتمرغ فيه بعضهم في إسرائيل من

(١) يونس : ١:١ - ٢ .

(٢) ملوك ثان : ١٣:١٤ .

(٣) عاموس : ٥/٩ - ٧ وكذلك انظر أحمد نسيم سوسة «العرب واليهود في التاريخ» ص ١١٦ .

تترف ونعيم ، وينذر أولئك الذين يشتهون يوم الرب الذي سيكون عليهم لا لهم^(١) .

وارتفع صوت عاموس يعارض السلطة الملكية كذلك ، وينادي بالتخلص من الملك الفاسد يربعام بن يوأش ، مما جعل أمصيا كاهن بيت ايل الوثني يشير عليه يربعام^(٢) فأهدر دمه ، ولكن عاموس يمضي غير حافل بسلطة الملك ولا بنفوذ الكاهن ، وظل ينادي بالإصلاح مندداً بالأوضاع الفاسدة في كل من إسرائيل ويهوذا حيث بلغ الانحلال في تلك الفترة وما تلاها درجة عالية في شتى المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية ، وأخذت كل من المملكتين تتخبط في تصرفاتها في الداخل والخارج مما زاد من شدة الضغوط والغارات على كل من المملكتين فاتجهت كل منهما إلى القوى الغربية تستعين بها ضد جارتها ، فزادت معاناة الشعب من كثرة ما يجبي من الضرائب لتقديمها إلى ملك آشوري أو مصري في صورة جزية يفرضها عليهم المنتصر ، أو في صورة رشوة لمد يد العون ضد المملكة المجاورة .

ولما بلغت الأمور هذه الدرجة من السوء قام أنبياء مصلحون يحاولون الحد من انتشار الفوضى السياسية والدينية في المجتمع ، فكان « هوشع » النبي في إسرائيل ، وميخا وإشعيا في يهوذا ، وسار هؤلاء الثلاثة في نهج عاموس وتميز كل منهم عن الآخر في أشياء معينة فقد ركز هوشع على مبدأ الحب في الله وأن جوهر الله هو الحب^(٣) ونادى بالتوبة والبر وأن من يحترث النفاق يحصد الإثم ويأكل ثمرة الكذب^(٤) ، واشترك هوشع مع إشعيا في التنبيه إلى خطورة الاعتماد على القوى الأجنبية الآشورية أو المصرية^(٥) .

أما أمير أنبياء تلك الفترة بحق فهو إشعيا بن أموص الذي شهد حكم أربعة من ملوك يهوذا عزريا ويوثام وأحاز وحزقيا ، وأعلن معارضته العنيفة للحاكم

(١) عاموس : ١٨:٥ - ٢٠ .

(٢) طه باقر «مقدمة في تاريخ الحضارات الأولى» ج٢ ، ص ٣٠٥ .

(٣) هوشع : ١٢:١٠ - ١٣ .

(٤) هوشع : ١:١٢ - ٢ ، ٧:٨ - ١٢ .

والمحكوم على السواء ، واعترض على كثير من السياسات الملكية الخرقاء ، وعلى الأخص ما يتعلق منها بالسياسات المتجهة إلى الاعتماد على بعض القوى الخارجية كقوة مصر تلك القصة المرضوضة^(١) ، واعترض على الاهتمام بالمظهر دون الجوهر في العبادة فأعلن ثورته على الطقوس الدينية الجوفاء وخيانة الشعب لقدوس إسرائيل^(٢) حتى أصبحوا في مرتبة أدنى من الحيوان الغمي^(٣) ، كما أكد على وحدانية الله الخالصة وقد شهد أشعيا أحداثاً عصيبة بالنسبة للعبرانيين ، فقد دمرت « السامرة » في عهده سنة ٧٢٢ ق.م وشهد تخريب « سنحريب » ليهودا في السنة الرابعة عشرة من حكم حزقيا^(٤) ومحاصرة عاصمتها « أورشليم » ، وكان صاحب رأي يدل على مدى وعيه الديني والسياسي حين أشار على حزقيا بالألا يستسلم لملك آشور وألا يحاربه كذلك لأن الرب سيتولى أمر هذا العدو^(٥) .

وفي هذا التاريخ العاصف برز نبي عظيم آخر مع أشعيا وهو ميخا وإن لم يكن على مستوى عظمة إشعيا لا في النسب ولا في سعة الأفق وشمول الفكر والتأثير في مجريات الأحداث . فقد نشأ ميخا من أسرة فقيرة ونشأ في قرية « مورشت »^(٦) فهو مواطن من منطقة التلال السفلى التي تتوسط السلسلة المركزية والسهل الساحلي ، ويقول ثيودور هـ. روبنسون^(٧) « مما استنتجه من جورج آدم سميث في كتابه G.A.S. History of Holy Land, P.207-209 : إن الظروف والملابسات التي وصفها سميث توضح أن ميخا كان لديه كل القوة وكل الضعف اللذين يمكن أن تتجهما مثل هذه المحلية ، فقد كان أفقه ضيقاً فلم يتعرض

(١) اشعيا : ٣:٣٠ - ٥ ، ١:٣١ - ٣ ، ٦:٣٦ .

(٢) اشعيا : ٤:١ .

(٣) اشعيا : ٣:١ .

(٤) اشعيا : ١:٣٦ .

(٥) اشعيا : ٣٣:٣٧ - ٣٥ .

(٦) ولعلها « مورشت جت » التي ورد ذكرها في ميخا ١:١٤ وهي تبعد نحو عشرين ميلاً جنوب غرب أورشليم ، وقد سمي « ميخا المورشتي » نسبة إلى قريته من ناحية ومن ناحية أخرى لأنه كان من المغمورين فلم يذكر اسم والده مثل اشعيا بن أموص مثلاً .

(7) Theodore H.Robinson. Prophecy and the prophets in ancient Israel; P.90

لذكور آشور وانحصرت رؤيته أساساً في مجموعة القرى المحيطة بموطنه ، فاهتم بالمأس والمظالم التي قاساها الفلاح الريفي والتي أثارت سخطه المرئد ، أما عن الترف والعصيان في المدينة الكبيرة فإن حديثه كان قليلاً أو معدوماً عنها ، ولكنه كان عنيفاً سريع التأثير ، غير موفق في الرؤية الواضحة للتفريق بين الصواب والخطأ مما تميز به عاموس غير أنه كان أكثر عمقاً من عاموس من حيث أنه يرى أن الشر كان يدفع الحياة خارج الوطن إنما هو حب اكتناز المال والشح من جانب وجهاء القوم^(١) وليس هو مجرد فساد القضاء الذي أعطى ذلك الشح فرصته الكبرى^(٢) ، وامتاز ميخا كذلك بأنه كان خيالياً يستطيع أن يستحضر صورة دقيقة لدخول يهوه في صراع حياة يهوذا^(٣) .

وبسبب نظرة ميخا المحلية الضيقة فإنه لم يكن لديه ما يقوله عن السلطة الملكية ولكنك تلاحظ من خلال حديثه الدرامي القوي مدى حب الأغنياء والوجهاء في تنمية ممتلكاتهم وتوسيع رقعة عقاراتهم باستخدام العنف والبطش لأصحاب الحقوق^(٤) ، وتسخيرهم في بناء منازل الوجهاء من القوم مما يذكرنا بشكوى هوشع من جهل شعب الرب الذين تنقصهم المعرفة بماهية إرادة الرب وبمواقع العدل ، وهم حتماً كانوا يكرهون الخير ويحبون الشر يهملون جانب الوطن ويأكلون لحم الفلاحين^(٥) .

كذلك اتفق ميخا مع إشعيا إلى حد ما في الشعور بهول القضاء الذي سيحل بيهوذا وحكامها^(٦) فهو في الأساس مشغول جداً بتأمل خطيئة الشعب^(٧) وهو في ذلك دون إشعيا وهوشع اللذين عاصرهما إبان حكم يوثان وآحاز وحزقيا .

(١) ميخا : ١ : ٢ - ١٠ .

(٢) ميخا : ١ : ٣ - ٩ .

(٣) ميخا : ١ : ٣ - ٥ .

(٤) ميخا : ١ : ٢ - ٣ .

(٥) ميخا : ٢ : ٣ - ٣ .

(٦) ميخا : ١ : ٨ - ٩ .

(٧) ثيودور هـ. رويشون « نفس المرجع السابق » ص ٩١ .

وبعد إشعيا وميخا وهوشع وعاموس يبرز نبي في يهوذا على جانب كبير من الأهمية وهو أرميا الذي لعب دوراً هاماً في أزمة الكيان العبري آنذاك ، وكما قدر لإشعيا أن يشهد سقوط « السامرة » فقد قدر لأرميا أن يشهد السقوط العظيم ، سقوط أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م فكان النبي الحزين الباكي على انقضاء سلطان بني إسرائيل^(١) وقد عاش أرميا ما يقرب من نصف قرن ويحدد ثيودور هـ. روبنسون حياة أرميا بالفترة من ٦٢٧ - ٥٧٧ ق.م^(٢) .

ورغم تعضيد أرميا لحركة الإصلاح التي قام بها يوشياهو ملك يهوذا وبخاصة بعد ظهور سفر الشريعة على يدي « حلقيا » الكاهن^(٣) ، بأن أرميا كان يحاول إغراء الشعب بالتمسك بالدين قائلاً : « أصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع قال رب الجنود^(٤) إلا أن « أرميا » يتبين أن ذنوب يهوذا قد امتدت جذورها ، ورسخت خطايا الشعب في نفوسهم ف « خطيئة يهوذا مكتوبة بقلم من حديد ، براس من ألماس ، منقوشة على لوح قلوبهم^(٥) » وأن كلا منهم كان يعمل حسب عناد قلبه ويسير وراء أفكاره وأهوائه^(٦) لذلك كانت صيحات أرميا تذهب سدى .

ولم تدم حياة يوشياهو كثيراً إذ كانت نهايته على يدي نخاو فرعون مصر في معركة مجدو^(٧) وبموته بدأ نفوذ مصر يتسلط على يهوذا فأصبحت ولاية خاضعة لفرعون مصر يعتقل ويخلع كما يشاء من ملوكها ويولي من يريد^(٨) ويحدد الجزية

Matthew Henry's Commentary; Vol. 4. P.398.

(١)

(٢) ويحدد لويس براون مولد أرميا بسنة ٦٥٠ ق.م أنظر : Lewis Browne; The Wisdom of Israel P.47 ويبدو أن الفترة التي حددها روبنسون بخمسين عاماً هي فترة عمله النبوي الذي بدأه في السنة الثالثة عشرة من حكم يوشياهو ملك يهوذا الذي حكم حوالي ٦٤١ - ٦١٠ ق.م .

(٣) ملوك ثان : ٢٢ : ٨ .

(٤) أرميا : ٧ : ٣ .

(٥) أرميا : ١٧ : ١ .

(٦) أرميا : ١٨ : ١٢ .

(٧) أيام ثان : ٣٥ : ٢٢ - ٢٤ .

(٨) أيام ثان : ٣٦ : ١ - ٤ .

التي يرتضيها وما لبثت يهوذا حتى أصبحت كرة تتقاذفها أرجل اللاعبيين الأقوياء ، إذ تلقفتها قوة بابل وصنعت بها مثلما صنعت مصر ، وكان صوت إرميا وسط هذه الأزمة ما يزال يرن ينذر ويحذر مما سيحل من خراب ودمار على يهوذا ، ووجه معارضته الشديدة للحكام آنذاك وعلى رأسهم الملك « يهوياكين » الذي عينه « نبوخذ نصر » ملكاً على يهوذا بعد أن خلع يهوياقيم صنيعة مصر ، ولم يستمع « يهوياكين » لصيحات إرميا^(١) فاستشرى الفساد بين أوساط الشعب والكهنة ، وكثرت أرجاسهم وابتعدوا عن الدين الصحيح وصدوا عن دعوة إرميا فتشدد في صيحاته المعارضة وأنذر بخراب الهيكل والمدينة مما أثار عليه الشعب والكهنة واتهموه بالتعدي على الرب وبالخيانة العظمى لوطنه فنادوا بقتله ، ولكن هذا زاد من معارضة إرميا وأنذر الملك « صدقياهو » وحذره من الحنث بيمين الولاء الذي أقسمه أمام ملك بابل « نبوخذ نصر » وكرر إرميا ما فعله اشعيا قبله من التحذير من الوقوع في دائرة إغراء فرعون مصر للملك بتقديم يد المعونة ليهوذا ضد بابل ولم يكن تحذير إرميا للملك من التمرد على بابل حياً في بابل ولكنه كان يدرك مدى الخطر الذي ستعرض له يهوذا إذا هي اعتمدت على وعود فرعون مصر وتمردت على بابل فنأدى بالبقاء تحت السلطان البابلي^(٢) اتقاء لشر « نبوخذ نصر » وانتقامه الرهيب من يهوذا وشعبها وهيكلها إن هي تمردت عليه وقد كانت له عبرة فيما حل بإسرائيل من قبل رغم تفوق إسرائيل آنذاك على يهوذا في القوة والمنعة حتى حل بيهوذا ما كان يخشاه إرميا من أسر وقتل وتدمير^(٣) .

وخلال أزمة السبي ظهرت نعمة جديدة لأنبياء تلك الفترة تختلف نوعاً عن سابقهم ، إذ لم يعد هناك محل للتحذير من الوقوع في الأسر الذي هم فيه فعلاً ، ولكن النداء الجديد هو نداء بالعودة إلى طريق الرب وبالاستقامة ، وتُدبّر ماحاق

(١) أيام ثان : ١٢:٣٦ .

(٢) إرميا : ٨:٢٧ - ١٧ ، ١٤:١٨ .

(٣) يقول لويس براون في كتابه The Wisdom of Israel P.47 لقد عمل إرميا لسنوات طويلة من أجل إنقاذ يهوذا الصغيرة الضعيفة حتى لا تتردى في الخطأ الجسيم الذي دمر إسرائيل تماماً ، ولكنه عندما أخفق وحل بيهوذا ما حل فإنه ظل يرفض الراحة ، وعكف على شحذ عزيمة اليهود في مفاهيم حتى يتمكنوا في النهاية من تحقيق كيان مستقل لهم .

بهم من جراء ابتعادهم عن أوامر الرب واستهزائهم بأقوال الأنبياء ، فكان من أنبياء السبي « حزقيال » و « عزرا » ، و « زكريا » و « دانيال » وكان لحزقيال أهمية خاصة بين أنبياء السبي ، إذ كان واحداً من ضحايا « نبوخذ نصر » الذين ساقهم أسرى من يهوذا إلى بابل ، وكان حزقيال كاهناً شاباً^(١) متمرساً بواجبات الكهانة حتى بدأت دعوته النبوية بعد استقراره في أرض المنفى على ضفاف نهر « خابور »^(٢) أحد روافد الفرات .

وقد بدأ حزقيال نبوءته مظهراً عظيمة الرب وقدرته ، مؤكداً غضب الرب على بني اسرائيل الذين تكرر وصفهم بالتمرد والعصيان^(٣) ، بل إن تمردهم زاد على كفر الأمم الوثنية من حولهم^(٤) .

من أجل ذلك كان انتقام الرب الرهيب منهم ، وأن النكبة التي حلت بهم ومزقت كياناتهم بين أسير في أرض بابل ، وهارب إلى مصر ، وبقا في اورشليم ليموت جوعاً وعطشاً هذه النكبة هي البوتقة التي يصهر الرب فيها معدن شعبه لينعزل الحَبْتُ ولا يبقى أخيراً إلا المعدن النقي الطيب ، وعلى هذا يكون حزقيال قد فسر لهم سبب النكبة وما يجب عليهم أن يفعلوه لينالوا رضا الرب فيعيدهم الى حيث كانوا^(٥) .

وقد لاقى كلمات حزقيال هوى في نفوس المسيبين فالتفتوا حوله يسألون ويسمعون تأكيده لعظمة الرب وقدرته البالغة^(٦) واستعداد الرب برغم ذلك لقبول التائبين كما أكد حزقيال مبدأ المسؤولية الفردية^(٧) الذي نادى به إرميا من قبل^(٨) .

(١) حزقيال : ٢ : ١ .

(٢) حزقيال : ٣ : ١ .

(٣) استغرق وصفهم بالتمرد والعصيان كل الإصحاح الثاني والثالث .

(٤) حزقيال : ٦ : ٥ .

(٥) حزقيال : ١٠ : ٦ .

(٦) حزقيال : ١ : ١٤ .

(٧) حزقيال : ١٢ : ١٤ - ٢٠ ، ٢٠ : ١٨ .

(٨) أرميا : ٣٢ : ١٩ ، ٢٩/٣١ - ٣٠ ، ٢٠ : ١٨ ، ولم يكن أرميا أول من أشار إلى مبدأ المسؤولية الفردية ولكننا نرى قبله أمصيا ملك يهوذا يطبق هذا المبدأ امتثالاً لشريعة موسى « ملوك ثان : ١٣ : ٥ ، ٦ » وكذلك ميخا حين قال : « هل أعطى بكرى عن معصيتي ، ثمرة جسدي عن خطية نفسي ٦ : ٧ .

موقف السلطة الملكية من المعارضة النبوية :

لا يمكننا القول بأن علو صوت المعارضة النبوية لم تكن له جدواه وآثاره في المجتمع العبري ، فقد كان العمل النبوي عملاً إصلاحياً أصيلاً ، بعيداً عن أي طموح دنيوي أو مطمع شخصي في سلطة أو ثروة أو جاه ، فأنبيا بني إسرائيل كما قال عنهم النبي محمد ﷺ : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » .

فالعالم الديني من خاصيته الإصلاح والزهد والأخلاص ، ومن هذا المنطلق شملت الدعوة النبوية في بني إسرائيل شتى مناحي الحياة بالنقد اللاذع المرير لمظاهر الفساد المتفشي بين طبقات الحكام والمحكومين .

وقد بدأت المعارضة النبوية للسلطة الملكية كما قلنا منذ صمويل^(١) وسارت في اتجاه معين حتى ناثان النبي ، ثم حدث لبعض رجال الله أن وفقوا إلى تفسير الأحداث العامة والتصرفات الخاصة على ضوء اعتقادهم في مطالب الرب التي قد تكون متعارضة مع مواقف معينة تخضع لمقاييس متعارف عليها ، مما أوجد الصدام بين الملوك وبين الأنبياء ، وحجة النبي في ذلك أن سلطة الرب مطلقة ، أما سلطة الملك فلا^(٢) .

ليس هناك ملك في إسرائيل حر في أن يتصرف كما يشتهي ، حتى ولو فعل ذلك ملوك آخرون^(٣) ، ومن هنا كان تدخل الأنبياء في شئون السلطة الملكية مثلما حدث من أكثر من نبي مع آخاب^(٤) ، كذلك تدخل الأنبياء في أخطر القرارات السياسية والعسكرية وكان بعض الملوك يمثلون لما يشير به الأنبياء عليهم ، كما مثال أمصيا ملك يهوذا لأمر رجل الله الذي نهاه عن الاستعانة بقوات مستأجرة من إسرائيل لمحاربة بني ساعير^(٥) بل كان بعض الملوك يلتمسون النصيحة من

(١) صمويل ثان : ١٢ : ١ - ١٤ .

O.Jessie Lace; The Cambridge Bible Commentary. P.142.

(٢)

(٣) عاموس : ٧ : ٧ - ١٧ .

(٤) ملوك أول : ٢٠ : ١٣ - ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ - ٤٣ .

(٥) أيام ثان : ٢٥ : ٦ - ١٠ .

الأنبياء في أمور معينة كاستشارة يهوآش ملك إسرائيل لأليشع النبي في أمره حين حضره الموت وكان الملك يخاطب أليشع بقوله يا أبي (١) كذلك استشارة « يورام » ملك إسرائيل لأليشع « عندما تاهب ملك إسرائيل ومعه « يهوشافاط » ملك يهوذا لحرب مؤاب ، وجرأة أليشع في إسداء النصيحة ليورام بحزم وقسوة وتوبيخ (٢) تماماً كما فعل ميخا بن يملة في أمر حرب آخاب مع آرام (٣) كذلك استشارة الملك حزقياً ملك يهوذا للنبي إشعيا عند حصار أورشليم بقوات آشور (٤) .

ورغم ذلك فقد كان كثير من الملوك الجامحين يرفضون قول الأنبياء وينفرون من التدخل النبوي في شئون سياساتهم فيتعرضون لهم بالسجن والتعذيب والاضطهاد (٥) ، بل والقتل أحياناً (٦) .

ولقد حدث تجديد في النبوة ، وتطور في العمل النبوي منذ بداية القرن الثامن ق.م وبالذات منذ نبوة عاموس الذي يصفه أحد المحققين بأنه بداية مرحلة جديدة في النبوة العبرية ، حيث تبدل العمل النبوي من الشعوذة إلى الإصلاح (٧) . فأنبياء فترة ما بين صمويل وعاموس مثل أخيا الشيلوني وإيليا التشبي وأليشع لم يستطيعوا أن يحققوا ما أرادوا من إصلاح عن طريق القضاء على بعض البيوت الملكية الفاسدة كبيت يربعام وبيت بعشا ، وبيت آخاب في مملكة الأسباط العشرة المنشقين على بيت داود بسبب أعمال شيخوخة سليمان التي أدت إلى ثورة

(١) ملوك ثان : ١٣ : ١٤ - ١٩ .

(٢) ملوك ثان : ٣ : ١٣ - ١٤ .

(٣) ملوك أول : ٢٢ : ٦ - ٢٦ .

(٤) إشعيا : ٣٧ : ١ - ٧ .

(٥) كما فعل آخاب بميخا بن يملة (ملوك أول : ٢٢ / ٢٦ ، ٢٧ ، ملوك أول) وكما فعلت ايزابل مع إيليا التشبي ، ملوك أول : ١٩ : ٢ - ٤ .

(٦) كما فعل آخاب بأنبياء الرب الأربعائة ، ملوك أول : ١٩ : ١٠ .

وكما فعل يوأش بن أخزيا ملك يهوذا مع زكريا بن يهوئاداع ، أيام ثان : ٢٤ : ٢٠ - ٢٢ وكما فعل منسي ملك يهوذا مع إشعيا النبي ، أنظر :

وكما يشير العهد الجديد إلى قتل الأنبياء على يدي ملوك بني إسرائيل « رسالة إلى العبرانيين : ١١ / ٣٥ -

٣٧ .

Lewis Browne; The wisdom of Israel. P.40.

(٧)

الأنبياء وتعاونهم مع أعدائه السياسيين ، مثل تعاون أخيا الشيلوني مع يربعام بن نباط صنيعة مصر .

يضاف إلى ذلك انتشار الوثنية في الشمال وتغلغلها في الطقس الديني حتى يستجلب يربعام الأول رضاء الملوك الكنعانيين أعداء سليمان ، مما أدى إلى ثورة الأنبياء وازدياد معارضتهم لبيت يربعام بن نباط وبيوت من تلاه من ملوك إسرائيل .

والى جانب انتشار الوثنية انتشرت أمراض اجتماعية أخرى كالظلم والفجور ، واتساع الهوة بين طبقات المجتمع ، كل ذلك كان الأنبياء يحاولون إصلاحه عن طريق إصلاح الملوك والرؤساء .

لذلك يصف سيجال^(١) أنبياء تلك الفترة منذ صمويل حتى عاموس بأنهم كانوا أنبياء للأفراد ولم يكونوا أنبياء للأمة كلها كما كان سابقوهم منذ موسى حتى يشوع بن نون .

من أجل ذلك بدأ العمل النبوي منذ عاموس يتخذ مساراً جديداً في سبيل إنقاذ الأمة وإصلاح ما فسد من أحوالها ، فترك الأنبياء الأسلوب الدموي في التخلص من البيوت الملكية الجائرة ، وعادوا ينتهجون نهج الأنبياء السابقين منذ موسى حتى يشوع بن نون بأن يكون الإصلاح موجهاً لجميع الأمة مبينين أن النجاة لا تتحقق إلا بتكافل الجميع وبذلك تحول العمل النبوي من وعظ ومعارضة لأفراد السلطة إلى قيادة روحية يتولى الأنبياء زمامها في جميع الأمة . ويصف أحد المحققين أنبياء تلك الفترة بأنهم كانوا أبطال التحرير في الأمة هم وتلاميذهم وكانوا المثل العليا للديمقراطية بين شعبيهم مثل : « الرب فوق البعل وفوق سائر الآلهة الوثنية »^(٢) .

علاقة النبي بالمعبد والكاهن :

ارتبطت ديانة بني إسرائيل بالمعبد ارتباطاً وثيقاً مذ كانت ، فالمعبد هو القبلة

(١) م. ص. سيجال « حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل » ص ٤٢ .

William Blaikie; Amanual of Bible History, P.167.

(٢)

التي يتجه إليها الناس عند مزاولة أية شعيرة دينية ، صلاة كانت أو حجاً أو أعياداً^(١) أو قرابين وذبائح .

والمعبد هنا نقصد به محل إقامة الشعائر الدينية سواء أكان مرتفعة من المرتفعات أو خيمة^(٢) أو معبداً مبنياً ثابتاً^(٣) .

وكان الأنبياء يقيمون حول المعابد وداخلها حيث يتلقون وحيهم في معظم الأحيان مثل موسى^(٤) ويوشع بن نون^(٥) ، وسمويل^(٦) وإشعيا^(٧) حين يتحدث عن بداية اختيار الرب له نبياً ، وتجليه له في الهيكل^(٨) .

وكانت الرؤى النبوية تلقى على الشعب في المعبد غالباً ، حتى بعد انقسام المملكة ظل المعبد الأساسي في أورشليم موئل الشعب لسماع الرؤى النبوية^(٩) وإقامة الشعائر الدينية ، وكان كذلك في إسرائيل معبد للرب كان قد أسسه يعقوب وسماه بيت ايل^(١٠) وكذلك سميت المدينة التي أقيم فيها هذا المعبد بـ « بيت ايل » وكانت تدعى من قبل « لوز »^(١١) وفيها أسس يربعام بن نباط معبداً رسمياً بعد انقسام المملكة^(١٢) وكان عاموس يتنبأ فيه كما يبدو من حوارته مع أمصيا الكاهن^(١٣)

(١) مثل معبد نابوت في الرامة وكان مجمع الأنبياء على أيام صمويل (صمويل أول ١٩ : ١٩ - ٢٠) .

(٢) وهي خيمة الاجتماع التي كان فيها تابوت العهد المشتمل على الكروبيم (أنظر خروج ٢٥ : ١ ، ٢٦ ، ٢٧ ولهذا التابوت قصص طويلة في حياة العبريين وحروبهم مع الفلسطينيين الذين سلبوه منهم ثم استردوه على يدي داود في فرح وحبور ، أنظر المدخل التاريخي للبحث .
(٣) وأول من أقام معبداً ثابتاً للتابوت هو سليمان بن داود وكان لهذا المعبد أثر بالغ في حياة العبريين السياسية والدينية والاقتصادية .

(٤) خروج : ٣٣ : ٩ - ١١ ، لاويون : ١ : ١ .

(٥) يوشع : ٥ : ١١ - ١٥ .

(٦) صمويل أول : ٣ : ١ - ١٤ .

(٧) إشعيا : ٦ : ١ .

(٨) إرميا : ٧ : ٢ ، ١٩ ، ٢٦ : ٢ - ٧ ، ١٨ : ١ - ٢٩ : ٢٠ .

(٩) تكوين : ٢٨ : ١٦ - ٢٢ .

(١٠) تكوين : ٢٨ : ١٩ .

(١١) ملوك أول : ١٢ : ٢٩ .

(١٢) عاموس : ٧ : ١٢ - ١٣ .

وقد ظل هذا المعبد حتى هدمه « يوشياهو » ملك يهوذا^(١) .

وكان من الطبيعي أن يتواجد الأنبياء في المعابد للرد على استفسارات الوافدين عما خبا لهم الغيب بل إن سيجال^(٢) يرى أن صلة النبي بالمعبد كانت أبعد من هذا بكثير إذ إن هناك ما يعود إلى الاعتقاد بأن الأنبياء - وبخاصة مجامع ألقابهم الأنبياء - كانوا يشتركون في شعائر المعبد ، ولم يكن ذلك في أوقات موقوتة فحسب كأيام الصوم وطقوس الجماعة ، بل كذلك وبانتظام ، في كل شعائر الله التي يؤديها الجمهور .

وقد يؤدي هذا إلى التباس بين وظيفة كل من النبي والكاهن ، ولكن وظيفة الكاهن كانت مقصورة على ما يقدمه الشعب من ذبائح وقرابين ، وكان أقصى ما يخرجون به على هذه القاعدة هو أن يباركوا الشعب أحياناً^(٣) ، أما الصلاة من أجل الشعب فكانت من صميم عمل النبي ، إذ كان الأفراد يلجأون إلى النبي في الضراء والبأساء ليقوم ضارعاً أمام الله حتى يأتي الفرج ، ينطبق ذلك على إبراهيم^(٤) ، وموسى^(٥) ، وعلى معظم أنبياء بني إسرائيل^(٦) .

ويرى ميريل أونجر^(٧) أن وظيفة النبي تختلف عن وظيفة الكاهن في أن الكاهن يتقرب إلى الرب بمنفعة من الناس عن طريق التقدمة ، أما الأنبياء فإنهم يأتون إلى الناس كسفراء من الرب ملتسمين منهم أن يتحولوا عن طرقهم الشريرة ليعيشوا .

كما أنه ليس من الضروري - عند أونجر - أن نفهم من ذلك أن طبقتي الأنبياء والكهنة كانتا متعارضتين . وربما بنى أونجر رأيه هذا على أساس أن بعض الأنبياء

(١) ملوك ثان : ٢٣ : ١٥ .

(٢) م.ص. سيجال « حول تاريخ الأنبياء » ص ٢٦ .

(٣) عدد : ٢٢ : ٦ - ٢٧ .

(٤) تكوين : ٧ : ٢٠ ، ١٧ ، ١٨ : ٢٣ - ٣٣ .

(٥) خروج : ٩ : ٣٣ ، ١٠ : ١٨ ، ١٤ : ١٥ ، ١٧ : ٤ ، ٣٢ : ١١ ، عدد ١١ : ٢ ،

١٤ : ١٣ .. الخ .

(٦) أنظر بالتفصيل م.ص. سيجال « حول تاريخ الأنبياء » ص ٢٠ - ٢٢ .

M.Unger; Unger's Bible Dictionary, P.891.

(٧)

كانوا كهنة في الأصل قبل تنبؤهم مثل إرميا^(١) ، وعزرا^(٢) ، وحزقيال^(٣) . ولكن أونجر يستشهد على صحة رأيه هذا بما كان من تضامن بين في سبيل الإصلاح بين الأنبياء والكهنة ، فموسى اتخذ « هارون » الكاهن معيناً له ومعبراً عما يريد النبي تبليغه إلى الناس ، ويشوع كذلك ظل محاطاً بالكهنة في تنفيذ رسالته ، وصمويل كان كاهناً ونبياً معاً ، وداود وسليمان كذلك قد خدما أو نصحا بالصفتين معاً صفة النبوة وصفة الكهانة^(٤) .

وربما كان هذا الذي ارتآه أونجر ينسحب على الكهانات والنبوات المتقدمة^(٥) قبل تفجر أزمة الكيان اليهودي سياسياً واجتماعياً ودينياً وبخاصة بعد انقسام المملكة ، فإن كثيراً من الأنبياء وبخاصة منذ عاموس ومن تلاه منهم قد هاجموا العمل الكهنوتي هجوماً عنيفاً ، عندما رأوا أن العمل الكهنوتس أصبح وسيلة للكسب والغنى باسم الدين ، وحين تحولت الكهانة إلى إدارة كبقية إدارات الدولة تخضع للسلطان الملكي ، يتدخل في خلع من أراد وتعيين من أراد كما فعل سليمان حين طرد أبياتار من الخدمة الكهنوتية لأنه ناصر أخاه الأكبر حين أراد أن يستقل بالملك بعد أبيه داود ، وعين صادقاً لأنه مسحه ملكاً على إسرائيل ، وكذلك داود من قبل ، قد بسط حمايته على الدين وألحق الكاهن الأكبر ببلاطه وجاهد ليجعل الهيئة الدينية إدارة من إدارات الدولة^(٦) .

لذلك أعلن الأنبياء كره الرب لكل الطقوس التي يؤديها الكهنة باسم الدين ،

(١) إرميا : ١ : ١ .

(٢) عزرا : ٧ : ١١ .

(٣) حزقيال : ١ : ٢ .

(٤) وقد نقل Unger هذا الرأي عن Robertson في كتابه

Early Religion of Israel, P.461.

(٥) ويقول هـ. جـ. ويلز « معالم تاريخ الانسانية » جـ ٢ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ : « . . . ويبدو أن الأنبياء الأول أشد الناس شبيهاً بالكهنة الأول ، فإنهم يستلهمون الوحي ويقدمون النصح ، وربما لم يكن هناك في البداية أي فارق كبير بين الكاهن والنبى . . . حين كانت الأفكار الدينية غير مستقرة نسبياً . »

(٦) سباتينو موسكاتي « الحضارات السامية القديمة » ص ١٤٢ .

تلك الطقوس التي لا تعبر عن جوهر الدين ، ومقاصد الرب بقدر ما هي أمور سطحية شكلية لا جدوى من ورائها إلا للقائمين عليها ، وقد يكون عاموس متوجهاً بقوله إلى الكهنة حينما قال مبلغاً عن الرب : « لذلك من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتاً من حجارة ، منحوتة ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروماً شهية ولا تشربون خمرها » (١) .

كذلك يعلن عاموس عن كراهية الرب للدين الشكلي المتمثل في الطقوس الكهنوتية « بغضب ، كرهت أعيادكم ، ولست ألتذ باعتكافاتكم ، إني إذا قدمت لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي ، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها ، أبعد عني ضجة أغنياتك ، ونغمة ربابك لا أسمع » (٢) .

وإشعيا كذلك يهاجم الجانب الشكلي من الدين ، وهو الجانب الذي يتولاه الكهنة ، ويعلن عدم رضا الرب بهذا العمل « لماذا إليّ كثرة ذبائحكم يقول الرب ، أتخمت من محرقات كباش ، وشحم مسمنات ، ويدم عجول وخراف ، وتيوس ، ما أسر ، حين تأتون لتظهروا أمامي ، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري ، لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة ، البخور هو مكرهة لي ، رأس السنة والسبت ونداء المحفل ، لست أطيق الإثم والاعتكاف ، رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي ، صارت عليّ ثقلاً ، مللت حملها ، فحين تبسطون أيديكم أسترعيني عنكم ، وإن كثرت الصلاة فلا أسمع » (٣) .

بل يذهب « إرميا » إلى أن الرب لم يوص الأباء حين أخرجهم من مصر بمحرقة ولا ذبيحة « هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل ، ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً ، لأنني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من محرقة وذبيحة ... » (٤) .

(١) عاموس : ١١ : ٥ .

(٢) عاموس : ٢١ : ٥ - ٢٣ .

(٣) إشعيا : ١١ : ١ - ١٥ .

(٤) إرميا : ٢١ : ٧ - ٢٢ .

وكذلك ميخا يقول : « هل يسر الرب بألوف الكباش ، بربوات أنهار زيت » . (١)

ولم يقتصر هجوم الأنبياء على العمل الكهنوتي الذي ينصب على الجانب الشكلي من الدين فحسب ، بل هاجموا الكهنة أنفسهم هجوماً صريحاً ، ومن هؤلاء المهاجمين إشعيا وهوشع وإرميا فقد قال إشعيا عن الكهنة إنهم ضلوا بالخمير وتاهوا بالمسكر (٢) وأعلن كذلك سفه العقيدة الكهنوتية الفجة (٣) . وأنذرهم هوشع بأن عليهم قضاء الرب (٤) . ثم وصفهم إرميا بأنهم لا يعرفون الرب ، وأنهم يحكمون بالكذب ، وأنهم آثمون وسافكو دماء الصديقين (٥) .

من هذا نعرف أن العمل الكهنوتي آنذاك كان مظهراً من مظاهر السلوك المرفوض ضمن مظاهر السلوك التي شملت معظم الحياة الاجتماعية آنذاك .

وكان التعارض بين العمل النبوي وبين العمل الكهنوتي قد نشأ من طبيعة كل من العاملين ، فوجهة النبي روح الدين وحقيقته في الضمير الإنساني (٦) . أما وجهة الكاهن فهي الشكل الظاهري للدين متمثلاً في الطقوس والمراسم التي لا يقبلون أحداً غيرهم يشاركهم فيها حتى ولو كان الملك نفسه (٧) . ويقول ه.ج. ولز في عمل كل من الكاهن والنبي وعلاقة كل منهما في مرحلة متأخرة (٨) : « على أن طراز الأنبياء بعد بناء المعابد وتنظيم الكهانات ظل عاملاً آخر قائماً ومنزلاً عن الخطة الدينية الرسمية ، والراجع أن الكهان لم يبرحوا يتبرمون بالأنبياء تبرماً يتفاوت قدره إذا أصبحوا الناصحين غير الرسميين للناس في

(١) ميخا : ٦ : ٧ .

(٢) إشعيا : ٢٨ : ٧ .

(٣) Lewis Brown; The Wisdom of Israel; P.43.

(٤) هوشع : ١ : ٥ .

(٥) إرميا : ٢ : ٨ ، ٥ : ٣٠ ، مراثي إرميا : ٤ : ١٣ .

(٦) سباتينو موسكاتي « الحضارات السامية القديمة » ، ص ١٤٢ ، وانظر ميريل أونجر Unger's Bible

Dictionary; P.892.

(٧) كالصدام الذي حدث بين عزيا ملك يهوذا وبين الكهنة في المعبد أنظر أيام ثان ٢٦ : ١٦ - ٢٠ .

(٨) ه.ج. ولز « معالم تاريخ الإنسانية » ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

الشئون العامة ، والناعين عليهم الخطايا والتصرفات الغريبة

ولم تستطع السلطة الملكية أن تحتوي النشاط النبوي المعارض ، ولم يسلك النبي مسلك موظفي الدولة كما كان الحال عند الكهنة ، مما جعل الكراهية تنصب على الدولة والدين الرسمي معاً ، وحدث التنافر بين الدين الرسمي وبين ما كان يأمله أصحاب الدين الحقيقي البعيد عن الشكلية والجمود ، فتطور التوتر إلى معارضة كان الأنبياء لسانها الحاد المعبر عن مشاعر السخط الشعبي على التدخل السافر للملك في شئون الدين^(١) حيث أصبح الكهنة مسئولين عن تنفيذ مقتضيات العبادة في بلاط الملوك وفي أماكن أخرى^(٢) .



(١) سباتينو موسكاتي « الحضارات السامية القديمة » ص ١٤٢ .

The Cambridge Bible Commentary; P.142.

(٢)

الباب الثاني

الفصل الأول : سفر إشعيا تاريخ تكوينه ووحدته

الفصل الثاني : لغة السفر

الفصل الأول

سفر إشعيا : تاريخ تكوينه ووحدته

سفر إشعيا من أكثر أسفار العهد القديم حظوة لدى الباحثين والمحققين في ميدان دراسة الكتاب المقدس تاريخياً ولاهوتياً .

ولا غرابة في أن يحظى هذا السفر بكل هذا القدر من الجدل والنقاش فهو سجل لأكثر الأحداث السياسية والعسكرية خطورة في تاريخ المملكة العبرية القديمة ، كما أنه يعرض صوراً واضحة المعالم للحياة الاجتماعية والروحية للنصف الأخير من عهد المملكة حتى السبي البابلي والعودة منه على يدي قورش الملك الفارسي .

وكان تناول السفر لهذه الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية والروحية هو السبب الرئيسي في اختلاف المحققين حول ما إذا كان السفر وحدة واحدة لمؤلف واحد أم هو فصول وأقسام كتبها أكثر من يد على مدى زماني معين . ذلك المنهج انتهجه أصحاب النقد التاريخي في تفسير الكتاب المقدس ، ومن أئمتهم المفكر اليهودي « سينيوزا »^(١) الذي يرفض سلطة الكنيسة في التفسير وما تدعيه من حق في تفسير الكتاب المقدس ، كما رفضها « لوثر » من قبل^(٢) .

ويعتمد « سينيوزا » في تحليله للكتاب المقدس على المبدأ البرتستانتي « الكتاب وحده » « Sole Scriptura » دون الالتجاء إلى سلطة آباء الكنيسة أو التراث المسيحي إبان العصور^(٣) ، إذ إن التراث المسيحي واللاهوتي بالذات في

(١) سينيوزا « رسالة في اللاهوت والسياسة » ، ترجمة دكتور حسن حنفي ، ص ٣٦ .

(٢) سينيوزا « رسالة في اللاهوت والسياسة » ، ترجمة د. حسن حنفي ص ٣٦ من مقدمة المترجم .

(٣) نفس المرجع ص ٣٧ .

سفر إشعيا يميل إلى القول بوحدة السفر والمؤلف إيماناً بحقيقة النبوة وقدرة الله على أن يكشف لأنبيائه ما سيحدث من أحداث في المستقبل .

هذا فضلاً عن أن الإيمان بوحدة سفر إشعيا بالذات يمثل ركناً هاماً في العقيدة المسيحية إذ إن إنكار صدور إشعيا عن مصدر إلهي في نبوءاته يمثل هدماً لنبوءة إشعيا بمجيء المسيح المخلص ، وعلى هذا نجد كثيرين من رجال الكنيسة المسيحية يؤكدون وحدة السفر ووحدة مؤلفه رغم تناول السفر لأحداث حدثت بعد زمن إشعيا بقرون ، إيماناً منهم بأن ما ورد في السفر من الأحداث المستقبلية إنما هو كشف من الله لنبية عما سيحدث . ومن هؤلاء الباحثين المؤيدين لوحدة السفر فرديريك تشارلز جيننجز^(١) F.C. Jennings . كذلك م . فريدلاندر M.Friedlander الألماني^(٢) ، كذلك تشارلز ف . بفيفر Charles F. Pfeiffer^(٣) . ومتي هنري Matthew Henry^(٤) .

ويتنمي سفر إشعيا إلى تلك المجموعة المعروفة في العهد القديم عند الباحثين بالأنبياء وبعبارة أدق ينتمي إلى القسم المسمى بالأنبياء المتأخرين ويشتمل هذا القسم على أربعة أقسام هي : إشعيا ، وإرميا وحزقيال والإثني عشر نبياً ، وهكذا جرت عادة الباحثين على تصنيفهم حسب هذا التقسيم .
وإذا كان إشعيا يأتي ترتيبه على رأس الأنبياء المتأخرين فهذا يرجع إلى اعتبار حجم السفر الذي يزيد في عدد إصحاحاته عن أي سفر من أسفار الأنبياء المتأخرين كما أن أحبار اليهود جعلونه في تقسيمهم ثالث الأنبياء الكبار وليس أولهم^(٥) .

(١) المولود في كلكتا بالهند في الثالث من ديسمبر سنة ١٨٤٧ وكان أحد أساتذة اللاهوت في مدارس الأحد في أقطار عديدة وله كتاب في سفر إشعيا Studies in Isaiah وظهرت الطبعة الأولى منه في نيوجرسي بأمريكا سنة ١٩٣٥ ، حتى الطبعة السادسة سنة ١٩٧٠ .

(٢) في كتابه : The Jewish Religion وكانت طبعته الأولى في كلية اليهود في ٣ أيار سنة ٥٦٥١ بالتقويم اليهودي والطبعة الثانية في لندن آذار ٥٦٦٠ .

(٣) في تفسيره للكتاب المقدس The Wycliff Bible Commentary وكانت طبعته الثامنة سنة ١٩٧٢ .

(٤) في كتابه Matthew Henry's Commentary في نيوجرسي بأمريكا في ١٨ يوليو سنة ١٩١٢ م .

(٥) O.E.W. Oesterly & Theodore H. Robinson «An introduction to the Book of the O.T. P.233. (٥)

وفي البشيتا Peshitte يأتي إشعيا على رأس الأنبياء المتأخرين ثم يلحق بالاثني عشر نبياً وليس بإرميا، بينما اتبعت الفولجاتا Volgate النظام المتبع دائماً في الترجمات الحديثة^(١).

وأما الترتيب الوارد في الترجمة السبعينية فإنه يقدم الأنبياء الاثني عشر على الأنبياء الثلاثة العظام .

ولما كان السفر يشكل في نبوءاته مجموعات متجانسة من الأشكال الأدبية ، شعرية كانت أم نثرية ، لذلك ستناول كل مجموعة على حدة لندققها ونبين رأي الباحثين في فقرات كل مجموعة ، من حيث كونها مقحمة بفعل النساخ والجامعين أو كونها أصيلة من عمل إشعيا نفسه ، ثم اقتراح تواريخ لهذه المجموعات ، وكذلك مدى تماسك الفقرات أو ركائباتها .

وبالنسبة لتقسيم السفر فإن إجماع الباحثين يكاد يكون كاملاً على نسبة الإصحاحات من ١ - ٣٩ إلى إشعيا الأول أو إشعيا أورشليم .

أما بقية الإصحاحات من ٤٠ - ٦٦ فإن هناك من الباحثين من اعتبرها من عمل كاتب واحد أطلقوا عليه اسم « إشعيا الثاني » أو « دويترو إشعيا » ، وهناك من خص إشعيا الثاني بالإصحاحات من ٤٠ - ٥٥ ، وباقي الإصحاحات من ٥٦ - ٦٦ أطلقوا عليها اسم إشعيا الثالث أو تريتو إشعيا ، وكل من إشعيا الثاني أو الثالث شخص مجهول لا يعرف اسمه الحقيقي ، ولكن أطلق عليه هذا الاسم للمماثلة الموجودة في إصحاحاته بالإصحاحات الأولى المنسوبة إلى إشعيا الأورشليمي من ١ - ٣٩ . وكل فريق من هؤلاء الباحثين الذين لم يرتضوا وحدة السفر له وجهة نظره في تقسيم السفر إلى إشعيا أول وثان فقط أو إشعيا أول وثان وثالث .

وحتى المجموعة الأولى من ١ - ٣٩ التي ينسبها الباحثون إلى إشعيا الأول ، « الأورشليمي » لا يتفق رأي الباحثين في نسبتها جميعاً إلى إشعيا ، بل نجد إصحاحات بأكملها ، أو بعض الفقرات ينفي الباحثون نسبتها إلى إشعيا الأول^(٢) .

(١) وهو النظام الذي سار عليه النص العبري وهو ما يسمى بالنص الماسوري .

(٢) Driver, An introduction to the literature of the O.T. P.206.

كما أن الترتيب الحالي لإصحاحات السفر لا يمثل ترتيباً زمنياً ولا ترتيباً موضوعياً للسفر ، ودليل ذلك أن الإصحاح الأول كما يرى بعض الباحثين يرجع تاريخه إلى أواخر حياة إشعيا ، فالآية السابعة من الإصحاح^(١) تصف أرض يهوذا التي اكتسحتها قوة عسكرية غريبة ، وهذه النكبة أصابت يهوذا إبان حكم الملكين الأخيرين من الملوك الأربعة الذين تنبأ إشعيا في زمن حكمهم وهم «عزيا» ، «يوثام» ، «آحاز» ، و«حزقيا» .

ففي حكم آحاز تم غزو يهوذا بقوة كل من إسرائيل الشمالية مع قوة سورية ، وقد أرخ بعضهم^(٢) للإصحاح الأول بتلك الغزوة سنة ٧٣٤ ق.م ، وكذلك يرجع بعضهم تاريخه إلى حكم حزقيا ٧٢٥ - ٦٩٧ ق.م . ويقول Smith إن سنة ٧٠١ ق.م هو التاريخ الأكثر ملاءمة وواقعية لهذه النبوءة ١ : ٧ ، وهذا التاريخ هو تاريخ غزو سنحريب ليهوذا ، وإن هذه الغزوة هي آخر غزوة شهدتها إشعيا على يهوذا ، وليس كما يقول الأستاذ Cheyne بأنها هي الغزوة الآشورية التي وقعت على يهوذا سنة ٧١١ ق.م بقيادة سرجون^(٣) . أما «دريفر» فهو يرى أن تاريخ الإصحاح الأول غير معلوم ، ولكنه يرجح أن يكون قد كتب عندما كان العدو ينهب حدود يهوذا كما تشير الآية السابعة ، وذلك كما يرى بعضهم مثل GES.Del. (Dillm, Hackm) ، وأن هذا العدو هو الحلف السوري الإفرايمي^(٤) ، وبهذا يكون تاريخ الإصحاح الأول راجعاً إلى بداية حكم آحاز ، وعلى هذا تكون هذه النبوءة واحدة من نبوءات إشعيا الأولى بعد ابتداء دعوته النبوية التي يشير إليها الإصحاح السادس .

كما أن بعضهم مثل Hitz, W.R.Smith, Duhum, Cheyne يقررون أن

(١) إشعيا : ٧ : ١ «بلادكم خربة ، مدنكم محرقة بالنار ، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهي خربة كانهقلاب الغرباء» .

(٢) George Adam Smith, The Expositor's Bible, Vol.3 P.617.

(٣) جورج آدم سميث «المرجع السابق» ص ٦١٧ . وسرجون هذا هو سرجون الثاني (بارب) ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م ، وكان مغتصباً للحكم (أنظر نفس المرجع ج ٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) ملوك ثان : ١٥ : ٣٧ .

العدو المشار إليه في ٧: ١ ليس هو الحلف السوري الإفرامي ، وإنما هم الآشوريون ، وعلى هذا فإن الإصحاح الأول أو على الأقل الآيات من ٥ - ٢٥ حسب رأي Cheyne يرجع تاريخه إلى حكم حزقيا سنة ٧٠١ ق.م ، أما عن سبب تصدير السفر بالإصحاح الأول فقد تم تفسير هذا على ضوء الخصائص العامة لكثير من محتويات الإصحاح الأول مما يجعله مناسباً جداً ليكون مقدمة لما يأتي من أحداث ، وليس لأنه أول نبوءات « إشعيا »^(١) .

فالآية الأولى من الإصحاح الأول « رؤيا إشعيا بن أموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا » تمثل هذه الآية عنواناً لكل سفر إشعيا^(٢) . وقد جاءت هذه النبوءة فاتحة للسفر كله . ولم تأت في موضعها المناسب وربما حدث هذا بيد إشعيا نفسه ليجعل منها مقدمة عامة لنبوءاته ، ويرى G.A.Smith^(٣) أن هذه النبوءة أكثر نبوءات إشعيا تعبيراً ، فهي - كخلاصة - ربما كانت أعظم من أي قسم مستقل في الكتاب المقدس تعبيراً عن جوهر مذهب نبوي ، وتصويراً حياً للروح النبوي والأسلوب النبوي .

فالإصحاح الأول إذن يصلح مقدمة للموضوع الأساسي للسفر كله ولخطوط تعاليم إشعيا . بينما يعتبر بعض الباحثين أن البداية الحقيقية لنبوءات « إشعيا » إنما هي في الإصحاح الثاني ، فهو في الواقع أول السفر الأصلي بدليل أن العنوان الوارد في الإصحاح الأول الآية الأولى تجده مكرراً في بداية الإصحاح الثاني وبصورة أقدم ، كما أن محتويات الإصحاح الأول ليست من هذه النبوءات التي تنبأ بها إشعيا في عصر نبوته الأول ، بينما نجد في (٢ : ١ - ٦) نبوءات قديمة جداً^(٤) .

أما الإصحاح الأول من ٢ - ٩ فهو إيجاز لوحي فيه دعوة للسماء والأرض أن

(١) S.R. Driver W.O.E. Oesterly & T.H.Robinson: An Introduction to lit. of the O.T. P.207.

(٢) أنظر : G.A.Smith, The Expositor's Bible, Vol. 3 P.617.

(٣) أنظر : G.A.Smith, The Expositor's Bible, Vol. 3 P.617.

(٤) الدكتور فؤاد حسين علي : التوراة عرض وتلخيص ، ص ٨١ وكذلك : التوراة المبروغلفية ص ٩١ .

تشهدا على خيانة إسرائيل للعهد ، وجحودها ليهوه ، وقد أدرجت الآيتان الأوليان في مقدمة السفر كافتتاحية لافتة للأنظار ، أو على الأقل افتتاحية رائعة للمجموعة .

وفي هذه المجموعة يصور إشعيا « بني إسرائيل في جحودهم بأنهم دون الثور والحمار في المعرفة والفهم ، بأطفال غير طبيعيين قد أنكروا أباهم وقد ترسموا طريق المتاعب التي يعانون منها في حاضرهم .

ويطلق Ewald على الإصحاح الأول عنوان « الاتهام العظيم »^(١) لأن به كل ما يمثل الطريق القضائي ، إنها حالة محاكمة ، والرب فيها هو المدعي ، وهو القاضي ، والشاهدان في الدينونة هما السماء والأرض اللذان يتهل إليهما بشير الرب ليسمعا حجة الرب .

أما الجزء من (١٠ - ١٧) فهو إعلان بالتضحية تمارسه إسرائيل^(٢) ، أو هو الدفاع الذي يفترضون تقديمه أمام الرب بأنهم يحافظون على خدمة المعبد ولكن الرب يرفض هذا الدفاع لأن اهتماماتهم الدينية لم تكن صادرة عن قلب سليم ، ففي الآية العاشرة يشبه قضاة يهوذا ، في جورهم بقضاة « سدوم » ويشبه شعبها بشعب « عمورة » وهنا إيماءة إلى مصير يهوذا وإلى جزائها الذي سيشابهه جزاء سدوم وعمورة .

وأما الآيات (١٨ - ٢١) فهي مقدمة غفران إلى الرب للأمة الخاطئة ، ولكن سرعان ما تظهر هذه المقدمة أنها مرفوضة ، ولكن بعضهم يرى أن هذه المجموعة إنما هي نداء وتحذير من الرب ، وأن العبارة الأخيرة من الآية (٢٠) « لأن فم الرب تكلم » إنما هي ملحق أو تذييل لا مكان له في البناء الشعري المقطعي للنبوءة^(٣) .

Driver, An Introduction to the liter. Of the O.T. P.206. W.O.E. Oesterly & Theoder (١)

H.Robinson; An Introduction to the Books of the O.T. P.239.

G.A. Smith, The expositor's Bible, Vol.3 P.617. (٢)

W.O.E. Oesterly & Theodore H.Robinson; An Introduction to the Books of the O.T. P.239. (٣)

والمجموعة من (٢١ - ٢٨) تشكل مرثاة على مدينة اورشليم المذنبه .

ويرى « أوسترلي »^(١) أن الآيات (٢١ - ٢٣ ، ٢٤ - ٢٦) تبدو كما لو كانت مقاطع متوازنة ، المقطع الأول منها يرثي فساد « اورشليم » والمقطع الثاني ينبئ عن النقاء والبقاء . كما أن المظهر قد يخدع لأن الآية (٢٤ - أ) « لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل » ، يمكن أن تكون أي جزء من الوحي نفسه ، ولكنها تتضمن أن وحياً جديداً على وشك الابتداء ، وأن هذا الانطباع قد نشأ من النداء التالي لهذه العبارة وهو كلمة ٦٦٣ « آه » والتي ستكون لها الصدارة بالطبع في الوحدة المقطعية سواء أكانت شعراً أو توشيحاً .

وهذا لا ينفي إمكان كون الآية (٢٤ : أ) كلها قد جاءت نتيجة تنقيح للنص ما عدا كلمة **يُؤم** - لذلك ، التي في بداية الآية ، وإذا أمكننا قبول هذا الافتراض فإننا قد ننظر إلى كل الفقرة على أنها قصيدة متصلة .

أما بقية آيات الإصحاح الأول فهي مجموعات غير كاملة ، تعبر في صورة رمزية عن دينونة العصاة الذين ابتعدوا عن شجرة العبادة خجلاً منها (آية : ٢٤ ، ٢٨ - ٣١) ، وفي النهاية وعد بإصلاح مبهج ، وعودة إلى النقاء الأول (آية ٢٥ - ٢٧) .

وبعد مناقشة الإصحاح الأول منفرداً في تاريخه ومحتواه ومنزله من بقية السفر ، نتعرض بعد ذلك إلى مناقشة بقية السفر على هيئة مجاميع ، يمكن أن تشير كل مجموعة الى حدث أو أحداث معينة أو أفكار خاصة تلقي بعض الضوء على ظروف كتابتها وتاريخها . . .

ومهمة الباحث الذي يتعرض لدراسة سفر إشعيا ليست بالمهمة السهلة ، فقد أشار كثير من الباحثين الى الصعوبة التي يتعرض لها دارس السفر وأقروا بأنه لم يسلم من الإضافات التي أقحمت عليه مع مرور الزمن حتى أنه أصبح مجموعة فيها الكثير من الزيادة والتغيير^(٢) .

(١) المرجع السابق : ص ٢٤٠ .

(٢) دكتور فؤاد حسين علي : التوراة الهيروغليفية ، ص ٩٠ .

ويقول الباحث اليهودي « كوفمان » إن سفر إشعيا سيء التنظيم وأنه أكثر أسفار الأنبياء تأخراً في اكتماله ، وأكثرها خلطاً واضطراباً ، كما أن كثيراً من الأيدي قد شاركت في إخراج سفر إشعيا على مر الأجيال والعصور ، فبالإضافة إلى كلمات « إشعيا » نفسه فقد وردت في السفر كلمات من رواية تلاميذه التي تبدلت على مر الزمن لأنها ذكرت فيه مشافهة ، كما أن السفر دخلت فيه كلمات لرواة نبويين في عصور مختلفة ، فحدث لذلك إقحام لكثير من المجموعات النبوية في السفر ، ولذلك حدثت في السفر إضافات وتعديلات ونقل وبلبله حتى خرج السفر أخيراً من تحت أيدي التلاميذ والرواة والمعدلين فكان هكذا مضطرباً مشوهفاً^(١) .

ولقد جاء السفر على شكل مختارات شعرية أو مقاطع نبوية مختارة غير خاضعة لترتيب زمني أو تسلسل للأحداث .

ومنه هذه المجموعات نجد الإصحاحات من الثاني حتى نهاية الخامس وهي مجموعة يصفها « جيننج »^(٢) « بأنها رؤيا تمثل خلاصة أو مجملًا للسفر مع مقدمة في (١:٢) .

وهذه المجموعة تختص بيهودا وأورشليم كما تقرر ذلك الآية الأولى من الإصحاح الثاني ، وتبدأ هذه المجموعة بنبوءة في ٢:٢ - ٤ قد تكرر ورودها في سفر « ميخا » (٤:١ - ٤) وفي سفر « يوثيل » (٣:١٠) .

وقد كثرت آراء الباحثين في طبيعة وتاريخ هذه النبوءة ، فنجد هربرت بوكس^(٣) يقرر أن النبوءة (٢:٢ - ٤) والتي تكررت في ميخا (٤:١ - ٤) قد تكون أقدم من « إشعيا » و « ميخا » قد اقتبسها من مصدر واحد .

ويصف أوسترلي^(٤) هذا الوحي (٢:٢ - ٤) بأنه وحي « مائع » أو « عائم »

(١) ص ١٥٠ ، ١٥١ . *Isaiah: A Commentary* .

(٢) F.C.Jenning; Studies in Issiah, P.29.

(٣) George Herbert Box, Encyclopedia Britanice, Vol. XII. P.200.

(٤) W.O.E. Oesterly & T.H.Robinson; An Introduc. to the Books; P.240

لأنه غفل من التوقيع^(١) في سفر «إشعيا» ، وقد جعله كل من جامع سفر إشعيا وجامع سفر ميخا على رأس المجموعتين ، غير أن الوحي كان في ميخا ٤ : ١ - ٤ أكثر صوتاً منه في إشعيا ، فجامع سفر إشعيا جاء لنا بصيغة مبتورة من هذا الوحي لأن العبارات الأخيرة المشتملة على التوقيع موجودة الآن في سفر ميخا فقط .

ونجد أنفسنا في حيرة عند محاولة تحديد تاريخ دقيق لهذا الوحي العائم فقد يكون قديماً قدم إشعيا نفسه ، وإن كان «أوسترلي» يميل إلى ضمه مع النبوءات المبشرة بالراحة الخاصة بنهاية السبي ، كما يبدو أن هذه النبوءة كانت معروفة لدى كاتب سفر «يوئيل» (٣ : ١٠) ولكن هذا بالتأكيد لا يدل على تاريخ مبكر ، وإن الإضافات التي أضيفت إلى الأصل في (٢ : ١١ ، ١٩) قد تكون حدثت بعد السبي لأنها تتحدث عن الدمار الذي حل بأرض لبنان وبلوط باشان ، وعلى سفن ترشييش ، وعلى كل المرتفعات والجبال ... الخ .

ومن الباحثين المحدثين من يرى أن النبوءة (٢ : ١ - ٦) فيها دليل على قدم هذا القول ، بل إن هذا الجزء يمثل البداية الحقيقية لسفر إشعيا لقدم هذه النبوءة^(٢) .

ولكننا نميل إلى رأي «تيودور هـ. روبنسون»^(٣) بأن مثل هذه النبوءات التي تتكرر في أكثر من موضع ، وخصوصاً تلك التي تتضمنها مجموعات تتعلق بأهم أجنبية هذه النبوءات إنما هي مجهولة المؤلف ، مثال ذلك ما نراه في النبوءة ضد «مؤاب» مثلاً عند كل من إشعيا^(٤) وإرميا^(٥) ، كذلك النبوءة ضد «ادوم» في سفر ي عويديا^(٦) وإرميا^(٧) ، ثم النبوءة التي بين أيدينا في سفر إشعيا وميخا ويوئيل

(١) التوقيع هنا يقصد به عبارة تفيد أن الرب هو قائله مثل : « هكذا قال الرب ، أولان فم رب تكلم .. الخ » .

(٢) دكتور فؤاد حسين علي : التوراة المبروغرافية ، ص ٩١ .

(٣) رُزُّرُ تُسْفَتْمَغ ج رُزُّرُخْلَاهُ سَحَة : فُخَاهُغ شَعِي فَات فُخَاهُفَس هَة شَه هَشَف سِقَشْمُرُ ٥٥ز

(٤) إشعيا : الإصحاح ١٥ .

(٥) إرميا : الإصحاح ٤٨ .

(٦) عويديا : ١ : ٨ .

(٧) إرميا : ٤٩ : ٧ .

فمثل هذه النبوءات كانت مجهولة المؤلف ، ونسبها جامعو الأسفار النبوية إلى أنبياء مختلفين .

ثم يعقب هذه النبوءة عند إشعيا سرد للمعاصي والآثام التي اقترفها شعب يهوذا ، وما سيحل بهم من غضب الرب وانتقامه الشديد من جميع فئات الشعب ويقوم الرب للمخاصمة ولدينونة الشعوب ، ويدخل في المحاكمة مع شيوخ ورؤساء شعب يهوذا (١٣ : ٣ ، ١٤) ، ويشدد غضب الرب من أجل فسق نساء صهيون وفجورهن (١٦ : ٣ - ٢٦) (١) .

وفي الإصحاح الرابع صورة لحياة الناجين الذين كتبت لهم الحياة بعد السبي والدمار في (٤ : ٢ - ٦) مما يوحي بأن الإصحاح الرابع مقم على المجموعة وأنه متأخر كتبه يد غير يد إشعيا .

والإصحاح الخامس يوازي الإصحاحات ٢ - ٤ ، وهو يبدأ بأغنية التكميية أو أنشودة الكرم ، ولعلها كانت نشيداً أثيراً في نفوس الشعب آنذاك ، واستعان به النبي في إبراز تعاليمه ، ولكي يظهر كيف خيبت يهوذا أمل سيدها وربها فيها .

ثم تتوالى بعد ذلك سلسلة من الويلات في الآيات ٨ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ و٢٢ من الإصحاح الخامس من أجل بخطايا الشعب وحكامه ، لتنتهي هذه الويلات عند الآية ٣٠ بإشارة معينة إلى ما يمكن توقعه قريباً على أيدي عدو مرعب غير مسمى ، وربما كان هذا العدو هو آشور (٢) .

وبالرجوع إلى ١٢ : ٢ - ١٦ في معرض تهديد النبي للشعب بأن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع حتى يشمل يوم الرب كل سفن

(١) W.O.E. Oesterly & Robinson: An Introduc. to the Books; P.241

ويرى أوستري : (نفس المرجع السابق ص ٢٤١) أن كاتباً متأخراً قد أقحم بين الآيات ٣ : ١٨ - ٢٣ بياناً لبائع أو صانع قبعات ومستلزمات النساء ، ويبدو هذا في أسلوب هذا الإعلان الثري الذي يحفل بأنواع زينة النساء .

(٢) Driver; An Introduction to the literature of the O.T. P.207 .

ويرى دريفر أنه من المحتمل أن يكون قد أخذ ملخص لخطب إشعيا في نهاية حكم يوثام أو بداية حكم أحاز .

ترشيح وأعلامها البهجة ، فإن « دريفر »^(١) يستنتج من هذه الآية أنها ربما دلت على أن ميناء إيلات الذي استرده « عزيا » ليهودا^(٢) ، لم يكن قد استولى عليه السوريون بعد ، كما أنه يرى أن فكرة النكبة الشاملة ، واستئصال فاعلي الشرع الاحتفاظ ببقية جديدة بتكوين نواة انتشار جديد في المستقبل (٤ : ٣ - ٦) هذه الفكرة إنما هي من خصوصيات « إشعيا » وهي تشير إلى زمن دعوته (٦ : ١٣) ثم تكررت بعد ذلك في (١ : ٢٦ ، ١٠ : ٢١ ، ١٧ : ٥ - ٨ عن إفرام ٢٨ : ٥ ، ٣٧ : ٣٢) .

كما أن الفقرات الواردة في (٥ : ١ - ٧) والتي تشتمل على « أغنية التكعية » تتبعها سلسلة من الاتهامات لأنواع مختلفة من المدنيين وقطاع الطرق من ٨ - ١٠ والسكرارى من ١١ - ١٧ ، والوقحين الأذعياء الذين يلبسون الحق بالباطل ويقلبون القيم من ١٨ - ٢٠ ، ثم المغرورين من مدعى الحكمة والفهم من ٢١ - ٢٢ هذه الفقرات التي تكون بنفسها مجموعة صغيرة ، ربما كانت موضوعة في مرحلة مبكرة ، وهي لا تكون وحدة عضوية أساسية كل منها مع الأخرى ، كما أن النداء الذي تبدأ به كل منها يكون حلقة من النوع الذي يغري المصنفين غالباً بأن يضموا قطعاً إلى بعضها وهي في الأصل مستقلة عن بعضها^(٣) ، أما الآية ٢٥ فهي خليط عجيب من قطعة نبوية غير كاملة وبها لازمة تتكرر في ٩ : ١١ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٤ : ١٠ وهذه اللازمة כְּבִלְזָאֵל לְאִשְׁכּוֹב אֵלֶּי אִלָּא יוֹד יָדָא בְּעִיבָא : « مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد » ، وهذه اللازمة مقحمة هنا وقد يكون إقحامها غير مقصود كما يرى « أوسترلي » وعلى هذا فإن الموضع الحقيقي لها هو أن تكون مكمله للمشهد الذي تحويه الآيات من ٩ : ٨ ، ١٠ : ٤ .

وبالرغم من أن سبب تغيير مواضع الآيات هنا غير معروف فإن القطعة في النهاية تبدو مبتورة ومشوهة .

(١) S.R.Driver (an Introd.) P.208-W.D.E. Oesterly & T.M.Robinson (An Introd.) P.242.

(٢) ملوك ثان : ١٤ : ٢٢ .

(٣) W.O.E. Oesterly & Theodore H.Robinson; An Introduction to the Books of the O.T. P.242.

وقد كثر كلام المحققين في ترتيب آيات هذه النبوة ، فقد افترض Ewald أساساً أن الآيات (٢٥:٥ - ٣٠) تنتمي في الأصل إلى النبوة (٧:٩)^(٧) ١٠:٤ ، ٢٥:٥ - ٣٠ تكون قمة النبوة ، وأن الترتيب الأصلي هو كالآتي : ٢٥:٥ ، ٧:٩ ، ١٠:٤ ، ٢٦:٥ - ٣٠ .

أما Dillm^(٨) فيرى أن الترتيب الصحيح هو : ٧:٩ ، ١٠:٤ ، ٢٥:٥ ، ٢٦:٥ - ٣٠ إذ أن ٢٥:٥ وحدها يعتبرها قفلة لمقطع غير كامل وتكملة الآيات ٢٦:٣٠^(٩) .

وأما Chenelam^(٤) فهو يرى الترتيب كالآتي (٧:٩ ، ١٠:٤ ، ٢٦:٥ - ٢٩ ، ثم ٢٥:٥ ، ٣٠) . كذلك نجد في الإصحاح الخامس ثلاث آيات من ١٤ - ١٦ قلقة في موضعها وقد تحسن قراءتها مع الآيات ٢:٦ - ٢٢^(٥) وهي تتناسب بالذات مع الآيات ٢:٩ - ١١ حيث تتحدث الآيات عن ذل الإنسان وانحطاط الرجال ، واتضاع المتكبرين ، وأمام كل هذا يسمو الرب وحده في ذلك اليوم ويتعالى بالعدل ويتقدس بالبر .

والقلق والاضطراب في آيات هذه المجموعة ليس مقصوراً على تكامل المعنى وحسب ، ولكنه يشمل تاريخ بعض هذه القطع كذلك .

فمثلاً يرى بعض الباحثين^(٦) أن النبوة التي في (٤:٢ - ٦) قد تكون متأخرة نسبياً فهي نبوءة أبحرورية ، رغم أن نسبتها إلى إشعيا غير منكورة ، وأن الإشارة إلى الغصن في ٤:٢ « غصن الرب » لا تعني بالضرورة تأخير هذا الوحي

(١) في ترقيم الآيات هنا آثرت أن أتبع ترقيم النص العبري الذي بدأ فيه الإصحاح (٩) بـ : « الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً ، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور

» وعلى هذا الترتيب تسير كذلك الترجمة الانجليزية للكتاب المقدس ، The Jerusalem Bible

(٢) هذه الآراء لإيفالد وديلم وشين أوردتها دريفر : An Introduction; P.208.

J.Skinner; Camb. Bible, P.40

(٣) قارن :

T.V.Cheyne; Introduction to the Book o Issiah P.P. 25F., 398F.

(٤)

The Jerusalem Bible P.979.

(٥) أنظر :

W.O.E. Oesterly & Theodore H.Robinson; An Introduction, P.P. 242, 243.

(٦)

لأن ورود اللفظ هنا جاء بطريقة توحى أنه كان مألوفاً في اللغة الأخرى (اللاهوتية) وفي موضع آخر نجد ورود تعبير « غصن الرب » يشير إلى نهاية القرن السابع ق.م إذا ما قارناه بما ورد في أرميا (٥ : ٢٣ ، ١٥ : ٣٣) .

أما أغنية التكمعية (١ : ٥ - ٧) وما تلاها من تهديدات أو اتهامات فقد تكون كتبت في أي وقت من حياة « إشعيا » أما الوحي الأخير ٥ : ٢٥ - ٣٠ فإن « أوسترلي » يرى أنه إذا كان حقيقة له علاقة بالوحي من ٧ : ٩ إلى ٤١ : ١٠ ، فسوف يكون من المحتمل أنه قيل في أي وقت خلال الأعوام من ٧٣٦ حتى ٧٢٥ ق.م^(١) ، وربما يكون المقصود هنا غارة « تغلات فلاسر » ملك آشور على إسرائيل إبان حكم « فقح بن رمليا »^(٢) .

ولكن من المحتمل أن تشير النبوءة إلى ما أصاب أورشليم في عهد آحاز على يدي ملك إسرائيل « فقح بن رمليا » وملك آرام « رصين »^(٣) .

أما الإصحاح السادس فهو في الحقيقة بداية دعوة إشعيا إذ يصور بداية تلقي إشعيا لمهمته من الرب ، وأمر الرب بالتوجه إلى الشعب مزوداً بتعليمات الرب^(٤) وهذه الفقرة التي تصور مشهد اختيار الرب لإشعيا تعتبر من أهم ما ورد في سفر إشعيا في السيرة الذاتية الحقيقية لإشعيا^(٥) .

ويحدد الإصحاح تاريخ بداية الدعوة النبوية لإشعيا بسنة وفاة « عزيا » ملك يهوذا وهي حوالي سنة ٧٤٠ ق.م ، كما أن المادة الخاصة بالسيرة الذاتية في الإصحاحين التاليين السابع والثامن تأتي بوضوح من سنة ٧٣٥ ق.م حتى سنة ٧٣٤ ق.م^(٦) ، وكذلك يرى دريفر Driver^(٧) أن الفقرة من (١ : ٧) حتى

(١) نفس المرجع السابق : ص ٢٤٣ .

(٢) أنظر ملوك ثان : ١٥ : ٢٧ - ٢٩ .

(٣) أنظر أيام ثان : ٢٨ : ٥ - ٨ ، ملوك ثان : ١٦ : ٥ .

(٤) إشعيا : ٦ : ٨ - ١٣ .

(٥) The Jewish Encycloedia Vol. v1. P.638.

(٦) W.O.E. Oesterly & Theodore H.Robinson; An Introduction To the Books of the O.T. P.248.

(٧) S.R.Driver; An Itrouction to the liter o the O.T. P.208.

(٧ : ٩) تمثل نبوءات حدثت في خلال الحرب السورية الإفرامية (٧٣٥ - ٧٣٤ ق.م) حين حدث التحالف بين « فصح بين رمليا » ملك إسرائيل وبين « رصين » ملك دمشق من أجل مقاومة آشور إذا بدأت بالعدوان ، وأراد المتحالفان ضم « آحاز » ملك يهوذا إلى حلفهما ولكنهما فشلا في ذلك فعزما على خلعه من ملك يهوذا وإحلال « ابن طبئيل » محله (١) .

وفي هذا الصدد يعلن « إشعيا » مطمئناً « آحاز » أن ما أرادته الحلفاء من شر لآحاز وليهوذا لن يتم « هكذا يقول السيد الرب لا تكون لا تقوم لأن رأس آرام دمشق ورأس دمشق « رصين » وفي مدة خمس وستين سنة ينكسر إفرام حتى لا يكون شعباً ، ورأس إفرام السامرة ، ورأس السامرة ابن رمليا ، إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا » (٢) .

فهنا نجد تحديد مدة خمس وستين سنة على انكسار إفرام لا يدل على أن إشعيا هو قائلها حيث إننا إذا أخذنا في الاعتبار أن السامرة انكسرت في سنة ٧٢٢ ق.م فلا بد أن تكون هذه العبارة قد قيلت قبل هذا التاريخ بخمس وستين سنة أي حوالي سنة ٧٨٧ ق.م وإشعيا كما هو معروف بدأت دعوته في سنة وفاة الملك « عزياهو » سنة ٧٤٠ ق.م ولذلك فإن هذه الفقرة مشكوك في نسبتها لإشعيا ، وقد تكون إضافة من الإضافات المتأخرة التي تعرض لها السفر أو يكون التحريف قد أصاب الرقم المحدد بخمس وستين سنة ، وربما كان العدد الأنسب هنا هو خمس وعشرون سنة أو أقل .

ويكون نتيجة عدم ثقة « آحاز » فيما أعلنه إشعيا أن إشعيا يعلن مولد الطفل « عمأنوثيل » ، עֲמָנוּתִיִל وهو رمز الخلاص (٣) . ثم يتبع ذلك سلسلة من الأحاديث الأخروية اللاهوتية ، ثم نجد نبوءة بقرب اقتراب جيوش على يهوذا سواء

(١) إشعيا : ١ : ٧ - ٦ .

(٢) إشعيا : ٧ : ٧ - ٩ .

(٣) إشعيا (١٦ - ١٣ : ٧) ودليل عدم ثقة آحاز في كلام إشعيا أن آحاز أرسل هدية « لتجلات فلاشر » ملك آشور ورجاه أن يسرع لنجده من جيوش الحلف السوري الإفرامي فيزحف آحاز إلى دمشق ويستولي عليها ويقتل ملكها (رصين) ويسعى سكانها ، وبذلك يتصر على شعب عنيد حاول حكامه

أكانت هذه الجيوش من مصر أم من آشور^(١) .

ويستدعي الرب مصر وأشور لينفذ انتقامه من إسرائيل ، وفي الآيات (٧: ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥) نجد لدينا ثلاث صور لإخلاء البلاد من السكان ، وللخراب ، لنجد أنفسنا مرة أخرى عاجزين عن تحديد أي فترة معينة من حياة إشعيا حدث فيها هذا ، بالرغم من أنه لا يوجد سبب معين للشك في تأليف «إشعيا» لهذه الفقرة التي تصور هذا^(٢) .

أما الفقرة (٨: ١ - ٤) التي هي من قصص السيرة الذاتية عند إشعيا فهي تصف ميلاد ابن إشعيا «مهير شلال حاش بز» מְהִיר שְׁלָל חָשׁ בֶּזַע ومعناه «دمار سريع وسلب فوري» وهو رمز لانكسار السامرة ودمشق ، كما أن هذه الفقرة تتضمن وحيين قصيرين أو مجموعتين غير كاملتين من النبوءة . كذلك الآيات (٨: ٥ - ٨) التي تشكل جزءاً من التهديد بالخراب فهي مبتورة ومشوهة عند نهايتها .

ولكننا نجد صورة من كتابات إشعيا نفسه في الفقرة (٨: ١١ - ١٥) وهي كلمات عزاء ألقاها في أصدقائه المباشرين وتلاميذه ، بين فيها أن تيار الغارة سوف يجرف بيتي إسرائيل حتماً .

السابقون أن يتغلبوا عليه في حروب دامت أكثر من عام دون جدوى (ملوك ثان : ١٦ : ٧ - ١٠) فتم بذلك نبوءة «إشعيا» على دمشق (١٦: ٧) التي يعلن فيها بأنها ستكون بلاملك . ويقول «جون إلدري» في كتابه (الأحجار تتكلم) ص ٩٦ : بأن اسم آحاز وسط قائمة الملوك التي أخضعها «تغلات» لسلطانه ، والأثر الثاني الذي ذكر فيه اسم آحاز هو خاتم خاص بـ «أوشا» خادم آحاز على جعران من البياقوت الأحمر .

(١) إشعيا : ١٨: ٧ - ١٩ .

(٢) أنظر : W.O.E.Oesterly & T.H.Robinson An introduction to the Books of the O.T. P.244 .

وهنا يرد أوسترلي على الذين شكروا في نسبة هذه الفقرة (٧: ١٨ - ١٩) لإشعيا بحجة أن إشعيا لم تكن تخيفه قوة مصر العسكرية وإن كان يخشى إبرام حلف معها ، ويقول أوسترلي «أننا يجب علينا دائماً أن نسمح بإمكانية التغيير في الرأي الخاص لظروف متغيرة» أي أنه من الممكن ألا يكون رأي إشعيا في قوة مصر رايأ له صفة الثبات ، ذلك لأن الظروف دائماً متغيرة وبالتالي تكون الآراء والمواقف متغيرة حسب الظروف .

وتتصل السيرة الذاتية في (١٦:٨ - ١٨) حيث يؤمر « إشعيا » بأن يختم الشريعة ، ويصر الشهادة في عقول تلاميذه ، تاركاً اسمه وأولاده تذكراً للأجيال المتأخرة ، ثم يعود إلى التهديد بالدمار في (٢١:٨ - ٢٢) بعد أن حذر من العرافة والعرافين في (١٩:٨ - ٢٠) .

ثم بعد الوعيد يأتي الوعد من يهوه على لسان إشعيا بمستقبل أكثر إشراقاً أعده الرب واستبقاه لشعبه في المقاطعات الشمالية ، والشمالية الشرقية التي أُجلى « تغلات فلاسر » عنها سكانها^(١) ، وستصبح هذه المنطقة - إسرائيل الشمالية - هي التي ستبلي أولاً .

وتختتم النبوءة بصورة مؤثرة للعودة وانتصار الأمة المحطية ونهاية مضايقيها ولأمنها وفلاحها تحت الحكم العجيب لمليكتها الحقيقي^(٢) .

وهذه النبوءة قد تكون من عمل إشعيا ، أو تكون امتداداً لشيء قاله هو بعد دمار السامرة بحملة « تغلات فلاسر » سنة ٧٣٢ ق.م .

وهناك من يرى أن الذي جمع المجموعة المكونة من الإصحاحات (٦ - ١٢) إنما يستخدم كل المادة القصصية للسيرة الذاتية التي رآها مناسبة لغرضه ، ثم ضمها سويماً مع مجموعات غير كاملة من النبوءات ، وهو يشرع في إضافة مجموعة نبوءات أخرى ربما كان يرى أنها تتناسب مع الحقبة العامة التي تشير إليها مجموعته منذ البداية^(٣) .

وأول هذه القطع التي تناولها جامع السفر هكذا هي الفقرة المسيحانية المشهورة في (٢:٩ - ٧)^(٤) ، وقد شك عدد من الباحثين في التأليف الإشعائي لهذه الفقرة ، كذلك علم اللغة والأسس المشابهة غير حاسمة في هذا الأمر ، ومن

(١) ملوك ثان : ٢٩:٥ .

(٢) إشعيا : ١:٩ - ٧ ، وانظر دريفر : Driver: An introduction P.244 .

(٣) أوسترلي : W.O.E.Oesterly & Robinson: An Introd. P.246 .

(٤) في النص العبري : ١:٩ - ٦ .

السهل مقاومة الشعور الذي كثيراً ما سيطر على الباحثين عن حقيقة أن النبوءة المسيحانية إنما هي متأخرة بالضرورة ، وهي في أبسط أشكالها الخاصة بالتوقع وبالأمل في ملك مثالي ، قد تكون مبكرة جداً ، ويمكننا بالتأكيد أن نتصورها في كتابات تمت بعد إشعيا بقرن من الزمان ، كما أننا - خلافاً لذلك - يمكن أن نضعها في أعمال إشعيا نفسه .

ثم نجد مرة أخرى في الفقرة من ٨:٩ ، ١٠:٤ أربع قطع تتكرر في آخر كل منها لازمة واحدة تنذر بالسوء : **וְכִלְיָהוּ אֶתְּלָאֵלֶיךָ אֶפְרַיִם וְיָדָאֵלֶיךָ יְרֵמְיָהוּ** : ومع هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد ^(١)

ويرى « دريفر » أن هذه القطع يحتمل أن تكون قد كتبت قبل انفجار الحرب الإفرامية ^(٢) ، فالنبي يرسم في هذه القطع صورة اقتراب سقوط مملكة الشمال التي يتبع تفككها الأدبي والاجتماعي ، ويقرر النبي في بداية هذه القطع أن « الرب أرسل قولاً في يعقوب فوق في إسرائيل (٨:٩) .

فالقطة الأولى (٧:٩ - ١١) تحدث عن فخر الإفراميين وقلة تبصرهم بالنظر مما أدى إلى حصار وطنهم من كل صوب .

وفي القطة الثانية (١٢:٩ - ١٦) دمار عظيم مفاجيء يحل بإفرايم ويقهر مخططات ساستها ، ويتركها بدون حماية ، وفيها إدانة لرفض إسرائيل للتوبة .

والقطة الثالثة (١٧:٩ - ٢٠) قوة إفرايم يقوضها تناطح العصابات المتنافسة فيها ، مما ساعد على نشوب حرب أهلية فيها .

والقطة الرابعة (١٠:١٠ - ٤) حكام الدولة يسلبون الشعب ثقته بنفسه حتى أن الشعب لم يعد قادراً على المقاومة في اليوم الذي حل به فيه سوء الحظ حتى هلك الشعب على أرض المعركة دون أن يجد معيناً ولا ناصراً ، فهي إدانة

(١) قارن كذلك : عاموس (٤:٦ - ١١) وقد أشرنا إلى هذه اللازمة المتكررة في مناقشة الإصحاح

الخامس : ٢٥ - ٣٠ ،

Driver, An Introduction to the liter. of the O.T. P.209.

(٢)

ويرى « أوسترلي »^(١) أن القطعة (٩ : ١٤ - ١٥) إنما هي حشو متأخر لا يتوافر فيها التتابع أو التسلسل المنتظر في مثل هذه القصيدة ، أما القطعة الرابعة (١٠ : ١ - ٤) فهناك شك في كونها قد وضعت في وقت متأخر ، فهي تعالج موضوعاً يختلف قليلاً عن بقية الموضوعات ، كما أن بناء الأسلوب الشعري فيها غريب على العبقرية الأدبية الخاصة بالأنبياء .

وهناك شك عند بعض الباحثين في أن يكون المصنف القديم للسفر قد أخذ أربعاً أو خمساً من النبوءات الإشعائية ، وركب في آخرها تلك اللازمة التي تتكرر في آخر كل منها ، تلك اللازمة التي يحتمل أنها كانت أصلية مع واحدة فقط من القطع الأربع أو الخمس ويقول أوسترلي « ولسنا في حاجة إلى الشك في أن الفقرة كانت كما هي في شكلها الحالي تماماً عندما وضعها المصنف في هذه المجموعة ، وأن وحدة القطع الأربع أو الخمس هذه ترجع إلى مرحلة مبكرة ثابتة في تاريخ تطور النص وليس هناك من سبب للشك في تأليف إشعيا لكل هذه القطع لخمس »^(٢) .

وبقية الإصحاح العاشر نجد فيه غضبة إشعيا الشديدة على آشور وإسرائيل وأورشليم ، فأشور التي استعملها الرب عصاً تأديب لشعبه الخاطيء (١٠ : ٥ - ٧) يملأ الغرور والصلف قلب ملكها^(٣) ، ويصور « إشعيا » في صورة رائعة حقاً مدى غرور ملك آشور الذي تكبر على الرب ونسي أنه ما هو إلا أداة في يد الرب يحركها ليؤدب به شعب إسرائيل فيقول إشعيا : « هل تفتخر الفأس على القاطع بها ، أو يتكبر المنشار على مردده ، كأن القضيبي يحرك رافعه ، كأن العصا ترفع من ليس هو عوداً »^(٤) ، ثم يصور سقوط آشور المفاجيء (١٠ : ١٦ - ١٩) ثم

W.O.E.Oesterly & Theodore H.Robinson: An Introduction to the Books of the O.T. P.246. (١)

(٢) أوسترلي ، وروبنسون : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٣) ويبدو أن هذا الملك الأشوري هو « سنحريب » الذي حاصر أورشليم في عهد « حزقيا » ، أنظر أيام

ثان : ٩ : ٣٢ وما بعدها ، وكذلك أنظر أشعيا : ١٠ : ٨ - ١١ ، ١٣ - ١٤ .

(٤) اشعيا : ١٠ : ١٥ .

يتبع ذلك بالتبشير بأن بقية مؤمنة من شعب بني إسرائيل ستنجو (٢١ : ١٠) وأن
أورشليم سوف لا يصيبها ضرر .

ونلاحظ أن هناك إضافتين قد حدثتا وهما الآيتان (١٠ ، ١١) من
الإصحاح العاشر « كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هي أكثر
من التي لأورشليم أفليس كما صنعت بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم
وأصنامها » .

فمن هذا النص نستشف أن دمار السامرة قد تم ، والدور ينتظر أورشليم
وبمقارنة هاتين القطعتين بما جاء في (ملوك ثان : ٢١ : ١٣ - ١٦) نبتين أن من
أسباب هذه الغضبة من الرب على يهوذا هو ما اقترفه « منسي » ملك يهوذا من
مفاسد ، و « إشعيا » كما يروي التراث اليهودي كان من ضحايا « منسي » .

وتصور الآيات (١٠ : ٢٨ - ٣٢) الآشوريين وهم زاحفون في طريق الخط
المعتاد للتقدم من الشمال ، ولم يتضح ما إذا كان « سرجون » أو « سنحريب » قد
سلكا هذه الطريق حقيقة ، ولذلك يرى « دريفر »^(١) أنه من المحتمل أن يكون
النبي قد أراد أن يرسم صورة خيالية مؤثرة للخطر الذي يهدد « أورشليم » وللطريقة
التي ستنجو بها فجأة^(٢) ، كما يرى « دريفر » أن هذا الموقف التاريخي الذي
نستخلصه من النبوءة يتوافق مع سنة ٧٠١ ق.م حينما كان « سنحريب » قد أتم
قمع مدن « فينيقيا » المتمردة ، وحينما كان يشرع في التقدم نحو الجنوب قاصداً
أورشليم وعسقلان وعفرون الفلسطينية ، وكان الآشوريون قد تحركوا فعلاً من
الشمال ، وقد يكون هجومهم المقصود قد اتخذ شكلاً معيناً في خيال النبي
بالطريقة التي تمثلها في (١٠ : ٢٨ - ٣٢) وستدل « دريفر » على هذا بآراء نخبة
من المحققين مثل : Duhm, Kittle, Stade, Schrader, Ewald .

أما « Smith »^(٣) فإنه يضع النبوءة في بداية حكم سرجون ، معتبراً الآية ١٠ : ٥

S.R.Driver; An Introduction to the liter. Of the O.T. P.210.

(١)

(٢) إشعيا : ١٠ : ٣٣ .

W.R.Smith; Prophets of Israel, P.297 FF.

(٣)

وما بعدها وصفاً حقيقياً لادعاءات الآشوريين الطامعة ، وللفضل الذي منوا به وأن هذه النبوة ليست مأخوذة من أي مناسبة تاريخية أخرى .

ويتفق في الرأي مع Smith كل من Giesebrecht, Guthe, Dillm في أن النبوة يرجع تاريخها إلى سنة ٧١١ ق.م .

أما Cheyne^(١) فإنه يحدد لهذه النبوة (١٠ : ٥ - ٩ ، ١٣ - ١٤) تاريخ سنة ٧١١ ق.م ، وللنبوة (١٠ : ٢٧ - ٣٢) تاريخ سنة ٧٢٢ ق.م خلال حصار السامرة ، وبهذا يكون Chene قد تخلى عن وحدة النبوة هنا ولكن أوسترلي^(٢) يرى أن هذه النبوة (١٠ : ٢٧ - ٣٤) ربما تشير إلى الزحف المكون من حلف (رصين) ملك سورية ، و « فقع بن رمليا » ملك إسرائيل ضد يهوذا إبان حكم « آحاز » الذي رفض الانصواء تحت لواء هذا الحلف ضد آشور ، وجامع السفر قد ظن على ما يبدو أن هذه القوة هي قوة الآشوريين .

ولكن « بفيصر »^(٣) يقول إن كل هذه الأحداث التي تنبأ بها إشعيا قد تحققت^(٤) فيما بين سنة ٦١٢ ق.م وهي سنة سقوط نينوي ، وسنة ٦٠٥ ق.م وهي وقت معركة كركميش^(٥) .

ومن الملاحظ هنا أنه رغم الخلافات في تاريخ هذه النبوءات التي ضمها الإصحاح العاشر فإن مخطوطة البحر الميت لم تشر فيه إلى أي تعديلات أو خلافات عن النص الحالي .

أما الفقرة المسيحانية التي وردت في (١١ : ١ - ٩) فهي مقتبسة من أواخر

(١) T.K.Cheyne; Introduction to the Books of Issiah, 1894. P.P.50F, 55.

(٢) W.O.E. Oesterly & Theodore H.Robinson; An Introduction To the Books of the O.T. P.247.

(٣) Charles F.Pfieffer & Everett F. Harisin; The Wycliff Bible commentary. P.620.

(٤) يلاحظ أن « بفيصر » من ينادون بوحدة السفر وأن كل ما جاء من أحداث مستقبلية في سفر إشعيا إنما هي نبوءات تنبأ بها إشعيا ثم تحققت .

(٥) مدينة هامة شمال سورية على نهر الفرات وكانت عاصمة إحدى الممالك الحثية غلبها آشور (إشعيا : ١٠ : ٩) وكانت موقع معركة حاسمة بين « نبوخذ نصر » وفرعون مصر « نخاو » (إرميا : ٢ : ٤٦) واسمها الحالي جرابلس .

النص ٦٥ : ٢٥ ، وإن لم تؤخذ ألفاظها بالنص وبنفس التابع .

ويرى « أوسترلي »^(١) أن الجزء الأخير من الآية ١١ : ٩ إضافة متأخرة حدثت قبل أن يقحم المصنف كل القطع هنا ، كما أن الفقرة ١١ : ٧ - من الصعب أن تكون من مرحلة ما قبل السبي لأن الكلمة المستعملة لـ « جذع » **גִּזְעַל** (٢) في الآية الأولى تدل على جذع شجرة ترك في الأرض بعد أن قطعت الشجرة ، ومن الصعب استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى إذا كانت أسرة داود ما تزال على عرش الحكم . . وهكذا بقية الإصحاح الحادي عشر قطع غير متكاملة وكل منها يدل على أنها ليست أسبق من السبي .

ويبدو من الوجهة العملية أنها قطع منفردة أو مستقلة وتستطيع أن ترى بوضوح لماذا ألحقها جامع النص بما قبلها ، ومن الممكن أن تقرأ الآيات (١١ - ١٤) على أنها وعد بالعودة من السبي ، ورفع للروح المعنوية للمسيبين ، بينما ذكر أشور في آية ١٦ قد يتضمن تاريخاً فيما قبل السبي ، لأن لغة النص هنا توحى بالاعتماد - أثناء السبي وبعده - على أجزاء من تأليف إشعيا^(٣) .

وتنتهي هذه المجموعة بالإصحاح الثاني عشر الذي كثرت فيه التساؤلات من عدد لا بأس به من النقاد المحدثين الذين يعتبرونه مزمور شكر قد ألحق بالنبوءة الأصلية بعد الرجوع من السبي^(٤) ، ونفس النظرة لدى « أوسترلي » و « روبنسون » فهما يعتبران هذا الإصحاح مزمورين لا مزموراً واحداً ، الأول يشمل الجزء (١٢ : ١ - ٤) والثاني (١٢ : ٤ - ٦) وبينهما تعريف قليل بالزمور الثاني في الآيات ٣ - ٤ (أ) .

ولهذين المزمورين ما يوازيهما في كتابات أخرى مثل (١٢ : ٢) التي تذكرنا

(١) أوسترلي وروبسون : (An Introduction) P.247.

(٢) **גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל גִּזְעַל**

ويخرج قضيب من جذع سبي وينبت غصن من أصوله (إشعيا ١١ : ١) .

(٣) W.O.E. Oesterly & Theodore H.Robinson; An Introduction..., P.247.

(٤) Driver; An Introduction..., P.210.

بما ورد في سفر الخروج (٢ : ١٥)^(١) والآية (١٢ : ٤ ب) قد صيغت من عبارات وردت في المزمور (١٠٥ : ١) والمزمور (١٣ : ١٤٨)^(٢) .

ولا يستتبع هذا أن الاقتباس من المزامير هنا مقصود ، فقد تكون اللغة في كل من إشعيا والمزامير مأخوذة من مصدر شائع كان ما يزال باقياً آنذاك أما المزامير فهي بالتأكيد من عمل ما بعد السبي ، وربما لا تكون سابقة على القرن الرابع ق. م .

وممن يرون أن هذا الإصحاح الثاني عشر يعبر عن مزمو شكر للخلاص من السبي Cheyne, Ewald, Quenen, Stade ، والأستاذ R.Brown^(٣) ، وكذلك König, Cornill, Dillmann وهذه النتيجة قد بنيت في جانب منها على محتويات الإصحاح ، وفي الجانب الآخر على علم العبارات الإصطلاحية فيه ، وكلا الحالين يمثلان ابتعاداً عن الطريقة المألوفة عند إشعيا ، وفي نفس الوقت فيهما تشابه مع استعمال العصر المتأخر^(٤) .

ومن خلال نظرنا في تلك المجموعة من الإصحاح السادس حتى الثاني عشر نجد أنها تنقسم إلى مجموعات ، منها ما أرجعه النقاد والباحثون إلى إشعيا نفسه كالإصحاح السادس وكذلك المادة الخاصة بقصص السيرة الذاتية في الإصحاحين السابع والثامن هذه المادة التي أرجع الباحثون تاريخها إلى الفترة ما بين (٧٣٥ - ٧٣٤ ق. م) والمجموعة (٢٧ : ٩ - ٣٢) التي نسبوها إلى نفس

(١) إشعيا : ٢ : ١٢ « هوذا الله خلاصي ، فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهو قوتي وترنيمتي ، وقد صار لي خلاصاً » .

وخروج : ٢ : ١٥ « الرقوتي ونشيدتي ، وقد صار خلاصي ، هذا إلهي فأمجده ، إله أبي فأرقعه » .
(٢) إشعيا : ٤ : ١٢ « .. احمدا الرب ، ادعوا باسمه ، عرفوا بين الشعوب بأفعاله ، ذكروا أن اسمه قد تعالى » .

والمزمور : ١٠٥ : ١ « أحمدا الرب ، أدعوا باسمه ، عرفوا بين الأمم بأعماله » .
والمزمور : ١٣ : ١٤٨ « ليسبحوا اسم الرب ، لأنه قد تعالى اسمه وحده ، مجده فوق الأرض والسموات » .

F.V.Brown; Jornal of Bible literature. P.128FF. (٣)

Driver, An Introduction... P.211. (٤)

الفترة أو إلى سنة ٧٠١ ق.م .

وبقية هذه المجموعة اختلف الباحثون في إرجاعها إلى تاريخ معين ، وإن كان الكثيرون كما رأينا يردونها إلى فترة السبي وما بعدها حتى فترة ما بعد العودة من السبي مثل الفقرة (١١: ٦ - ٩ ، ١٤) التي اعتبرها معظم الباحثين إضافة تمت في فترة ما بعد السبي كملحق أو تذييل للقطعة (١١: ١ - ٩) ومن هؤلاء Skinner, Cheyne, Giesebrecht, Quenen, Dillmann . هذه المجموعة من تأليف إشعيا نفسه ويعارضه في ذلك Kittel^(١) .

وبمناقشة مجموعة تالية من سفر إشعيا يتأكد لنا مدى اضطراب تركيب السفر وعدم ترتيبه زمنياً وموضوعياً مما يجهد الباحث فيه عن الحقيقة التاريخية والموضوعية .

ثم نتناول في البحث عينة أخرى من السفر وهي مجموعة الإصحاحات التي يمتد فيها النشاط النبوي إلى حيز أوسع من حدود المحلية .

فالإصحاحات (١٣ - ٢٣) مجموعة من النبوءات التي تشتمل على حديث عن الأمم الأخرى المحيطة بفلسطين وعن فلسطين نفسها .

فعن بابل يتحدث الإصحاح ١٣ ، ١٤ ، ٢٣ وآشور في (١٤: ٢٤ - ٢٧) وفلسطين في (١٤: ٢٨ - ٣٢) ودمشق يتناولها الإصحاح (١٧) ومصر في الإصحاح (١٩) ، وبرية البحر ودومة وبلاد العرب في الإصحاح (٢١) ، ثم وادي الرؤيا في الإصحاح (٢٢) ، وصور في الإصحاح (٢٣) .

ومما يميز هذه المجموعة كثرة ورود لفظ (יְהוּדָה)^(٢) أي نبوءة ، فقد وردت في (١٣: ١ ، ١٤: ٢٨ ، ١٥: ١ ، ١٧: ١ ، ١٩: ١ ، ٢١: ١ ،

(١) أنظر : S.R.Driver; An Introduc. P.211 .

(٢) بمعنى حمل ، ويقول بيفر في : The Wycliff Bible Comm. P.621 « إن الكلمة كما لو كانت تعني مجرد رفع صوت النبي ، والكلمة من بمعنى رفع ، ولكن من الأفضل أن نفهمها على أنها حمل بمعنى عبء وذلك هو حمل أو عبء القضاء الإلهي الذي يجب على الجانب والمسيء أن يحمله .

وهي تقريباً بعدد المواضع التي تحدث فيها النبي عن الأمم الأجنبية .

وزيما كان ورود هذا اللفظ في تلك المواضع من هذه المجموعة هو الذي دعا الى الجمع بينها^(١) ، إذ أن هذه المجموعة تضم نبوءات مختلفة ، منها ما يمكن نسبته إلى إشعيا لما في هذه المجموعة من إشارات إلى أحداث وقعت في زمن إشعيا ومنها ما يشير إلى أحداث وقعت بعد زمن إشعيا بوقت طويل قد يمتد إلى القرن الثاني ق.م .

وهذه المجموعة من الإصحاحات (١٣ - ٢٣) شأنها شأن غيرها مما ورد في السفر من نبوءات حيرت الباحثين في أصل كاتبها وزمن كتابتها .
ونتناول هذه النبوءات كلاً على حدة :

(١) نبوءة عن بابل : (١٣ : ١٤ - ٢٣)

وهي نبوءة وردت في مجموعة غير مكتملة تتضمن أغنية الفرحة من أجل العودة من السبي (١٤ : ١ ، ٢) وهذا يدلنا على التاريخ المتأخر لهذه القطعة عن تاريخ حياة إشعيا ، ويقول « أوسترلي » « إن هذه الفقرة قد تعرضت للتحريف بشكل واضح قبل أن تأخذ مكانها في المجموعة »^(٢) .

ثم نجد بعد ذلك إشارة إلى ضياع هبة المتسلطين وإبادة الطاغية في (١٤ : ٤ - ٢١) ، ويؤكد أوسترلي أن هذه القطعة من الصعب اعتبارها نبوءة كما أنها لم تكن جزءاً من مجموعة النبوءات الأصلية ، وأن بها إشارة إلى موت أحد ملوك آشور وهو « سنحريب » أو « سرجون » وأحياناً تعزي هذه القطعة إلى إشعيا

(١) أنظر: "חזקאל קויפמן י תולדות האמונה הישראלית" כרך (א) 150.

وكذلك أنظر: دكتور فؤاد حسين علي: التوراة عرض وتلخيص، ص ٨٠ .

W.O.E. Oesterly; T.R. Robinson; An Introduction.. P.249.

(٢)

نفسه رغم أنه من الواضح أن بقية هذه المجموعة الصغيرة لا بد أن يكون تاريخها متأخراً جداً .

ولكن من الواضح أن هذه الفقرة (١٤ : ٣ - ٢٠) لا تتحدث عن سقوط ملك آشوري وإنما تتحدث عن سقوط ملك بابل من علياء افتخاره^(١) ، فقد ورد اسم ملك بابل كما تكرر ورود اسم بابل مقروناً بالتهديد^(٢) .

ومن الواضح أن الموقف الذي تضمنته هذه النبوءة لم يكن في زمن إشعيا بدليل خلوه من التحذير النبوي كالتحذير الذي وجهه إشعيا إلى حزقيا في (٣٩ : ٦ - ٨)^(٣) .

فلو كانت هذه الفقرة من عمل إشعيا نفسه لاشتملت على تحذير لليهود من إشعيا كما حذر « حزقيا » ، وكذلك لم يهددهم كما هددهم أرميا بنفي وشيك ولكن اليهود ظهروا في هذه القطعة كمسيبين ومخلصين من السي في نفس الوقت^(٤) .

وعلى هذا فإن (دريفر) يستبعد نسبة هذه الفقرة إلى إشعيا على أساس أن من عمل النبي في بني إسرائيل أن يوجه نفسه لاحتياجات عصره ، ليعلمن لمواطنيه المعاصرين الأحكام أو التعزية التي نشأت عن ظروف وملابسات وقتهم ، كي يفسر لهم تاريخهم الخاص بهم ، أما أن يؤسس النبي وعداً يتعلق بأحداث لم تتحقق بعد ، ويدون أية إشارة إلى ملابسة الظروف ، والاحتكاك بالأحداث ، أو

(١) (إنك تنطق بهذا الهجوم على ملك بابل وتقول : «كيف باد الظالم ، بادت المغطسة ، قد كسر الرب عصا الأشرار ، وقضيب المتسلطين .. الخ) : ١٤ : ٤ - ٢٠ .

(٢) (فأقوم عليهم ، يقول رب الجنود ، واقطع عن بابل اسماً وبقية ، ونسلًا وذرية يقول الرب ، وأجعلها ميراثاً للقنفذ ، وأجام مياه ، وأكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود) ، أنظر : ١٤ : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) (هوذا تأتي أيام يحمل فيها كل ما في يتك . وماخزنه آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل ، لا يترك شيء ، يقول الرب ، ومن بيك الذين يخرجون منك ، الذين تلدهم ، يأخذون ، فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل .. الخ) .

(٤) أنظر : ١٤ : ١ - ٢ .

بيان موقف أولئك الذين وجهت النبوة إليهم ، فذلك غريب على عبقرية النبوة الإسرائيلية^(١) .

وعلى هذا فإن هذه النبوة يمكن أن تنسب إلى كاتب عاش في نهاية السبي يحمل إلى معاصريه منظر الانطلاق من بابل ، كما حمل إشعيا إلى معاصريه منظر الخلاص من آشور . وإن أعظم تفسير لهذه النبوة كما يرى (دريفر) نجده في نبوة إرميا الطويلة على بابل^(٢) وقد كتبت تقريباً في نهاية سنوات السبي والتي تظهر قرب سقوط بابل من نفس المنطلق ونفس الروح التي نراها في المجموعة (١٣ : ١٤ - ١ - ٢٣) .

فبينما تذكر النبوة الماذيين فقط في (١٣ : ١٧) فإنها لا تتضمن أية إشارة إلى قورش أو إلى الفرس ، ولذا فمن المحتمل أن تكون قد كتبت تقريباً قبل سنة ٥٤٩ ق.م وهي السنة التي هزم فيها قورش امبراطورية « استياجوس » الماذية^(٣) .

أما بفيفر^(٤) فيرى أن هذه النبوة وخصوصاً (١٣ : ٦) فيما يختص بيوم الرب تشير إلى أحداث سنة ٥٣٩ ق.م . ويؤكد « جورج هيربرت بوكس »^(٥) أن النبوة الخاصة ببابل (١٣ : ٢ ، ١٤ : ٢٣) لا تحمل أي صلة بإشعيا أو عصره وأنها قد وصعت إبان السبي البابلي .

S.R.Driver; An Introd. P.212.

(١)

(٢) إرميا : ٥١ : ٥٠ - ٥٨ .

(٣) كانت دولة ماذي التي تمتد من نجد إيران الى قلب آسيا الصغرى دولة آرية كبيرة وفي منتصف القرن السادس طرأ تغيير لا يمكننا أن نصفه لا من جهة أنه قلب الدولة الماذية ولا من جهة أنه انتقل من حالة إلى حالة ، أو امتد امتداداً في الأرض ، وهذا التغيير هو حدوث دولة قابضة على صولجان الملك في (اكتانة) والرجل الذي قلب الدولة لم يكن غريباً ، بل كان ملك الفرس لهذه الدولة الآرية الصغيرة الواقعة في جنوب غربي ماذي ، والتي ابتلعت عيلام ، واسم هذا الملك (قورش) ويقال إن أمه كانت ابنة ملك ماذي ، وكان بيته يعرف باسم أحد أجداده الكنعانيين واسمهم القديم عند الفرس هو (هاخنيش) : أنظر : أدون بفن : أرض النهرين ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، تعريب الأب انستاس ماري الكرملي ، والأب لويس مارتين الكرملي .

Charles .Pfeffer; the Wycliff Bible comm., P.621.

(٤)

G.H.Box, Encycloppadia Britannica, Vol.XII.P.701.

(٥)

ونلاحظ كذلك أن التباين واضح في النعمة بين هذه النبوءة وبين تلك التي في الإصحاح الحادي والعشرين ، كما أن يوم الرب هنا في (١٤ : ١ - ٢) ليس موجهاً إلى يهوذا ، وإنما هو موجه ضد أعدائها^(١) .

(٢) النبوءة الخاصة بأشور (١٤ : ٢٤ - ٢٧)

وتتضمن القضاء المبرم على آشور ، ويكاد يكون إجماع الباحثين على أن هذه النبوءة يرجع تاريخها إلى سنة ٧٠١ ق.م وهو تاريخ غزو سنحريب ليهوذا ، وعلى هذا يمكن أن تنسب هذه النبوءة لإشعيا نفسه .

(٣) النبوءة الخاصة بفلسطين (١٤ : ٢٨ - ٣٢)

وقد حدث في تاريخ هذه النبوءة بعض الجدل ، فالفرد قد حدد تاريخ هذه النبوءة بسنة موت آحاز ملك يهوذا ، وأنسب تاريخ لموت آحاز هو سنة ٧٢٥ ق.م^(٢) .

ولكن دريفر يرجع تاريخ النبوءة إلى سنة ٧٢٨ أو إلى سنة ٧١٥ ق.م كما حددها آخرون .

وأما العصا المكسورة فقد يكون تغلات فلاشر الذي مات سنة ٧٢٧ ق.م وكان خلفه (شلمنصر الخامس) فهو الذي عزل « هوشع بن أيلة » ملك إسرائيل سنة ٧٢٤ ق.م^(٣) .

ويرى « أوسترلي »^(٤) أن عزل هوشع وأسرته مع جماعة من الإسرائيليين في

(١) L.Elliott- Binns, The Clarendon Bible, Vol. 1v. P.136.

(٢) أنظر : Unger's Bible Dict. P.203. وكذلك أوسترلي وروبنسون ، المرجع السابق ص ٢٤٩ .

(٣) ملوك ثان : ١٧ : ٣ - ٥ ويعتبر تغلات فلاسر أول ملك اتبع سياسة إبعاد غير المرغوب فيهم من بلادهم حين عين هوشع ملكاً على إسرائيل بعد أن نفى فصح .

(٤) W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc.P. 249.

آشور قد يكون هذا سبباً في أن انطلق إشعياً بهذه النبوءة ، وأنه ليس من الضروري أن نفترض أن تاريخها عقب موت تغلات فلاشر مباشرة .

ويقترح دريفر^(٢) عنواناً لهذه النبوءة « العصا التي ضربت فلسطين » وهذه العصا هي آحاز إذ إن الفلسطينيين كانت فرحتهم بسبب موت آحاز صديق آشور ، ولذلك حذرهم إشعياً من أن فرحهم سابق لأوانه ، لأن القوة التي كانوا يخشونها سوف تسترد نفسها حتى تثبت أنها أكثر هولاً من ذي قبل ، وكانت آشور تقترب^(٣) وستقاسي فلسطين على يديها بشدة (١٤ : ٢٩ - ٣١) ، كما يرى دريفر كذلك أن الحية المشار إليها في (١٤ : ٢٩) هي سرجون وأن الثعبان السام الطائر من الحية هو سنحريب المرعب .

وعلى هذا يكون تاريخ هذه النبوءة بعد موت سرجون بقليل حوالي سنة ٧٠٥ ق.م وقد يشعر الفلسطينيون طبعاً بالفرح عند سماعهم خبر مقتل سرجون الذي هزم « هنو » ملك جازا في رافيا سنة ٧٢٠ ق.م واستولى على أشدود سنة ٧١١ ق.م ، ولذا فقد عاقب سنحريب الفلسطينيين بقسوة كما يبدو من خلال النقوش^(٤) .

ويرجع Cheyne النبوءة إلى سنة ٧٢٠ ق.م مفترضاً أن مناسبة حدوث اضطرابات في سورية وفلسطين كانت بعد اعتلاء سرجون العرش مباشرة .

(٤) الرؤيا الخاصة بمؤاب الإصحاح ١٥ ، ١٦ :

وهذه النبوءة كانت من النبوءات التي اختلف الرأي في تاريخها ، واجتمع الرأي كذلك على غموضها واضطرابها .

والحقيقة أن هذا الجزء يشتمل على ثلاث نبوءات مستقلة هي :

الأولى في (١٥ : ١٠ - ١٦ : ٥) وفيها تحية للهاريين من مؤاب يستشعرون

(2) Driver; An Introduc. P.213.

(٣) إشعياً : ٣١ : ١٤ .

(٤) د. جون ألدن « الأحجار تتكلم ، تعريب د. عزت زكي ، ص ١٠٣ .

أماً في حماية بيت داود ، وتصل إشارات خضوعهم إلى اورشليم حيث تنتهي قسوة العدوان الآشوري وتهدأ حدته^(١) ، وأن الملك العادل المنصف سوف يستقر على عرش داود^(٢) .

والنبوة الثالثة (١٦ : ٦ - ١٢) وتصف صلابة المؤابيين وعدم تقبلهم لنصائح النبي ، وبناء على ذلك تأخذ الدينونة مجراها .

أما الجزء الأخير (١٦ : ١٣) فهو يشكل خاتمة للنبوءات الثلاث السابقة .

وتلاحظ أن النبوءتين الأوليين توازيهما نبوءتان عند إرميا . فالأولى (١٥ : ٢ - ٧) توازيهما في سفر إرميا (٤٨ : ٣٤ - ٣٨) ، والثانية (١٦ : ٦ - ١١) توازيها في سفر إرميا (٤٨ : ٢٩ - ٣٣) .

والنبوءتان في كل من السفرين في حالة مشوهة مبتورة مع أن الاختلاف بينهما واضح من حيث النظام وتغيير الأماكن كما أن المشكلات التي يعرضها النص خاصة في النبوءتين الموازيين عند إرميا غاية في التعقيد والغموض^(٣) .

ويرى دريفر أن تاريخ كل من النبوءتين : الأصلية (١٥ : ١ - ١٦ : ١٢) والخاتمة (١٦ : ١٣) إنما هو تاريخ ظني ، مع أن الخاتمة قد تحدد تاريخها في شيء من الصواب في فترة قصيرة قبيل غزو سرجون لأشودود سنة ٧١١ ق.م عندما ذكرت مؤاب كمتأمرة مع فلسطين ومصر^(٤) .

وقد تكون النبوءة كتبها إشعيا قبل ذلك عند توقع غزو تغلات فلاشر لمقاطعات شرق الأردن سنة ٧٣٤ ق.م والتي امتدت بعيداً في الجنوب حتى راوبين^(٥) ، ولكن أسلوب ونغمة الآيات من (١٥ : ١ حتى ١٦ : ١٢) توحى لكثير من المحققين بأنها تختلف عن أسلوب إشعيا ولذا فإنهم يفترضون أنها جاءت

(١) قارن إشعيا (٢٩ : ٢٠) .

(٢) قارن إشعيا : ٩ : ٥ - ٧ ، مع ١٦ : ١ - ٥ .

(٣)

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.249.

Driver; An Introduc. P.P.213- 214.

(٤)

(٥) أيام أول : ٥ : ٢٦ .

أصلاً من بعض الأنبياء المتقدمين ثم أخذها إشعيا وعزرها .

أما الخاتمة (١٦ : ١٣) التي تربط النبوءة بإشعيا نفسه فهي تؤيد هذا الرأي إلى حد ما . ويدلّل دريفر على أن إشعيا أخذ النبوءة من أنبياء أقدم منه ، بما ورد في سفر إشعيا من نبوءات تناولها عن الأقدمين مثل : إشعيا (٢ : ٢ - ٤) وميخا (٤ : ١ - ٣) ، وكذلك ما ورد في سفر إرميا (٧ : ٤٩ - ١٦) وهي في عويديا (١ - ٩ ، ١٦) . كذلك عندما نقارن إشعيا (٥ : ١٥) مع إرميا (٥ : ٤٨) ثم نقارن نبوءة إشعيا عن مؤاب مع نبوءة إرميا في (٤٨ : ٢٩ - ٣٤) .

ويعلق دريفر في نفس الموضع بأن الغزو عندما هرب المؤابيون تجاه أدوم - يبدو آتياً من الشمال وقد أظهرت يهوذا قوة كافية لتدافع عن الهاربين ، وعن منطقة أرنون ، التي تشمل رأوبين وجزءاً من جاد ، وكان يشغلها المؤابيون . هذه الأحداث المتألفة ثلاثم حكم يربعام الثاني . وبناء على ذلك تكون النبوءة الأصلية قد أشارت إلى سبب التجاء المؤابين إلى ذلك الملك^(١) وفي ذلك الوقت كان الملك القوي « عزيا » على حكم يهوذا .

كذلك ينسب بعض المحققين هذه النبوءة لـ (١٥ : ١ - ١٦ : ١٢) إلى نبي أقدم من إشعيا ومن هؤلاء المحققين جزيوس وإيوالد ، وكونين وبوديسين ، وإن كان هؤلاء لم يحاولوا تحديد مناسبتها تحديداً دقيقاً ، وأما الآيات (٤ : ١٦ - ٥) فلأنها تتوافق مع أسلوب إشعيا وفكره فقد يظن أنها إضافة أضافها إشعيا نفسه إلى النبوءة الأصلية وهذا رأي شين Cheyne سابقاً .

٤ - وأما النبوءة التي في (١٧ : ١ - ١١) فإن فيها إعلاناً عن سقوط دمشق لتلحق بإفرايم (١٧ : ١ - ٣) وإن إفرايم ستُدْمَر ولا يبقى فيها إلا خصاصة (١٧ : ٤ - ٦) ، وعلى أي حال فستهرب بقية ، وتتحقق روحياً إلى قدوس إسرائيل (١٧ : ٧ - ٨) ، وأن خراب إفرايم إنما كان بسبب بعدها عن يهوه ، واحتضانها للعبادات الأجنبية (١٧ : ٩ - ١١) .

وهذا التقسيم يدل على أننا أمام أربع نبوءات تشير الأولى منها فقط إلى

(١) انظر ملوك ثان : ٢٥ : ١٤ .

دمشق بينما اختصت البقية بإفرايم .

والنبوءتان الأوليان تنتهي كل منهما بتوقيع « يقول رب الجنود » ، (يقول الرب إله إسرائيل) وهذا يدل على استقلال كل منهما عن الأخرى .

أما النبوءتان الأخريان فكل منهما تبدأ بالعبارة الأخرية « في ذلك اليوم » وقد تكون هذه العبارة إضافة من جامع السفر ، وإن كان إشعيا نفسه قد جعل لهذه العبارة أهمية كبرى^(١) .

ويرى دريفر ومعه إيوالد وديلم وشين وكونين أن هذه المجموعة (١٧ : ١ - ١١) قد كتبت قبل الحرب السورية الافرايمية ، ودليل هذا أنها من خلال محتواها لا تشير إلى عداء مع يهوذا ، كما أنها تتفق مع النبوءة (٨ : ٤) في مضمونها .

وفي ختام هذه المجموعة نجد لدينا نبوءة في (١٧ : ١٢ - ١٤) لا تشير إلى أي شعب ، ولذا فهي قد تكون إضافة من جامع السفر ، وتاريخها يرجع إلى نفس فترة المجموعة السابقة حوالي سنة ٧٣٥ ق.م . ويظن شين Cheyne أنها قد كتبت لتسكين روع يهوذا عند تخريب السامرة سنة ٧٢٣ ق.م^(٢) أما جورج هربرت بوكس^(٣) فإنه يذهب إلى أن المجموعة (١٧ : ١ - ١١) يرجع تاريخها إلى سنة ٧٣٥ ق.م ، وأن المجموعة غير الكاملة الملحقة (١٧ : ١٢ - ١٤) يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ٧٠٢ ق.م . ولعله يشير إلى العدوان الأشوري على يهوذا .

(٥) والنبوءة التي في الإصحاح (١٨) تحت عنوان « أرض حفيف الأجنحة »

فهناك شبه إجماع من الباحثين على أنها تشير إلى أثيوبيا ، حيث ذكر في النص اسم « كوش » (يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش (١٨ : ١) .

W.O.E. Oesterly & T.H. Robinson; An Introduc. P.250. (١)

Driver, An Introduc. P.215. (٢)

G.H.Box; Encyc. Britt. Vol.XII. P.250. (٣)

ويرى بعضهم أن هذه النبوءة التي تبدو منفردة إنما هي في الأصل مرتبطة بما سيليها مباشرة وهي النبوءة الخاصة بمصر ، وبهذا يكون جامع السفر قد أقمها قبيل المجموعة المصرية مباشرة^(١) . وأن الإشارة فيها على ما يبدو تتعلق بسفارة أوفدها الأثيوبيون إلى ملك يهوذا^(٢) ليقنعوه بالاتحاد معهم في معاهدة ضد آشور (١٨ : ١ - ٢) ، وقد ردهم إشعيا مؤكداً لهم أن فلقتهم لا داعي له ، وأن خطط الآشوريين سوف توقف ، وأن مضيفهم سينهزمون (١٨ : ٢ - ٦) عندئذ سيخضع الأثيوبيون لرب إسرائيل (١٨ : ٧) .

ويرى بعضهم أن هذه السفارة قد تكون متعلقة بالثورة ضد سرجون والتي أدت إلى سقوط أشدود سنة ٧١١ ق.م أو بالمظاهرة ضد سنحريب في بداية حكمه^(٣) .

ولكن دريفر^(٤) يحدد تاريخ النبوءة بعام ٧٠١ ق.م ويقول إن خطط الآشوريين كانت دائماً تتضمن الزحف على مصر ، وقد يخاف الإثيوبيون لأن سنحريب حين هزم يهوذا والفلسطينيين قد أغرى من بعده فقام بمحاولة ليضيف إلى امبراطوريته مصر وأثيوبيا ، وفي الحقيقة أن سنحريب كان زاحفاً نحو مصر في الوقت الذي أصيب فيه جيشه بالطاعون الدملي نتيجة انتشار الفئران في محلة جيشه بعد أن قرضت سيور الخيل والمركبات الحربية حتى أن جيشه أصبح في

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.250.

(١)

(٢) السفارة تبدو في النص أنها مرسله من مصر « المرسله رسلاً في البحر وفي قوارب من البردى على وجه المياه (١٨ : ٢) ، وذلك لأن الأسرة ٢٦ التي كانت تحكم مصر عند حدوث هذه الأحداث كانت أثيوبية الأصل (أنظر هامش ٢ من كتا An Introduc. to the Books of O.T. لأوسترلي وروبنسون ص ٢٥٠) ، ملوك هذه الأسرة الـ ٢٦ قد حكموا مصر في الفترة ما بين ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م (أنظر د. نجيب ميخائيل إبراهيم « مصر والشرق الأذن القديم » ص ٢ - ٣٦٢) فإذا كانت هذه النبوءة تتناول أحداثاً وقعت إبان حكم هذه الأسرة فلا بد أن يكون تاريخها في الفترة ما بين ٦٦٣ ، ٥٢٥ ق.م .

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introdu. P.250.

(٣)

Driver; An Introduc. P.215.

(٤)

حالة سيئة فاضطر للتقهقر^(١) .

ويحدد جورج هربرت بوكس^(٢) تاريخ النبوة بتاريخ قريب من التاريخ الذي حدده دريفر .

(٦) والإصحاح (١٩) يتضمن نبوءة عن مصر

وهذه الفقرة مثال آخر على مدى غموض النص من حيث التاريخ والتأليف وانعدام الترتيب الزمني والموضوعي في تركيب السفر .

وهذه النبوءة من النبوءات الشهيرة من حيث إشاراتها العديدة إلى عادات شعب مصر المميزة وملامح الإقليم مما حدا ببعض المحققين إلى أن النبوءة يرجع تاريخها إلى ما بعد سنة ٧٠١ حيث استطاع النبي أن يتأمل في هدوء تام أعداء وطنه ، ومن ذهب هذا المذهب إيوالد وشتاده وديلم وكونين^(٣) .

ويرى أوسترلي وروبنسون أن هذه الفقرة الخاصة بمصر تشتمل على ثلاث نبوءات تقريباً هي : (١٩ : ١ - ٤) ، (١٩ : ٥ - ١٠) ، (١٩ : ١١ - ١٥) ، وبقية الإصحاح (١٩) عبارة عن سلسلة من مجموعات أخروية غير كاملة بالإضافة إلى قطع قصيرة صدرت كل منها بالعبارة الأخروية « في ذلك اليوم » ومن هذه المجموعات غير الكاملة مجموعتان تقريباً وهما (١٩ : ١٨) ، (١٩ : ١٩ - ٢٢) وتشير إلى المعبد اليهودي الذي بني في ليونتوبوليس Leontopolis في القرن الثاني ق.م وعلى هذا فيمكن أن يكون تاريخ هذه الفقرة متأخراً جداً .

وبالرغم من غموض تاريخ هذه النبوءة فإن (دريفر) يرى أن التخمين المقبول فيه هو أنها كتبت حوالي سنة ٧٢٠ ق.م حينما هزم سرجون الثاني المصريين عند رافيا ومن المعروف أن سرجون هزم الجيوش المصرية سنة ٧٢٠ ق.م ، سنة ٧١١ ق.م ونفس العمل قام به سنحريب سنة ٧٠١ ق.م .

(١) د.جون الدرغ الأحجار تتكلم ، ص ١٠١ تعريب د.عزت زكي .

(٢) G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.701.

(٣) دريفر « نفس المرجع السابق » ص ٢١٥ .

وإننا نرجح هذا التاريخ وهو سنة ٧٠١ ق.م. إذ كانت آشور في تلك الحقبة قد وسعت من سطوتها وبخاصة في عهد سرجون الثاني الفاتح الأكدي الكبير (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) الذي اغتصب حكم بابل من مردوخ بلادان واستمرت سطوة آشور في عهد سنحريب بن سرجون (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) حتى أن نشاطه الحربي شمل أكثر من جهة في وقت واحد ، ففي سنة ٧٠١ ق.م أقبل بجيشه نحو الساحل قاصداً مصر ووقع الالتحام بين الجيشين عند سهل الفلسطينيين حيث انكسر المصريون انكساراً عظيماً ، وأثناء هذه التحركات العسكرية كانت مملكة يهوذا الصغيرة في الوسط لأن اورشليم كانت واقعة على التلال المجاورة للطريق الكبرى التي تسير فيها الجيوش على طول ساحل فلسطين^(١) . فحاصر يهوذا وجرّد حملة ضد حزقيا كما حاصر عقرون كذلك^(٢) .

ومما يرجح هذا التاريخ كذلك أننا نجد نبوءة ضد اورشليم في الإصحاح (٢٢) ضمن هذه المجموعة الخاصة بالأمم الغربية (١٣ - ٢٣) فقد كان إشعيا يشعر بمدى خطورة ما يحيط بالمنطقة من أحداث .

أما أسر حدون فقد نفذ إلى مصر واقتطعها ليجعل منها مقاطعة آشورية سنة ٦٧٢ ق.م تقريباً^(٣) ثم نجد بفيفر Pfieffer^(٤) يرد تاريخ الأحداث التي عبرت عنها النبوءة إلى سنة ٦٧١ ق.م . وعلى هذا يكون الحاكم الأشوري آنذاك هو أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق.م) .

(١) أدون بفن « أرض النهرين » ص ٤٣ تعريب الأانتاس ماري الكرمل ، والأب لويس مارتين الكرمل .

(٢) George Adam Smith; The Expositor's Bible; Vol. II. P.460.

(٣) كان يحكم مصر في تلك الفترة أحد ملوك الأسرة الـ ٢٥ وهي الأسرة النوبية وهذا الحاكم هو طهرق Taharqa أو (نوفرتم خورع) ٦٩٠ - ٦٦٤ ق.م أنظر د.نجيب ميخائيل مصر والشرق الأدنى القديم ، ح ٢ ص ٣٤١ .

(٤) The Wycliffe Bible Comm. P.623.

وعند تحديد تاريخ هذه النبوة لا بد لنا أن نأخذ في الاعتبار ذكر عيلام ومادي في (٢:٢١) ضمن القوى المغيرة على بابل ، ومن هنا يستتج «ريديفر»^(١) أن محاصرة بابل من عيلام ومادي إنما هو الحصار الذي حدث بقيادة «قورش» سنة ٥٣٨ ق.م وهكذا افترض الباحثون مثل إيفالد وهيتسج & Ewald Hitzig وغيرهما أن هذه النبوة من عمل مؤلف كان يعيش في نهاية السبي تقريباً ، وأنه كتب هذه النبوة من نفس المنطلق العام في تأليف (٢:١٣ - ١٤:٢٣) . وتبع هذا التوقيت كذلك ج. هربرت بوكس حيث أرجع تاريخ هذه النبوة إلى نهاية السبي ، وأن هذه النبوة قد أردفت بنبوءتين غير كاملتين عن أدوم في (١١:٢١ - ١٢) ، وعن بلاد العرب في (١٣:٢١ - ١٥) ثم ألحقت بهما مجموعة نثرية غير كاملة لإشعيا في (١٦:٢١ - ١٧) ويرجع تاريخها إلى سنة ٧١١ ق.م تقريباً .

أما الإصحاح (٢٢) فهو كما يرى المحققون قد جاء في غير موضعه إذ إنه يتحدث عن اورشليم في وسط مجموعة خاصة بالأمم الأخرى^(٢) .

فالجزء الأول من النبوة (١:٢٢ - ١٤) موجه إلى سكان العاصمة من أجل فرحتهم الطائشة التي جاءت في غير أوانها ، يصور ذلك الابتهاج ازدحام الأسطح وعجيج المدينة المغرورة ، مما جعل النبي ينذرهم بالهزيمة المخزية التي حدثت ، وأن يوم الرب على اورشليم يقترب (٥:٢٢) بحصار الأشوريين (٦:٢٢ ، ٧) رغم اتخاذ الاستحكامات الدفاعية (٩:٢٢ - ١١) ولكنها استحکامات غير مجدية لأنها مجردة من الاعتماد على يهوه .

ولصعوبة تفسير النبوة انقسمت الآراء في تحديد تاريخها^(٣) . فالجزء (٢:٢٢ - ٣ ، ٦ - ٧) يبدو وصفاً للماضي ، بينما الجزء (٥:٢٢) يشير إلى المستقبل تماماً .

S.R. Driver; An Introduc. P.216. (١)

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.251. (٢)

S.R. Driver; An Introduc. P.217. (٣)

ومن قالوا بقدوم النبوة كلها ما عدا (٢٢ : ٥) Eweld, Hitzig, ، W.R.Smith, Cheyne, Driver, Quennen, Dillm, G.A.Smith, Orelli ، ومن قالوا بأن الأزمنة الماضية في النبوة تدل على المستقبل Kittle, Duhm, Gesenius, Skinner, Marti. (١)

والتاريخ الدقيق للنبوة (٢٢ : ١ - ١٤) كما يرى دريفر هو سنة ٧٠٢ ق.م ، وقريب من هذا الرأي رأى جورج هربرت بوكس فهو يحدد سنة ٧٠١ ق.م . ويصف دريفر الرأي الذي يرد تاريخ النبوة الى سنة ٧١١ بأنه رأى لا سند له وهو رأى Sayce الذي استند إلى أن سرجون هاجم أورشليم سنة ٧١١ ق.م .

ويرى آخرون أن بعض هذه النبوة قد حدث في زمن إشعيا ، وربما عندما اعتمدت جيوش سنحريب غزو الأرض (٢) . كما أن هذه المجموعة هي عبارة عن خليط من النبوات الأصلية التي لا يستلزمها سلسلة من المجموعات الصغيرة غير الكاملة ، أضيفت إلى الأصل وبقية الأصحاح المتعلقة بخير فضيحة « شبن » وخلعه من منصبه وتعيين الياقيم محله في (٢٢ : ١٥ - ٢٥) خليط من الشعر والنثر ، وأنه من الممكن أن يكون الجزء (٢٢ : ٢٤ - ٢٥) هو الأساس الذي أقيمت عليه بقية الأجزاء ، وقد يكون جامع السفر اضافة للحاجة إلى وجود كلمة « وتد » ַבַּיַּת في آخر الآية (٢٣) ليبنى عليها ما بعدها .

(٧) أما الإصحاح (٢٣) وهو آخر هذه المجموعة (١٣ - ٢٣) الخاضعة بالأمم الأجنبية :

فهو الإصحاح الذي يشتمل على نبوءات تصور السقوط الوشيك لـ « صور » المدينة التجارية العظيمة ذات الآثار والإنشاءات الرائعة (٢٣ : ١ - ١٤) . ولكن « صور » بعد سقوطها ستتتعش وتعود سيرتها الأولى مع فارق هام

(١) S.R.Driver: An Introduc. P.217- 218.

(٢) W.O.E. Oesterly & Robinson; An introduc. P. 251.

وهو أن مكاسبها ستكون في خدمة يهوه (٢٣ : ١٥ - ١٨) .

وأما تأليف الجزء الأول من هذه النبوءة (٢٣ : ١ - ١٤) فيرجعه الباحثون إلى إشعيا نفسه أما الفترتان الصغيرتان اللتان ينتهي الإصحاح بهما وهما (٢٣ : ١٥ - ١٦ ، ٢٣ : ١٧ - ١٨) فقد كتبتهما يد متأخرة بالتأكيد^(١) .

وتاريخ هذه المجموعة كغيره تعرض لاختلاف رأي الباحثين فيه ويرجع الخلاف إلى الفقرة (٢٣ : ١٣) بالذات (هوذا أرض الكلدانيين . هذا الشعب لم يكن . أسسها آشور لأهل البرية . قد أقاموا أبراجهم ، دمروا قصورها ، جعلها ردماء) .

ويصف دريفر^(٢) هذه الفقرة بأنها صعبة وغير واضحة ، وسبب ذلك يرجع إلى كلمة « الكلدانيين » وقد صححها إيwald إلى الكنعانيين קְנַעִיִּים بدلاً من כְּלְדַיִּים ، ويصف دريفر هذا التغيير بأنه جذاب^(٣) ، ولذلك يرى دريفر ، أن النبي يشير إلى صور محذراً من العقاب الذي سيوقعه الآشوريون قريباً على كلديا ، وربما يكون ذلك في الفترة سنة ٧١٠ - ٧٠٩ أو سنة ٧٠٣ ق.م ولكن سميث W.R.Smith^(٤) يرى أن النبوءة قد يرجع تاريخها إلى قبيل غزو سنحريب لفينيقيا سنة ٧٠١ ق.م رغم أن « صور » لم تذكر بين المدن التي هاجمها سنحريب . ولذلك فقد افترض دوم Duhm حلاً باهراً بتغيير طفيف في النص (٢٣ : ٨) بأن غير كلمة « صور » צֹר إلى « صيدون » צִידוֹן لأن « صيدون » وردت في (٢٣ : ٢ ، ٤ ، ١٢) فالإشارة إذن ستكون إلى تخريب صيدون على يدي « ارتكسركيس الثالث » ، ثم جاء كاتب

(١) W.O.E. Oesterly & T.H. Robinson: (An Introduction...) P.252.

(٢) S.R. Driver; An Introduc. P.218.

(٣) ويقول دريفر إن هذا التصويب الجذاب الذي قام به إيwald سوف يجعل الآية تشير ببساطة إلى نصيب فينيقيا نفسها من التهديد الوشيك وقد ارتضى هذا التغيير كل من تشين وأوريلي وديلم وكونين ، وشرادر ، وقد روى يوسفوس أن فترة حصار شلماانصر لصور كان في ٧٢٧ - ٧٢٣ ق.م .

(٤) W.R. Smith; Prophets of Israel; P.333.

متأخر وغيرها ليجعلها تشير إلى حصار « صور » على يدي « الإسكندر الأكبر »^(١) .

ولكن منطوق النص في (٢٣ : ١٣) كما يقول دريفر^(٢) يبين أنه يصف دماراً أخطر من ذلك الذي سيحدثه البابليون سنة ٧١٠ أو سنة ٧٠٣ ق.م .

لذلك نرى ج.هـ. بوكس يفترض أن حصار « صور » المذكور في النص قد يكون هو الحصار الذي قام به نبوخذ « نصر » في الفترة ٥٧٣ - ٥٨٦ ق.م . أما الفقرة (٢٣ : ١٣ ، ١٥ ، ١٨) فقد تكون من إضافات ما بعد السبي .

ومما سبق من مناقشة الفقرة التي تشمل على الإصحاحات (من ١٣ حتى ٢٣) نتبين أنها اشتملت على قطع ونبوءات ذات تواريخ متباينة ، فبعضها ينسبه المحققون إلى إشعيا نفسه وبعضها أرجعوه إلى فترة متأخرة عن زمن إشعيا فترة السبي وما بعدها . بل يذهب بعض الباحثين إلى أن الفقرة من (١٣ - ٢٣) إنما هي كتيب ليس لإشعيا أو الذين جمعوا سفره القديم لاشتماله على نبوءات لا يمكن أن تكون حدثت في زمن إشعيا في القرت الثامن ق . م ، بل وقع جلها في القرن السادس ق . م ، أي في القرن الذي بلغت فيه بابل شأواً بعيداً ، والذي وضع هذه الفقرة شخص عاش في القرن السادس ق . م . وكان من نتيجة الإضافة والحذف أن ضاع شيء وأضيفت أشياء^(٣) .

وهناك في سفر إشعيا فقرات ردها الباحثون إلى تاريخ أكثر تأخراً من القرن السادس ق . م . بكثير جداً . فالفقرة (١٩ : ١٩ - ٢٢) يعظم الشك في نسبتها إلى زمن قبل القرن الثاني ق . م . ومن الممكن أن تكون إضافة متأخرة أقحمت على النص الأصلي في تلك الفترة المتأخرة والذين حددوا تاريخ تلك الفقرة بالقرن الثاني ق . م . استندوا إلى أنها تشير إلى المعبد اليهودي في ليونتوبوليس ، كما أنهم رأوا أنه من الممكن أن تكون الإشارة هنا إلى معبد إلفانتين ، فإذا لم تكن تشير إليه

G.H.Box; Encyc. Britt. Vol.XIII. P.701.

(١)

S.R. Driver; An Introduc. P.218.

(٢)

(٣) د. فؤاد حسين علي « التوراة المبروغليفية » ص ٩١ .

فهي بدون شك تشير إلى معبد يهودي غير معروف لنا مكانة^(١) .

ومن الواضح أن المجموعة الخاصة بالإصحاحات (١٣ - ٢٣) لم تكتمل حتى وقت طويل بعد الرجوع من السبي ويقول أوسترلي إننا لا نجروء على إرجاعها إلى تاريخ مبكر عن نهاية السبي في القرن الخامس ق.م ، بينما من الثابت ألا شيء في المجموعة يتم عن معرفة بإصلاحات «عزرا» ، وقد يكون هذا شيئاً عرضياً .

وقد تكون المجموعة قد وصلت إلى شكلها الحالي خلال أو بعد زمن عزرا ، وقد تكون نهاية القرن الرابع ق.م قد اعتبرت آخر تحديد لتاريخ تلك المجموعة .

المجموعة الثالثة من سفر إشعيا الأول وتتكون من الإصحاحات (٢٤ - ٢٧) وهذا الكتاب كما سيتضح من محتواه يرجع إلى فترة متأخرة عن زمن إشعيا بقرون ، وكما هو الحال في معظم الأسفار النبوية ، فإن مجموعات مختلفة ، غير كاملة قد تم امتزاجها بالسفر .

وهذا القسم كله (٢٤ - ٢٧) باستثناء المجموعات غير الكاملة المقحمة يعتبر من أدب الرؤى ، ولم يختلف رأي الباحثين في هذه المجموعة إلا فيما يتعلق بالتفصيلات فيحدد بعض الثقات تاريخ هذا القسم بحكم « داريوس الأول هبستاسبز » (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) وآخرون يحصرونه في العقد الواقع ما بين ٣٤٠ ، ٣٣٠ ق.م ، ويقول أوسترلي : ولكن الصياغة الجيدة في عرض المجموعات الشعرية يتماثل مع نبوءات سيبللين Sibelline ودينال وأخنوخ ، وأسفار من أسفار الرؤى^(٢) ، ويعزو « رودلف »^(٣) هذه الإصحاحات إلى الفترة من ٣٣٠ إلى ٣٠٠ ق.م ويعتقد أن هذه الإصحاحات من عمل يد واحدة .

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc; P.252. (١)

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.253. (٢)

Rodelph; Isaiah, P.P.24-27.) S.R. Driver, An Introduc. P.P.219- 220. (٣)

ويوافق الباحثون المتأخرون بصورة عامة على الرأي القائل بأن هذه النبوءة ليست لإشعيا أساساً لأسباب ذكرها دريفر^(١) ومنها :

١ - أنها تخلو من الأحداث التي تناسب زمن إشعيا ، وليس من الممكن أن يعزي ذلك بشكل مقبول إلى فترة الأزمة الآشورية سنة ٧٠١ ق .م لأن لدينا سلسلة طويلة من المواعظ التي تتعلق بالسنوات من ٧٠٢ - ٧٠١ ق.م في كل آراء إشعيا المشابهة في الانتصار القادم لأشور ، ولكن في النبوءة التي نحن بصدها نجد أن كلاً من البناء ووجهة النظر يختلفان في كل شيء ، ويظهر ذلك إذا قابلنا مثلاً بين هذه الإصحاحات وبين الإصحاحات (٢٩ - ٣٢) .

٢ - والمعالجة الأدبية لا تشبه معالجة إشعيا في كثير من الاعتبارات بالرغم من التعبيرات الإصطلاحية التي تتصل بتعبيرات إشعيا .

٣ - وجود ملامح في تصور ومحتوى النبوءة هذه الملامح التي تبدو منبثقة عن مصدر مخالف ومتأخر عن أفكار إشعيا .

وعلاوة على ذلك فإن أسلوب المجموعة (٢٤ - ٢٧) يبدو أكثر تكلفاً من أسلوب إشعيا . ويبدو ذلك في الربط الكثير بين الجمل شبه المترادفة غالباً ، وتكرار كلمة أو كلمات معينة كتلك التي في (٢٦ : ٣ ، ٥ ، ١٥ ، ٢٧ : ٥)^(٢) . هذا بالإضافة إلى اللعب بالألفاظ والجناس غير التام والميل إلى التفتية^(٣) .

S.R. Driver, An Introduc. P.P.219- 220.

(١)

(٢) (٢٦ : ٣) « ذو الرأي التمكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل » .

(٢٦ : ٥) « لأنه يفضض سكان العلاء ، يضع القرية المرتفعة ، يضعها إلى الأرض ، يلصقها بالتراب » .

(٢٦ : ١٥) « زدت الأمة يارب ، زدت الأمة ، تمجدت ، وسعت كل أطراف الأرض » .

(٢٧ : ٥) « أو يتمسك بحصتي ، فيضع صلحاً معي ، صلحاً يصنع معي » .

(٣) أنظر تفصيل دريفر المرجع السابق صـ ٢٢٠ في الأدلة اللغوية التي أوردها في أن مؤلف هذا القسم ليس هو إشعيا بن أموص .

وتاريخ هذا القسم (من إصحاح ٢٤ - ٢٧) يرجع إلى سنة ٢٠٠ ق.م وهو التاريخ الذي يوافق ازدهار أدب الرؤى الغنائية ، فإن أصحاب هذا النوع من الأدب كما يقرر Duhm وآخرون^(١) . قد شهدوا حصار أورشليم ، وتخريب يهوذا على يدي « أنتيوخس سيدتس Sidetes بعد « يوحنا هيركانوس John Hyrcanus مباشرة سنة ١٣٥ ق.م ، وقد شهدوا كذلك بداية حرب البارثيان وبعثة أنتيوخس الفاشلة ، التي اضطر اليهود إلى المشاركة فيها سنة ١٢٩ ق.م . وبالنسبة للمجموعات غير الكاملة المقحمة (١:٢٥ - ٥ ، ٩:٢٥ - ١٢ ، ١:٢٦ - ١٩ ، ٢:٢٧ - ٥ ، ٦ ، ١١) فإننا نجد الخلفية التاريخية لاثنتين منها (١:٢٥ - ٥ ، ١:٢٦ - ١٩) توحى بأنها تشير إلى دمار السامرة على يدي (يوحنا هديرانوس) خلال الفترة ١١٣ - ١٠٥ ق.م . وأن المقصود بـ « قرية أمم عناة » في (٣:٢٥) هي روما ، وأن « المدينة الحصينة » في (١٠:٢٧) هي بابل التي هزمها قورش ولم يخربها وتظل مدينة هامة حتى نهاية الإمبراطورية الفارسية سنة ٣٣٢ ق.م.^(٢) .

والفقرة (٩:٢٥ - ١٢) قد ترجع إلى زمن الإسكندر يانايوس Alexander Jannaeus من ١٠٢ - ٧٦ ق.م ، وهو الذي وسع كثيراً من حدود المملكة اليهودية ، وقد أخضع المؤابيين ضمن من أخضعهم^(٣) .

أما بالنسبة للقطعتين الأخيرتين (٢:٢٧ - ٥ ، ٦:٢٧ - ١١) فليس فيهما ما يعيننا بشكل قاطع على تحديد أو اقتراح تاريخ لهما .

ويرى ج. هـ. بوكس^(٤) أن تاريخ هذه المجموعة (من إصحاح ٢٤-٢٧) من الصعب تحديده ، وأن أقدم تاريخ يمكن أن نردها إليه هو حكم (ارتكسركيس أوكس (Artexerxes Ochus) .

(١) W.E.O. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.254.

(٢) أنظر ديرفر An Introduc. P.220 ويقول ديرفر : « ومع ذلك فمن المشكوك فيه أن تكون بابل بالمعنى الحرفي هي التي قصدتها المؤلف فملاح المدينة التي يصفها ليست متميزة ولا جوهرية لدرجة أن الصورة تبدو مثالية على عكس ما هي في تصور إشعيا » .

(٣) قارن إشعيا : (١٠:٢٥)

(٤) G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII.

ومن الممكن أن يكون في حدود ٤٣٥٠ - ٣٣٠ ق.م ، مع أن عدداً من الدارسين المتميزين يؤرخ هذه الموضوعات بتاريخ متأخر في عهد المكابيين ، ولكن هذا الرأي - كما يرى ج.ه. بوكس - مبني على أسس غير مأمونة^(١) .

وإذا كانت الفقرة (١ : ٢٧) تشير كما يبدو إلى ثلاث قوى هي آشور وبابل ومصر فهي إذن لن تكون أكثر قدماً من الوقت الذي أصبحت فيه بابل قوة مخيفة لليهود ، كما توجد كذلك إشارات وتلميحات تبدو فيها النبوءة لاحقة ليس لإشعيا أورشليم فقط بل لاحقة لإشعيا الثاني كذلك ، فهي تشير إلى فترة ما قبل السبي . ولكن هذا الرأي الذي يراه كل من ابوالد ، وديليتسش ، وديلم وكونين وغيرهم ممن يرجعون النبوءة إلى القرن الرابع ق.م ، إنما هو رأي غير مقنع عند دريفر^(٢) .

ومرة أخرى من خلال مناقشة بعض الآراء في تحديد تاريخ هذه المجموعة ترى إلى أي مدى يذهب الخلاف في محاولة إرجاع النبوءة إلى تاريخ معين أو نسبتها إلى مؤلف معين ، وهذا ينسحب على بقية سفر إشعيا حيث يجد الباحث نفسه يتحسس طريقه بوحى من الظن والافتراض والتخمين والاجتهاد . وذلك يصدق كذلك على الجزء المتبقي من سفر إشعيا الأول في المجموعة الخاصة بالإصحاحات (من ٢٨ - ٣٥) ثم من (٣٦ - ٣٩) .

فمجموعة الإصحاحات (من ٢٨ - ٣٥) تتضمن قطعاً من فترات زمنية مختلفة لا ترتيب فيها ، وقد اتسعت دائرة تأريخ أجزاء هذه المجموعة حيث شملت تواريخ من القرن الثامن ق.م . حتى القرن الثاني ق.م . .

وهي تبدأ بدينونة نبلاء السامرة (١ : ٢٨ - ٤) وألحقت بها حاشية شعرية (٥ : ٢٨ - ٦) ثم أتبع ذلك باتهامين واضحين لخطايا يهوذا ، الاتهام الأول هو السُّكْر (٧ : ٢٨ - ١٣) . والاتهام الثاني هو العرافة (٢٨ : ١٤ - ١٩) .

(١) G.H.Box; Encyc. Britt. Vol. XII. P.701; and W.O.E. Oesterly & Robinspn; An Introduc. P.255

S.R. Driver; An Introduc. P.221.

(٢)

أما الفقرة (٢٨ : ٢٠ - ٢٢) فقد تكون إضافة متأخرة إلى النبوة الأصلية والفقرة (٢٨ : ٢٣ - ٢٩) هي وصف لطرائق مختلفة في الزراعة .

وكما افتتح الإصحاح (٢٨) بدينونة السامرة ، فإن الإصحاح (٢٩) يبدأ بإعلان عن الخراب الذي سيحل بأورشليم (٢٩ : ١ - ٦) ، والآية (٢٩ : ٥) تعتبر إقحاماً على النص الأصلي أقحمه كاتب متأخر أراد أن يحول اللعنة إلى رحمة^(١) وليست هذه هي الإضافة الوحيدة ، بل إن الجزء (٢٩ : ٧ - ٨) ويعتبر ملحقاً . كما أن الفقرة (٢٩ : ١١ - ١٢) تمثل امتداداً للنبوة الأصلية (٢٩ : ٩ - ١١) الخاصة بعمى الشعب وتقابلنا القطعة (٢٩ : ١٦) وهي إضافة شديدة الغموض لما قبلها في (٢٩ : ١٥) .

على أن الفقرة التي تبدأ من (٢٩ : ١٧) قد اعتبرت من مكتوبات ما بعد السبي وذلك لتضاربها بين العزيز والذليل ، لأن هذا التضارب يعتبر خاصية مميزة لفترة ما بعد السبي إلى حد ما ، وليس معنى هذا أن كل ما فيه تناقض وتضارب يعود إلى ما بعد السبي بالضرورة ويتفق مع هذا الرأي رأي ج. هـ. بوكس الذي يؤكد أن (٢٤ : ١٧ - ٢٤) من عمل ما بعد السبي ، وأن النعمة السائدة في (٢٤ : ١٧ - ٢٤) تجعل الاحتمال ضعيفاً جداً في نسبتها إلى إشعيا نفسه^(٢) .

ولكن دريفر^(٣) يرى أن المجموعة (من إصحاح ٢٩ - ٣٢) يرجع تاريخها إلى سنة ما قبل غزو سنحريب ليهوذا سنة ٧٠٢ ق.م . .

وربما كان اعتماد دريفر في رأيه هذا على ما ورد في هذه المجموعة من إشارة إلى حصار أورشليم في (٢٩ : ١ - ٤)^(٤) .

W.O.E. Oesterly & T.H. Robinspn; An Introduc. P.255. (١)

G.H. Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P. 701. (٢)

S.R. Driver; An Introduc. P.224. (٣)

(٤) ولم يذكر اسم أورشليم هنا صراحة ، ولكن الترجمة العربية نقلت الكلمة حرفياً من العبرية فقالت « أريثل » ، ولكن معناها في العبرية هو « أسد الله » وما جاء بعدها يدل على أن المقصود بكلمة أسد الله هو أورشليم لأن الآية تقول (ويل لأريثل) . . قرية نزل عليها داود . . (٢٩ : ١) .

أما الذين أرجعوا تاريخ المجموعة إلى ما بعد السبي ، فقد يكون ذلك لأنهم اعتبروا الضيق الذي ستعانيه المدينة إنما هو إشارة إلى السبي البابلي ، ومما يعزز هذا ما ورد في المجموعة من إشارات إلى دمار وانكسار أعداء أورشليم في (٢٠-٩ ، ٥: ٢٩) .

ولكننا نرى الميل إلى رأي دريفر حيث تسود نغمة السخط على يهوذا في كل المجموعة وعلاوة على ذلك وضوح السخط من إشعيا على أولئك الذين لا يستمعون إلى نصائحه وتحذيراته من خطورة التحالف مع مصر ، والاعتماد عليها في مثل هذه الظروف فيقول: «ويل للبنين المتتمردين يقول الرب، حتى أنهم يُجرون رأياً وليس مني ، ويسكبون سكبياً وليس بروحي ، ليزيدوا خطيئة على خطيئة ، الذين يذهبون إلى مصر ولم يسألوا فمي ، ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر ، فيصير لكم حصن فرعون خجلاً والاحتماء بظل مصر خزيا لأن رؤساءه صاروا في «صوعن»، وبلغ رسله إلى «حانيس»، قد خجل الجميع من شعب لا ينفعهم ، ليس للمعونة ولا للمنفعة ، بل للخجل وللخزي . الخ (٧-٢: ٣٠) ثم يقول إشعيا صراحة : «ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ، ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات . . . ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل . . . وأما المصريون فهم أناس لا آلهة ، وخيلهم جسد لا روح ، والرب يمد يده ، فيعثر المعين ويسقط المعان ويفنيان كلاهما ٣١: ١-٣» .

ويذهب دريفر كما قلنا إلى إمكان نسبة كثير من هذه المجموعة إلى إشعيا نفسه استناداً إلى ما تشير إليه المجموعة من أحداث وقعت في حياة إشعيا ، إذ من الواضح أن الفقرة (٦-١: ٢٨) قد كتبت قبيل سنة ٧٢٢ ق.م وهو تاريخ سقوط السامرة .

أما المواقف التاريخية التي تضمنتها الفقرة (٢٨: ٧-٢٩) فهي على أي حال تشير إلى غضبة آشور ضد التحالف مع مصر ، وهو ما حذر منه إشعيا قادة أورشليم وسلطانها السياسي والديني ، ولكن لم يكن هناك من يستجيب لتحذيراته (٢٨: ٧-٢٣) ولذا فإن الفقرة (٢٨: ٧-٢٩) يحتمل أنها كتبت في الفترة ما بين ٧٢٢ ، ٧٠٢ ق.م .

ثم يمتد الحديث عن مصر وعن إيدانة سياستها كما رأينا في الإصحاحين (٣٠، ٣١) اللذين وردت فيهما أفكار عن مصر أكثر مما ورد في المجموعة الخاصة بالحديث عن الأمم الأجنبية في الإصحاحات (١٣ - ٢٣) .

ويختلف التاريخ كذلك لبعض نبوءات الإصحاح (٣٠) ، فالفقرة (١٨:٣٠ - ٢٦) في مجملها من كتابات ما بعد السبي ، لأنها تتناول الوعد بالبقاء ليهوذا ، والتأكيد لها بعناية دائمة من يهوه ، ورحمة عظيمة تشمل البقية الباقية التي كانت تنتظر هذا اليوم الذي نعمون فيه برغد العيش .

أما الفقرة (٢٧:٣٠ - ٣٣) فهي تشير بقوة إلى عودة « سنحريب » الأشوري إلى بلاده بعد غزوته سنة ٧٠١ ق.م ، ولذا فمن المحتمل أن تكون هذه الفقرة لإشعيا نفسه هي والفقرة (١:٣١ - ٩) باستثناء (٦:٣١ - ٧) والجزء الأخير من (٩:٣١) ^(١) ، بالرغم من أن ج.ه. بوكس يرى عكس هذا فيقول : « إن الفقرة (٢٧:٣٠ - ٣٢) مشكوك جداً في نسبتها لإشعيا ، وربما هي من كتابات ما بعد السبي » ^(٢) غير أن هيربرت بوكس لم يوضح سبب هذا الشك الشديد .

ومن المواضيع التي تدعو إلى الشك في نسبتها لإشعيا الفقرة (٩:٣٢ - ١٤) حيث يتوجه فيها الإنذار والتهديد إلى نساء أورشليم ، وسبب هذا الشك هو التنافس الشديد في معالجتها بالنسبة لمعالجة إشعيا للفقرة السابقة في (٣:١٦ - ٤:١) في نفس الغرض الخاص بتهديد وإنذار نساء أورشليم .

وفي نفس الإصحاح نجد الفقرة (١٥:٣٢ - ٢٠) التي تصور مجد العهد القادم الجديد ، فقرة غير كاملة ومبتورة في بدايتها - كما يقول أوسترلي ^(٣) - مما جعل هناك استحالة في إثبات أو نفي نسبتها إلى إشعيا .

أما الإصحاح (٣٣) الذي يشتمل على نبوءة الخلاص من القهر الأشوري

W.O.E. Oesterly & T.H. Robinson; An Introduc. P.256. (١)

G.H. Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.701. (٢)

Oesterly; Robinson; An Introduc. P.257. (٣)

وقرب نهاية العدو وأن الوقت قد حان لكي ينقذ يهوه مدينته^(١) ويدافع عنها وتصف النبوة الأشوريين يتددون ، وإسرائيل تحصل على الغنائم (٣: ٣٣) ولذلك فإن تاريخ هذه النبوة يتعلق بفترة ما بعد السبي ، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار ما ورد في النبوة من استعمال الصيغ الخاصة بالزمن الماضي مثل « أبطالهم قد صرخوا » (في ٧: ٣٣) ، ومثل : « خلت السكك ، باد عابر السبيل ، نكث العهد ، رذل المدن ، لم يعتد بإنسان (٨: ٣٣) ومثل « ناحت ، ذبلت الأرض ، خجل لبنان وتلف ، صار شارون كالبادية ، نثر باشان وكرم (٩: ٣٣) » ومثل : « ارتعب في صهيون الخطاة ، أخذت الرعدة المنافقين ... » (١٤: ٣٣) .

ثم أسلوب الاستفهام الذي يدل على انتهاء الظلم في قوله : « قلبك يتذكر الرعب ، أين الكاتب ، أين الجاهي ، أين الذي عد الأبراج ، الشعب الشرس لا ترى ، الشعب الغامض اللغة عن الإدراك ، العمي بلسان لا يفهم ، أنظر صهيون مدينة أعيادنا ، عينك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً ، خيمة لا تقتلع أوتادها إلى الأبد ، وشيء من أطناها لا ينقطع ... » (١٨: ٣٣ - ٢٠) .

غير أن الآية الأولى وهي قطعة غير كاملة تبدو أنها نص أصلي قام عليه بناء الإصحاح ، وهي قريبة من أسلوب إشعيا ، وبقية الإصحاح يمثل قصيدة مضطربة مما يوحي بأنه تجميع من عدة مصادر متباعدة الأزمنة^(٢) .

ومن خلال تفسير النص تختلف الآراء في رده إلى تاريخ معين . فبعضهم يصر على أن تاريخ النبوة يرجع إلى فترة ما قبل السبي ، وأن النص لا بد أن يفهم على ضوء ما ورد في سفر الملوك الثاني (١٨ : ١٤ - ٣٧) ، وبهذا يكون تاريخ النبوة سنة ٧٠١ ق . م ، وإلى هذا ذهب « دريفر »^(٣) الذي يرى أن تاريخ النبوة يتلو أحداث سفر الملوك الثاني (١٨ : ١٣ - ١٦)^(٤) بقليل ، فإذا كان حزقياً قد

(١) المقصود مدينة يهوه أو مدينة الرب هنا « أورشليم » ، أنظر : دكتور حسن ظاظا « القدس ، مدينة الله أم مدينة داود » .

Oesterly & Robinson; An Introduc. P.258.

(٢)

S.R. Driver; An Introduc. P.225.

(٣)

حكيم يهوذا ، في الفترة ٧٢٥ - ٦٩٧ ق.م^(١) فإن صعود سنحريب ملك آشور على مدن يهوذا يكون في حوالي سنة ٧١١ ق.م ، وعلى هذا يكون « دريفر » ممن يرون نسبة النبوة إلى إشعيا نفسه لموافقة أحداثها للفترة التي عاشها إشعيا ، ثم يعلق على خلو النص من النعمة المعتادة عند إشعيا وهي التنبيه والتحذير فيقول : « إن إشعيا هنا يتخلى عن نعمة التنبيه التي كان قد تبنها لمدة عام قبل ذلك ، حينما كان العدو ما يزال بعيداً كما في (٢٩ : ١ - ٤) ، وانبرى إشعيا هنا يهدىء ويطمئن شعبه كما سيحدث في (٣٧ : ٢٢ - ٣٢) .

أما الرأي الآخر المخالف لدريفر ، فإنه يجهر بتأخر تاريخ النبوة فنجد مثلاً Duhm يؤرخ النبوة بسنة ١٦٢ ق.م ويرى أن العدو المشار إليه هو « انتيوخس أيوباتر » ويستدل على ذلك بسفر المكابيين الأول (٦ : ١٨ - ٦٣) .

ويميل بعض المحققين^(٢) إلى رأي دوم Duhm وقد يكون ميلهم هذا قد نشأ عن فهمهم الخاص لنص إشعيا (٣٣ : ٨) الذي يقول « خلت الطرق ، باد عابر السبيل . . » حتى قوله « نكت العهد ، رذل المدن . . الخ » فقالوا إن الذي نكت العهد مع اليهود هو الملك انتيوخس أيوباتر بعد أن أعطاهم الأمان والسلام وسمح لهم بمزاولة شعائرتهم الدينية التي أهانها ، وحلف لهم على هذا ثم دخل الملك إلى جبل صهيون ، ونظر حصن المكان ، فحنت في القسم الذي حلفه ، وهدم السور (مكابيين أول ٦ : ٦٢) .

(١) ملوك ثان : ١٨ : ١٣ - ١٦ يقول « وفي السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور إلى الخيش يقول قد أخطأت ، أرجع عني ، ومهما جعلت عليّ حملته ، فوضع ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثون وزنة من الذهب فدفعت حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك ، في ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ، ودفعتها لملك آشور » .

(٢) هذا التاريخ عن كتاب : Unger's Bible Dictionary, P.203

W.O^e.E. Oesterly & T.H.Robinson (An Introduc.) P.257

(٣) أنظر :

كما يقرر سفر المكابيين الأول (٦ : ٢٠) بأن بداية هذه الأحداث كانت سنة ١٥٠ ق.م ، هذا بالإضافة إلى أن الكثير من أفكار النص ولغته في الإصحاح (٣٣) من سفر إشعيا يوحى بتأخر تاريخ النبوءة مما يعضد رأي Duhm .

ولكن « بفيفر »^(١) يرى عكس ما نادى به أنصار رأي دوم Duhm من أن النبي نكث العهد هو حزقيا ويقول إن الذي نكث العهد هو سنحريب حين أرسل الجيوش إلى حزقيا بعد أن قبل استلام الجزية التي فرضها على حزقيا نظير المسالمة .

وربما كان اختلاف الرأيين له سند من النص ، فالذين قالوا إن حزقيا هو ناكث العهد ربما اعتمدوا في ذلك على ما ورد في سفر الملوك الثاني (١٨ : ٧ - ٨) . . « وعصى (حزقيا) على ملك آشور ولم يتعبد له ، هو ضرب الفلسطينيين إلى غزة وتخومها من برج النواطير إلى المدينة المحصنة » ، وكذلك ما ورد في نفس السفر (ملوك ثان : ١٨ : ١٤) « وأرسل حزقيا ملك آشور يقول قد أخطأت أرجع عني ومهما جعلت على حملته . الخ » ولكن اعتراف حزقيا بالخطأ هنا كان قبل دفعه الجزية لملك آشور .

أما رأي « بفيفر » من أن ناكث العهد هو سنحريب وليس حزقيا فربما اعتمد على ما جاء في ملوك ثان (١٨ : ١٥ - ١٧) بأن ملك آشور أرسل جيشاً عظيماً لغزو يهوذا ومحاصرة اورشليم بعد أن دفع له حزقيا الجزية التي فرضها عليه سنحريب .

أما الإصحاحان (٣٤ ، ٣٥) فإن المحققين اتفقوا تقريباً على تأريخ كتابتهما بفترة ما بعد السبي لأن النص فيهما يتحدث في عاطفة مشبوبة عن الشعور العدائي الذي ساد بين اليهود ضد افتخار ادوم الخبيث عليهم ، وبخاصة بعد سقوط يهوذا على أيدي الكلدان سنة ٥٨٦ ق.م ، ووضح هذا الشعور في أسفار من عاصروا تلك الحقبة من الأنبياء مثل عوبديا (١٠ - ١٣) ، حزقيا

C. Pfeiffer & E.F. Harrison: The wyclife Bible Comm. P.632.

(١)

(٢٥ : ١٢) وما بعدها ، والإصحاح (٣٥) ، ومراثي إرميا (٤ : ٢١) وما بعدها

أما الكتابات المتأخرة التي صورت هذا الشعور فهي مثل (مزمور ١٣٧ : ٧) ، وملاخي (١ : ٣) وما بعدها ، كما أن صورة رحلة العودة الآمنة إلى صهيون في (٣٥ : ٨ - ١٠) تذكرنا برفض عزرا لطلب الحراسة من الملك الفارسي قورش^(١) .

ويرد ج.ه. بوكس^(٢) هذه النبوءة إلى تاريخ قريب من سنة ٤٠٠ ق.م لأنه يرى أن أدوم في الحقيقة أصبحت إسماً رمزياً للقوة العالمية القاهرة .

ولكن م. فريد لاندر M.Friedlander^(٣) يرجع كتابة هذه المجموعة كلها (من إصحاح ١٣ - ٣٥) إلى فترة الغزو الآشوري ، وأن إشعيا هو صاحب هذه النبوءات .



وأما المجموعة الختامية لسفر إشعيا الأول فهي تشمل الإصحاحات (٣٦ - ٣٩) وهي في مجملها ملحق تاريخي ، لا يتحدث عن نبوءات ، ولكنه يتناول الكثير من المسائل التاريخية بطريقتها الخاصة^(٤) ، وبخاصة أحداث حكم الملك حزقيا^(٥) الذي احتل فيه إشعيا مكاناً بارزاً ، وهذه المجموعة تتفق في مضمونها مع ما ورد في سفر الملوك الثاني (١٨ : ٣ - ٢٠ : ١٩) مع بعض الاختلافات الطفيفة وأهمها :

١ - الإشارة إلى خضوع حزقيا لسنحريب الآشوري واعترافه له بالخطأ واستعداده

(١) عزرا : ٨ : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(٣) M.Friedlander; The Jewish Religion; P.67.

(٤) دكتور فؤاد حسين علي : التوراة الهيروغليفية ، ص ٩٠ .

(٥) L.Hurst; Sacred Literature; P.119.

لتنفيذ كل ما يأمر به ملك آشور ، هذه الإشارة وردت في (ملوك ثان : ١٨ : ١٤ - ١٦) ولم ترد في إشعيا .

٢ - خلونص الملوك الثاني من تسيبحة شكر حزقيا للرب ، وهذه التسيبحة وردت في إشعيا (٣٨ : ٩ - ٢٠) ، مع بعض الاختلافات الأخرى الطفيفة في بعض الألفاظ أو في الترتيب أو في الاختصارات (١) .

ويرى « دريفر » (٢) أن المكان الطبيعي لهذه المجموعة (إصحاح من ٣٦ - ٣٩) إنما هو سفر الملوك الذي اقتبس منه جامع سفر إشعيا هذه القصص .

على حين يرى آخرون أن كلاً من النصين سواء نص إشعيا أو نص الملوك قد اقتبسهما جامعوا السفرين من مصدر واحد ، ربما كان هذا المصدر هو سجل حكم حزقيا (٣) .

كما أن الفقرة (٣٨ : ٩ - ٢٠) في سفر إشعيا الخاصة بتسيبحة حزقيا تمثل مزموراً ليس كله يناسب موضعه الحالي ، بل يكون من الأصوب اعتباره حشواً حدث بعد السبي ثم ضمن في القصة في تاريخ متأخر نسبياً (٤) .

(١) وهذا يان يوضح نص ما جاء في الملوك وما يقابله عند إشعيا :
ملوك ثان إشعيا

١٣ : ٨	١ : ٣٦
١٦ - ١٤ : ١٨	-
١٧ : ١٩ - ٣٧	٢ : ٣٦ - ٣٣ : ٣٧
٦ - ١ : ٢٠	٦ - ١ : ٣٨
٨ - ٧ : ٢٠	٢٢ - ٢١ : ٣٨
١١ - ٩ : ٢٠	٨ - ٧ : ٣٨ (مختصراً)
-	٢٠ - ٩ : ٣٨ (تسيبحة حزقيا)
١٩ - ١٢ : ٢٠	٣٩ (ولد مردوخ بلادان لحزقيا)

(٢) S.R. Driver; An Introduction to the Books, P. 226.

(٣) W.O.E. Oesterly & T.H. Robinson; An Introduc. P.258.

(٤) أوسترلي : المرجع السابق ص ٢٥٨ ، وكذلك دريفر في مقدمته ص ٢٢٧ حيث يقول إنها مأخوذة من مجموعة مزامير مقدسة مثل مزموور ٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ . الخ وهذه المزامير استخدمت في خدمة =

والى هذا يذهب ج. هـ. بوكس^(١) ، ولكن دريفر كما رأينا يرجع نص سفر إشعيا (٣٦ - ٣٩) إلى أنه مختصر من سفر الملوك الثاني (١٨ : ٣ - ٢٠ : ١٩) ، ولكنه يقول : « أما عن معرفة المصدر الذي أخذ منه جامع سفر الملوك الروايات النبوية التي وردت في إشعيا (٣٦ - ٣٩) فإن ذلك ما لا نملك فيه وسيلة للقطع » .

وأما النبوءة (٣٧ : ٢٢ - ٣٢) فهي تحمل ملامح واضحة من كتابة إشعيا لكن الروايات المحيطة والتي لا تتضمن معالجات أدبية تشير إلى إشعيا كاتباً لها فإنها كما يبدو من عمل مؤلف ينتمي إلى الجيل التالي لجيل إشعيا .



والآن من خلال مناقشة آراء بعض الباحثين المحققين في تاريخ وبناء المجموعات التي يتكون منها سفر إشعيا الأول ، رأينا أن هذه المجموعات لا ترجع كلها إلى كاتب بعينه ولا إلى تاريخ أو فترة زمنية واحدة ، وإنما هي تغطي فترة من الزمن تمتد من القرن الثامن ق. م - وهو زمن حياة إشعيا - حتى نهايات القرن الثاني ق. م وبالتالي فلا يمكن أن يكون إشعيا بن أموص هو كاتبها جميعاً .

وليس هذا أمراً خاصاً بسفر إشعيا وحسب ، وإنما هو كما يقرر « دريفر »^(٢) وغيره من الباحثين المحدثين ، أمر يشمل كل أسفار الأنبياء ، إذ إن مكتوباتهم لم تصل إلينا في صورتها الأصلية في كثير من الأحوال ، ولكنها وسعت وزيدت بل فوق ذلك فإنها عدلت بحسب احتياجات العصر المتأخر ، على أيدي النساخ والكتاب الذين عبرت هذه المكتوبات من تحت أيديهم في قرون ما بعد السبي^(٣) .

الطقوس الدينية التي نسبت تماماً إلى حزقيا .

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(١)

S.R. Driver; An Introduc. P.229.

(٢)

(٣) جاء في ص ٣٠ من مقدمة « رسالة سبينوزا في اللاهوت والسياسة » ترجمة الدكتور حسن حنفي : أن أسفار الأنبياء قد أخذت من كتب أخرى ، هي تتبع ترتيباً مخالفاً للترتيب الزمني لظهور الأنبياء أو

وقد استلزمت الظروف تعديلات في المعتقدات والأفكار وفي العبارة والأسلوب ، وقد دلت العبارة والأسلوب على هذا .

ومن الأجزاء التي يستبعد النقاد نسبتها إلى إشعيا نفسه ما يلي :

(١٣:١ - ١٤:٢٣) ، (١:٢١ - ١٠) والإصحاحات من (٢٤ - ٢٧) ،
ومن (٣٤ - ٣٥) ، ومن (٤٠ - ٦٦) ، وأما الأشياء التي أقر غالبية الباحثين بأنها
لإشعيا نفسه فهي كما قال Cheyne^(١) مجموعات غير كاملة كانت تكمل كلما بدت
غير كاملة ، وتتمم بإقحام فقرات جديدة مستوحاة من روح النبوة المقدسة .

وكان الهدف الرئيسي من ذلك ، إما تلطيف الوعيد عند إشعيا بالوعد وإما
إغناء صور المستقبل المثالي عنده بخطوط أكثر مباشرة في التعبير عن الآمال
والتطلعات التي ظهرت بعد السبي .

وينسب « ايفالد » الإصحاح (٣٣) إلى أحد تلاميذ إشعيا ، كما يحدد ستاد
Stade الفقرات التي زيدت بعد السبي لنفس الدوافع التي ذكرناها بأنها (٢:٢ -
٤) ، (٤:٥ - ٦) ، (٥:٥ - ١٥) ، (١٦) ، (٧:٨ - ٩ و ١٥ ، ١٧ ، ٢٥) ،
(١:٩ - ٧) ، (٥:١١ - ٦:١٢) وكذلك الإصحاحات (من ٣٢ ، ٣٣) .

أما كوينن Quennan فقد استبعد من تأليف إشعيا (١١:١٠ - ١٢:٦) ،
(١٥:٢٣ - ١٨) وكذلك الإصحاحين (٣٢ ، ٣٣) .

أما الشراح التالون مثل Marti, Cheyne, Duhm ، فيذهبون إلى أبعد من
هذا فيما يختص بنسبة فقرات معينة إلى كتاب متأخرين .

فيذهب دوم Duhm مثلاً إلى أن النبوءات الأصلية لإشعيا تنحصر فيما يلي :

(١:٢ - ٢٦ ، ٢٩ - ٣١) ، (٢:٢ - ٤ ، ٦:١٢ ، ٢١) (٣:١ - ٩)

الترتيب الزمني لظهور كلامهم وكتابتهم ، كما أنها لا تحتوي على جميع الأنبياء بل على بعض منهم وجد
هنا وهناك ، ولا يحتوي كل سفر على كل النبوءة بل على أجزاء منها فقط .

Cheyne; Introduction to Issiah; P. 19.

(١)

إصحاح (٢٣) كله ، (٢٨:٥ - ٦ ، ٢٣ - ٢٩) ، (٢٩:٥ ، ١٦ - ٢٤) ،
(٣٠:١٨ - ٢٦ ، ٢٧ - ٣٣) ، (٣١:٥ - ٩) والإصحاحان ٣٢ ، ٣٣ ،
(٣٧:٢٢ - ٣٢) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية^(١) أن الفقرات (٣:٢ - ٣ ، ٦ - ٧)
(٧:٢١ - ٢٥) ، (١٠:١٦ - ١٩) ، (٢٩:٧ ، ١١ - ١٢) ، قد يكون لها
أساس إشعائي ، أما الفقرات (١٤:٢٩ - ٣٢) ، (١٦:١٤) (F ١٦:٢١) فلا
تتسب إلى إشعيا .

وأما آباء الكنيسة المسيحية الكاثوليكية^(٢) فإنهم يقولون « لقد أجمع السواد
الأكبر من معلمي اليهود وآباء الكنيسة على أن النبوءات الواردة في هذا السفر مرتبة
في الذكر ترتيبها في النزول فيقولون إن خمسة الفصول الأولى نزلت في أيام عزيا ،
والفصل السادس في أيام يوثام ، والفصل السابع وما يليه إلى الرابع عشر في أيام
آحاز ، وما بقي إلى آخر السفر في أيام حزقيا .

وبما أن هذه المسألة لا دخل لها في عقائد المذهب الكاثوليكي ، فقد
وجدوا أنفسهم في حل عند تحقيق هذا الأمر فقالوا : إن الفصل السادس هو أول
ما نزل على إشعيا لأنه كانت فيه بعثته نبياً ، وقيل إنه نزل في عهد عزيا ، ثم جعلوا
بعده الخمسة الفصول الأولى وقالوا إنها نزلت في أيام يوثام أو آحاز ، ثم الفصل
السابع وما يليه إلى الثاني عشر وهو بلا ريب مما نزل في أيام آحاز ، وما بعد ذلك
من الفصول من الثالث عشر إلى الثالث والعشرين نبوءات مقتضبة تتعلق - إلا في
موضع منها - بالأمم الأجنبية لتناسب مضمونها لا لترتيب نزولها ، ومع ذلك فلا
مانع من القول بأنها كلها أو غالبها نزل في عهد حزقيا ، وكذا ما بعدها من الفصول
حتى الإصحاح التاسع والثلاثين .

ومن الواضح أن أصحاب هذا الرأي إنما هم ممن ينادون بوحدة السفر
ووحدة المؤلف لكل السفر ، وسوف نتعرض لهذا الرأي بشيء من التفصيل في
حينه .

Encyclopedia Brit. Vol. 11.P.P. 2197- 2300.

(١)

(٢) حواشي الترجمة الكاثوليكية العربية على نوة إشعيا .

إشعيا الثاني والثالث

من الواضح أن نشاط الحركة العقلية في القرن السابع عشر ، وإعمال العقل في تحليل التراث القديم ، أدى ذلك إلى تناول كل التراث برؤية عقلية فاحصة ممحصة بما في ذلك التراث الديني ، وتطورت الحركة النقدية في العصور التالية ، فنجد القرن الثامن عشر يتميز بالنقد الفلسفي ، والقرن التاسع عشر يتميز بالنقد العلمي والقرن العشرين يتميز بالنقد التاريخي وما يسمى بمدرسة الصور الأدبية^(١) Formgexhichte Schule .

وكان الكتاب المقدس مادة خصبة لهذه الحركات النقدية ، ومن ثم بدأت محاولات شتى وعلى الأخص في الأسفار النبوية التي تحمل أسماء أنبياء معينين من أنبياء بني إسرائيل ، وتركزت معظم الجهود في بيان ما يمكن نسبه من السفر إلى النبي الذي أطلق اسمه على السفر كله ، وبيان ما لا يمكن نسبه إليه استناداً إلى مقاييس لغوية ومقاييس دينية ومقاييس تاريخية واجتماعية .

وقد اختلف رجال الدين في مدى تقبلهم للحركات النقدية للكتاب المقدس ، فبعض المسيحيين يؤمن بأن الكتاب المقدس معصوم ، ويرى آخرون غير ذلك ، وقد ثار الجدل حول هذه الكلمة ، ومهما يكن من أمر فلإن الرأي الحديث لا يقصد بهذا العصمة اللفظية للكتاب المقدس^(٢) .

ولقد اختلف حتى فطاحل العلماء في تحديد العلاقة بين الواقعة التاريخية

(١) سينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة الدكتور حسن حنفي ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ من مقدمة المترجم .

(٢) القس حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ، ص ١٩ .

وبين القصة التمثيلية في الكتاب المقدس ، كما أنه من خطئ الرأي أن نتظر من كُتَّاب الأسفار المقدسة الذين نسخوا الأنسال والأنساب ونف العلم والتاريخ من مدونات قديمة أن يراعوا بالضرورة ، الأساليب العلمية التي تتبعها اليوم في القرن العشرين . وقد ذهب فريق من المفكرين إلى أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يكون معصوماً لفظاً لأنه من صنع الأيدي البشرية غير المعصومة ، وبسبب ما فيه من خلاقات لفظية في النصوص التي بين أيدينا^(١) .

وسفر إشعيا من أهم الأسفار التي تصدرت موائد الباحثين والنقاد من أولئك الذين قصدوا لدراسة الكتاب المقدس .

ومن أجل ذلك قسم بعض المحققين سفر إشعيا إلى قسمين رئيسيين أولهما يبدأ من الإصحاح الأول حتى التاسع والثلاثين ، والقسم الثاني من الإصحاح الأربعين حتى السادس والستين .

وعند آخرين^(٢) ينقسم السفر إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي :

- ١ - القسم الأول ويبدأ من الإصحاح الأول حتى التاسع والثلاثين .
- ٢ - القسم الثاني ويبدأ من الإصحاح الأربعين حتى الخامس والخمسين .

(١) أنظر : Driver; An Introduction to the Liter. of the O.T. P.230.

وكذلك جورج هيربرت بوكس : Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(٢) يرى النقاد منذ القرن الثامن عشر مثل (دودرلين) Doderleib (١٧٧٥) ومثل أيشهورن Eichhorn

(١٧٨٢) أن سفر إشعيا مكون من مصادر متعددة ، فكان هناك نص أول أضيف عليه نص ثان بعد

السي ، أما دوم Duhm في القرن الماضي فإنه يضيف مصدراً ثالثاً كتب بعد العودة من السبي وقد

حاول نقاد آخرون مثل « موينكل Mowinckel » وانجل Engnell وبنزن Bentzen صياغة نظرية

أخرى مؤداها أن سفر إشعيا خرج من بيئة إشعوية صاغت معظم موضوعاته كتأليف جماعي ، ويظن

(كيسان) Kissane (١٩٤٣) أن نبياً في آخر عهد المنفى هو الذي دون سفر إشعيا وأضاف إليه .

أنظر « سينوزا » رسالة في اللاهوت والسياسة « ترجمة الدكتور حسن حنفي ص ٣٠ ، ٣١ عن كتاب :

A.Gelin. Intro. P.P.502-3

٣ - القسم الثالث ويبدأ من الإصحاح السادس والخمسين حتى السادس والستين .

وقد اعتبر كثير من الباحثين القسم الثاني من سفر إشعيا مجموعة منفصلة عن القسم الأول ، وأن كاتب القسم الثاني إنما هو نبي مجهول الاسم ظهر بين المسييين في بابل حين أخذ العالم يتطلع جزعاً إلى المستقبل المظلم الذي ينتظر اليهود المسييين إبان تلك الفترة المضطربة ، حين كان قورش يتأهب لغزو بابل بعد أن أخضع الميديين ثم الليديين ، في ذلك الجو السياسي الصاخب كان لا بد من مصطلح يرفع من معنويات اليهود ، ويقدم لهم جرعات من العزاء والتبشير بالخلاص ، والعودة إلى فلسطين ، فظهر بينهم نبي يزف إليهم قرب الخلاص (٢ : ٤٠) وانتقام الرب من بابل (٤٢ ، ٤٤ : ٣) وأن السيادة على كل شعوب الأرض ستكون ليهوه الذي اختار بني إسرائيل شعباً له (٤٩ : ٢٢ - ٢٣) ، ولما كان هذا النبي مجهول الاسم وكان كلامه قريباً من كلام إشعيا ، وإن اختلف عنه في ترك الوعيد والتهديد والإنذار بالدمار والتنبؤ بالخراب ، وهذا ما حدا بالباحثين إلى الفصل بين المجموعة الأولى من السفر ، وبين المجموعة الثانية التي تبدأ بالإصحاح (٤٠) لذلك اصطُح على إطلاق اسم إشعيا الثاني على هذا النبي المجهول .

ولكن « دريفر »^(١) يصف القسم الثاني - وهو عنده (٤٠ - ٦٦) - بأنه يكون نبوءة متصلة تعالج موضوعاً عاماً ، وهذه النبوءة لا تتضمن أي فكرة عن المتاعب والأخطار التي تعرضت لها يهوذا على يدي سرجون أو سنحريب ، كما أننا ننبين من النص (١٢ : ٥٨) ، (١٠ : ٦٤) أن أورشليم والمعبد ظلا طويلاً في دمار « وينون الخرب القديمة ، وقيمون الموحشات الأول ، ويجددون المدن الخربة ، موحشات جبل فجيل » (٤ : ٦١) .

وأن اليهود ما يزالون في الأسر « اخرجوا من بابل ، اهربوا من أرض

الكلدانيين ، بصوت الترنم أخبروا ، نادوا بهذا ، أشيعوه إلى أقصى الأرض
(٢٠ : ٤٨) .

وكان اليهود الأسرى في يأس وعدم مبالاة ، فقد حسبوا أن الرب قد نسيهم
وكلّفوا عن توقع إطلاق سراحهم ، وفقدوا الأمل في هذا « لماذا تقول يا يعقوب ،
وتتكلم يا إسرائيل ، قد اختفت طريقي عن الرب ، وفات حقي إلهي
(٢٧ : ٤٠) ، وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني (١٤ : ٤٩) .

فهذه النبوءة (٤٠ - ٦٦) تهدف إلى الايقاظ من اللامبالاة الى تسكين روح
الحائرين ، واعتراض طريق المشككين ، وتعلن تأكيد اقتراب العودة مع الثقة في
النصر .

ويحدد « دريفر » تاريخ هذه النبوءة (٤٠ - ٦٦) بالفترة ما بين سنة ٥٤٩ -
٥٣٨ ق.م ، ويتفق معه أوسترلي وروبنسون^(١) ، والأخيران يجعلان هذه الفترة
تاريخاً للإصحاحات (من ٤٠ - ٥٦) فقط ففي بداية هذه الفترة سنة ٥٤٩ ق.م ثار
« قورش » ضد سيده^(٢) « استياجوس » ملك ميديا ، وهزمه وأصبح بذلك حاكماً
للإمبراطورية الفارسية الميديّة ، وخوفاً من القوة الصاعدة لقورش ، فقد كون ثلاثة
ملوك حلفاً من أجل اتقاء زحف قورش القري . وهؤلاء الملوك هم « كرويزوس »
Croesus^(٣) ملك ميديا ، وقد هزمه قورش سنة ٥٤٦ ق.م ، وبذلك خضعت كل
آسيا الصغرى تحت حكم قورش .

والملك الثاني في الحلف هو « نبونيدس » ملك بابل الذي هزمه قورش
وبذلك سقطت بابل سنة ٥٣٩/٥٣٨ ق.م .

أما الملك الثالث في الحلف فهو « أمازيس » Amasis ملك مصر ، وقد
هزمه قميبيز بن قورش سنة ٥٢٥ ق.م .

وهذه المجموعة من الإصحاحات (٤٠ - ٥٥) لم يرد بها ذكر لسقوط بابل

(١) W.O.E. Oesterly & T.H. Robinson; An Introduc. P. 262.

(٢) تذكر بعض الروايات أن (قورش) هذا حفيد (استياجوس) من ابنته مندانة ، أنظر القصة كما يرويها
طه باقر عن هيرودوتس في «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

(٣) كرويزوس أو كرويسوس هو «قارون» أنظر : طه باقر : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٠٣ .

وعلى هذا يرجح النقاد أنها من نتاج الفترة الواقعة ما بين سنة ٥٤٩ حتى سنة ٥٣٨ ق.م قبيل سقوط بابل ، وإن ج.ه. بوكس يحدد نفس التاريخ تقريباً ولكنه يحدده للمجموعة (٤٠ - ٤٨) باستثناء بعض المقدمات القليلة ويرى أنها من عمل كاتب وضعها كما هو واضح في حدود سنة ٥٣٨ ق.م أي بعد ظهور قورش على مسرح الأحداث ، ولكن قبيل غزوه بابل^(١) ، وعلى هذا الأساس تكون هذه الإصحاحات (٤٠ - ٤٨) قد كتبت في بابل قبيل عودة المسبيين منها إلى اورشليم .

ولكن توري Torry في كتابه عن إشعيا الثاني الصادر سنة ١٩٢٨م^(٢) ، لا يعتقد أن أي جزء من إشعيا (٤٠ - ٦٦) قد كتب أثناء السبي ، ولكنه يرجع الإصحاحات (٤٠ - ٦٦) إلى سنة ٤٠٠ ق.م تقريباً ، وبهذا تكون فلسطين هي المكان الأصلي لهذه الإصحاحات وليست بابل كما قال « توري » .

ولكن « توري » Torry رفع من النص الإشارات التي تشير إلى قورش وبابل وكليهما مؤكداً أن وزن الفقرات التي وردت فيها هذه الإشارات يبين أنها تحشية أو إضافات متأخرة أقحمت على النص ، ثم يوجز موقفه في أن نص إشعيا الثاني إنما هو نبوءة عتق من العبودية ، وعودة منتصرة من السبي إلى اورشليم عن طريق البر والبحر ، ولكن النبي يشير إلى نهايات الأرض لا إلى نهاية بابل كما توجد نبوءة متميزة وعدة أزمنة تكررت عن المجيء السريع للقاهر العظيم والمخلص ، مجدد إسرائيل ، ومحسن العالم ، كما يتحدث النبي عن خادم الرب المسيح بن داود وليس المسيح بن قمبر .

ولم يتابع « توري » في رأيه هذا إلا قليل من الباحثين غير المبرزين .

أو أوسترلي^(٣) فإنه يرى ما جاء في (٤١ : ٢) « من أنهض من المشرق الذي

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(١)

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.262.

(٢)

W.O.E. Oestrly; An Introduc. P.263.

(٣)

يلاقيه النصر عند رجليه ، دفع أمامه أمماً ، وعلى ملوك سلطه جعلهم كالتراب سيفه ، وكالقش المنذري بقوسه ، ، يرى « أوسترلي » في هذا إشارة إلى انتصار قورش على « استياجوس » ملك ميديا ، وتشير العبارة كذلك إلى هزيمة كرويزوس Croesus ملك الليديين ، وامتلاك قورش لآسيا الصغرى : « داع من المشرق الكاسر ، من أرض بعيدة رجل مشورتني ، قد تكلمت فأجريه ، قضيت فأفعله » (٤٦ : ١١) . فهنا يوصف قورش بالطائر الكاسر ، شديد السرعة المكتسح ، كذلك في (٤١ : ٢٥) إشارة الى قورش « أنهضته من الشمال فأتى ، من مشرق الشمس يدعوا باسم » ، فالشمال هنا إشارة إلى ميديا التي تقع شمال شرقي بابل ، والشرق يشير إلى أنشان التي تقع شرقي بابل والتي جاء منها قورش .

كذلك نجد إشارة إلى قورش في (٤٣ : ٣) « . . جعلتُ مصر فديتك ، كوش وسبأ عوضك » ، فقورش يشار إليه هنا على أنه أخذ كل أفريقيا مكافأة له من أجل اطلاق سراح اليهود المسيبين .

ويقول « أوسترلي »^(١) ولسوء الحظ فإن السجلات لا تقدم لنا معلومات عما حدث بعد أن هزم قورش كرويزوس ، ومن المحتمل أن النبي قد توقع أن مصر سوف تعاني نفس القضاء الذي لاقته ليديا وملكها المهزوم كرويزوس ، ولكن الثابت أن قورش لم يهزم مصر ، بل ترك إنجاز هذه المهمة لابنه قمبيز . ولكن مما يدل على أن قائل هذه العبارات كان يعيش في السبي ، ما جاء في (٤٤ : ٢٨) القائل عن قورش راعي ، فكلُّ مسرتي يتم ، ويقول عن أورشليم سبتني ، وللهيكل ستؤسس ، فهذه العبارة تحمل إشارتين هامتين ، الأولى تفيد أن قورش قد حكم بإرادة يهوه ، وذلك يستفاد من كلمة « راعي » أي الذي جعلته راعياً أي حاكماً ، أما الإشارة الثانية فهي التي نفهم منها أن أورشليم على وشك التعمير بعد الدمار ، وأن الهيكل على وشك التجديد بعد الهدم ، وفي هذا دليل على أن هذه الكلمات قد قيلت عقب صدور فرمان القورشي بعودة المسيبين وعقب سقوط بابل^(٢) .

W.O.E. Oesterly & Robinson (An Introduc. P.264.

(١)

(٢) قارن عزرا : ٢ : ١ - ٤ ، ١ : ٦ - ٢٢ .

ولكن « أوسترلي »^(١) لا يوافق على هذا الرأي ، ويميل إلى تعضيد من قالوا إن هذه الكلمات قد أسيء وضعها ، وإن موضعها الصحيح هو بعد الآية ٤٤ : ٢٦ « مقيم كلمة عبده ، و متمم رأي رسله ، القائل عن أورشليم ستعمر ، ولمدن يهودا ستبنين ، وخربها أقيم » .

كما أن هناك إشارة صريحة إلى بابل في هذه المجموعة نجدها في ٤٣ : ١٤ « لأجلكم أرسلت إلى بابل وألقيت المغاليق كلها والكلدانيين في سفن ترنهم » .

وترد في هذه المجموعة أكثر من عبارة تشير إلى أن اليهود ما زالوا في السبي البابلي ، وأن العودة منه إلى فلسطين قريبة مثل (٤٣ : ٥ ، ٤٨ : ٢٠ ، ٥١ : ١١ ، ١٤ : ٢١ ، ٢٣ - ٧ : ٥٢ ، ٩) ، كما أن هناك فقرات تشير إلى السبي ضمناً مثل (٤٠ : ٢) ، (٤٢ : ١٤) ، (٤٨ : ١٠) . وأن الفقرتين (٥٢ : ١١ ، ١٢ ، ٥٥ : ١٢) وإن كانتا لا تتضمنان ذكراً صريحاً لبابل إلا أنه من الواضح فيها أن النبي كان يفكر وهو في بابل عندما يحث المسيبين على الانطلاق منها .

ومن الممكن أن تكون المجموعة من الإصحاح ٤٠ حتى ٥٥ قد وضعت كما يفترض كورني Cornill تحت التأثير الفوري الذي نتج عن فرمان الذي أصدره قورش ، والذي يعطي فيه الإذن للمسيبين بالعودة إلى وطنهم^(٢) .

وكان الرأي بأن مؤلف هذه الإصحاحات قد أذاعها في صيغة مكتوبة ، ولكن الرأي الحديث الذي لقي ترحيباً وتأييداً هو أن هذه الخطب أو المقالات الواردة في إشعيا (الثاني) (٤٠ - ٥٥) ، قد صدرت عن مؤلفها مشافهة وفي أوقات متباعدة من فترة التجمع اليهودي في الأسر ، ثم دونت فيما بعد^(٣) .

ولكن « أوسترلي »^(٤) ممن يميلون إلى تقسيم المجموعة (٤٠ - ٥٥) إلى

(An Introduc.) P.264.

(١) أوسترلي وروبسون :

G.H.Box: Encyc. Brit. Vol. XIII. P. 702.

(٢)

G.H.Box Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(٣)

W.O.E. Oesterly & Robinson: An Introduc. P.266.

(٤)

قسمين رئيسيين : القسم الأول ويشتمل على الإصحاحات (٤٠ - ٤٨) وفيها يتكرر الحديث عن سقوط بابل ، وعن قورش الذي أشير إليه على أنه فاتح عظيم إما تصريحاً وإما تلميحاً .

والقسم الثاني (٤٩ - ٥٥) وهذا القسم لم يرد فيه ذكر لبابل ولا لقورش مما يجعل الاعتقاد قوياً في أن كلاً من القسمين لا يتبعان تماماً إلى نفس الفترة ، وبناء على ذلك فإننا نستنتج أن القسم الأول (٤٠ - ٤٨) يرجع تاريخه إلى الفترة السابقة مباشرة على سقوط بابل ، وقد تآهب قورش أو شرع في غزوها ، حين انتصر على الأكاديين عند « أوبيس » Opis على دجلة شمالي بابل ، ويحدد أوسترلي الفترة تماماً بقوله « بعد فتحه سيبار Sippar بأسبوعين وهو على مسافة خمسين ميلاً من العاصمة ، عندئذ عرف النبي أن النهاية قريبة » .

أما القسم الثاني (٤٩ - ٥٥) فقد كتب بعد سقوط بابل ، ومن هنا ندرك تفسيراً لعدم ذكر بابل أو قورش في هذه المجموعة ، إذ أدرك النبي بعد سقوط المدينة أن العودة قريبة والخلاص وشيك ، ولذا فهو يركز على حث المسيبين على أن يتأهبوا للعودة ، وأن يكون هذا التأهب بالتطهر والتمسك بالدين الصحيح : « قائلاً للأسرى اخرجوا ، للذين في الظلام أظهروا ... الخ » . (٤٩ : ٩)

وكذلك : « سريعاً يُطَلَق المنحنى ، ولا يموت في الجب ، ولا يعدم خبزه » . (٥١ : ١٤)

وكذلك : « اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك ، لا تمسوا نجساً . اخرجوا من وسطها ، تطهروا يا حاملي آنية الرب » (٥٢ : ١١) .

ويرى النبي كذلك قرب صحوة أورشليم بعد سقوط من خربوها فيقول :

« هكذا قال سيدك الرب وإلهك الذي يحاكم لشعبه ، هأنذا قد أخذت

من يدك كأس الترنح ، ثقل كأس غضبي ، لا تعودين تشربينها فيما بعد ، وأضعها في يد معذبيك الذين قالوا لنفسك انحنى لنعبر ، فوضعت كالأرض ظهرك

وكذلك قوله : « استيقظي ، استيقظي البسي عزك يا صهيون ، البسي ثياب جمالك يا اورشليم ، المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا أنجس » (١: ٥٢) .

وغير ذلك كثير من الشواهد التي تدل على أن هذا القسم قد قيل عقب انكسار بابل أو أثناءه .

وكون المسيبين لم يغادروا مكان السبي بعد هزيمة بابل مباشرة ، فهذا واضح لأنهم لم يتمكنوا من تنفيذ هذا العمل إلا بعد أن أصدر قورش أمره بهذا ، وقد وضع الأمر موضع التنفيذ في نفس السنة التي سقطت فيها بابل

ومن ثم نستنتج أن هذا القسم (٤٠ - ٥٥) قد قيل في فترة تنحصر ما بين سقوط بابل وبين قرار قورش بالعودة . أما في أي شهر تم تنفيذ القرار فهذا غير معروف على وجه الدقة ، ويعلق أوسترلي على هذا بقوله : « عندما قيل في عزرا (٢: ٦) إن هذا القرار قد وجد في أحمثا Ḥmṯ أي « أكتانا » في ميديا فإن هذا لا يستتبع أن قورش قد أصدره من هناك »^(١) .

ولتضييد ما قيل عن الفصل بين المجموعتين (٤٠: ٤٨) ، (٤٩ - ٥٥) يمكننا القول بأن هناك اختلافاً بين خصائص أو مضمون كل من المجموعتين ، فالأولى تعالج الصلة بين يهوه وبين شعبه ، بينما الثانية تعالج الصلة بين يهوه وبين اورشليم ، أو صهيون التي هي مطمح المسيبين جميعاً ، وهذه الصلة هي التي أصبحت بعد سقوط بابل الشغل الشاغل لأفكار النبي

كما أننا في المجموعة الأولى (٤٠ - ٤٨) نلاحظ كثرة التأكيد أو الضغط على الشعب ، وربما كان ذلك من أجل انتشار الوثنية في بابل ، وإدخال أي إله في مقارنة مع يهوه « فبمن تشبهون الله ، وأي شبه تعادلون به . الصنم يسبكه

الصانع ، والصائغ يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة (١٨:٤٠ - ٢٦) .

وكذلك : « قد ارتدوا إلى الوراء ، يخزي خزيّاً المتكلمون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنت آلهتنا » (١٧:٤٢) .

وغير هذه الأمثلة كثير مثل : (٦:٤١ ، ٧ ، ٢١ - ٢٩) ، ومثل (٩:٤٤ - ٢٠) ، (١٦:٤٥ - ٢٠) ، (١:٤٦ ، ٢) .

وكان هذا التركيز على الشعب في تلك الفترة مما تدعو إليه حالة المسيبين الذين أقاموا بين الشعب البابلي الوثني ، بينما يخف هذا التركيز على الوثنية بل يكاد ينعدم في المجموعة الثانية (٤٩ - ٥٥) لأنه لم تكن هناك حاجة إليه والمسيبون على وشك أن يغادروا هذه البيئة الوثنية ليعودوا إلى أورشليم ويجددوا معبد الرب حيث الدين الصحيح وعبادة يهوه وحده .



إشعيا الثالث

ويرجع الفضل في معرفة إشعيا الثالث وتمييزه عن الأول (١ - ٣٩) وعن الثاني (٤٠ - ٥٥) ، إلى الجهود التي بذلها في القرن التاسع عشر علماء مثل « كوين شين Kneuen Cheyne و « شتاده Stade و (ب . دوم B.Duhm وقد نشر « دوم » في عام ١٨٨٢ شرحاً لإشعيا أطلق عليه (تريثو إشعيا Trito Iesaija) بعد أن كان يسمى « دويترواشعيا Deutrojesija » .

ويقول ج. هـ. بوكس^(٢) : « مع الإصحاح (٥٦) يبدأ قسم جديد تماماً من سفر إشعيا ، فهنا كل شيء يتنفس جواً مختلفاً » .

بينما يرى « دريفر » أن القسم الأخير من سفر إشعيا (٤٠ - ٦٦) إنما هو من عمل نبي واحد كان يعيش قرب نهاية السبي ، وعلى هذا لا يقر دريفر بوجود ما يسمى بإشعيا الثالث ، وإنما يرجع بعض الاختلافات التي في الإصحاحات المتأخرة (٤٩ - ٦٦) إلى تطور في أفكار النبي نفسه الذي كتب الإصحاحات السابقة (٤٠ - ٤٨) . ويقسم « دريفر » نبوءة هذا النبي (إشعيا الثاني) إلى ثلاثة أقسام هي :

(١) د. فؤاد حسنين علي « التوراة المبروغلفية » ص ٩٣ والتوراة عرض وتلخيص ص ٨٤ . ويرى د. فؤاد حسنين أن الأصح هي تسمية « دويترو إشعيا » القديمة ، ذلك لأن الإصحاحات الأخيرة التي أطلقوا عليها « تريثو إشعيا » مختلفة العصور وليست لمؤلف واحد بعينه .

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(٢)

Driver; An Introduc. P.236.

(٣)

١ - الإصحاحات (من ٤٠ - ٤٨) :

وفي هذا القسم يهدف النبي إلى أن يبين للشعب الحقيقة اليقينية لخدمة الخلاص الآتي ، وليقنعهم بأنه ليست هناك عوائق حقيقية أو متخيلة من شأنها إعاقة الخلاص .

ومن أجل هذا الغرض فإن النبي يستعمل أنواعاً مختلفة من المناقشة يجريها ليؤكد قدرة يهوه على تحقيق وعوده .

٢ - الإصحاحات (من ٤٩ - ٥٥) :

وفيها يقدم يهوه خادمه المثالي ، ويصف بطريقة درامية شخصه وتجاربه ، ويعلن بصورة أقوى مما أعلنه في (٤٢ : ٦) ^(١) ، الطبيعة المزدوجة لمهمة الخادم التبشيرية ^(٢) (٤٩ : ١ - ١٣) ، ثم ما يقابل خادم الرب من عقبات تنجم عن افتقار بني إسرائيل إلى الإيمان (٤٩ : ١٤ - ٢٦) ^(٣) .

ثم يعيد النبي تقديم خادم يهوه المثالي في (٥٠ : ٤ - ٩) ثم يحذر النبي مواطنيه في (٥٠ : ١٠) . ومشهد اقتراب العودة يسيطر على أفكار النبي وثقته فيه ، يسوق ذلك في تعبيرات مبهجة عند المناجاة المتهللة التي تتكرر ثلاث مرات في (٥١ : ٩ - ١٧ ، ٥٢ : ١ ، ٥٢ : ٧) .

(١) (٤٢ : ٦) «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك ، واحفظك واجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم» .

(٢) المهمة المزدوجة التي يشير إليها ديرفر في كتابه «مقدمة لأدب العهد القديم ص ٢٣٣» هي كما وردت في الفقرة (٤٩ : ٥ - ٦) ، حيث لا يكتفي الرب بتكليف خادمه بأن يرجع إليه يعقوب لينضم إليه إسرائيل ، بل يجعله الرب - إلى جانب هذه المهمة - نوراً للأمم ليكون خلاصاً إلى أقصى الأرض . فيكون الشق الأول من رسالة خادم يهوه هداية يعقوب وإسرائيل ، وهذا ما تقرره الآية الخامسة ، ويكون الشق الثاني من مهمة الخادم أكثر شمولاً ، وذلك بهداية كل الأمم ، وذلك ما تقرره الآية السادسة من نفس الإصحاح (٤٩) .

(٣) «وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيتي ... الخ (٤٩ : ١٤ - ٢٦)» .

ويرى بعين الخيال الرسل الذين يحملون أعباء الخلاص وهم يصلون إلى
جبال يهوذا ، ويسمع المراقبين الذين يصورهم كأنهم ينظرون بشغف من جدران
المدينة وهم يعلنون بفرح الأخبار السارة (١١:٥٢) .

ويصور في الإصحاح (٥٤) صهيون الحزينة التي ستفرح بالسلام قريباً مع
أبنائها حواربي يهوه من حولها ، وفي الإصحاح (٥٥) الجميع يعدون أنفسهم
لاستقبال دعوة النبي ، وللمشاركة في الإصلاحات المقبلة ثم يبين النبي في
الأصحاحات الباقية ما يجب أن يكون عليه الشعب من أخلاق (١:٥٦) وزوال
كل أسباب العجز من آن فصاعداً (٣:٥٦ - ٨) ، ثم يهاجم النبي المذابح
الوثنية ، وخطايا إسرائيل التي لا ترغب في إزالتها والتخلص منها إلا بتدخل
إلهي ، ثم يدين الحكام الذين أهملوا شعبهم وتركوه للدمار (٩:٥٦ - ٢:٥٧)
وأن أمل إسرائيل الوحيد إنما هو في الرجوع إلى الرب ، والتوبة (١١:٥٧ -
٢١) . ثم يرسم النبي في الإصحاح (٥٨) صورة لما يجب أن تكون عليه
إسرائيل حتى تتمتع ببركات الرب الموعودة ، وبالخلاص والعودة ، وفي الإصحاح
(٥٩) اعتراف الشعب بخطاياها الأساسية ، وتدخل يهوه لصالحهم لينقذ التائبين
منهم عن المعاصي .

أما الجزء الثالث والأخير من نبوءة النبي فهو :

٣ - الإصحاحات (من ٦٠ - ٦٦) :

وفي هذا القسم يصور النبي سعادة صهيون في المستقبل في صورة أكثر
إشراقاً ويقول دريفر : « وهنا يمكن ملاحظة التقدم في تطور أفكار النبي ، ففي
(٤٠ - ٤٨) عندما كان خلاص إسرائيل في المقام الأول من أفكاره ، كان يتصور
القضاء في المقام الأول يقع على أعداء إسرائيل .

أما في هذا القسم الثالث (٥٩ - ٦٦) فإنه يعلن قضاء سيقع على إسرائيل
نفسها ، مميزاً بين عبيد يهوه المخلصين (٦٥: ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥) من
غير المخلصين له ، مستثنياً غير المخلصين من البركات التي وعد بها يهوه .

وفي الإصحاح الأخير يذكر النبي اليهود بأنه لا مكان في الأرض يتناسب وعظمة يهوه ، ربما يقول هذا في نظرتة إلى التجديد المتوقع للمعبد ، وأن الاهتمام بالرب يجب أن يستحوذ على قلوبهم ، ليس بعظمة المعبد ، ولا بالخدمة الروحية ، ولكن بالتدلل وبتكريس القلب .

ثم يختتم في (٦٦ : ٦ - ٢٤) بصورتين متعارضتين : البركة المخيأة لأورشليم والقضاء المخيف الذي ينتظر أعداءها .

والذين يرون أن كاتب الإصحاحات (٥٦ - ٦٦) هو نفس النبي الذي كتب الإصحاحات (٤٠ - ٥٥) يعتمدون في هذا الرأي على بعض التشابهات بين المجموعتين في الفكرة ، وفي اللغة ، وإلى جانب ذلك فإن هناك من يستبعد أن تكون المجموعة الثانية نفسها (٥٦ - ٦٦) لمؤلف واحد ، بل لعدة مؤلفين لاحتوائها على أحداث لا يمكن أن تكون قد تمت في عصر واحد^(١) .

وبعض الذين يرون نسبة الإصحاحات (٥٦ - ٦٦) إلى نبي مجهول أطلق عليه « إشعيا الثالث » يرى أن وجود متشابهات بين المجموعتين ليس دليلاً على أن كاتبها شخص واحد ، وإنما يمكن أن يحمل هذا على افتراض أن الكاتب الذي كتب المجموعة الأخيرة (٥٦ - ٦٦) وهو الذي أطلق عليه « إشعيا الثالث » قد تأثر « بإشعيا الثاني » وأنه قد استعمل على فترات أفكار سلفه العظيم وتعبيراته ، ويبدو أنه لم يدرك أن هذه الأفكار والتعبيرات المستعارة لا تتواءم دائماً مع أفكاره التي هي في مرتة دون سابقتها ، بل يذهب بعض الباحثين إلى أن الإصحاحات (٤٠ - ٦٦) إنما هي مجموعات قام تجميعها وضمها بعضها إلى بعض أحد الكتاب بعد العودة من السبي مباشرة^(٢) .

وبفحص القطع الأدبية المتنوعة التي وردت في المجموعة الأخيرة (٥٦ - ٦٦) سيظهر أن هناك من الأسباب ما يدعو للاعتقاد بأنها قد كتبت في أوقات

(١) دكتور فؤاد حسنين علي : التوراة الميروغليفية ، ص ٦٣ ، وكذلك أنظر ل. أليوت بنزفي : L.Elliott; Clarendon Bible. Vol.III. P.168.

George L.Hurst; Sacred Literature, P. 119.

(٢)

مختلفة^(١) وأنه بالرغم من أن وحدة تأليف القسم الأخير (٤٠ - ٦٦) قد نادى بها باحثون لهم مكانتهم مثل (دريفر) واختصم فيها عدد آخر لا يقل في المكانة عن الشاقين مثل « دوم » و « شين » ، و « أوسترلي » ، مما يجعل من الصعب ترجيح رأي على غيره ، إذ لا يعدم كل فريق ما يؤيد به وجهة نظره من الأدلة ، والفريقان يسوقان أدلتهما من نفس مضمون النص

فقد رأينا « دريفر » عند تقسيمه للنسوة إلى ثلاثة أجزاء وتحليله لما جاء بكل جزء يجعل القسم (٤٠ - ٦٦) يدور في فلك واحد هو فترة السبي حتى العودة منه إثر قرار قورش .

أما أصحاب نظرية « إشعيا الثالث » مثل « دوم » Marti ومارتي Duhm وأوسترلي Oesterly وآخرين ، فإنهم يرون أن المجموعة الأخيرة (٥٦ - ٦٦) باستثناء بعض الإضافات التي لا يعتد بها ، قد صدرت عن مؤلف واحد أطلقوا عليه « إشعيا الثالث » ، للملاءمة بين أقسام السفر ، وأن هذا الثالث قد كتب هذه المجموعة في منتصف القرن الخامس ق . م ، وبالتحديد في سنة ٤٥٠ ق . م قبل وصول نحميا إلى أورشليم بسنوات قلائل^(٢) .

ومما أوجد البلبلة في الرأي واختلاف وجهات النظر أن هذه المجموعة الأخيرة بها فقرات تدل على أن المعبد قد أعيد بناؤه (١ : ٥٦ - ٨) ، وكذلك (٦٦ : ١ - ٦) « صوت ضجيج من المدينة ، صوت من الهيكل ، صوت الرب مجازياً أعداءه » (٦٦ : ٦) .

وكذلك : « لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ، ويختارون ما يسرني ، ويتمسكون بعهدي ، أني أعطيهم في بيتي وفي أسواري

(١) أنظر كذلك أوسترلي وروبنسون : (An Introduc. P.279.)

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.702.

(٢) أنظر :

G.W.Brigge; The shorter Oxford Bible; P.166.

L.Elliot-Binns; The Clarendon Bible; Vol.III. P.168.

نُصَباً واسبأً أفضل من البنين والبنات، أعطيتهم اسماً أبدياً لا ينقطع » (٥٦ : ٤ - ٥) .

بينما نرى الجو العام للنص لا يدل على أن نحما قد وصل إلى أورشليم بإصلاحه الديني الواسع ، فالفقرة (٥٦ : ٩ - ٥٧ : ١٣) ما تصوره من فساد في القيادة الدينية ، والجشع المستشري ، والسكر ، والزنى ، والمعصية والكذب وكذلك التقرب إلى الأصنام ، تحت كل شجرة خضراء ، وقتل الأولاد في الأودية تحت شقوق المعافل ، وتقديم الذبائح ، وقطع العهود مع آلهة الوثنيين ، كل ذلك لا يمكن أن يكون قد سمح نحما بمزاوته ، أو تساهل في نشره ، ولذا فإن هذا الجزء لا بد أن يرجع تاريخه إلى زمن سابق ، على مجيء نحما وعزرا ولم يتضمن النص أي إشارة إلى إصلاحات نحما وعزرا ولذا يمكن تأريخ النص سنة ٥٣٨ - ٤٤٥ ق . م ^(١) .

ثم نجد في القسم التالي (٥٧ : ١٤ - ٢١) ما يفيد أن المعبد قد أعيد بناؤه وبخاصة في الفقرة (٥٧ : ١٩) التي تقول : « خالقا ثمر الشفتين » ويشير بذلك إلى النعمة السماوية على المتعبدين ، و « ثمر الشفتين » يعني الحمد وتقديم الشكر ، وبهذا دل على وجود عبادة المعبد ، خاصة وأن الآية (٥٧ : ١٣) ربما تضمنت إشارة إلى وجود المعبد ^(٢) . « أمأ المتوكل على فإنه يملك الأرض ويرث جبل قدسي » ، والجبل هنا قد اكتسب قداسه من وجود المعبد عليه .

ويرى بعضهم أن الإصلاحات (٥٦ - ٦٠) ربما كان ترتيبها الزمني الصحيح هو بعد الإصلاحات (٦١ - ٦٦) ^(٣) .

هذا الإضطراب في مضمون النص جعل باحثاً مثل « سيللين » Sellin يرى أن الخطب والأحاديث التي اشتهرت في عهد ملاخي ونحما ليس لها أثر أو صدى

L.Elliot- Binns; The Clarendon Bible; Vol. III. P.168.

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.283.

L.Elliot- Binns; The Clarendon Bible; Vol. III. P.168. Oxford.

(١)

(٢)

(٣)

في إشعيا الثالث ، كذلك وجود أكثر من فقرة تدل على أن المعبد لم يكن موجوداً أثناء كتابتها مثل « إلى قليل امتلك شعب قدسك ، مضايقونا داسوا مقدسك » (١٨ : ٦٣) ، وكذلك « مدن قدسك صارت برية ، صهيون صارت برية ، وأورشليم موحشة ، بيت قدسنا وجمالنا ، حيث سبحك آباؤنا ، قد صار حريق نار وكل مشتھياتنا صارت خرابا (١٠ : ٦٤ ، ١١) ، بينما نجد فقرات كما رأينا تشير إلى وجود المعبد .

هذا التباين والاختلاف بين مفاهيم أجزاء النص جعل « سيللين » Sellin ينسب هذا الجزء الأخير من السفر (٥٦ - ٦٦) إلى كاتب عاش بعد السبي ، وقد أخذ جزءاً من الكتابات المنسوبة إلى إشعيا الثاني ، وبالذات (من ٤٠ - ٥٢) ثم مزج بين هذه وبين نبوءات نبي آخر أورشليمي عاش في الفترة ما بين ٥٨٦ - ٥٢٠ ق . م ، ثم ضخهما بكتابات من عنده^(١) .

وعلى هذا فإن النبي الأورشليمي هذا الذي يشير إليه « سيللين » لا بد أن يكون نبياً كان عمله خلال فترة السبي حتى بداية العودة ، وكذلك حسب رأي سيللين Sellin لا بد أن يكون النبي ممن عاشوا في أورشليم ، وليس من بين السبايا لأنه يصفه أنه نبيّ أورشليمي ، كما أنه ليس هو الذي أطلق عليه « إشعيا الثاني » لأن « سيللين » يرى أن نبوءات هذا النبي الأورشليمي قد مزجت بجزء من كتابات « إشعيا الثاني » ثم أضاف الجامع من عنده على هذا الخليط .

وإن هذه الافتراضات التي يطالعنا بها أنصار نظرية « إشعيا الثالث » أو مخالفوهم في الرأي إنما هي محاولات يحاول بها كل فريق تعزيز وجهة نظره ، وهذا الاختلاف والتضارب بين الآراء ربما كان سببه ما أشار إليه « أوسترلي »^(٢) من أن تلك الفترة التي تنتمي إليها تلك الإصحاحات وهي سنة ٥٣٨ ق . م وما بعدها لا تقدم إلينا أي عون نعتمد عليه في فهم حقيقة هذه المجموعة من سفر إشعيا ، كما أن الإصحاحات لا تقدم أي إشارة إلى ما كان يحدث في العالم الخارجي حتى نستدل منها على ضبط وتحديد تاريخها .

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol.XII. P.702.

(١)

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.277.

(٢)

وبالنظر إلى تاريخ اليهود نجد معلوماتنا ضئيلة وبخاصة في الفترة التي تهمننا في تاريخ نص إشعيا الثالث . فالأحداث التي وقعت بعد سقوط يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م لا تكاد تعطينا صورة واضحة عن تاريخ اليهود حتى سنة ٤٤٤ ق.م حين جاء نحميا إلى اورشليم وتولى حكم يهوذا ، كما أن الأسفار التاريخية في العهد القديم لا تقدم إلينا معلومات ذات بال عما حدث في الفترة من سنة ٥٣٧ حتى سنة ٥٢٠ ق.م .

ففي سنة ٥٣٧ ق.م يعود عدد من المسيبين في بابل الى فلسطين تحت قيادة شيشبصر^(١) ، وفي سنة ٥٢٠ ق.م في عهد تنبوء « حَجَّاي » و « زكريا » كانت عملية تجديد المعبد في بدايتها وكان حاكم يهوذا آنذاك هو « زروبابل » كما أن الكاهن الأكبر كان يشوع بن يهو صادق ؛ .

وبعد الإشارة الى الانتهاء من تجديد المعبد سنة ٥١٦ ق.م^(٢) يعود الصمت حتى سنة ٤٤٤ ق.م حين جاء نحميا إلى اورشليم حاكماً ليهوذا لمدة غير معروفة على وجه التحديد ، وإن كان نحميا نفسه يشير إلى أنه تولى حكم يهوذا اثنتي عشرة سنة في عهد أرتخششتا الملك^(٣) البابلي^(٤) أما وصول عزرا مع المسيبين

(١) شيشبصر هذا من الشخصيات التي لم يرد عنها ذكر مفصل في العهد القديم ، وربما كان أحد أقارب زروبابل .

(٢) وقد تم تجديد المعبد كما هو مثبت في عزرا (١٥ : ٦) في اليوم الثالث من شهر آذار في السنة السادسة من حكم داريوس الملك ، وداريوس هذا هو « دارا الأول بن هستاسيس Hystaspes الذي كان والياً على بلاد الفرثيين واستطاع بواسطة بعض النبلاء أن ينتزع الحكم من الثائر كوماتا Caumata المجوسي الذي اغتصب الحكم من قمبيز بعد أن قتل أخاه وشبيهه سرديس واتحل اسمه . وقد ظل داريوس الأول في الحكم من سنة ٥٢٢ ق.م حتى مات سنة ٤٨٦ ق.م .

أنظر (طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ج ٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٨ وانظر كذلك : ج . ستافورد رايت « تفسير الكتاب المقدس » ج ٢ ص ٣٣٧ . ترجمة د . توفيق صالح وآخرين .

(٣) أنظر نحميا (١٤ : ٥) حيث يقرر نحميا أنه حكم يهوذا منذ استاذن في هذا الأمر الملك أرتخششتا في السنة العشرين من حكمه حتى السنة الثانية والثلاثين ، ولكن نحميا يقول في (١٣ : ٦ - ٧) إنه : « وفي كل هذا لم أكن في اورشليم لأني في السنة الاثنتين والثلاثين لأرتخششتا ملك بابل دخلت إلى المعبد ، وبعد أيام استاذنت من الملك وأتيت إلى اورشليم وفهمت الشر الذي عمله الياشيب . . . الخ » .

(٤) أرتخششتا وصفه نحميا في ١٣ : ٦ بأنه ملك بابل « وقل عنه عزرا في ٤ : ٧ إنه ملك فارس . وهو فارسي =

العائدين من بابل فقد كان حوالي سنة ٣٩٧ ق . م .

وكما أن الغموض يشمل فترة بقاء نحemia في الحكم فإننا نجد الأمر كذلك بالنسبة للمدة التي قضاها عزرا في عمله بين شعبه بعد العودة ، ولا نعرف إلا ما ذكرته برديات الفاتنين^(١) من أن سنة ٤٠٨ ق.م كان سنبلط ما يزال يحكم السامرة ، رغم أن ابنه « دلعييا » و« شلميا » قد نابا عنه في الغالب لتقدم سنه .

وفي نفس سنة ٤٠٨ ق.م نعرف كذلك أن حاكم يهوذا كان « بجفيا Bigvay » أو « باجواس Bagoas » ، وأن الكاهن الأعظم كان « يوحنان » أو « يهوحنان » والمواضع التي أشير إليها على أنها قبل زمن نحemia قد تعزي إلى الفترة (٥١٦ - ٤٤٤ ق.م) منذ تجديد المعبد حتى نهاية حكم نحemia وهذا التاريخ تقريبي .

وهناك في إشعيا الثالث فقرات لا تدل على أنها تتمني إلى نفس الفترة السابقة وهذه الفقرات مثل (١ : ٥٩ - ٤) وهي لا تقدم إلينا أية إشارة نستطيع بواسطتها إلحاقها بفترة معينة ، وإن كان السياق يوحي بأنها من نفس الفترة السابقة على وصول نحemia وذلك لما توحى به من غضب الرب على الشعب لأثامه الكثيرة التي جعلت فاصلاً بينهم وبينهم إليهم ، وحالت خطاياهم دون أن يسمع الرب لهم لأن أيديهم تنجست بالدم وشفاهم نطقت بالكذب ولسانهم كان يلهج بالشر . كذلك الفقرة (٥٩ : ٩ - ١٥) التي اشتملت على اعتراف الشعب بخطاياهم وأن كل ما حل بهم إنما سببه كثرة آثامهم . ويمكننا أن نرد هذه الفقرة إلى ما بعد عودة عزرا بقليل^(٢) حيث إننا نجد تشابهاً كبيراً بين هذا الاعتراف بالخطايا ، وبين نفس الاعتراف الذي أقر به الشعب أمام عزرا^(٣) .

الأصل وحكم بابل بعد أن خضعت للفرس منذ سنة ٥٣٨ على يدي قورش .

(١) أوراق البردي هذه هي نسخ من رسائل أرسلت إلي ومن مستعمرة يهودية في جزيرة (يب Yeb) في مصر العليا بقرب أسوان ، وهي مكتوبة بالآرامية . أنظر جـ . ستافور رايت في « تفسير الكتاب المقدس » ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) كانت عودة عزرا حوالي سنة ٤٥٨ ق.م ، أما قرار قورش وعودة زربابل مع المسيبين اليهود فقد كان سنة ٥٣٦ ق.م كما يقرر سميت في G.A. Smith; The Expositor's Bible, Vol. II. P. 410.

(٣) عزرا : ٧ : ٩ وقارن كذلك إشعيا : ٩ : ٥٩ - ١٥ .

كذلك الفقرة (٥٩: ١٦ - ٢١) يعزوها بعضهم^(١) إلى وقت متأخر وإن كانوا لم يحددوا هذا الوقت ، وإلى نفس هذا الوقت المتأخر يعزو أوسترلي القسم (٦٣: ٧ - ٦٤: ١٢) ويرى أن هذا القسم كل متكامل وهو يخالف بذلك بعض الباحثين الذين يرونها توليفة ضمها جامع السفر إلى بعضها ، ويتضح من هذه الفقرات أن المعبد قد تعرض لتلف مؤسف^(٢) ، قد يكون نتيجة للعقاب الشديد الذي أنزله ارتكسركيس الثالث على اليهود في حوالي سنة ٣٥٠ ق.م أو تشير إلى انتهاك قدسية المعبد على يدي أنتيوخس الرابع سنة ١٦٩ ق.م كما هو مدون في مكابيين أول (١: ٢٠ - ٢٨)^(٣) .

ولكن أوسترلي يستبعد هذا الرأي الأخير نظراً لما ورد في إشعيا (٦٣: ١٧) من إشارة واضحة إلى السبي ولم يحدث سبي لليهود في عهد أنتيوخس الرابع .

ولكن الرأي الذي يرجع تاريخ هذه الفقرة إلى سنة ٣٥٠ ق.م أيام ارتكسركيس الثالث إنما هو رأي مقبول ، لأن ارتكسركيس الثالث هذا كان قد حمل عشرات الآلاف من اليهود سبايا إلى هرkania على شاطئ بحر كاسبيان Caspian .

ثم تختلف الآراء في الجزء الختامي للسفر (٦٦: ١٧ - ٢٤) ويصعب تحديد تاريخ معين لهذه المجموعة ، ولكن أوسترلي يرى أن الحالة العامة للآيات (١٨ - ٢١ ، ٢٣) وكذلك الطبيعة الأخروية للآيات (٢٢ ، ٢٤) تعطينا بعض الأسس التي تستند إليها في إرجاع تاريخ هذه القطعة إلى الجزء الأخير من القرن

W.O.E. Oesterly & Robinson; An Introduc. P.285.

(١)

(٢) إشعيا (٦٤: ١٠ - ١١) : « مدن قدسك صارت برية وأورشليم موحشة ، بيت قدسك وجمالنا حيث سبحك أباًؤنا ، قد صار حريق نار ، وكل مشتھياتنا صارت خراباً » .

(٣) أنظر : « الأسفار القانونية ، التي حذفها البروتستانت من الكتاب المقدس » كنيسة السيدة العذراء

بالاسكندرية في ٢٢/٦/١٩٧٥ . وقارن هذا بما ورد في الترجمة الانجليزية The Gerusslem Bible في مقدمة سفر المكابيين الأول من أن أنتيوخس هذا قد غزا أورشليم بعد أن غزا مصر وأدب فرعونها سنة ١٤٣ ق.م .

الرابع ق.م ، ثم يوجز أوسترلي نتائج بحثه في أن الأجزاء التي يمكن نسبتها إلى إشعيا الثالث هي : (٥٦ : ٩ - ٥٧ : ١٣) ، (٥٧ : ١٤ - ٢١) ، الإصحاح (٥٨) كله ، (٦٠ : ١ - ٦٣ : ٦) والإصحاح (٦٥) كله ، و (٦٦ : ١ - ٤ ، ٦ - ١٦) .

وكل هذه القطع تنسب إلى الفترة الواقعة ما بين سنة ٥١٦ ، سنة ٤٤٤ ق.م .

أما الأقسام المتبقية وهي الإصحاح (٥٩) كله ، (٦٣ : ٧ - ٦٤ : ١٢) ، (٦٦ : ٥ ، ١٧ - ٢٤) فإنها من الممكن إرجاعها إلى النصف الأخير من القرن الرابع ق.م .

بعد أن عرضنا في إيجاز لتاريخ كتابة السفر بأجزائه الثلاثة، وعرضنا رأي القائلين بنظرية إشعيا الأول والثاني فقط ، والقائلين بنظرية إشعيا الثالث فإننا نتعرض الآن لأراء القائلين بوحدة السفر .

ومن هؤلاء بيفير^(١) الذي يرد على من أنكروا نسبة الإصحاحات (٤٠ - ٦٦) إلى إشعيا الأول نفسه وينسبونها إلى كاتب مجهول عاش بعد إشعيا الأول بحوالي ١٣٠ عاماً وذلك لأسباب منها :

١ - أن الرؤية المستقبلية للأحداث لا يمكنها إنجاز مثل هذا العدد الضخم من الإصحاحات .

٢ - أن الاسم الحقيقي للغازي الفارسي « قورش » الذي تم على يديه تحرير اليهود من السبي البابلي لا يمكن أن يكون قد عرف قبل تلك الأحداث بقرن ونصف تقريباً .

أما النقطة الأولى فإن أحد المدافعين عن وحدة السفر يرد عليها بقوله : « إن النبي الذي أرسلته السماء يكون المستقبل لديه غير مطوي ، وذلك بقدرة القدير ، فإن النبي يستطيع أن يرى الخراب الذي سيحل بعد قرون وأن يتنبأ بأثره وبعواقبه . حتى وهو يستعرض حالة الأحداث الراهنة فإن عينيه غالباً ما ترى مشاهد وأحداث

Charles F. Pfeiffer; The Wycliffe Bible Commentary; P.P.605- 606.

(١)

نهاية الأيام **הַיָּמִים הַלְלוֹת** فكذلك استطاع إشعيا أن يحتل منزلة عالية أيام حكم الملك حزقيا بنبوته على عودة اليهود من السبي البابلي^(١).

ثم يرد نفس الكاتب على النقطة الثانية مستشهداً بما قاله Ktesias من أن اسم « قورش » إنما هو وصف وليس علماً لإنسان ، لأن كلمة « قورش » الذي سيقدّر له أن يكون المخلص للشعب المسيحي وقد يكون الملك « قورش » قد اتخذ هذا الاسم حين أصبح مقتنعاً بالمهمة التي أناطه بها العناية الإلهية .

أما رد بفيفر فهو يتلخص في أن الرؤية المستقبلية قد حدثت فعلاً خلال تلك الإصحاحات السبعة والعشرين (٤٠ - ٦٦) إذ يتناول الكثير منها الجيل المعاصر لإشعيا . ولكن دريفر^(٢) يرى أن هؤلاء الذين كان يخاطبهم النبي وعلى الأخص أولئك الذين يخاطبهم شخصياً متناقشاً معهم ، متوجهاً إليهم ، مجتهداً في أن يستحوذ عليهم ببلاغته الحماسية في الفقرات (٤٠ : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٨) ، (٤٣ : ١٠) ، (٤٨ : ٨) ، (٥٠ : ١٠) ، (٥١ : ٦ ، ١٢) ، (٥٨ : ٣) وغيرها ، هؤلاء ليسوا هم رجال أورشليم الذين عاصروا « آحاز » و « حزقيا » أو حتى « منسي » بل إنهم المنفيون إلى بابل .

كما أن دريفر ينتقد أولئك الذين يقولون عن إشعيا بأنه كان غارقاً في روح المستقبل وقادراً على أن يخبر بآيات الأحداث ويرى دريفر أن هذا الأمر ليس فقط يفتقر إلى ما يوازيه في العهد القديم ، ولكنه عكس طبيعة النبوة الإسرائيلية .

ولكن بفيفر يسوق دليله على أن الأسفار المقدسة لم تتردد في الإنباء عن أسماء معينة في المستقبل حين يقتضي الحال ذلك .

M. Friedlander; The Jewish Religion; P.P.213- 214.

(١)

Driver, An Introduc. P.237.

(٢)

فاسم الملك « يوشيا » مثلاً قد تنبأ به نبي في يهوذا قبل مجيئه بثلاثة قرون^(١) .

كما أن « بيت لحم » قد ذكر بالتحديد كمهد لولادة المسيح قبل مجيئه بسبعة قرون^(٢) .

وبالإضافة الى ذلك فقد لوحظ أنه خلال الإصحاحات الستة والستين لإشعيا قد وجد تأكيد غير عادي للنبوءات ، حفظته لنا نبوءة متنبئة كدليل دافع على الالهام الإلهي .

ثم يسوق بفييفر دليله على هذا بأن لإشعيا نبوءات تحققت في حياته وبسرعة مثل خلاص أورشليم من خطر سنحريب ، بتأكيد خارق للطبيعة في (٣٣ : ٣٧) ، (٣٥)^(٣) وكذلك تحقق نبوءته الخاصة باندحار دمشق في خلال ثلاثة أعوام أمام آشور في (٤ : ٨ ، ٧) ثم تحقق نبوءته بخراب السامرة في غضون اثني عشر عاماً في (١٦ : ٧) ثم نبوءته بتقهقر ظل المزولة في (٨ : ٣٨) .

كما أن رسالة إشعيا كانت تستمد قوتها من السلطة الإلهية ، ودليل ذلك امتحان انجاز نبوءة إشعيا وتحقيقها حين كلفه الرب بذلك (٨ : ٦) .

كذلك أخبره الرب بأنه سيطلعه على المستقبل ليخبر به الشعب^(٤) .

(١) أنظر ملوك أول (١٣ : ١ ، ٢) : « وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت ايل ، ويربعام واقف لدى المذبح لكي يوقد ، فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال : يا مذبح يا مذبح ، هكذا قال الرب ، هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه « يوشيا » ، ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك ، وتحرق عليك عظام الناس » . وربما كان رجل الله هذا الذي أشار إليه بفييفر بأنه نبي ، ربما كان هو « يعدو الرائي » الذي ورد اسمه في (أيام ثان : ٢٩ : ٩) .

(٢) أنظر (ميخا ١ : ٥ ، ٢) : « الآن تتجيشين يابنت الجيوش ، قد أقام علينا مترسة ، يضربون قاضي إسرائيل بقضيب على خده . أما أنت يا بيت لحم أفراثة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل » .

(٣) وإن كان رأي بفييفر هذا يمكن رده بما قاله الباحثون في هذا الجزء بالذات من سفر إشعيا ٣٦ - ٣٩ بأنه ليس لإشعيا وإنما هو مأخوذ من (ملوك ثان ١٨ : ٣ - ٢٠ : ١٩) ، بل إن أوسترلي يرى أن كلاً من جامع نص الملوك الثاني ، وجامع نص إشعيا في الإصحاحات (٣٦ - ٣٩) قد أخذاه من مصدر آخر ربما كان سجل الملك حزقيا .

(٤) أنظر إشعيا (٤٤ : ٧ ، ٨) وقارن كذلك (٤١ : ٢١ - ٢٣ ، ٢٦) وكذلك (٤٢ : ٩ ، ٢٣) ،

ويحاول كل فريق أن يأخذ من النص قرينة تؤيد وجهة نظره وتعضد ما يذهب إليه ، كالذين يذهبون إلى تقسيم السفر إلى ثلاثة أقسام لكل منها نبي غير الآخر ، ويجمعهم اسم إشعيا وهؤلاء مثل : دوم وبوكس وسيللين وأوسترلي وغيرهم ، وكذلك من يذهبون إلى أن السفر قسمان فقط من (١ - ٣٩) لإشعيا وأورشليم و (٤٠ - ٦٦) ليس من عمل إشعيا وإنما هو من قبيل الفقرة (١٣ : ٢ - ١٤ : ٢٣) التي أرجعها الباحثون إلى تاريخ نهاية السبي كما قال دريفر لأنها تعبر عن فرحة العودة من السبي كما أن القسم الثاني من السفر (٤٠ - ٦٦) يشير في أكثر من موضع إلى أن تاريخ هذه النبوءة يرجع إلى فترة نهاية السبي لأن هذا القسم يشير مراراً إلى أورشليم على أنها خربت وأقمرت^(١) ومنها ما يشير إلى المعاناة التي قاساها اليهود أو يقاسونها على أيدي الكلدانيين^(٢) ، ومنها ما يشير إلى منظر العودة الذي كان يراه النبي وشيكاً^(٣) . وعلى هذا فإن إشعيا الثاني هذا كان يعيش بين المسيبين في بابل حوالي سنة ٥٥٠ ق.م ييث فيهم الأمل في العودة والحرص على الدين الصحيح .

ولكن هذا القول في رأي أصحاب نظرية وحدة السفر لا يمكن التوفيق بينه وبين الأدلة الداخلية المتضمنة في السفر، فإشعيا (٤٠ - ٦٦) يبدي معرفة ضحلة بجغرافية بابل ، ومعرفة واسعة بجغرافية فلسطين ، كما أن الأشجار التي يشير إليها ، هي أشجار فلسطينية الموطن وغير معروفة في بابل مثل الأرز والسنديان والبلوط وغيرها^(٤) .

ثم يتعرض بفيفر لما سلم به برنارد دوم B.Duhm من أن القسم الثاني من

(٤٣ : ٩ ، ١٢) .

(١) مثل (٤٤ : ٢٦) ، (٥٨ : ١٢) ، (٦١ : ٤) ، (٦٣ : ١٨) ، (٦٤ : ١٠) .

(٢) مثل (٤٢ : ٢٢ ، ٢٥) ، (٤٣ : ٢٨) ، (٤٧ : ٦) ، (٥٢ : ٥) .

(٣) مثل (٤٠ : ٢) ، (٤٦ : ١٣) ، (٤٨ : ٢٠) الخ .

(٤) أنظر إشعيا : ٤٤ : ١٤ ، وكذلك : ٤١ : ١٩ ويتفق Torry مع هذا الرأي في أن هذه المجموعة

(٤٠ - ٦٦) من سفر إشعيا لم تكتب في بابل وإنما كتبت في فلسطين غير أن Torry وان اتفق مع

القائلين بوحدة السفر من هذه الناحية إلا أنه يخالفهم في أنه لا يقر بوحدة السفر ووحدة المؤلف .

إشعيا وخصوصاً (٤٤ - ٦٦) لم يكتب منه شيء في بابل ، إلا أن دوم يصر على أن هذا القسم لم يكن له وجود قبل نهاية السبي البابلي^(١) . ولكن بيفير يعارض الشق الأخير من رأي «دوم»^(٢) مستنداً إلى أن جميع الشرور والمفاسد التي انتشرت في عهد إشعيا الأول بقيت مشرّبة في الإصحاحات السبعة والعشرين الأخيرة كذلك فالنفاق الديني مثلاً ذكر في (١٣: ٢٩) وفي (٢: ٥٨ - ٤) ، كذلك سفك الدماء والعنف اللذان أصبحا نظاماً يومياً ورد في (١٥: ١) وفي (٣: ٥٩ ، ٧) . وتعويج القضاء والسيادة المطلقة لسلطة القهر والعسف ورد في (١٠: ١ ، ٢) وفي (٣: ٥٩ ، ٩) ، ونفس الانحلال والانحطاط الخلقي الذي نراه سائداً في الفقرة (١: ٥٩ - ٨) كان من مميزات حكم الملك «منسي» الذي ملأ أورشليم بالدم البريء من أقصاها إلى أقصاها^(٣) .

كما يستند بيفير إلى نقطة أخرى يصفها بأنها الحقيقة الدامغة بين كل الحقائق وهي أن الوثنية في القسم الثاني من السفر تبدو شراً متسعاً متسلطاً بين معاصري أنبياء اليهود :

« ضد من تسخرون أنفسكم . . . توقدون أنفسكم للأصنام تحت كل شجرة خضراء تذبحون أطفالكم في الوديان تحت شقوق الصخو . . . »^(٤) .

ولقد لاحظ الباحثون بكل اقتناع أن يهوذا كانت قد تطهرت من الوثنية بعد أن بشتت بها ، وكان هذا التطهر بعد السبي البابلي ، كما أن كثيراً من المفاسد الأخرى والآثام القومية قد أعلن عنها وملأت سجلات ما بعد السبي مثل أسفار عزرا ونحميا وملاخي وهذه الآثام مثل الزواج بالأجنبيات وقهر الأغنياء للفقراء ونقض السبت والامتناع عن العشور وغير ذلك ، ولكن الوثنية لم يشر إليها مطلقاً

(١) وكذلك رأى جورج ل. هورست الذي يقول بأنه ليس هناك أي جزء من إشعيا الثاني (٤٠ - ٦٦)

يمكن أن يكون قد كتب قبل سنة ٥٤٦ . انظر : George L. Hurst; Sacred Literature, P.119.

Charles L. Pfeiffer; The Wycliffe Bible Comm. P.606.

(٢) انظر :

(٣) انظر : ملوك ثان : ٦: ٢١ .

(٤) إشعيا : ٤: ٥٧ ، ٥ ، وقارن كذلك : ٢: ٦٥ ، ٣ ، ١٧: ٦٦ .

وبأي شكل أو صيغة ، وحتى في سجلات ما قبل السبي كان الحديث عنها يكثر وكانت تذكر باشمئزاز كخطيئة لإسرائيل في المقام الأول^(١) .

وعلى هذا فإن النتيجة العقلية الوحيدة التي يخرج بها بفيفر في ضوء هذه الحقيقة هي أن تلك الفقرات المضادة للوثنية قد وضعت قبل السبي ، وبما أن هذه الفقرات منتشرة في بقية الإصحاحات السبعة والعشرين الأخيرة من السفر انتشاراً وثيق الصلة ببقية الفقرات ، فإن ذلك قرينة على أن الإصحاحات السبعة والعشرين الأخيرة كلها قد وضعت قبل سقوط أورشليم سنة ٥٨٦ ق . م .

ثم يؤكد بفيفر أنه لا دليل من خلال النص يعضد نظرية « إشعيا الثاني » أو الثالث ، بصرف النظر عن التحامل الفلسفي ضد إمكانية حدوث النبوءة المتنبئة كما أن الموضوع الوحيد الذي يتلاءم مع محتويات النص هو فلسطين ، والزمن الوحيد للموضوع الذي يتوافق مع مضمون النص هو تاريخ ما قبل السبي ، وبالتحديد أكثر إبان حكم منسي^(٢) كما أن هناك دليلاً آخر على وحدة تأليف سفر إشعيا ، وهو انتشار الوصف الإشعياي المتميز للرب بأنه « الواحد المقدس لإسرائيل » أو « قدوس إسرائيل » وقد ورد هذا الوصف خمس مرات فقط في بقية العهد القديم ، ولكنه ورد اثنتي عشرة مرة في الإصحاحات التسعة والثلاثين الأولى من سفر إشعيا ، وورد أربعين مرة في بقية إصحاحات السفر .

كما أن كثيراً من العبارات المتميزة والاستعارات التي وظفت في الجزء الأول من السفر قد تكررت في الجزء الثاني كله ، ويتضح ذلك بمقارنة

(١) ولكن يمكننا أن نرد على بفيفر هنا بأن البقية التي بقيت في أورشليم ولم تذهب إلى السبي قد شارك الكثيرون منها جيرانهم السامريين في الشمال عبادة الأوثان والانحراف الديني وكثيراً من مظاهر هذا الانحراف (أنظر ملوك ثان ١٧ : ١٩) ، ولكن ليس معنى هذا أن ننكر وجه الشبه الكبير جداً بين ما كان يحدث في عهد « منسي » من موبقات ومفاسد وبين ما ورد في إشعيا (٥٧ : ٤ - ٦) و (٦٥ : ٢ - ٣) بل إن كثيراً من هذا يتفق مع ما كان يحدث في السامرة بعد خرابها (أنظر ملوك ثان ١٧ : ٢٩ - ٤٠) .

(٢) ربما كان حكم « آحاز بن يوثام » كذلك فيه كثير من الشبه بما أشير إليه في إشعيا الثاني . أنظر في صحة هذا ملوك ثان (١٦ : ١ - ٤) وقارنه بما جاء في إشعيا (٥٧ : ٤ - ٥ ، ٦) و (٥٩ : ٧ - ١٧) .

(١٠:٣٥) مع (١١:٥١) و(٩:١١) مع (٢٥:٦٥) و(١١:١، ١٢) مع (٢٤:٤٣)^(١) .

ثم يسوق بفيفر دليلاً جديداً على وحدة السفر من العهد الجديد في سفر يوحنا (١٢ - ٣٨ - ٤١) حيث يستشهد يوحنا في البداية بقول إشعيا (١:٥٣) ثم يستشهد في نفس الوقت بقول آخر لإشعيا في (٩:٦) ثم ينسب القولين إلى شخص واحد بقوله: « قال إشعيا هذا حين رأى مجده وتكلم عنه » .

ويعلق بفيفر على هذا بقوله: « وإذا لم يكن نفس الكاتب هو الذي صدر عنه كل سفر إشعيا فعندئذ يكون الرسول الرائي - أي يوحنا - قد أخطأ خطأ واضحاً وأن جميع سجل إنجيله يكون عندئذ مثار شبهة عدم الثقة »^(٢) .

وإذا كان أصحاب نظرية وحدة السفر في تأليفه وزمنه يسوقون أدلتهم على صحة ما ذهبوا إليه ، ومنهم بفيفر الذي يضيف إلى أدلته القياسية دليلاً آخر كما رأينا يعتمد على العاطفة الدينية فيما أثاره من رؤيته في سفر يوحنا ، فإن أصحاب النظرية المقابلة يعتمدون على استقراء التاريخ والتحليل العقلي في تعضيد ما ذهبوا إليه كما رأينا كذلك ، ثم يقولون إن من طبيعة الرسالة النبوية أن يتناول النبي أحداث ومشكلات عصره ومعاصريه فيعالجها ويحاول إصلاح ما يعيشونه من فساد ، فرسالته إذن متصلة اتصالاً وثيقاً بظروف وقته ، وحتى إذا تناول النبي بعض أمور المستقبل فلا بد أن يكون لهذا النبوءة اتصال أو أساس من تاريخ عصره متفقاً مع متطلبات ذلك الزمن ، فالنبي لا يؤجل وضعه التاريخي مطلقاً ، ولكنه يتكلم من خلاله ، فكذلك كان إرميا وحزقيال مثلاً يتنبأان بالنفي ثم العودة ، وكل من هذين الأمرين المستقبلين ينظر إليهما النبي من خلال الوقت الذي يعيش فيه^(٣) .

وقياساً على هذا فإن نبوءة إشعيا في (٤٠ - ٦٦) تخلو من النبوءة بالنفي ، ولم يعلن فيها عن السبي على أنه أمر سيحييء في المستقبل ، وذلك لأنه كان قد

(١) وقارن كذلك (٩:٦ - ١٠) مع (٨:٤٣) .

Charles L. Pfeiffer, Wycliffe B. Comm. P. 607.

(٢)

George H. Box; Encyc. Brit. Art., Issiah, Vol. XII. P. 702.

(٣)

حدث فعلاً^(١) ، ولكننا نرى فيها تنبؤاً عن الخلاص والعودة ، وعلى هذا فإن صاحب هذه النبوءة لا بد أن يكون قد تنبأ بالخلاص فقط لأنه يعيش في الأسر فعلاً ، هذا إلى جانب الفوارق اللغوية بين الجزء الأول من السفر (١ - ٣٩) وبين الجزء الثاني منه (٤٠ - ٦٦) .

وقد تصدى بعض أصحاب نظرية وحدة السفر للرد على من نسبوا كل نبوءة تتناول بابل والسبي والرجوع منه إلى تاريخ متأخر ومؤلف متأخر ، حتى الفقرات التي وردت في القسم الأول (١٣ : ٢ - ١٤ : ٢٣) ، وكذلك الفقرات التي تناولت الأمم الغربية كبابل وآشور ومصر والحبشة وصور وغيرها (١٣ - ٢٣) وكذلك الإصحاحات التاريخية (٣٦ - ٣٩) ، فهم يردون على ذلك بأن حدوثه في إشعيا ليس بالكثرة إلى الحد الذي ينقلها من ميدان النبوة إلى ميدان التاريخ ، كما أن هذا لم ينفرد به إشعيا وحده ، بل إن الأنبياء الذين عاصروه كانوا مثله في حالة تقرب لكثير من الحوادث التي وقعت فيما بعد فكانوا مثلاً يتوقعون انكماش قوة آشور وقيام قوة بابل ونهوضها وقد تنبأ الأنبياء الذين عاصروا إشعيا بخراب أورشليم والهيكل مثل عاموس (٢ : ٥) ، وميخا (٣ : ١٢)^(٢) ، وتنبأوا بالقضاء على أرض يهوذا كما هو في هوشع (٨ : ١٤) ، وعاموس (٩ : ١١ ، ١٤)^(٣) ، كذلك تنبأ ميخا بسبي يهوذا في (١ : ١٤ ، ١٦)^(٤) ، وتنبأوا بأن الشعب سيسي إلى بابل كما في ميخا (٤ : ١٠)^(٥) ، كما أنهم تنبأوا بالرجوع من السبي مثل يوئيل (١ : ٣)^(٦) ، وكذلك تنبأوا بإعادة بناء الهيكل وأورشليم مثل ميخا (٤ : ٢) مع أنهم سبقوا وتنبأوا بخراب أورشليم مثل ميخا (٣ : ١٢) ويوئيل (٣ : ١٦ - ٢٠) ،

(١) وهنا يرى رجال الكنيسة الكاثوليكية أن الإصحاحات (٤٠ - ٦٦) من سفر إشعيا إنما هي فصول قد ضمت بعضها إلى بعض ضم أعضاء شتى في جسم واحد وأن نزولها كان في أواخر ملك حزقيا أو أوائل ملك منسى (أنظر حواشي الترجمة الكاثوليكية العربية في نبوءة إشعيا) .

(٢) قارن مع ذلك إشعيا (٨ : ٣) ، (١١ : ٦) .

(٣) قارن كذلك إشعيا (٣ : ٢٥ ، ٢٦) و (١١ : ٦) و (١٢ : ٣٢) .

(٤) قارن إشعيا : ١١ : ١٢ .

(٥) قارن إشعيا : ٣٩ : ٦ ، ٨ .

(٦) قارن إشعيا : ١١ : ١١ .

وقد تنبأوا بأن شعوباً كثيرة ستأتي للتعبد في أورشليم مثل ميخا (٤ : ١ - ٣)^(١) .
ولكن هذا الرأي^(٢) يمكن الرد عليه من أصحاب نظرية عدم وحدة السفر
وذلك من خلال حديثهم ونقدهم لفقرات سفر إشعيا الموازية لتلك الفقرات التي
ذكروها ، وقد أثبتنا فقرات إشعيا الموازية لها في الهامش .

وعلى أي حال فإن التاريخ المبكر لسفر إشعيا كما يقول جورج هـ . بوكس^(٣)
مغلف بالغموض ، فالنبي إشعيا نفسه كان في بداية رسالته واعظاً يقدم خطبة
مشافهة ولم تدون هذه الخطب إلا في مرحلة متأخرة^(٤) . كما أن بعض
المجموعات غير الكاملة من خطب وأقوال النبي قد صانها وحفظها تلاميذه « صر
الشهادة ، اختتم الشريعة بتلاميذي »^(٥) ، « وتعال الآن اكتب هذا على لوح ،
وارسمه في سفر ، ليكون لزمان آت للأبد إلى الدهور »^(٦) .

عندئذ دونت مجموعات وبقيت مجموعات أخرى ، ثم ظهرت كلها أخيراً
مع إضافات لاهوتية . كما أنه يمكننا أن نستنتج من سفر حكمه يشوع
Ecclesiasticus (٤٨ : ٢٠ - ٢٥) أن سفر إشعيا هذا كما هو لدينا الآن كان قد تم
وجوده حوالي سنة ٢٠٠ إلى سنة ١٨٠ ق.م .

أما الجزء الأول من السفر (١ - ٣٥) والذي ينسب إلى إشعيا نفسه فقد تم
ظهوره فيما يحتمل سنة ٤٠٠ ق.م . ثم أضيف إليه في وقت متأخر الملحق
التاريخي الذي يشمل الإصحاحات (٣٦ - ٣٩) . وفيما بين سنة ٤٠٠ ، سنة
٢٠٠ ق.م أضيفت إلى المجموعة الإشعائية الأولى (١ - ٣٥) أعمال إشعيا الثاني
والثالث التي كانت مستقلة في البداية ، وليس من المستبعد أن يكون القسم الثاني

(١) قارن إشعيا (٢ : ٢ - ٤) ، (١١ : ١٠) ، (١٨ : ١٧) .

(٢) أنظر د . القس بطرس عبد الملك ود . القس جون الكساندر طمسون في « قاموس الكتاب المقدس »
ص ٨٤ .

G.H.Box; Encyc. Brit. Art. about Issiah, Vol. XII. P.702.

(٣)

(٤) قارن إرميا إصحاح (٣٦) .

(٥) أنظر إشعيا : ١٦ : ٨ .

(٦) إشعيا : ٣٠ : ٨ .

من السفر قد أضيف إلى القسم الإشعائاتي الأول بواسطة إشعيا الثاني نفسه ، ومرجع هذا الاحتمال أن هناك استعمالات لغوية تدور في كل من القسمين .

ويرى « قويفمان »^(١) أن النظرية المسلم بها هي أن السفر قد تكون على مدى أجيال ، وقد اشتمل على كلمات من إشعيا نفسه ، وكلمات من رواية تلاميذه التي تبدلت غالباً بمرور الزمن ، والتي وردت في السفر كأمر شفوية ، كما وردت به كلمات لرواة نبويين من أجيال مختلفة ، ووجدت به إشارات لأحداث حدثت في أيام النبي إلى بابل وأيام ملوك فارس ، وأيام الإسكندر المقدوني أو في أيام الحشمونيين كذلك .

وهناك من الباحثين من يقف من وحدة السفر موقف المحايد^(٢) فيرى ، أنه عند مناقشة السفر سيان أن كان له مؤلف واحد أم اثنان ، فمناقشة هذه المسألة خبط في الهواء لأنه إذا كان هناك أكثر من إشعيا واحد فإنه يجب أن يكونوا أكثر من اثنين بسبب التنوع في الفكرة ، وفي تركيب الجمل ، كما أن القسم الثاني (٤٠ - ٦٦) يفتقر إلى الوحدة الأدبية والترابط الفكري .

وإن الخلفية التي اتخذها كثير من الباحثين للبرهنة على أن الآية « عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم » (١:٤٠) ، لم يكتبها إشعيا نفسه ، يمكن استخدامها للبرهنة على أن الآية (١:٥٨) « ناد بصوت عال ، لا تمسك ، ارفع صوتك كبوق ، وأخبر شعبي بتعذيبهم ، وبيت يعقوب بخطاياهم » لم يكتبها مؤلف الآية (١ : ٤٠) وهذا راجع إلى أن نبياً عظيماً مثل إشعيا قد ترك تأثيراً له اعتباره على من تلاه من الكتاب النبويين .



(١) أنظر : ص ١٥١ . - חוקאל קיז'פמן: תולדות האמנה היהודית

(٢) أنظر : . The Jewish Encyc. Vol. VI. P.641.

سفر صعود إشعيا

غير السفر الذي يحمل اسم إشعيا في العهد القديم هناك سفر آخر تحت عنوان « صعود إشعيا » ولم يرد هذا السفر بين أسفار الكتاب المقدس في النص الرسمي^(١) ، أو تشير إليه النقول على أنه من الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا) . فإن هذا السفر قد نتج عن مزج ثلاثة كتب معفا ، يحمل أولها اسم « استشهاد إشعيا » والثاني « ميثاق حزقيا » ، والثالث « رؤيا إشعيا » .

وهذه الأجزاء تبدو في الأصل أنها وجدت منفصلة كل منها كان مستقلاً عن الآخر وهذا السفر الذي يصفه بوكس Box بأنه ذو أهمية ، كان ظهوره المبكر في القرن الأول الميلادي^(٢) .

أما الاسم الشائع للسفر فهو « صعود إشعيا » والجزء الذي يلائم هذا العنوان من السفر هو مجموعة الإصحاحات (٦ - ١١) .

أما الإصحاحات الأولى (١ - ٥) فهي تشمل الجزءين الأخيرين « استشهاد إشعيا » وهو نقل يهودي أشير إليه في الأصل تحت عنوان « اختفاء إشعيا » ، ثم الجزء الثاني « عهد حزقيا » وكل من « عهد حزقيا » ، و « رؤيا إشعيا » من مصدر مسيحي . أما الجزء الأول وهو استشهاد إشعيا فهو كما سبق من أصل يهودي ويرجح أنه كتب باللغة الآرامية في القرن الأول ق.م. ●

(١) وردت إشارتان إلى هذا السفر في أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٢٢ « وبقية أمور عزيا الأولى والأخيرة كتبها إشعيا بن أموص النبي » والإشارة الثانية في السفر نفسه : (أيام ثان ٣٢ : ٣٢) وسمى السفر فيها « رؤيا إشعيا » وبقية أموثر حزقيا ومراحمه ها هي مكتوبة في « رؤيا إشعيا بن أموص النبي » .

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.703.

(٢)

أما الجزءان الآخران « عهد حزقيا ، رؤيا إشعيا » فهما من أصل مسيحي وقد كتبا باللغة اليونانية في القرن الثاني للميلاد^(١) .

ويحتوي قسم « رؤيا إشعيا » أو « معراج إشعيا » على الإصحاحات (٦ - ١١) ويصف هذا القسم معراج إشعيا إلى السموات السبع وقد أطلق أيبفانيوس Epiphanius على هذا القسم « إشعيا الماهر في الصعود » وأما جيروم Jerome فيسميه « صعود إشعيا » Visio Isaias^(٢) .

والسفر بأكمله موجود الآن في الترجمة الحبشية تحت عنوان Ergata Isayeyas « صعود إشعيا » .

ولكن اسم « صعود إشعيا » في العصور الحديثة أصبح دالاً على الأقسام الثلاثة للسفر .

ولقد افترض عموماً أن الأجزاء المختلفة للسفر قد كتبت في الأصل باللغة اليونانية ، ولكن هذه النظرية بدون شك تصدق على القسمين المسيحيين ، وربما يصدق هذا أيضاً على الجزء الخاص باستشهاد إشعيا مع أن الأرجح أن يكون له أصل عبري أو آرامي^(٣) .

محتوى السفر وتاريخه :

(١) المجموعة (١ : ١ - ١٢ : ٣)

وتشتمل على مقدمة ثم الجزء الأول من استشهاد إشعيا وحديث عن تنبؤ إشعيا في أيام حكم حزقيا ، ثم النص على أن موت إشعيا كان في عهد منسي ، ثم بيان لأثر جبروت منسي وطغيانه مما اضطر إشعيا إلى الهرب في الصحراء مع آخرين كثيرين من الأنبياء ، عندئذ اتهمه بلقيرا Belkira السامري ، ثم قبض عليه

(١) د. القس بطرس عبد الملك ود. القس جون الكساندر طمس « قاموس الكتاب المقدس » ص ٨٥ .

The Jewish; Encyc. P.641.

(٢)

The Jewish; Encyc. Vol. VI. P.642.

(٣)

منسي ذو القلب المفعم بالأحقاد والشورور . وقد احتوى « استشهاد إشعيا » على الفقرات (١ : ١) ، ٢ (أ) ، ٦ ب - ١٣) ، (١ : ٢ - ٨ ، ١٠) (١٢ : ٣) ، (١ : ٥) (أ) - ١٤) وبقية هذا الجزء من العمل الأصلي للسفر ناقص (١) .

وقد قال « أوليجانوس » إن القول الوارد في (عب ١١ : ٣٧) « نشروا » مقتبس من هذا السفر الذي يشير إلى أن إشعيا مات منشوراً في عهد منسي (٢) .

(٢) المجموعة (١٣ : ٣ - ١ : ٥) (أ)

وتشتمل هذه المجموعة على الجزء المسمى بـ « عهد حزقيا » . ولكن بوكس يحدد هذا الجزء بالفقرة (١٣ : ٣ - ١٨ : ٤) ويقول إن هذا الجزء جاء في شكل مبتور دون بداية أو نهاية .

وهذا القسم يمثل رؤية مسيحية ، قدمها هنا المنقح المسيحي الذي نقح السفر كله ، لكي يفسر غضب « بليار Beliar » ضد إشعيا بسبب النبوءة المذكورة أخيراً عن خراب sammael أو (Satan) ، واقتداء العالم بالمسيح ، واضطهاد الكنيسة على يدي (نيرون Nero) ثم القضاء النهائي .

(٣) المجموعة (١٤ - ١ : ٥) (أ)

وتشتمل على خاتمة استشهاد إشعيا في زمن بلقيرا Belkire ومن عاصره من أنبياء كذبة آخرين كانوا سبباً في قتل إشعيا بمنشار خشبي حين رفض الارتداد عن الدين .

(٤) المجموعة (١ : ٦ - ١ : ١١ - ٤٠)

وتشتمل على رؤيا إشعيا ، في السنة العشرين من حكم حزقيا رأى إشعيا رؤيا قصها على الملك وحاشيته وهي : « أن إشعيا قد أخذه ملاك إلى السموات السبع وفي السماء السابعة رأى الأبرار الراحلين ومن بينهم « آبل Abel » ،

و «أخنوخ Enoch» ، وأخيراً رأى الله ذاته ، «وعندئذ رأى كل تاريخ المسيح» .
وهذه النبوءة ما يزال نموذجها الأصلي موجوداً مستقلاً في النسخة اليونانية
وهو يختلف في اعتبارات كثيرة - عن الشكل الذي أعيد فيه نشره على يدي كاتب
السفر كله ، فقد أخذ هذا الكاتب الوثائق الثلاث المذكورة في ترتيب السفر ،
وفيها كما عرفنا واحدة من أصل يهودي ، والأخريان عن أصل مسيحي ، ثم حذف
ما شاء وأضاف ما أراد ، ووسع فيها بما يتفق مع غرضه ، ثم وضعها سوياً كما هي
الآن في النص الذي بين أيدينا^(١) .

وبالنظر إلى تواريخ أقسام السفر الثلاثة المختلفة نجد أن الوثيقة الأولى أو
القسم الأول «استشهاد إشعيا» يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي ، وأما
الثانية «عهد حزقيا» فإن تاريخها ينحصر ما بين سنة ٨٨ ، سنة ١٠٠ بعد
الميلاد ، والثالثة «رؤيا إشعيا» فتاريخها يرجع إلى نهاية القرن الأول الميلادي .
ولكن العمل كله بالصورة التي هو عليها الآن ربما لا يكون تاريخه أكثر قدماً من
النصف الأخير من القرن الثاني .

(٥) أما الفقرة (١١ : ٤١ - ٤٣)

فهي إضافة تمثل المقال الرئيسي الذي يشير إلى أنه قد قيل «بحسب هذه
الرؤى والنبوءات فإن (Sammael) (Satan) قد تسبب في قتل إشعيا بن أموص
منشوراً بيدي منسي» .

وكانت أكثر الأبحاث أهمية في هذا السفر هي أبحاث ديلمان Dillmann^(٢)
وكذلك تشارلز Charles^(٣) .

G.H.Box; Encyc. Brit. Vol. XII. P.703.

Dillmann; Ascensio Isaiæ Aethiopice et Latine, Leipsic; 1877.

R.H. Charles; The Asention of Isaiah. (1900). In the Apocr. and Pseudepig of the O.T. Vol. II.
PP. 155- 172.

أما نتائج ديلمان Dillmann فقد ارتضاها كثير من علماء الباحثين ومن هذه

النتائج:

- ١- أن الاستشهاد متضمن في (١:٢ - ١٢:٣) ، (١٤ - ٢:٥) .
- ٢- الرؤيا (المسيحانية) متضمنة في (١:٦ - ١:١١ ، ٢٣ - ٤٠) .
- ٣- وأن هذا كله قد وحد بينه المنفح المسيحي الذي أضاف الإصحاح الأول ما عدا الآيتين (٣ ، ٤ «أ») . كما أضاف كذلك (٤٢:١١ - ٤٣) .
- ٤- إضافات متأخرة هي : (٣:١ - ٤ «أ») ، (١٣:٣ - ١:٥) (١٥:٥ - ١٦) ، (٢:١١ - ٢:٢٢ ، ٤١) .

ثم جاء ر. هـ. تشارلز R.H. Charles وعدل في هذه النتائج التي توصل إليها ديلمان Dillmann على النحو التالي :

- ١- الاستشهاد ويشمل (١:١ - ٢ «أ» ، ٦ ب - ١٣ «أ») ، (١:٢ - ١٢:٣) ، (١٤ ب - ١:٥) .
- ٢- أما المجموعة (٣:٣ - ١٣:٤ ب - ١٨:٤) فهي تعتبر عملاً منفصلاً أضافه الكاتب الأول للعمل كله ، ربما قبل أن تكتب كل من الترجمة اللاتينية واليونانية .
- ٣- رؤيا إشعيا وتشمل (١:٦ - ٤٠:١١) ، (٢:١١ - ٢:٢٢) وهي هكذا تبدو جزءاً متمماً لهذا القسم .
- ٤- والإضافات الرئيسية التي تمثل المقال الأساسي تتمثل في (٢:١ ب - ٦ «أ» و ١٣ ب) ، (٩:٢) ، (١٣:٣ «أ») ، (١:٤ «أ» ، ١٩ - ٢٢) (١:٥ «أ» ، ١٥ - ١٦) ، (٤٣ - ٤١:١١) .

وبالنظر إلى الإصحاح الأول فإن وجهة نظر ديلمان Dillmann فيه تبدو أكثر قبولاً لدى الباحثين ، كما أن نتائج ر. هـ. تشارلز R.H. Charles الخاصة بـ «عهد حزقيا» مقنعة جداً ، ومن خلال الأحداث الداخلية في السفر بمقارنتها بالأحداث المستخلصة من اقتباسات كتابات القرن الثاني وما يليه يكون من الأوفق أن تستنتج كما يرى بعض الباحثين^(١) أن الأجزاء الثلاثة للسفر قد كتبت خلال القرن الأول الميلادي .

(1) The Jewish Encyc. Vol. VI. P.643.

ويحتوي سفر « صعود إشعيا » على ثلاثة ملامح رئيسية لها ما يوازيها في الأدب اليهودي ، وهذه الملامح الثلاثة هي « أسطورة موت إشعيا » ، و « خرافة بليار » و « فكرة السموات السبع » .

١ - أسطورة موت إشعيا :

وذلك في حكم منسي وقد قامت هذه الأسطورة على ما جاء في سفر الملوك الثاني (١٦ : ٢١) « وسفك دمأ كثيراً . . » هذه الأسطورة قد تكررت مرتين في التلمود البابلي ، وكذلك في التلمود الأورشليمي في ترجمة إشعيا .

وفي التلمود البابلي تقرر هذه الأسطورة أن إشعيا حين هرب من وجه منسي اتخذ ملاذاً له في شجرة سدر ، ثم جاء منسي فنشر الشجرة نصفين . وهذا الشكل الذي صيغت فيه الأسطورة ربما يفسر لماذا في قصة صعود إشعيا الإثيوبية جاء أن اشعيا قتل نشرأ بالآلات نشر خشبية .

٢ - بليار Beliar :

وقد عرّف بـ « ساتان » Satan في عهود ما بعد الكتابات المقدسة . وقد ورد كثيراً في الأسفار المحذفة « أبو كريفا » مثل سفر « جوبيليز » Jubilees وسفر أخنوخ الإثيوبي ، وعهود الآباء الاثني عشر ، وأسفار سيبيلين Sibylline وقد قيل في سيبيلين (٦٣ : ٣) « إنه يأتي من السامرة التي تستعيد اشترك بليار Beliar مع بلقيرا Belkira في سبب مقتل إشعيا .

وخرافة بليار تظهر فيها آثار واضحة لقصة التنين البابلية القديمة ، بل ربما كانت أسطورة بليار Beliar تحويراً يهودياً لأسطورة التنين البابلية^(١) .

(1) R.H. Charles, The Ascention of Isaiah; P.P.55 F.

(٣) قصة رحلة إشعيا إلى السموات السبع :

كانت بدون شك قد تأثرت بأسطورة أخنوخ .

وفكرة السموات السبع قد عرفت جداً في اللاهوت اليهودي ، وقد ناقشها ر. هـ. تشارلز ، فيما بعد في مؤلفه « أسرار أخنوخ » Secrets of Enoch وحتى في القرن الثالث الميلادي قد قيل عن « ربي يشوع بن ليفي » أنه قد صعد في رحلة إلى السماء والجحيم .

ومن مناقشة سفر صعود إشعيا تاريخياً ومناقشة سفره الأصلي رأينا اختلاف الباحثين في محاولة إثبات أن السفر ليس لمؤلف واحد وكان اعتمادهم في ذلك على مدى صلة فقرات سفر إشعيا بالأحداث التاريخية ، ثم رأينا مدى اختلاف الباحثين في نسبة كثير من الفقرات إلى تاريخ محدد مما يجعلنا نخرج بنتيجة واضحة أن السفر غير مرتب ترتيباً تاريخياً معيناً ، وأنه بالإضافة إلى ذلك يكتنفه الغموض في كثير من المواضع ، وهذا سر اختلاف الباحثين في تحديد زمن معين له كما أن المناقشة وضحت أن السفر ليس لمؤلف واحد بل لاثنتين أولهما إشعيا النبي وله الإصحاحات التسع والثلاثون الأول مع وجود فقرات وكلمات مقحمة عليه والقسم الثاني من السفر وهو الإصحاحات السبعة والعشرون الأخيرة (٤٠ - ٦٦) لمؤلف آخر كان يعيش في فترة السبي وبعدها بقليل . . .

وإكمالاً لترجيح هذه النتيجة لا بد بالإضافة إلى القرائن التاريخية من أن نضيف إليها القرائن اللغوية التي تثبت عدم وحدة السفر وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني من هذا الباب .

مكتبة التراث الإسلامي

الفصل الثاني

لغة السفر

إلى جانب الدلالات التاريخية التي تعتمد على الأحداث وتاريخ وقوعها في إثبات عدم وحدة السفر ، هناك أيضاً الدلالات والقرائن اللغوية التي استند إليها الباحثون لإثبات أن السفر كله ليس من عمل إنسان واحد .

وبالنسبة إلى ما رأيناه في تحقيق النص من الوجهة التاريخية ومدى ما ظهر من اختلاف الرأي بين الباحثين في معظم فقرات السفر من أوله حتى آخره بل في الفقرة الواحدة تذهب آراء الباحثين مذاهب شتى في نسبة الفقرة إلى تاريخ معين كان ذلك بسبب غموض النص واضطرابه .

والجانب اللغوي له أهميته في بيان مدى صحة القول بتقسيم السفر من خلال دراسة الأسلوب المتبع في التعبير وبيان ما إذا كانت هناك قرائن لغوية تقوم في أقسام السفر دليلاً على عدم وحدته ومدى قوة هذه القرائن .

وإتماماً لما بدا في الدراسة السابقة بالتحليل التاريخي للسفر وما ظهر في النص من غموض واضطراب آثرت أن أبدأ الجانب اللغوي بإثبات مدى اضطراب النص وغموضه لغوياً في السفر مما حير المفسرين وجعلهم يختلفون في الرأي أمام مواطن الغموض .

ولما كان من الصعب إجراء هذه الدراسة وإثبات اختلاف المفسرين في كل إصحاحات السفر لكثرة الاختلافات وكثرة الإصحاحات ، فقد آثرت أن أختار عشرة الإصحاحات الأولى من السفر ، ومرجع هذا الاختيار هو أن هذه الإصحاحات العشرة الأولى يكاد يجمع كل النقاد والباحثين على أنها من عمل إشعيا بن أموص نفسه ، هذا إلى جانب أن هذه الإصحاحات تشتمل على نوعيات

من أسلوب إشعيا في بداية عمله النبوي وفي أواخره كذلك .

فالإصحاح السادس من المؤكد أنه يمثل بداية العمل النبوي عند إشعيا إذ يصور مشهد تكليف إشعيا بالرسالة النبوية حين ظهر له (يهوه) في المعبد يحف به الملائكة الناريون بأجنحتهم .

ويمثل الإصحاح الأول من السفر نوعاً من أخريات نبوءاته حسب أقوال الباحثين التي أثبتتها في الدراسة التاريخية للسفر .

يضاف إلى هذا أن المجموعة الأولى من سفر إشعيا تشكل خلاصة وافية غير مخلة لكل نبوءات إشعيا .

١ - حالة النص في النصوص الشرعية

الإصحاح الأول :

(آية : ٥) **עַל-מַה-תִּכְרֹם עַד הַסִּינַי סִינַי בְּלִרְאֵשׁ לְהִלָּל וְקַלְלֵבב יְיָ:**

« علام تضربون بعد . تزدادون زيغاناً . كل الرأس مريض وكل القلب سقيم » .

وقد صحح « كيتل »^(١) أول الآية بـ **עַד מָה** بمعنى إلى متى ...

ويستشهد على ذلك بالمزمور (٧٩ : ٥) : **עַד-מָה יְהוָה יְתַאֲנֶן לְנַפְח**

« إلى متى يا رب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك » .

والكلمة سواء أكانت « على أي شيء تضربون » أم كانت « إلى متى

تضربون » فهي في كلتا الحالتين تفيد الكثرة في ارتكاب الآثام التي تجلب عليهم الأذى ، والأسلوب هنا استفهام إنكاري .

والفعل **تُضْرَبُونَ יַעֲרֹב** مبني للمجهول وهذا قليل فيها . ومعناه

Rud Kittel; Biblia Hebraica; P.553.

(١)

تصابون : أي متى تصابون أو تتمادون في غيكم ؟ والآية التالية تؤكد ذلك .

אַרְצְכֶם שֶׁסָּמְדָה עֲרֵבְכֶם שָׂרְפֹת אֶשׁ אֲרֻמְתְּכֶם לְנִיבְכֶם וְרִים
אֲבָלִים אֲתָה וְשֶׁסָּמְדָה כְּמִסְכַּת וְרִים؛

« بلدكم موحشة ، قراكم محرقة بالنار ، أرضكم أمامكم يأكلها الأجانب ، وهي خربة كانقلاب الغرباء . »

والشاهد هنا في آخر الآية פֶּמַח פְּצֹקֶת וְרִים

فترجمتها « كانقلاب الغرباء » غامضة ولذلك يصحح كيتل الكلمة الأخيرة וְרִים ويقول إن أصلها סָדִים وعلى هذا يكون المعنى « أرضكم خربة كتدمير سدوم » وترجمها سعديا الفيومي بقوله « وبعضها خاوية كهفخ السيول » وعلى هذا يكون سعديا قد قرأها וְרִים أي سيل بدلاً من וְרִים - غرباء^(١) .

(آية : ٨) וְהָיְתָה בְּתַלְמֵי יְרֵחוֹ כְּכַרְסֵי כְּמַלְוָה כְּמַקְשָׁה בְּעֵדֵי הַנְּעֻדָה؛

« وَخُلِفَتْ بَنَت صِهْيُونَ (أورشليم) كعريش في كرم ، كناطور في حقل قثاء ، كَبَارَةٌ ضَرْبِهَا الْحِصَار . »

والخلاف هنا في آخر كلمة « כְּכַזְרָה » « فقد ترجمها سعديا الفيومي « كقصرية مخصصة » من الخُص כַּז . ويرى كيتل أن أصلها بالحولم وليس بالصيري ، من כַּזַר

(آية : ١٥) : וּבְקָרְשֶׁכֶם בְּפִיכֶם אֲבָלִים עֵדֵי כְּכֶם גַּם בְּיַתְרֵיבֵי הַשָּׂדֶה
אֲיֵבָה שְׂבִיבָה בְּרִיכֵם דְּמִים כְּלֵאָה؛

والشاهد هنا في الرمز الديني الذي تحتوي عليه الآية : فتفسيرها الظاهري هو : « وعندما تبسطون أكفكم أرفع عيني عنكم ، كذلك عندما تكثرون الصلاة فلن أسمع ، أيديكم ملأنة دماً » .

وقد فسرها سعديا الفيومي تفسيراً معتزلياً حين قال : « وعند بسطكم كفيكم

(١) سعديا بن سعيد الفيومي : في الترجمة العربية للتوراة بحروف عبرية .

أحجب رحمتي عنكم ، وأيضاً إن أكثرتم من الصلاة لا أسمعها فأيديكم بالمعاصي مملوءة» .

وقد زادت مخطوطة البحر الميت^(١) على هذه الآية ما يأتي :

אֲבָעִיכֶם בְּעֵלְאִוֶן « وأصابعكم بالإثم مملوءة » .

לְפָנֵי הַיָּיִט הַדָּשָׁן בְּשֵׁפֶט אֲשֶׁרֶה חֲסִיץ לְפָנֵינוּ יְתוֹם
רִיבֵנו אֲלֻמְנָה : (آية : ١٧)

« تعلموا الإحسان ، ابحثوا عن العدل ، قوّموا المنحرف ، احكموا لليتيم أنصفوا الأرملة » .

والشاهد هنا هو : « אֲלֻמְנָה חֲסִיץ » بمعنى قوّموا المنحرف ، وترجمها سعديا بقوله : « أرشدوا المتهور » ، ولكن كيتل يذكر أن كلمة חֲסִיץ جاءت بالاشورق بدلاً من الحولم في الترجمات السبعينية ، والترجوم والسريانية والفولجانا اللاتينية ، وربما أصل النص الماسوري بالاشورق كذلك ، وكتابتها بالاشورق تجعلها اسم مفعول من الفعل بمعنى ظلم - نهر - تعدّى على . . وعلى هذا قالت الترجمة العربية البروتستانية « أنصفوا المظلوم » والترجمة الكاثوليكية الانجليزية^(٢) Help the oppressed أعينوا المقهور .

(آية : ١٨) : לְכַרְמָא וְנִיכְרָה יֵאָסֵר הַחֵם אֲבִיבֵיהּ חֲטָאִיבֵךְ שְׁחִיבֵךְ
בְּשִׁלְלֵךְ יִלְבִּיט אֲסִיִּיאִיבֵינוּ בְּחִלְלֵךְ בְּנִמְרֵךְ קָדִישׁ :

« هلم نتحاجج بقول الرب ، إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ، وإن كانت حمراء كالودوي تصير كالصوف » .

والشاهد هنا كلمة « כְּזָהָבִים » - كالقرمز .

يقول كيتل : إن الكلمة وردت في السبعينية وفي اللاتينية والسريانية

(١) אלעזר ליפא סוקניק : "מגילות גניזות"

The Jerusalem Bible; London, 1968.

(٢)

والفولجاتا « כַּלְעִיָּה » - قرمز - قرمزي اللون ، وكذلك في مخطوطات البحر الميت .

(آية : ٢٥) : «אֲשִׁיבָה יְדֵי עֲלָיָה וְאֶעְרָף בְּזַר סָבִיב וְאֶסְרֶה כֶּלֶךְ כְּדִלְיָה
« وأعود بيدي نحوك فأسبك معدنك الخبيث كأنه بالبورق وأنزع كل شوائبك » .

والشاهد هنا كلمة « כַּבֵּד » ، ويصححها كيتل « יַפְרָה » - أي بالكور أو الكبير وهو أنسب للمعنى هنا ، وعليها سارت الترجمة الكاثوليكية الإنجليزية «I Will smelt away your dress in the furnace»^(١) .

(آية : ٢٧) : «צִיֹּן בְּמַשְׁפַּחַת הַפָּרָה וְשָׂבִיבָה בְּעָרְקָה :
« صهيون تفدي بالحق وتائبوها بالبر » .

والشاهد هنا كلمة « עָרַב » : فقد ترجمها البروتستانت كما رأينا بكلمة « تائبوها » على أن الكلمة עָרַב بمعنى تاب أو عاد إلى الله . . . وهكذا الترجمة الكاثوليكية الإنجليزية . ولكن سعديا ترجمها بقوله : « راجعوها » أي الراجعون إلى صهيون بعد السبي . وكيتل يقول إنها في السبعينية والسريانية עָרַבָה أي سبها ، وبعض المصححين قالوا إنها : « אָרַבָה » - أي قاطنوها .

(آية : ٢٩) : «כִּי יִבְשׂוּ מַאֲלִים אֲשֶׁר חִמְדִּיתֶם וְהִדְפְּרוּ סִבְעֹת אֲשֶׁר
« لأنهم يخجلون من أشجار البطم التي اشتהيتموها ، وتخزون من الجنات التي اخترتموها »^(٢) .

والشاهد هنا في كلمة : « יִבְשׂוּ » يخجلون إذ الضمير فيها للغائبين والكلام في الآية موجه للمخاطبين ، وعلى هذا يكون من الأنسب أن تكون الكلمة

The Jerusalem Bible.

(١)

(٢) جاء في التعليق على هذه النبوءة أنها قد تكون ضد السامرة ، أنظر المرجع السابق ص ٩٧٣ .The

Jerusalem Bible.

תַּכְּשׁוּ לַמְخַاطِبִּין ، وبهذا النص وردت الكلمة في ثلاث مخطوطات للترجمون
كما يقول كيتل .

كما أن الترجمة السبعينية والسريانية تبقى كل منهما على الفعل يخجلون
لجماعة الغائبين وتصححان الفعل תַּכְּשׁוּ إلى جماعة
الغائبين תַּכְּשׁוּ

(آية : ٣١) : וְהָיָה הַחֶסֶן לְנֹעֶרֶת וְיִפְעְלוּ לְיַצֵּחַ וְיַעֲרֹךְ שְׁנֵיהֶם יַחְדָּו
וְאִין מְבַדֵּה :

« ويصير القوى كالمشاقة (كالعصف المأكول) وعمله شراراً ، فيحترقان
كلاهما معاً وليس من يطفىء » .

ويصحح كيتل كلمة וְיִפְעְלוּ بـ וְיַעֲרֹךְ

وفي مخطوطة البحر الميت تصحح كلمة הַחֶסֶן وكلمة
וְיַעֲרֹךְ إلى . הַחֶסֶן וְיַעֲרֹךְ

الإصحاح الثاني :

(آية : ٢) : וְהָיָה בְּאַחֲרֵית הַיָּמִים נֶכֶן יִהְיֶה הַר בְּיַתְדֵיהֶם בְּרֵאשִׁי
הַהָרִים וְהָיָה מְבַבְּעוֹת וְנִהְיֶה אֶלְזֵן קִלְבֵּנִים :

« ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت هيكل الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال
ويرتفع فوق التلال ، وتجري إليه كل الأمم » .

وقد ترجم سعديا الفيومي هذه الآية بقوله : « فيكون في آخر الزمان أن
يكون جبل بيت الله مهيباً على رؤوس الجبال ، وسنيا (مرتفعاً) من اليفاع ويقبل
إليه جميع الأمم » ، وقد استعمل سعديا هنا كلمة مهيباً ترجمة للعبرية יָבֵן

وهي صيغة יַעֲרֹךְ من الأصل פָּדַן ولم يستعمل الثلاثي منه مع أن
معنى الكلمة « ثابت » أو راسخ وجاءت منها הַיָּבֵן הַיָּבֵן - أعد - يعد -
جهز - يجهز ومنها أخذ سعديا הַיָּבֵן הַיָּבֵן - استعد - (كون نفسه) .

وقد زادت السبعينية וְכִי תִּבְנֶה אֱלֹהִים (وبيت إلهوهيم) بعد كلمة
יָבֵן הַיָּבֵן . وفي هذا إشارة إلى مصدرين هامين من

مصادر الشريعة اليهودية وهما المصدر اليهودي في الجنوب ، ثم المصدر الإلهيمي في الشمال .

(آية : ٦) : **בְּיַחֲזֵקָה עִמָּךָ בֵּית יַעֲקֹב בְּיַחֲזֵקָה מִקֶּדֶם וְהָיָה כְּפִי אֶלְהִים**
וְכַיֵּלֶם יְהוָה יִשְׁפָּטֵם:

« فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب ، لأنهم امتلأوا من المشرق وهم عائفون كالفلسطينيين ويصافحون أولاد الأجانب » .
 بداية الآية لم ترد في السبعينية واللاتينية للمخاطب بل للغائب :

בְּיַחֲזֵקָה עִמָּךָ יֵשׁוּעַ كذلك يصحح كيتل^(١) كلمة **בְּמִקְדָּם** . فيفترض أنها **בְּמִשְׁמַרְבָּם** ، وعلى هذا يستقيم المعنى إذ يصبح « امتلأوا سحراً » بدلاً من « امتلأوا من المشرق » ، ويؤيد هذا التصحيح ما يرد في الآية بعده حين يذكر أنهم يشتغلون بالعيافة كالفلسطينيين . وفي الترجمة الإنجليزية الكاثوليكية^(٢) « لقد امتلأت الأرض بالسحرة ، امتلأت بالعرافين كالفلسطينيين » ، أو أن يكون التصحيح بالإبقاء على كلمة **בְּמִקְדָּם** وتحويل كلمة **יֵשׁוּעַ** إلى **קִרְבָּנֵם** ليكون المعنى ملائماً لما بعده ، كذلك « عرافون منذ القدم . وشتغلون بالعرافة كالفلسطينيين » .

على أننا نجد سعديا الفيومي يترجمها بقوله : « فإنك قد وذرّت مذهب قومك يا آل يعقوب ، وقد اتبع قومك سبل القدم ومتفائلون كالفلسطينيين وبنوآشيء الغرباء يكتفون » .

ف نجد ترجمة سعديا لآخر الآية في قوله : « بنوآشيء الغرباء يكتفون » قد تأول كلمة أولاد هنا على أنها نتاج الغرباء أو ما ينشأ عنهم من عادات وثنية ، ولكي يتم سعديا ما أراد من معنى فقد ترجم كلمة **בְּנֵי־אֲשֵׁי** بقوله يكتفون بدلاً من يصفقون من الفعل **בָּיַפּ** أو **בָּיַפְּם** الذي يعطي كلا المعنيين صفق أو كفى .

ولكيتل تصحيح جميل لكلمة **בְּיַחֲזֵקָה** إذ يقترح أنها **בְּיַחֲזֵקָה**

R.K. (B.H.) P.553.

(١)

The Jerusalem Bible.

(٢)

وعلى هذا يكون المعنى « وبأيدي الأجانب يصفقون » بدلاً من « وبأولاد الأجانب » .

(آية : ٩) : **וַיִּשָׁח אָדָם וַיִּשְׁפָּל אִישׁ וְאִלְתָּא לְאִים :**

« وينخفض الإنسان ، وينطح (يسفل) الرجل ، فلا تغفر لهم » .

ويرى كيتل أن في آخر هذه الآية تحريفاً وصحته : **וַיִּשָׁח וַיִּשְׁפָּל -**

לְאִים = فلا تكون لهم رفعة ، ويتفق تصحيح كيتل هنا مع ترجمة سعديا الفيومي « ينخفض الأدميون ، ويتضع الناس ولا تساني لهم » (التساني هنا من السناء) . وهذه العبارة الأخيرة من الآية محذوفة في مخطوطة البحر الميت .

(آية : ١٠) : **וְאֵלֶּה הַמִּצְוֹת אֲשֶׁר צִוָּה יְהוָה וְיִשְׂרָאֵל וְיִשְׂרָאֵל :**

« ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته » .

ويرى كيتل أن الآية محذوف منها ما يكملها وهو : **וְיִשְׂרָאֵל -**

לְעַרְץ הָאֲרֶז : « عند قيامه ليرعب الأرض » ويتضح ذلك بمقارنة هذه الآية بالآية (١٩) من نفس الإصحاح . ولكن مخطوطة البحر الميت لا وجود فيها لهذه الآية إطلاقاً . وربما كان هذا هو الأصل .

(آية : ١١) : **וַיִּלְךָ וַיִּבְרַח אָדָם שָׂפָל וְשָׁח רַגְלָם אֲלֵאֲשֵׁיִם וְנִשְׁקַב הָדָה לְבַיִת יְיָ :**

« وتوضع عينا تشامخ الإنسان ، وتخفض رفعة الناس ، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم » .

ليس لكيتل هنا غير تصويب بسيط وهو إضافة واو الجمع للفعل **וְנִשְׁקַב** لأنها متعلقة بغير المفرد **וְיִי** .

أما مخطوطة البحر الميت فإنها تتناول نفس الكلمة **וְנִשְׁקַב** وتجعلها **וְנִשְׁקַבְתָּ** ، والفعل الماضي المعتل **וְנִשְׁקַב** تجعله مضارعاً يفيد الماضي بعد دخول واو القلب عليه **וְנִשְׁקַב**

(آية : ١٢) :

כִּי אִם לְיָדֶיךָ צְבָאוֹת עַל כָּל הָאֱלֹהִים יְהוָה יְהוָה יֵלֵךְ כְּלֵי־חַיָּתַי וְהָפַל :

« لأن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال ، وعلى كل مرتفع فيوضع » .

يصحح كيتل الكلمة الأخيرة וְהָפַל ويجعلها וְיָבִיחַ وهكذا وردت في السبعينية فتكون : « على كل مرتفع ومتعال » ودليل ذلك أن كل ما تكلم عنه بعد ذلك أشياء عالية حتى آية (١٧) والمقصود بيوم الرب هنا هو الانتقام من أعداء بني إسرائيل^(١) .

وحذف في مخطوطة البحر الميت וְהָפַל الثانية وأثبتت كلمة וְהָפַל بعد واو العطف .

(آية : ١٦) : וְעַל כָּל־אֲנָזוֹת תִּרְשִׁישׁ וְעַל כָּל טַבִּיחוֹת הַחַמְדָּה :

« وعلى كل سفن ترشيش^(٢) ، وعلى كل الأعلام البهجة » .

وكلمة וְהָפַל يصححها كيتل إلى טַבִּיחוֹת فيصبح المعنى « وعلى كل قوارب التلذذ » ، ومما يجعل تصحيح كيتل مقبولاً أن كلمة וְהָפַל لم ترد في الكتاب المقدس كله إلا في هذا الموضع مما يرجح أنها في الأصل كما قال كيتل حين يحيلنا على يونس (١ : ٥) ليدلل على ورود كلمة « سفينة » : וַיֹּאזְנֶה יָרֵד אֶל־יַרְבֵּית־הַסְּפִינָה « ونزل يونس إلى جوف السفينة » .

(آية : ١٨) : וְהָפַל כָּל־הָאֱלֹהִים : « والأصنام كلها تزول » .

ويتفق كيتل مع مخطوطة البحر الميت في تصحيح الكلمة الأخيرة بوضعها في صيغة الجمع וְהָפַל لأنها تعود على جمع .

(١) دكتور حسن ظاذا : الفكر الديني الإسرائيلي ، ص ١٠٩ .

(٢) ترشيش هي طرطوس بأسبانيا ، وسفن ترشيش يقصد بها هنا المراكب الضخمة في المحيط .

ولكن قد تكون الآية **וְאֵלֶיךָ יָשׁוּבֶנָּה** دون جمع الكلمة الأولى **יָשׁוּבֶנָּה** لكي تعمل نوعاً من الموسيقى مع كلمة **יָשׁוּבֶנָּה** بعدها ، وهذه سمة من سمات أسلوب إشعيا ، ولافرادها سبب آخر ديني وهو وضعها في مقابل الله الحق : **יְהוָה**

ولكن ترجمة سعديا تبقي النص كما هو « والأوثان جملة يمضيها » إذ جعل الفاعل للفعل (يزول) مستتراً ليعود على يهوه .

בְּכָאן בְּסִמְכוֹת צְרִים וּבְמַחְלָוֹת עֵפֶר כִּפְלֵי סַחַד דְּהָרָה
(آية : ١٩) : **בְּמַחְרָר נֶאֱמַר בְּכֹיכֵי לַעֲרֹךְ הָאָרֶץ :**

« ويدخلون في مغاور الصخور وفي حفائر التراب ... » .
ويقترح كيتل تصحيح الفعل في أول الآية بتحويله من الماضي إلى الأمر فيكون - ادخلوا ، وذلك على ضوء ما سبق في الآية العاشرة **בְּזֶה בְּהִיָּר** **וְהַפְּסִיחַ בְּעֵפֶר** « ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب » .

(آية : ٢٠) : **בַּיּוֹם הַהוּא יִשְׁלַח הָאֱלֹהִים אֶת אֱלֹהֵי כֶסֶף וְאֶת אֱלֹהֵי דָהָב אֲשֶׁר עָשְׂרָה לְהַשְׁמִיכוֹת לְחַפְּרֵי פְרוֹת וְלַעֲסִלָּסִים :**

« في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي صنعوها له للسجود للجرذان والخفافيش » .
وفي السبعينية (نسخة الاسكندرية) وردت كلمة **עֲשִׂיה** بدلاً من **עֲשִׂיה** التي في النص العبري ، وبذلك يكون الانسان هو صانع أوثانه بيده ولكن سعديا الفيومي يجعل الفعل مبنياً للمجهول فيقول : « التي صنعت له » ، وفي مخطوطة البحر الميت **אֲנִשָּׁר עֲשִׂיה אֲנִשָּׁר עֲשִׂיה** .
التي صنعتها أصابعهم . وهذه أقرب إلى ما ورد في السبعينية .

أما بقية الآية فترجمتها عند سعديا الفيومي في كلمة **לְחַפְּרֵי פְרוֹת** هي : « لأكلي الثمار » وربما كانت ترجمة حرفية للنص العبري .

ولكن الكلمة وردت في مخطوطة البحر الميت وفي الترجمة اليونانية لثيودوسيوس بمعنى (الجرذان) ، والفرق بين المخطوطة وبين كيتل أن المخطوطة جمعتها جمع مذكر **לְחַפְּרֵי פְרוֹת** وعند كيتل مجموعة جمع مؤنث

לְחַפְרָפְרוֹתַת فِي الْأُولَى يَكُونُ الْمَفْرَدُ : חֲפְרָפְרָ
 والثانية חֲפְרָפְרָת חֲפְרָפְרָה (١) .

الإصحاح الثالث :

(آية : ٣) : שְׂרָחֲמָשִׁיב וְנִשְׂוֹא פָנָיִם וְיוֹעֵץ חֲכָמִים חֲרָשִׁים
 וְנִבְוֵן לְחָשׁ :

« رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناعات والحاذق بالرؤية »

يرى كيتل حسب بعض المصححين أن חֲפְרָפְרָתֵם تصحيحها
 חֲפְרָפְרָתֵם فيكون المعنى رئيس المسلحين بدلاً من رئيس الخمسين ،
 وقريب من هذا ترجمة سعديا الفيومي « رئيس قومه » ، وكذلك يصحح كيتل
 וְחָכִים וְחָרְטָמָם فيجعلها וְחָכִים أي حكيمة الصناعات ،
 وقريب من هذا ترجمة إدوارد دورم (وخبير الصناعات) وسعديا يقول : « أستاذ الصناعات » .
 كذلك يترجم دورم كلمة פְּרָפְרָה בְּרַגְלֵי חָשִׁי (٢) وكلمة
 בְּבֹרֵךְ לְחַנְיָא بالفاهم بالهمهمة ، أما ترجمة سعديا لهاتين الكلمتين
 فهي « الوجيه » و« الفهم اللطيف » .

(آية : ٥) : וְנִנְשָׁה הָעָם אִישׁ בְּאִישׁ וְאִישׁ בְּרֵעֵהוּ וְיָחֲבֹדוּ הַנְּעָרִים
 בְּבָנָם וְהַנְּקָיִתָה בְּנַכְבָּדָה :

« ويطغى الشعب كل امرئ على أخيه وكل إنسان على صاحبه يستبد الغلام
 بالشيخ ، والحقير بالعظيم » .

والكلمة الأولى בְּבָנָם بمعنى ظلم أو طغى وهي من الكلمات قليلة
 الدوران في العهد القديم إذ لم ترد أكثر من ثلاث وعشرين مرة منها ثماني مرات في
 إشعيا .

R. Kittel (B.H.) P.556.

(١)

(٢) ويعلق دورم على هذه الآية وسابقتها بأن ما ذكر فيهما من أنواع الناس إنما هي الطوائف التي تم
 إجلاؤها عن أورشليم ويهوذا في السبي البابلي وعلى هذا فإن تاريخ هذه النبوءة لا بد أن يكون أثناء
 أو بعد السبي .

ويقول كيتل إنها **בְּנֵפֶלְא** بالشين بمعنى تقدم وذلك في ثماني مخطوطات . وترجمة سعديا الفيومي قريبة من هذا المعنى : « ويتشبث القوم الفريق بالآخر ، والرجل بصاحبه ، يفتنون الصبي بالشيخ واليهين بالكريم » .

(آية : ٦) : **כִּי־יִתְפֹּשׂ אִישׁ בְּאָחִיו בֵּית אָבִיו שְׂמֵלָה לְכַה קָצִין הַדְּרֵה־לָנוּ וְהַמְכֻשְׁלָה הַזֹּאת תַּחַת יָדָךְ :**

« لذا يتشبث الإنسان بأخيه في بيت أبيه (قائلًا) لك ثوب فتكون قائداً لنا وهذه الأمة الضعيفة (وهذا الخراب) تحت يدك » .

كلمة **הַמְכֻשְׁלָה** أي الخرائب والمقصود بها هنا يهوذا التي خربت عند الغزو البابلي ولذلك يترجمها سعديا الفيومي بـ « الأمة الفقيرة » .

وهذه الكلمة جاءت في السبعينية والنص الماسوري « **וְהַמְכֻשְׁלָה** » وطعامي ويكون المعنى بهذا « . . لك ثوب فتكون قائداً لنا وطعامنا تحت أمرك » ولا يتأثر السياق بهذا المعنى . كذلك يذكر كيتل أن كلمة **בְּדָךְ** - يدك ، قد قرئت **בְּדָךְ** في ثلاث وثلاثين مخطوطة .

(آية : ٧) : **יֵשׂא בְיָדָם הַחֹמָה לֵאמֹר לֹא־אָדָהָה חֲבֹשׁ וּבְבֵיתִי אֵין לָחֶם וְאֵין שְׂמֵלָה לֹא תִשְׁמַנִּי קָצִין עִם :**

« يعلن في ذلك اليوم قائلًا : لا أكون متوجأً وليس في بيتي خبز ولا ثوب لا تجعلوني قائداً للشعب » .

وترجم سعديا الفيومي كلمة : **בְּיָדָם** بـ (يقسم - يحلف) .

وفي السبعينية وردت كلمة **אָדָהָה** بدلاً من كلمة **בְּיָדָם** وبدلاً من كلمة **וּבְבֵיתִי** . فيكون المعنى في أول الآية « أكون في ذلك اليوم » وفي الكلمة الثانية يصبح المعنى « لا أكون قائداً » ، أما كلمة **וּבְבֵיתִי** فقد وردت في مخطوطة البحر الميت « **בְּאֵין נִיבְלָהָה** » وكل من الكلمتين **בְּאֵין** و **נִיבְלָהָה** نطقان شائعان في العبرية بنفس المعنى .

(آية : ٨) : כִּי בִשְׁלֵחַ יְרוּשָׁלַם וַיְדַבֵּר נֶפֶל כִּרְשׁוֹנִים וּמַעֲלֵלֵיהֶם
אֶל־הַדָּהָה לְמַדּוֹת עֲנִי כְבוֹדוֹ :

« لأن أورشليم قد خارت ويهوذا سقطت لأن أقوالهم وأفعالهم ضد الرب
لإغاظه عين مجده » .

و يشير كيتل هنا إلى أن كلمة יַיִן قرر بعض المصححين أنها : כֶּיִן
وقد ترجم سعديا الآية بقوله : « مما قد افتقر آل يروشاليم وآل يهوذا ، قد وقعوا
مما لسانهم وشمائلهم إلى الله يخالفون بها ما قصده في جلاله وهذه كما هو واضح
ترجمة للمعنى وبخاصة في كلمة תְּכַרֵּית التي أورد القلعي معناها بأنه
رغم أنف أو بالرغم من^(١) . وقد جاءت الترجمة الكاثوليكية الإنجليزية^(٢) هكذا :
« نعم تتردى أورشليم في الخراب ، ويهوذا في الأسر ، فقد أغاظت كلماتهم
وأفعالهم الرب »

(آية : ١٠) : אָמְרוּ לַصִּדִּיק כִּי טוֹב כִּרְפֹרִי מֵעֲלֵלֵיהֶם יֹאכְלוּ :

« قولوا للصديق خير ، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم » .

ولكن كيتل يصحح الكلمة الأولى אָמְרוּ إلى אִנְבְּאֵר־ فيصبح
المعنى بهذا التصحيح : « طوبى للصديق (للعاقل) لأنه يأكل ثمر عمله » .
ولكن سعديا يترجمها ترجمة تستدعي ربطها بما بعدها فيقول :

« لأنه كما يجب أن يقال عن الصالح ما أجوده ، وأنه سيأكل ثمر
شمائله » .

(آية : ١١) : אִי־לְרַשָׁע רַע כִּי־נִמְוָל יָדָיו יַעֲשֶׂה לָּוִי :

« كذلك يجب أن يقال الويل للظالم الرديء وأنه سيكافأ بما أولت يده » .

وقد يكون قبل كلمة רַע كلمة קָע ليستقيم المعنى ويصبح « ويل
للشرير لأنه سيء لأن جزاء يديه يصنع له » أي أن الجزاء من جنس العمل . وفي
مخطوطة البحر الميت بدلاً من יַעֲשֶׂה לָּוִי وردت كلمة יַשׁוּב לָּוִי
أي يرتد إليه أو يعود عليه » .

(١) قاموس קָלָו - ص ١١٣٤ لرؤين القلعي By Reuben Alcalay طبع أورشليم - تل أبيب :

سنة ١٩٦٥ .

(٢)

(آية: ١٢) : **עַמִּי זְבוּלֹן מֵעִלָּל וְנָשִׂים מְשַׁלָּח בְּ... . . .**

« شعبي ظالموه أولاد ونساء يتسلطن عليه .. » .

وقد صححها كيتل **זְבוּלֹן** **עַלָּל** - حاكمهم طفل^(١) ، وبأن جعل حرف الميم نهاية للكلمة السابقة لا بداية لكلمة **עַלָּל** ولكن قد يكون الموضوع الأصلي لحرف الميم هنا في نهاية الكلمة علامة على الجمع **עַלָּלִים** حتى يتمشى السياق مع ما بعده من جمع ويصبح المعنى « إن شعبي استبد به الصبية » والنساء تحكمن فيه ، أما الترجمة اللاتينية (سان جيروم) فتبقى على كلمة **זְבוּלֹן** بمعنى ظالم أو مستبد فيكون المعنى « شعبي استبد به الظالمون » وترجمها سعديا الفيومي ترجمة تستدعي ربطها بما بعدها في المعنى فالآية (١٢) ترجمتها : « وإذا صار قومي عرفاهم الصبيان . حتى النساء تسلطن عليهم ، وصار مرشدوه مضلين والسالكون في سبله قد أهلكوهم .. » فإن الله منتصب لأخصامهم لدينونة هذا القوم .

أما الخلاف الآخر في النص فهو ما ورد في الترجمات اليونانية السبعينية وأكيلا وثيودوسيوس وهو **זְבוּלֹן** - جباة أو دائنون ومفردها **זְבוּלָה** - دائن بدلاً من **זְבוּלָה** نسوة وعلى هذا يكون المعنى « .. وحكمه (استبد به) الدائنون (الجباة) » .

وهذا التصحيح ارتضاه كيتل وإدوارد دورم .

(آية : ١٣) : **נָצַב לַרֶב יְהוָה וְלַמֶּלֶךְ לְדָוִד עַמִּים :**

« قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب » .

وهنا تصحيح لكلمة **נָצַב** يورده كيتل عن الترجمة السبعينية والسريانية وهو : **נָצַב** فتكون الدينونة على هذا واقعة على شعب بني إسرائيل فقط لأنه شعب الرب . وقد تبع سعديا الفيومي هذه الترجمة فقال : « فإن

(١) أنظر الترجمة الكاثوليكية الإنجليزية The Jerusalem Bible ص ٩٧٧ حيث يشير التعليق فيها على هذه الكلمة (طفل) إلى أن هذا الحاكم الصبي المستبد هو الملك الصغير آحاز في بداية حكمه سنة ٦٣٦ ق. م .

الله منتصب لأخصامهم لدينونة هذا القوم » ، والآية التالية تؤكد التصحيح السابق في كلمة « شعبه » بدلاً من « الشعوب » حيث تقرر الآية (١٤) أن الرب سيدخل للمحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم .

(آية : ١٦) : **וַיֹּאמֶר יְהוָה יֵצֵא כִּי נִבְהוּ בְנֹת צִיּוֹן וְהַלְכֵנָה -**
בְּנֹזְזוֹת בָּרוּחַ וּמְשַׁקְרֹת עֵינַיִם הַלֹּךְ וְסוּפֹה תִלְכֵנָה וּבְרִגְלֵיהֶם הִעֲפֹסְנָה :
 « وقال الرب لأن بنات صهيون قد اغتررن ويمشين ممدودات الأعناق
 وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيتهن بأرجلهن » .

بعض الخلافات في هذه الآية بسيطة لا تغير المعنى وبعضها يغير المعنى .
 فالتي لا تغير المعنى مثل **וּבְרִגְלֵיהֶם** وردت في مخطوطة البحر الميت **וּבְרִגְלֵיהֶנָּה** حيث الضمير هنا للإناث ، كذلك كلمة **בְּנֹזְזוֹת** يقول كيتل أنها تكتب هكذا ولكنها تقرأ **בְּנֹזְזוֹת** أما الخلاف الذي يؤثر في المعنى فهو في كلمة **וּמְשַׁקְרֹת**

غامزات فيقول كيتل أنها وردت في مخطوطات كثيرة **וּמְשַׁקְרֹת** بالشين بدلاً من السين ، وعلى هذا تكون الكلمة من الفعل **נִיבַקַּר** أي كذب - زيف ومما يقوي هذا التصحيح أن الكلمة بالسين لم ترد في العهد القديم إلا في هذا الموضع فقط ، وليست هذه الكلمة فقط هي التي انفرد بها هذا الموضع في العهد القديم كله فإننا نجد أيضاً كلمة **וּמְשַׁקְרֹת** من **וּמְשַׁקְרֹת** وهي نقطة السائل المترججة ، فقد انفرد بها النص هنا ولم تتكرر في بقية الكتاب المقدس ، كذلك نجد كلمة **וּמְשַׁקְרֹת** من مادة **שָׁקַר** فإنها لم ترد في العهد القديم كله إلا في ثلاثة مواضع منها موضعان في إشعيا وفي نفس الإصحاح (١٦ : ٣) ، (١٨ : ٣) والموضع الثالث في الأمثال (٢٢ : ٧) ، وهذا مما يوحي بأن كتابة هذا النص متأخرة جداً .

(آية : ١٧) : **וְשֹׁפֵחַ אֲדָמָי קִדְקֹדַת צִיּוֹן וַיְהִי פִתְחוֹן יַעֲרָה :**
 « وجرد المولى هامات بنات صهيون وعرى الرب ناصيتهن » .

الخلاف هنا في كلمة **פִּתְחוֹן** فيذكر كيتل أن الكثيرين صححوها

ב- חֲרַפְתֶּיהֶן אִי שׁוֹאֲתֵהֶן ، وَقِيلَ كَذَلِكَ إِنَّهَا فִּאֲתֶיהֶן
- أي ناصيتهن .

وترجمها سعديا الفيومي بقوله « سيجرد الله هامتهن ويعري جهاتهن » .

(آية : ٢٢) : הַמְקַלְצוֹת הַמְעַשְׂפוֹת וְהַמְטַפְחוֹת וְהַחֲרִיטִים :
« المآزر والمعاطف والمناديل والأكياس » .

في نسخة البحر الميت لا توجد كلمة :

(آية : ٢٤) : וְהָיָה תַחַת בְּשֵׁם מִן יְהוָה וְתַחַת חֲמוּדָה
נִקְפָה . תַּחַת מַעֲשֵׂה מִקְשָׁה קְרָחָה וְתַחַת פְּתִיגָל מַהֲזֵרֶת
שָׁק בִּי תַחַת יָפִי :

« ويكون بدل الطيب نتن ، وبدل المنطقة حبل ، وبدل الغدائر المعقصة
قراع ، وبدل الوشاح زُنَّار مِسْح ، لأن بدل الجمال كي » .

لا تصحيح هنا إلا في أول كلمة וְהָיָה תַחַת فإن كيتل
يصححها بأنها כִּי - תַחַת أسوة بما ورد في آخر الآية ، كما أن فعل
الكيثونة جاء في نهاية الجملة بعد كلمة פֵּס فلا داعي لذكره مرتين لعبارة
واحدة .

ومخطوطة البحر الميت تضيف إلى نهاية الآية كلمة בְּנִיפָת . بمعنى
خزي فتكون כִּי - תַחַת - וְזֵפֶ - בְּנִיפָת . لأن بدل الجمال خزي .
وهذا أنسب للمعنى من كلمة « كي » التي هي ترجمة حرفية لكلمة כִּי التي
معناها هنا « لأن » أو « حيث » .
وهذه الآية من الآيات التي اشتملت على كلمات نادرة الدوران في الكتاب
المقدس كما رأينا في الآية (١٦) .

فكلمة פֵּס من الكلمات التي انفرد بها سفر إشعيا (٢٤ : ٣) ، وفي
(٢٤ : ٥) فقط .

كذلك كلمة נִקְפָה - حبل ، انفرد بها هذا النص (٢٤ : ٣) في
الكتاب المقدس كله .

الإصحاح الرابع : (آية : ١) : וַחֲחִידֵיךָ שֶׁבַע נָשִׁים כָּאִישׁ אֶחָד
 בָּיָוֶם הַהוּא לֹאֲמֹר לִחְמֵנוּ נֹאכֵל וְשִׁמְלֹתֵנוּ נִלְבָּשׁ זָכַךְ יִקְרָא שְׁמֵךְ
 עָלֵינוּ אִסָּף חֲרָפְתֵנוּ :

الخلاف هنا في كلمة **בַּיּוֹמֵיכֶם** فقد وردت في مخطوطة
 البحر الميت **בַּיּוֹמֵיכֶם** وهي بنفس المعنى . ويقول كيتل إن الكلمة
 وردت في ٣٢ مخطوطاً بصيغة الجمع : **בַּיּוֹמֵיכֶם** .

ويلاحظ كذلك هنا أن الرقم (سبع) نساء هنا **נְשִׂאֵיכֶם** المقصود به هنا
 الكثرة في عدد النساء ، وبهذا المعنى ترجم سعديا الفيومي هذا النص حين قال
 « حتى يتعلق كثير من النساء برجل واحد . . . » فكلمة **נְשִׂאֵיכֶם** هنا **נְשִׂאֵיכֶם**
 كما ورد في تفسير رشي **רַבֵּי** أن النساء هنا المقصود بهن المترملات
 بعد الدمار **בְּאַחֲרֵי הַמַּדְבָּר**

(آية : ٢) : آخر الآية الثانية كلمة **לְפָלֵיטָתְךָ** **בְּיָרְאֵל**

زادت عليها مخطوطة البحر الميت كلمة **וְהַהֲדָה**
 « للناجين من إسرائيل ويهوذا » .

(آية : ٥) : **וּבְרָא יְהוָה עַל כָּל־מְכוֹן הַר־צִיּוֹן** **וְעַל מִקְרָאָהּ** **עֲגֹן**
אִחִים וְעֹשֶׂן וְנֹגֵה אֵשׁ יִהְיֶה לְיָהּ כִּי עַל כָּל־קְבוֹד חִפָּה :

« يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهاراً
 ودخاناً ولعمان نار ملتبهة ليلاً لأن على كل مجد غطاء » .

الخلاف في هذه الآية الكلمة الأولى **וּבְרָא** جاءت في السبعينية
 واللاتينية **וּבְרָא** كذلك كلمة **מִקְרָאָהּ** فيقول كيتل إنها
 وردت في خمسين مخطوطة : **מִקְרָאָהּ** بياء قبل الهاء الأخيرة ،
 ونفس الكلمة مصححة في السبعينية الى **מִקְרָאָהּ** - ضواحيها
 (مرابضها) .

ويصحح كيتل آخر الآية حسب ما ورد في السبعينية نسخة الاسكندرية
כְּבוֹד יְהוָה חִפָּה וְקָפָה فاعتبرت أول كلمة من الآية التالية

هي تنمة لهذه الآية « مجد الله غطاء ومظلة » ، ولكن سعديا الفيومي يصحح كلمة **קָבֹד** وبقراءها **קָבֶם** فيترجمها « وعلى جميع الكرم يطيف بها » ، ويبدو أن كثرة الخلاف في مفهوم آخر الآية دليل على أن هذا الكلام إضافة لا داعي لإثباتها ، فقد خلت مخطوطة البحر الميت منه ولم يثبت بها إلا الى كلمة **אֲדָם** والباقي محذوف ، كما حذف من المخطوطة أول الآية السادسة ولم يثبت من الآية إلا من أول كلمة **יִחַרְבּוּ** وعلى هذا يكون معنى الآيتين الأخيرتين حسب مخطوطة البحر الميت : « يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهاراً ، من الحر ومخبأً وستراً من السيل والمطر » .

الإصحاح الخامس :

(آية : ٤) : **מִדְּרֵעֹשׂוֹת עוֹד לְבָרְכִי וְלֹא עֲשִׂיתִי בָּךְ**
מִדְּרֵעֵי קְהִילִי לְעֲשׂוֹת עֲבָדִים וַיַּעַשׂ בְּאֲשֵׁים :

« ماذا يصنع أيضاً لكرمي ولم أصنعه به ، ما بالي أملت أن يوتي عبناً فاتني حصراً » .

يقول كيتل^(٢) إن كلمة **עָבָד** ورد بدلاً منها في مخطوطتين كلمة **לָמָּה** وهذا التصحيح الذي أورده كيتل يجعل من الآية قطعة غنائية نتيجة التوافق الصوتي من الجنس بين كلمتي **לָמָּה** و **לָזֶה** .

أما خلافات مخطوطة البحر الميت في هذه الآية فهي خلافات طفيفة تنحصر في استبدال اللام بالباء في كلمة **לְבָרְכִי** ، كذلك زيادة الهاء في آخر الفعل الأخير **וַיַּעַשׂ**

(١) **קָבֹד** = **קָבֹד** من البؤس أو البس ، أي صنع بش العنب بدلاً من نعم العنب ، والفعل **קָבֹד** = **קָבֹד** = فسد ، تعفن ، وفي وزن **תִּפְעַל** **קָבֹד** **לָמָּה** = تنن ، يصبح كريح الرائحة ، والمطالع منه **קָבֹד** **לָמָּה** = أصبح كريحاً ، أصبح جديراً بالنفور والاحتقار ، ومنه جاء الاسم **קָבֹד** **לָמָּה** بمعنى البأس (المرض والتعفن) ، عفونة ، قذاره - تنن وكذلك الاسم **קָבֹד** **לָמָּה** أي النجيل ، الحشائش الضارة بالحقل .

(آية : ٥) : וַעֲמַה אֲוִד־עֲדוּ נָא אֶתְכֶם אֶת אֱשֶׁר-אֲנִי עֹשֶׂה
לְכַרְמֵי הַסֵּר מְשׁוֹכְתוֹ וְיִהְיֶה לְכַעַר פָּרֶץ גְּדֵרוֹ וְיִהְיֶה לְמִרְמָס׃

« والآن سأعرفكم ما أنا صانع بكرمي ، لأنزعن سياجه ليصير مرعى (علماً)
وأصدع سوره فيصبح موطئاً للأرجل . »

هذه الآية لم يتعرض لها كيتل بتصحيح أو تعديل ، ولم يرد عنها اختلاف
في النسخ والمخطوطات الأخرى ما عدا مخطوطة البحر الميت التي أظهرت
اختلافاً لكثير من كلماتها وثبت نص المخطوطة هكذا كاملاً :

וַאֲמַה אֲוִד־עֲנָא אֶתְכֶמָּה אֶת אֱשֶׁר-אֲנִי עֹשֶׂה
לְכַרְמֵי, אֶסִּיר מְשׁוֹכְתוֹ וְיִהְיֶה צָעַר, פָּרֶץ גְּדֵרוֹ, וְיִהְיֶה
לְמִרְמָס׃

فابتدأت المخطوطة الآية بكلمة « وأنت » بدلاً من « والآن » وهذا لا يستقيم
معه المعنى ، ويبدو أن ناسخ المخطوطة أخطأ فاستبدل الألف بالعين لتقارب
الحرفين في النطق داخل الكلمة . أما بقية الاختلافات فهي غير جوهرية في
المعنى كانتقال حرف الهاء من آخر كلمة אֲוִד־עֲנָא إلى آخر الضمير אַתְּכֶם
وكذلك تغيير فعل الكينونة וְיִהְיֶה في الماضي الى زمن المستقبل וְיִהְיֶה

(آية : ٦) : וְאֲשִׁיחֶהוּ בַחֲדָה לֹא תִמְרַ וְלֹא יַעֲדַר וְעֹלָה שְׁמִיר
וְעֵשֶׂת וְעַל הַעֲבִים אֲעִיָּה מִדְּמִטִּיר עֲלָיו מִסֵּר׃

« وأجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب ، فيطلع شوك وحسك ، وأوصي الغيم
أن لا يمطر عليه مطراً . »

ويقترح كيتل أن تصحح الكلمتان الأوليان וְאֲשִׁיחֶהוּ בַחֲדָה :
« وأجعله خراباً » كلمة واحدة هي : וְאֲשִׁיחֶהוּ בַחֲדָה : وأميته

وترجمها سعديا الفيومي بقوله : « وأجعله بايرا ، لا يُزْمَرُ ولا يُنْكَشُ ،
فينبت حسكاً وقيصوماً ، وأمر ألا تمطر الغيوم مطراً . »

وقد يكون سبب إلغاء كيتل لكلمة וְעֵשֶׂת הָهָּ آنها كلمة غريبة في العهد

القديم إذ لم ترد إلا في هذا الموضع فقط . . وقد فسرها ش. ل. غوردون^(١) بقوله **אֶעֱשֶׂהוּ תְּסֻמָּה** وأجعله خراباً .
(آية : ٩) בְּאֵזְבֵּי יְהוָה זְבַאֲתֵי אֵסִילֵי בְּתֵים רַבִּים לְשִׁמָּה
יְהוָה וְהָלִים וְטוֹבִים מֵאֵין יִיטֵב :

« على مسامعي أقسم رب الجنود أن تصير منازل كثيرة خراباً (منازل) كبيرة وجميلة بدون ساكن » .

وقد أثبتنا في ترجمة الآية كلمة « أقسم » بدلاً من تقدير كلمة « قال » لأن الكلمة العبرية **אָסַם** تأتي دائماً مقترنة بالقسم - كلام القسم في العربية (لثرون الجحيم) - ولذلك اقترح كيتل إضافة لفظ **אָסַם** **בְּתֵים** مستهدياً في ذلك بما ورد في (٢٢ : ١٤) . وقد أثبت « ش. ل. غوردون »^(٢) لفظ القسم **בְּתֵים** بعد كلمة **אָסַם** ، وذلك في شرحه لسفر إشعيا كذلك يقترح كيتل أن أول كلمة في الآية **אָסַם** « بمسامعي » أصلها **אָסַם** أي بالسيد رب الجنود .

(آية : ١٣) : לָכֵן יָלַח עַמִּי מִבְּלִי רֵעֵת וּבְבוֹדוֹ מִתִּי רָעַב יְהוָה
דָּחָה לְפָנָיו :

« لذلك جلا (سبي) شعبي لعدم المعرفة ، وأصبحت عِلَّتِي رهطاً جوع ، وجمهوره يابسين من العطش » .

وهنا يقترح كيتل كذلك كلمة **רָעַב** وهو تعبير بمعنى جياع أو شديدي الجوع بدلاً من **מִתִּי רָעַב** ، واستشهد في ذلك بما ورد في ثنية (٣٢ : ٢٤) . أو تكون الكلمة **מִתִּי רָעַב** كما وردت في مخطوطتين ويكون معناها أموات من الجوع أو موتى جوع على أن الكلمة صيغة إضافة من **מִתִּי**

ولكن كلمة **מִתִּי** لا غبار عليها في السياق فهي صيغة إضافة من **מִתִּי** بمعنى قلة أو نفر أو مجموعة صغيرة من الناس وقد وردت كثيراً بهذا المعنى في الكتاب المقدس ومن أمثلتها قول يعقوب لشمعون ولاوى لقد
(١) נ. ל. ג. ר. ז. (יְשׁוּעָה) . 26 .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٦ .

كدرتماني بتكريهكما لي عند سكان الأرض . . . وأنا نفر قليل **אֲנִי־נֶפֶשׁ**
אֶת־הַסֶּפֶר (تكوين ٣٤:٣٠) وورد جمعها **סֵפֶרִים** بمعنى
(ناس) في (أيوب ١١:٣) ، ووردت جمعاً بدون ياء **סֵפֶרִים** بمعنى
الرجال في (تثنية ٢:٣٤ ، ٣:٦) .

أما عبارة **אֶת־הַסֶּפֶר** التي تشبهاها في الآية فلم ترد إلا
في هذا الموضع فقط من الكتاب المقدس وهي من **אֶת־הַסֶּפֶר** بمعنى
مكان جاف أو أرض شراقي .

(آية : ١٧) : **וְרֵאשִׁית דְּבָשִׁים כְּדָבָרָם וְחֲרָבֹת מַחֲבֵי נְרִים יֵאָכְלוּ :**

فترعى الخراف بحسب مروجها ، وخرائب السمائن (الماشية السمينة)
يرعاها الغرباء .

وقد ترجم سعديا الفيومي هذه الآية بقوله :

« وعف الناس فرعت الخراف - كسيلها ، والرياض الساحة أكلوها أضيافهم
وعلى هذا يكون سعديا قد اعتبر كلمة **כְּדָבָרָם** من **דָּבָר**
بمعنى شيء أو أسلوب ، أو من **דְּבָרָה** بمعنى علة أو أسلوب ، ولكن بقية
الترجمات اعتبرتها بمعنى مروج ومفردها **דָּבָר** أي مراح أو مرعى .

ويقول كيتل إن الكلمة في إشعيا حسب الترجمة السريانية يبدو أنها كانت في
الأصل **כְּדָבָרָם** أي في مروجها بدلاً من **כְּדָבָרָם**
بحسب مروجها .

ومما يرجح قول كيتل^(١) أن الكلمة من الكلمات نادرة الاستعمال في الكتاب
المقدس إذ لم ترد إلا في إشعيا (٥:١٧) وميخا (٢:١٢) فقط .

كذلك كلمة **נְרִים** جاءت في السبعينية **βῆρες** وبهذا يكون
المعنى أكثر دلالة على الدمار حيث تصبح الأماكن التي كانت ترعاها ماشية كثيرة
سمينة لا تكاد تكفي جديين أو تيسين فقط .

Rud Kittel, (B.H.) P.559.

(١)

(آية : ٢٣) : מַצְדִּיקֵי רְשָׁעָה יַעֲבֹד שָׂחָד וְצַדִּיקִים יִסְרוּ מִיָּמֵינוּ :

« الذين يعطون الحق للفاسق بسبب الرشوة وينزعون حق الصديقين منهم » .

والشاهد هنا كلمة יַעֲבֹד-פָּסָד فهي كما يقول كيتل ليست جمعاً وإنما هي مفرد יַעֲבֹד كما هي في مخطوطات كثيرة وكذلك في السريانية والسبعينية وفي الفولجاتا اللاتينية . ودليل ذلك ضمير المفرد الغائب في كلمة أي منه .

وعلى هذا المفهوم كانت ترجمة سعديا الفيومي للآية : « .. مُزَكِّي الظالم من أجل الرشا ، وزكاة الزكي يزيلونها عنه » .

ومثل هذا التصحيح يراه كيتل في (٢٦ : ٥) في كلمة יַעֲבֹד فهو يقول إنها יַעֲבֹד بالمفرد بدليل ورود كلمة יַעֲבֹד بالمفرد بعدها ولكن هذا جائز وليس من الضروري أن تكون الكلمة هنا مفردة .

* * *

الإصحاح السادس :

(آية : ١) : בְּשֵׁנַת־מוֹת הַמֶּלֶךְ עֲזַרְיָהוּ וְאַרְאָה אֶת־אֲדֹנָי יְשׁוּבָה
עַל־כִּסֵּא רַם וְנִשְׂא וְשׁוּלָיו מְלֵאִים אֶת־הַהֵיכָל :

« في سنة موت عزيزاهو الملك رأيت سيدي جالساً على كرسي مرتفع » .

الخلاف هنا في كلمة עֲזַרְיָהוּ حيث يذكر كيتل أنها كتبت עֲזַרְיָה في مائة مخطوطة ونفس الكلمة في آية (أ) كذلك . . والكلمتان تؤدي كل منهما نفس المعنى وإن كانت كلمة עֲזַרְיָהو تعبر عن شدة الورع وخشية الله وهذا ما يتفق مع الموقف الديني المبهر الذي يصف فيه إشعيا مشهد وقوفه بين يدي السيد الرب بجلاله وعظمته وهو يكلفه بالرسالة النبوية .

(آية : ٣) : וְקָרָא יְהוָה אֱלֹהֵי וְאָמַר קְדוֹשׁ אֱלֹהֵי קְדוֹשׁ קְדוֹשׁ יְהוָה
 צְבָאוֹת מְלֵא בְּלִדְהָרִץ כְּבוֹדוֹ :

« وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود ، مجده ملء الأرض » .

كلمة **מְלֵא** يرى كيتل أنها ربما كانت **מְלֵאָה** ملأ بدلاً من ملء كما أن في مخطوطة البحر الميت^(١) تكررت كلمة قدوس مرتين فقط كما أن في الآية الثانية جاءت كلمة ستة أجنحة مرة واحدة فقط بدل اثنتين . . وقد تكون هذه الزيادات من وضع النساخ .

(آية : ٤) : בְּנִינָנוּ אֲמֹת הַסְּפִים מְקוֹל הַקּוֹרֵא וְהַבֵּית יְמֵלֵא עֵשֶׂן :
 « فترعزت دعائم الأعتاب من صوت المنادي ، وامتلاً البيت دخاناً » .

وقد صحح كيتل كلمة **אֲמֹת** ومعناها قصبات أو قامات ، وجعلها **אֲמִנּוֹת** دعائم أو أسس . وهذا التصحيح أوفق للمعنى . . وربما استدل كيتل في تصحيحه هذا بما ورد في ملوك ثان ١٨ : ١٦ حيث وردت كلمة **אֲמִנּוֹת** في صيغة الجمع بمعنى أسس أو دعائم .

(آية : ١١) : וְאָמַר עַד-מָתַי אֲדַלְגֵי וְאָמַר עַד אֲשֶׁר אֲסִישְׂאוּ עָרִים
 מֵאֵין יוֹשֵׁב וּבָתִּים מֵאֵין אָדָם וְהָאֲדָמָה הַשָּׂאָה שְׂמִמָּה :

« فقلت الى متى يا مولاي فقال ، ليكونن إذا أصبحت المدن بلا ساكن والبيوت من غير ناس ، والأرض تخرب وتقفّر » . (أو تترك خراباً) .
 والكلمة قبل الأخيرة **הַשָּׂאָה** - تصبح خراباً - تدمر صححها كيتل^(٢) حسب النسختين السريانية والفولجاتا اللاتينية **הַשָּׂאָה** - تترك - تبقى .

الإصحاح السابع :

(آية : ١) : וַיְהִי בַיּוֹם אֲהֹוּ בְדִיּוֹתֵם בְּדַעְוֹתֵהוּ מִלֶּדְ יְהוָה עֲלֵה
 רִצְוֹן מִלֶּד-אָרֶם וּפְקָח בְּדֶר-מִלְחָתוֹ מִלֶּד-יִשְׂרָאֵל
 יְרוּשָׁלַם לְמִלְחָמָה עֲלֵיהָ וְלֹא יִכַל לְהִלָּחֵם עֲלֵיהָ :

(١) א.ל.סוקניק (סג-לות גנ-זות) .

R.Kittel, (B.H.) P.560.

(٢)

<http://www.al-islam.com/labelh.com>

« وحدث في أيام آحاز بن يوثام بن عزيا ملك يهوذا أن رصين ملك آرام
 صعد مع فقح بن رمليا ملك إسرائيل إلى اورشليم لمحاربتها فلم يستطع أن
 يحاربها . »

وهنا يرى كيتل^(١) طبقاً للسبعينية أن الفعل المنفى **לָאץ** **כָּדַד**
 (لم يستطع) ، صحته أن يكون مسنداً إلى واو الجماعة **לָאץ** **כָּדְדוּ**
 لأنه يعود على أكثر من واحد وهكذا ورد في ملوك ثان (١٦ : ٥)^(٢) في
 نفس المعنى ونفس المناسبة ، كما أن الكلمة الأخيرة في الآية **עַלְיָהָ**
 يقترح كيتل حذفها لأنها زائدة طبقاً لما ورد كذلك في ملوك ثان (١٦ : ٥) .

وما قاله كيتل يتفق مع ما ورد في مخطوطة البحر الميت تماماً ، وقد نبه ناشر
 المخطوطة إلى أن هذا يتفق مع ما ورد في الترجمة السبعينية وفي ملوك ثان
 (١٦ : ٥)^(٣) .

(آية : ٢) : **וַיִּפֹּד לְבֵית יְהוָה לֵאמֹר נָחָה אֲתָם עַל־אֶפְרַיִם וַיִּנְעוּ**
לִבָּבָם וּלְלִבָּב עֲמֹזַב בְּנוֹעַ עַל־יְעֹזֵב מִסְּבִיבֹתָם :
 « وأخبر بيت داود وقيل له لقد حلت آرام في إفرايم ، فاهتز قلبه وقلب شعبه
 كاهتزاز أشجار الغابة أمام الريح . »

وكلمة **נָחָה** يقترح كيتل أن تكون **נָחָה** - نأخي - تحالف
 من **נָח** - آخ .

أما إدوارد دورم^(٤) فإنه يرى أن **נָחָה** فعل ماضي مؤنث من
נָח **כָּנַח** استراح - يستريح وتكون آرام هنا بمعنى أمة آرام ،
 ويفضل هنا رأي دورم لأنه يعفينا من تصحيح النص الى **נָחָה**
 كما يقترح كيتل .

Rud Kittel; (B.H.).

(١)

(٢) ملوك ثان ١٦ : ٥ : (....) **וַיִּנְעוּ** **עַל** **אֶפְרוּזוּ** **וְלָאץ** **כָּדְדוּ** **לְהַלְחִים**

(٣) أنظر : **א.ל.ס.א.ק.נ.ק. (מגילות גן-זוהר...)**

Edward Dhorme (La Bible).

(٤)

أما الترجمتان البروتستانتية والكاثوليكية فقد أخذاهما بمعنى **בָּקָה** أي حل أو عسكر من **בָּקָה** **בְּבָקָה** أي عسكر يعسكر .. وهذا اقتراح كيتل أيضاً .

أما الترجمة الانجليزية^(١) فقد أخذتها بمعنى وصلت Reached وأما مخطوطة البحر الميت فقد حذفت منها كلمة « قلبه و» وفي قوله فاهتز قلبه وقلب شعبه وجاءت هكذا : **וַיְבִלְעוּ לִבָּב עַשׂוּ --- ---** .

(آية : ٣) : **וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-יְשׁוּעָהוּ יֵאָדָּב נָא לְקִרְאת אֶחָיו אֲתָהּ וְשָׂאֵר יְשׁוּב בְּנֵיךָ אֶל-קִנְיָהּ תִּעֲלֶת הַבְּרֵכָה הַעֲלִינָהּ אֶל-מַסְלַת שְׂדֵה כּוּכָם :**

« فقال الرب لإشعيا اخرج أنت وشأريا شوب ابنك الى طرف قناة البركة العليا^(٢) الى سكة حقل القصار .

ويقترح كيتل أن كلمة **אָדָב** **בְּבָקָה** هي في الأصل **אָדָב** وذلك باعتبار أن المتحدث هنا اشعيا .

(آية : ٥) : **יְעַזְבֵּץ כִּי-יֵצֵא עֲלֵיהָ אֲרָם רַעִיָה אֲפָרַיִם וּבְדַר מְלִידוֹ לֵאמֹר :**
« لأن آرام تأمرت عليك بشر مع إفرايم وابن رمليا قائلة .

فقد حذف من الترجمة السريانية واللاتينية عبارة « إفرايم وابن رمليا »^(٣) .

The Jerusalem Bible.

(١)

(٢) موقع قناة البركة العليا وسكة أو ساحة القصارين في شرق أورشليم ، وأنشأ هذه القناة ملوك يهودا واقرنت بحزقيا لأنه هو الذي غطى هذه القناة وكانت مكشوفة أما بركة سلوام فهي في الجنوب الشرقي وهي التي تغذي قناة حزقيا بالماء وجاء حزقيا وغطى الجزء الممتد من سور أورشليم بجوار جبل صهيون حتى القناة والجزء المكشوف هو المار بوادي هنوم وقد اكتشفت الكتابة السلوامية منقوشة على الحيطان الصخرية للقناة وهي سجل عمل القناة أو النفق الذي يرجح أن بانيه هو حزقيا (ملوك ثان : ٢٠ : ٢١) وكان يؤتى بالماء قبل أيام حزقيا بواسطة قناة مكشوفة وهي مياه شيلوه (إشعيا : ٦ : ٨) وقد أجرى يسوع إحدى معجزاته بواسطة مياه بركة سلوام (يوحنا ٩ : ٧ وما يليه) انظر هـ. هـ. رولي « أطلس الكتاب المقدس » ص ١٩ .

R.Kittel, (B.H.) 561.

(٣)

(آية : ٩) (וְרֹאשׁ אֶפְרַיִם שְׁמֵרָן וְרֹאשׁ שְׁמֵרָן בְּדֶרְמִלֵּידוֹ אִם לֹא תִאֲמִינוּ כִּי לֹא תִאֲמִנוּ :)

« ورأس إفرایم السامرة ورأس السامرة ابن رمليا ، إن لم تؤمنوا فلن تأمنوا . »

ويقترح كيتل تصحيح פָּרַעַלְלִי אֶלֶּי אֶלֶּי פָּרַעַלְלִי فتكون וַתִּאֲמַרְנָה וְכִי־אִם לֹא תִאֲמִנוּ בִּי .

وكلمة וַתִּאֲמַרְנָה وردت في السبعينية واللاتينية والسامرية וְכִי־אִם أي تفهموا وبهذا يكون المعنى : « إن لم تؤمنوا بي فلن تعقلوا (أي لن تتيبوا الحق) . »

ولكن لو ظلت كلمة פָּרַעַלְלִי على ما هي أو صححت الى פָּרַעַלְلִי فإن المعنى سيسير دون الحاجة إلى تأويل كما أن العبارة ستكون محققة ليلاقتها من اللعب بالألفاظ .

(آية : ١١) : שְׂאֵל-לֹהֵךְ אֹת מַעַם יְהוָה אֱלֹהֶיךָ הַעֲמֵךְ שְׂאֵלָה אִי הַגִּבּוֹהַ לְמַעְלָה :

« أطلب لنفسك آية من الرب إلهك ، عمق طلبك أو ارفعه إلى أعلى . »

والتصحيح هنا يورده كيتل عن التراجم اليونانية أكيلاً وسيماخوس وثيودوسيوس لكلمة שְׂאֵלָה أي مطلب أو سؤال ويقول إنها שְׂאֵלָה أي الهاوية وبهذا يكون المعنى : « ... اهبط الى الهاوية أو ارتفع الى السماء للبحث عن المطلب (السؤال) . »

ولكن سعديا الفيومي لا يرى تأويلاً للمعنى فيقول : « اسأل لك آية من عند الله تعالى إن عمقت مسألتك أو رفعتها علواً . »

ومما يجعلنا نطمئن الى أن الكلمة שְׂאֵלָה أي مطلب أو سؤال هو توافقها في الجرس الموسيقي مع كلمة לְמַעְלָה

(آية : ١٧) : **יָבִיא יְהוָה עֲלֶיךָ וְעַל-עַמֶּךָ וְעַל-בֵּית אָבִיךָ יָמִים
אֲשֶׁר לֹא-רָבֹאוּ לְמִיּוֹם סוּי יִאֲכְרִים מֵעַל יְהוּדָה אֶת מֶלֶךְ אֲשׁוּר :**

« يجلب الله عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أياماً لم تأت منذ انفصال
إفرايم عن يهوذا مع ملك آشور » .

يقول كيتل^(١) إن عبارة **אֶת מֶלֶךְ אֲשׁוּר** زائدة من
الناسخ .

أما دورم^(٢) فيرى أن المقصود بهذه العبارة هو أن المصيبة التي ستحدث
ستكون على يد ملك آشور .

أما الترجمة الانجليزية الكاثوليكية فقد شكت في أن العبارة زائدة فوضعتها
بين قوسين^(٣) .

(آية : ٢٢) : **יְהוָה מְרַב עֲשׂוֹת חֶלֶב יֹאכֵל חֲמֵאָה
בְּחֲמֵאָה וְדָבַשׁ יֹאכֵל פְּלִדְהַתָּהּ בְּקֶרֶב הָאָרֶץ :**

« ويكون أنه من كثرة صنعها اللبن يأكل زبداً فإن كل من أبقى في الأرض
يأكل « زبداً وعسلًا » .

وهنا يقول كيتل كذلك إن عبارة **יֹאכֵל חֲמֵאָה כֶּן** غير موجودة
في السريانية .

الإصحاح الثامن :

(آية : ٣) : **וְיֹאמְרוּ אֵל הַגּוֹיִם וְיִתְהַדְּדוּ וְיִתְלַד בֶּן וְיֹאמַר יְהוָה אֱלֹהֵי
קָרָא שְׁמוֹ מִהַר שָׁלַל חֵשׁ בֶּן :**

Rud Kittel, (B.H.) P. 561.

(١)

Edward Dhorme; La Bible.

(٢)

The Jerusalem Bible.

(٣)

« واقتربت إلى النبوة فجلت وولدت ابنا ، فقال لي الرب ادع

اسمه « مهير شلال حاش بز » .

وليس في هذه الفقرة من تغيير أو تصحيح إلا ما جاء في مخطوطة البحر الميت في كلمة הַיְהוּדָה إذ جاءت في المخطوطة بدون هاء التأنيث الأخيرة הַיְהוּדָה وهذا لا يتفق مع المعنى الذي يليها إذ لا بُدَّ أن تكون الكلمة مؤنثة . . وقد تكون الهاء سقطت سهواً من الناسخ .

(آية : ٨) : $\text{וַחֲלַף בְּיְהוּדָה שִׁמְרָה וְעַבְרָה עַד־צִנּוֹר וַיַּנֵּעַ וַהֲרָה$
 $\text{מִטּוֹת כַּנְפֵי מַלְאֲכֵי אֲרֶצֶה לְפָנָיו אֵל} :$

« ويتدفق في يهوذا ، يفيض ويعبر ، يبلغ العنق ، ويكون بسط جناحيه ملء عرض أرضك يا عمانويل » .

ويقول كيتل إن كلمة שִׁמְרָה وردت بواو العطف في ثمان عشرة مخطوطة كما أنه يقترح في كلمة אֲרֶצֶה עֲמַנוּ אֵל أن صحتها ... $\text{אֲרֶה בְּ עֲמַנוּ אֵל}$ ، وهذا التصحيح مقبول لأننا به لا نحتاج إلى تأويل النداء باعتبار كلمة עֲמַנוּ אֵל إسم علم ، إذ باقتراح كيتل يكون المعنى (... ملء الأرض لأن الله معنا) .

(آية : ٩) : $\text{הָעַז יַצְמִים וְחָתוּ וְהָאֵינוּ כָּל מַרְחֲמֵי אֲרֶץ הַתְּאֵזָרוּ$
 $\text{וְחָתוּ הַתְּאֵזָרוּ וְחָתוּ} :$

« هيجوا أيها الشعوب وانكسروا وأصغي يا جميع أقاصي الأرض ، احتزموا وانكسروا ، احتزموا وانكسروا » .

والكلمة الأولى הָעַז أي اجلبوا أو هيجوا ، وردت في السبعينية واللاتينية הָעַז أي اعرفوا أو اعلموا^(١) وكلمة הָעַז في المجرد غير

Rud. Kittel; (B.H.) P.562.

(١)

مستعملة ، والمستعمل منها صيغة فعلل 666 ولا تستعمل إلا في
 صيحات النصر والفرح وجاءت منها كلمة 777 = الزمر ، وكلمة
 احتزموا وانكسروا التي تكررت في آخر الآية وردت مرة واحدة فقط في
 مخطوطة البحر الميت .

(آية : ١٢) : ^(١) לֹא-תִתְמַרְדּוּן קִישָׁר לְכֹל אֲשֶׁר-יֹאמַר
 הָעָם הַזֶּה קִישָׁר וְאֶת-מִרְדָּאוֹ לֹא-תִתְרַיְצוּ:

« لا تقولوا فتنة (مؤامرة) لكن ما يقول له هذا الشعب فتنة ، ولا تخافوا
 خوفه ، ولا تفزعوا » .

يقول كيتل إن كلمة קִישָׁר هذه لا بد أن تصحح إلى
 קִישָׁר أي مقدس وبهذا يكون المعنى : « لا تقولوا مقدس لكل ما
 يقول له هذا الشعب مقدس » وحسب تصحيح كيتل يتفق المعنى مع سياق
 الآية التالية .

(آية : ١٣) : אֶת-יְהוָה צְבָאוֹת אֱתוֹ תִקְדְּשׁוּ וְהוּא מִרְאֵכֶם
 יְהוָה מִעֲרִיצְכֶם:

« بل رب الجنود تقدسون ، ويكون هو خوفكم وهو رهبتكم » .

وهنا يقترح كيتل أيضاً تصحيح كلمة יִתְקַדְּשׁוּ : تقدسون الى كلمة
 יִתְקַדְּשׁוּ : تخونون من كلمة קִישָׁר التي صححها في
 الآية السابقة إلى קִישָׁר

ولكي يستقيم المعنى في سياق الآيتين يجب أن تصحح كلمة יִתְקַדְּשׁוּ
 إلى יִתְקַדְּשׁוּ إذا أبقينا كلمة קִישָׁר في الآية
 السابقة على أصلها ، أو تصحيح קִישָׁר إلى קִישָׁר إذا
 أبقينا على كلمة יִתְקַדְּשׁוּ في هذه الآية على ما هي عليه .

(١) هذه الآية في النص العبري تنمة الإصحاح الثامن ولكنها في الترجمة العربية بداية الإصحاح التاسع .

(آية : ١٤) : וְהָיָה לְמִקְדָּשׁ וּלְאֹכֵלֵי נֶפֶשׁ וּלְצֹדֵר מִבְּשָׂרָא לְשָׁנָיִם
בְּתֵי יִשְׂרָאֵל לַפֶּחַח וּלְמוֹקֵשׁ לְיוֹשְׁבֵי יְרֵדֹתָם :

« ويكون مقدساً وحجر ارتطام وصخرة عشرة لكلا بيتي إسرائيل ، فخأ ومصيدة لساكن اورشليم . »

ويرى كيتل حذف كلمة לְמִקְדָּשׁ וּ . ويصبح المعنى « ويكون حجر ارتطام ... » أو تصحيح الكلمة الى לְמוֹקֵשׁ : مصيدة وقد جاءت بعد ذلك ، فيصبح المعنى « ويكون مصيدة وحجر ارتطام ... » . ثم يصحح كلمة לְיוֹשְׁבֵי יְרֵדֹתָם في المفرد الى الجمع לְיוֹשְׁבֵי יְרֵדֹתָם حسب ما ورد في سبع مخطوطات وفي السبعينية واللاتينية وسيماخوس والسريانية والترجوم^(١) .

(آية : ٢٣) : כִּי לֹא מוֹעֵדָה לְאִשֶׁר מוֹזֵקִים לָהּ בְּעֵת
הַרְאִשׁוֹן הַקָּל אֶרְבָּה וּבְלוֹן וְאֶרְבָּה נִפְתָּלִי וְהִאֲחִסְרוּן
הַבְּבִיד בְּרַד הַיָּם עִבֵר הַזָּרֵחַן וְלֵיל הַגּוֹמִים :

« ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق ، كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم » .

ويقول كيتل إن بداية الآية כִּי לֹא ولكن (لا) ... لأن (لا) قد تكون קָלָא - أليس ...

ولكن سعديا الفيومي يثبتُ على الأصل العبري في ترجمته لهذه الكلمة فيقول : « فإنه لا لغب لمن يضيق عليهم بالوقت الأول الذي أسرعوا ببلد زبولون ونفتالي ، وبالأخر الذي ثقل على أهل طريق البحر وعبر الأردن وسواحل الأمم » وربما اعتبر سعديا كلمة : קָלָא = ظلام ،

Rud. Kittel; (B.H.) P.563.

(١)

וּפְּרָאָה אוּ פְּרָאָה במعنى ثقل أو عبء فترجمها « لغب » .

ولكن على ضوء ترجمة سعديا نستطيع أن نفهم معنى الآية كالاتي : « لأن الذي يضيق عليها » أي اورشليم « الخناق لا يكل ، كما حدث أولاً عندما خف الى أرض زبولون وأرض نفتالي ، ثم ثقل في المرة الأخيرة (آتياً - أي آشور) في طريق البحر عبر الأردن ، وجليل الكفار^(١) .

الإصحاح التاسع :

(آية : ٢) : הַרְבֵּיהַ הַפָּרָה לֹא הִיטִילָהּ הַשִּׁמְחָה
שָׂמְחָהּ לָפָיִק בְּשִׂמְחַת בְּקִדָּד פִּיאִשָׁר יִיגִלוּ בְּחִלְקָם לְשָׁלוֹל :

« أكثرت الأمة عظمت لها الفرح ، يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد ، كالذين يبتهجون عندما يجمعون الغنائم » .

كلمة לָפָיִק بمعنى « لا » النافية في الآية صحتها לָפָיִק بمعنى « له » حسب ما ورد في عشرين مخطوطة وكذلك تقرأ في الترجمة السريانية وفي الترجوم הַרְבֵּיהַ לָפָיִק^(٢) ولكن كيتل يقترح حذف كلمة לָפָיִק وإدخالها بعد تعديل الألف לָ إلى هاء הָ | على الكلمة السابقة فتصبح הַרְבֵּיהַ לָה أي البهجة والسرور . وباقتراح كيتل هذا يتساوى المصراعان كالاتي : הַרְבֵּיהַ הַרְבֵּיהַ , הַרְבֵּיהַ הַרְבֵּיהַ

وفي الترجمة الانجليزية يأتي معنى الآية كالاتي : « لقد جعلت بهجتهم

Rud Kittel; (B.H.) P.563.

(١)

(٢) جليل الكفار أو جليل الأميين هو منطقة طبرية في شمال فلسطين ولم يرد ذكر هذه المنطقة في سفر

إشعيا إلا في هذا الموضع فقط ، ولكنه ورد في يشوع (٧ : ٢٠) ، (٣٢ : ٢١) وكذلك في ملوك أول (١١ : ٩) وفي ملوك ثان (٢٩ : ١٥) وفي أيام أول (٧٦ : ٦) في الترجمة العربية) و (٦١ : ٦ - في النص العبري) ، أما في العهد الجديد فوُجعت ضمن سلطنة هيرودس أنتيباس (لوقا ٢٣ : ٦ - ٧) . وفيها وقعت ناصرة حيث تربى المسيح وفيها قضى معظم سني خدمته المدونة ، وتأسست الكنيسة فيها مبكراً (أعمال الرسل ١٩ : ٣١) ، أنظر : هـ.هـ. رولى (أطلس الكتاب المقدس)

أعظم وجعلت سرورهم يزداد ، وأصبحت فرحتهم في حضرتك ، كفرحة الرجال في وقت الحصاد كفرحة الرجال عندما يقتسمون الأسلاب ،^(١) .

وقريباً من هذا جاءت ترجمة سعديا الفيومي ، (وقال : لقد كثرت هذا القبيل وعظمت لهم الفرحة ، ففرحوا بين يديك بالفرح ، في الحصاد ، وكما يسرون في قسمتهم السلب » .

فالإجماع إذن على حذف לָא لا النافية حيث لا استقامة للمعنى بوجودها .

(آية : ٤) : כִּי כָל-סֵאוֹן סֵאוֹן בְּרֵעֵשׁ וְשִׂמְלָה מִגִּזְלָה
בְּדָמִים וְהִוָּתָה לְשֹׂרְפָה מֵאֵשׁ :

« لأن كل سلاح المتسلح في الوغى ، وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق مأكلاً للنار » .

وقد صحح الترجوم كلمة בְּרֵעֵשׁ - في الحرب إلى كلمة בְּרֵעֵשׁ - بظلم . وعلى هذا يكون المعنى « إذ كل درع مُدْرَع بالظلم ، وكل ثوب مجلل بالدم ، فآلت للحريق مأكلاً للنار » .

ويرى كيتل أن كلمة מִגִּזְלָה בְּדָמִים - مجللة بالدماء قد تكون في الأصل מִגִּזְלָה בְּדָמִים أي مدنسة أو ملوثة بالدم^(٢) ، ويريد هنا أن يقول : إن كل شيء قد تلوث فالدرع تلوث بالظلم والثوب تلوث بالدماء . أما سعديا الفيومي فقد قال في معنى هذه الآية : « وإذا كل كيل مكيول بزلازل والثوب الملوث بالمعاصي قد صار حريقاً أكيلة النار » وعلى هذا يكون سعديا قد اعتبر كلمة סֵאוֹן بمعنى درع ، סֵאוֹה بمعنى كيل أو مكيال^(٣) .

The Jerusalem Bible.

(٢) ٥. ٥. סגלו (סלון עברי - אנגלי - א. ע.) . ו אהוד בין יהודה

(٣) نفس المرجعين السابقين ، وقد ذكر كل من فوجمان وين يهوذا أن סֵאוֹה مكيال قديم يعادل ١٣,٣ لترا .

(آية : ٦) :
 לְשָׁלוֹם אֲדַקֵּם עַל-בְּשָׁר׃ דָּוִד וְעַל-מַמְלַכְתּוֹ לְהַכִּין אֹתָהּ
 לְסֻעָהּ בְּמִשְׁפָּט וּבְצִדְקָה מִצַּדִּיק וְעַד-עוֹלָם קִנְיַת יְהוָה
 צְבָאוֹת תִּנְשָׂהּ-הַזֹּאת :

« لنمورياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلي مملكته ليثبتها
 ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا » .

الكلمة الأولى في النص العبري جاء حرف الميم فيها برسمه في نهاية
 الكلمة والصحيح فيه أن يكتب برسمه في وسط الكلمة وقد وردت كتابته
 صحيحة في خمس وعشرين مخطوطة ، كما أن كيتل يقول إن الكلمة
 קְסִיבָה جاءت صحتها في السبعينية קְסִיבָה (١) .

أو قد تكون קְסִיבָה بمعنى: لكثرة .. فقد ترجمها سعديا
 قائلاً : « لكثرة الرياسة » تكملة لمعنى الآية السابقة لأن سعديا بعد أن قال
 (لكثرة الرياسة) يبدأ كلاماً جديداً في ترجمته للآية فيقول : « .. وسلام لا
 انقضاء له على كرسي داود ومملكته » .

(آية : ٧) : דָּבָר שְׁלַח אֲדָנִי בְּיַעֲקֹב וַיָּבֵל בְּיִשְׂרָאֵל :

« أرسل الرب قولاً في يعقوب فوق في إسرائيل » .

وهنا إشكال في كلمة דָּבָר إذ ترجمتها السبعينية على أنها موت أو
 بلاء وعلى هذا تكون الكلمة قد قرئت عندهم דָּבָר أي بلاء أو طاعون
 فتكون ترجمتها على ضوء هذا المفهوم « بلاء رمي به الرب يعقوب فوق على
 إسرائيل » .

ويبدو أن الترجمة الانجليزية قد أخذت الكلمة بهذا المفهوم رغم أنها
 ترجمت كلمة דָּבָر بمعنى (كلمة) إلا أنها ترجمت الفعل

לַיָּלֹחַ بمعنى قذف أو رمى ولم تترجمها بالمعنى العادي « أرسل »
فنص الترجمة الانجليزية^(١) :

«The Lord hurts a word againt Jacob»

(آية : ١٠) : וַיִּשְׁעֵב יְהוָה אֶת-דְּבָרֵי רַעַן עֲלָיו וְאֶת-אֲבִיו יִסְכְּסֵד :

« يرفع الرب أخصام رصين عليه ويهيج أعداءه » .

يقول كيتل إن كلمة כָּרַעַן רַעַן أي خصوم رصين ، جاءت
לַיָּלֹחַ רַעַן أي أمراء رصين في أربعين مخطوطة ، وفي السبعينية جاءت
כָּרַעַן קַרְיָאֵן - خصوم جبل صهيون .

وقريباً من مفهوم السبعينية نجد مفهوم الترجمة الانجليزية في هذه الآية
فتقول :^(١) « ولكن الرب يسير أعداء شعبه But Yahweh is marshalling his
People's enemies against them. وكلمة Marshalling بمعنى يصف أو
يرتب تتفق مع الآية التالية إذ يذكر ترتيب أو اصطفاة الأراميين من الأمام
والفلسطينيين من الخلف فيأكلون إسرائيل بكل فم ورغم ذلك فإن غضب
الرب لم يرتد بل تظل يده ممدودة^(٢) .

(آية : ١٦) : עַל-פִּי עַל-בְּחוּרָיו לֹא-יִשְׁמַח אֲדָנָי

וְאֶת-יְהוָה וְאֶת-אֱלֹהֵינֵנוּ לֹא יִרְחֹם כִּי כָלֹ חַנּוּן וּמְרַע
וְכֹלֵהָ דָבָר נִבְלָה בְּכֹלֵהָ לֹא-שֵׁב אָפוּ וְעוֹד יָדוּ
בַּעֲבָדָה :

« لأجل ذلك لا يفرح المولى بفتيانه ، ولا يرحم يتاماه وأرامله لأن كل واحد
منهم منافق وفاعل شر ، وكل فم متكلم بالحماقة ، ومع كل هذا لم يرتد
غضبه بل يده ممدودة بعد » .

The Jerudalem Bible.

(١)

(٢) إشعيا : ١١ : ٩ .

.The Jerusalem Bible

والخلاف هنا في كلمة **בְּיָמָיו** فقد أورد كيتل تصحيحاً لها **בְּיָמָיו** بمعنى يترك أو يتخطى أو يتردد ، فيكون المعنى أن الرب لذلك « لا يترك فتياه » أي لا يفوتهم عقابه ، وقد تكون **בְּיָמָיו** بمعنى سَمَّحَ في العربية أي أن الرب لن يتسامح أو يصفح عن فتياه .

وفي مخطوطة البحر الميت جاءت كلمة **בְּיָמָיו** بدلاً من **בְּיָמָיו** فيكون المعنى « .. لا يشفق أو لا يرأف بفتياه » ويقول « سوكنيك »^(١) إن هذا المعنى يتناسب مع بقية الآية في قوله لا يرحم يتاماه وأرامله .

(آية : ١٨) :
בְּעֵבְרַת יְהוָה
בְּבָאֵת נַעֲתֵם אֶרֶץ יְהוָה הַעֵם בְּמַאֲכֵלֵת אִשׁ אִישׁ אֶל-
אֶחָיו לֹא יַחֲמֹלוּ:

« وعتد غضب رب الجنود أظلمت الأرض وكان الشعب كماكل النار لا يعطف امرؤ منهم على أخيه » .

وقد حذفت من السبعينية كلمة **בְּעֵבְרַת** . أما كلمة **בְּבָאֵת** بمعنى أعتم أو أظلم وهي من الكلمات النادرة التي لم ترد إلا في هذا الموضع فقد وردت في السريانية والترجموم كما يقول كيتل^(٢) **בְּבָאֵת** في صيغة المؤنث لأنها تعود على الأرض بمعنى احترقت الأرض أو اشتعلت ، وكذلك في الترجمة الإنجليزية « احترقت الأرض بسخط الرب »^(٣) .

ووردت في الفولجاتا **בְּבָאֵת** بمعنى ضلت الأرض والأرض المقصود بها الشعب أي أن الشع قدضل .

(١)

(٢)

(٣)

(وأما عبارة **בְּמַאֲכָלֵי אֶשׁ** كما أكل النار فإن كيتل
 يصححها **בְּמֵאֲכָלֵי אֶשׁ** أي بمعنى كأكلي الإنسان
 بدليل ما بعدها « لا يرحم امرؤ منهم أخاه » .

(آية : ١٩) : **וַיִּזְרַק יְלֵ-יְמִינָא וַיִּזְרַק יְלֵ-שְׂמֵאלָא
 וְלֹא שָׁבְעוּ אֵינָא בְּשַׂר-וָרְעוֹ וְאִבְלָו :**

« يقطع عن يمين ويظل جوعان ويأكل عن الشمال ولا يشبع حتى أكل المرء
 منهم لحم ذراعه » .

ويرى كيتل أن تكون كلمة **אֶשׁ** في آخر الآية .

أما كلمة **וָרְעוֹ** فهي حسب السبعينية نسخة الإسكندرية وحسب
 الترجوم بدون حرف الزاي في أولها ، وبذلك تصبح الكلمة **וְרַע**
 بمعنى صاحبه وعلى هذا يكون المعنى : « حتى أكل المرء لحم صاحبه ،
 ويخيل إلينا أن هذا تفسير مقبول لأنه قبل ذلك يقول لم يكن أحد يرحم أخاه أو
 يشفق عليه . وبعد ذلك يقول منسي يأكل إفرايم ، وإفرايم يأكل منسي وهما
 معاً على يهوذا - ومنسي وإفرايم أولاد يوسف .

الإصحاح العاشر :

(آية : ٤) : **בְּלִבִּי כָרַעַת תַּחַת אֲשֵׁר וְתַחַת כְּרֻזִים יִפְלֹ
 בְּכַל-זֹאת לֹא-שָׁב אִפּוֹ וְעוֹד יָדוֹ נְטוּיָה :**

« إما يجثون بين الأسرى وإما يسقطون تحت القتلى . مع كل هذا لم يرتد غضبه
 بل يده ممدودة بعد » .

ويرى كيتل هنا أن النص الأصلي غامض بل ومضطرب ، ويصحح بداية
 الآية بجعلها **לְבַבְךָ תִּכְרַע** أي حتى لا يركعوا تحت
 الأسرى

ونستطيع القول بأن كلمة **וְתַחַת** - تحت هنا معناها . (بدل) أو
 (في مكان) .

وهناك تصحيح آخر أورده كيتل لمصحح آخر يقول **יִפְלֹ בְּכַרְעֵת**

חַת אֲסִירַת فتغيير طفيف في تشكيل بعض كلمات النص وجذب
 التاء الاولى لكلمة יַחַת - نَحَتْ إلى آخر الكلمة السابقة
 פָּרַע حتى تصبح علامة تانيث في نعت للعلم المؤنث יַחַת
 من פָּרַע : أي بعل ، يصبح معنى العبارة : « بعل استكانتْ تُحَطِّمَ
 لأوزوريس » على أساس أن آلهة بابل وآشور ومصر قد اندحرت (١) .

ولكن ش. ل. غردون (٢) يشرح الآية بقوله :

חַת נִבְלָא בְּכַרַע בֵּין קְאִסְרֵיָם קִנְיָבוֹיָם
 תַּל בְּחֶרֶב בֵּין הַקְרֹוֹגִים :

« أي من ذا الذي لن يركع بين الأسرى المسيبين، ولن يسقط بالسيف بين
 القتلى ! »

(آية : ٥) : הוּא אֲשׁוּר לְעֵבֶט אֲפִי וּמִסְדָּדֵיָא בְּיָדָם וְעָמִי :

« ويل لأشور عصا غضبي ، والعصا في يدهم هي سخطي » .

والنصف الأخير من الآية كما يقول كيتل غامض ومضطرب ، ثم يورد لنا
 حلين لهذا الغموض ، الأول هو أن عبارة הוּא אֲשׁוּר בְּיָדָם إضافة
 لأحد المفسرين ثم انزلت في وسط الآية .. والحل الثاني هو تصحيح لكلمة
 הוּא אֲשׁוּר-הוּא אֲשׁוּר فيجعلها הוּא אֲשׁוּר-הוּא أفيكون المعنى :
 وعصاه في يدهم .. وعلى هذا المفهوم فسرهما سعديا « الويل لأشور قضيب
 غضبي الذين عصا في أيديهم هو سخطي » .

أما الترجمة الانجليزية (٣) فقد فسرت العبارة بقولها « .. الهراوة التي هزرتها
 في سخطي » The club brandished by me in my fury فالمعنى هنا يتفق تقريباً
 مع من قالوا إن كلمة הוּא אֲשׁוּר בְּיָדָם إضافة انزلت في وسط الآية ..
 وهذا هو التفسير الأقرب إلى القبول حيث تشير الآية في مجملها إلى أن الرب
 يستخدم قوة آشور لتأديب بني إسرائيل المنحرفين وقد فسر غردون كلمة

(١) أنظر إشعيا ٣٧ ، ملوك ثان : ١٣ : ٨ - ١٩ : ٣٧ وفيها تكرار لنفس الحوادث والرواية .

(٢) ص ٢٨ . נ.א.ל. בְּרִדּוֹן (בְּנִשְׁבַע-הוּא)

(٣)

بهذا المعنى فقال **הַלְיָבֵט לְשָׁנָי מִסֶּר** ... أي العصا التي سوف أؤدب بها ساعة غضبي^(١) .

(آية : ١٣) : **כִּי אָמַר בְּלִחַ דָּ' עֲשִׂיתִי וּבְהִקְמַתִּי כִּי נִבְלַתִּי וְאָסַד נְבִלָת עַמִּים וְעִתִּיחִתִּיהֶם שׁוֹשְׁתִּי וְאוֹרֵד בְּאֵבֶר וְשָׁבִים :**

« لأنه قال بقدرته يدي صنعت وبحمكتي ، لأنني فهمم ، ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم ، وحططت الشعب كبطل » .

وهذه الآية ككثير من سابقتها يكثر التصحيح والتأويل والاقتراح في بعض كلماتها حتى يستقيم المعنى ، وهذا دليل على اضطراب النص فمثلاً في كلمة **בְּאֵבֶר** كجبار أو كبطل يقول كيتل^(٢) : هناك قراءة في هذه الكلمة **בְּכֵר** أي مثل الكير أي عندما ينزل أو يحط الشعب يكون كالكير عند النفخ .

وهناك اقتراح من كيتل بتصحيحها إلى **אֶל עוֹר** أي إلى البئر، ولكن يستحسن في هذا الصدد أن تكون **לְעוֹר** فيكون المعنى : « وأنزل سكانها إلى الجب » .

ويبدو أن كاتبى السبعينية واللاتينية قد قرأوها **וְאוֹרֵד** **עָרֵם וְזָנְהָבֵם** فترجموها « وأسقط المدن والسكان » .

وهناك اقتراح آخر بتصحيحها إلى **וְאוֹרֵד קַעְפָּר וְזָנְהָבֵם** فيكون المعنى عندئذ « وأنزل السكان في التراب »^(٣) وقد أخذت

الترجمة الانجليزية الحديثة بهذا المفهوم فقالت I have brought their inhabi- tants down to the dust^(٤) .

(آية : ١٧) : **וְהָיָה אוֹרֵד־יִשְׂרָאֵל לְאֵשׁ וּקְדוּשׁוֹ לְלִחְבָּהּ וּבְעָרָהּ וְאִכְלָה שִׁתּוֹ וְשָׁמְרוּ בָּיִם אַחֵר :**

(١) - ٣٨ . **נ.ג.ל. גרדון (ה'שע"ה)**

Rud. Kittel, (B.H.). P.564.

(٢)

(٣) نفس المرجع السابق .

The Jerusalem Bible.

(٤)

« ويصير نور إسرائيل ناراً ، وقدوسه لهيباً فيحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد » .

ولكي يتل تصحيح طريف هنا وهو : **וְקִדְשׁוֹ כְּאֵשׁ אֲכָלָהּ וְשִׁנְיָהּ**
 فيصبح المعنى : « وتتحول صخرة إسرائيل ناراً ، ويستند كيتل في هذا على
 أن الكتاب المقدس به تعبيرات استعملت فيها كلمة **אֲכָל** بالاستعارة لله على
 أنه منقذ لإسرائيل وملجأ لها .

(آية : ٢٥) : **בְּיָמָיו מִצָּר מִצָּר וְכִלָּה וְאֵשׁ עַל-תְּבִלָּתָם :**
 « لأنه بعد قليل جداً يتم السخط ، وغضبي في إبادتهم » .

ويقترح كيتل^(١) إضافة ياء في آخر كلمة **עָלָם** أسوة بكلمة
אֲכָל ثم يقول إن كلمة **עָלָם** وردت **עַל** في مخطوطتين ، وكذلك
 كلمة **תְּבִלָּתָם** وردت في ست مخطوطات **תְּבִלָּתָם**
 (أي حتى نهايتهم) وقد صحح البعض الآية بـ **עַל תְּבִלָּתָם**
יָמָיו ، ويكون المعنى عندئذ « على (من أجل دنيا اليتيم) » .

(آية : ٢٧) : **וְהָיָה בַיּוֹם הַהוּא יָסוּר סִבְלוֹ
 מִצֵּל שְׂבָמָה. וְעָלָה מִצֵּל צְוֹאֵרָה וְחָבַל עַל מַפְנֵי-שָׁמוֹן :**

« ويكون في ذلك اليوم أن حملة يزول عن كتفك ، ونيره عن عنقك ،
 ويتلف النير بسبب السمانة » .

ويقول كيتل^(٢) هنا إن النص مضطرب أو محرف وخصوصاً من أول كلمة
יָסוּר حتى نهاية الآية ، ثم يورد تصحيحاً فيها فيقول :
יָסוּר הַחֵדֶל ، עָלָה מִצֵּל שָׁמוֹן أي فيكون المعنى بهذا التصحيح :
 « ... ونيره يتلاشى (يكف) من على عنقك ، ومن الشمال يصعد مخرباً ،
 وتصحيح آخر يقول : **יָסוּר הַחֵדֶל : עָלָה מִצֵּל-רָמוֹן** فيصبح

Rud. Kittel; (B.H.) P.566.

(١)

(٢) نفس الصحيفة من المرجع السابق .

المعنى « . ونيره يضمحل (يتآكل) من على عنقك ، وهو يتقدم من مقاطعة رمون » وهذا حسب ما ورد في السبعينية .

وقد اتفقت الترجمة الإنجليزية^(١) مع هذا التصحيح الأخير فترجمت الآية كالآتي : « في ذلك اليوم يسقط حملة عن كاهلك ، ونيره سيكف ثقله عن عنقك ، وهو يتقدم من مقاطعة رمون »^(٢) .

(آية : ٣٠) : צְהִי כְּנִיחַ בְּתוֹךְ יַלְמִים הַקְּשִׁיבוּ לַיְשָׁה עֲנַתוֹת :

« أصهلي بصوتك يا بنت جليم ، إسمعي ياليشة ، مسكينة هي عناتوت » .

كلمة עֲנַתוֹת وردت في السبعينية واللاتينية والسريانية ܥܢܬܘܬܐ أي أجيبها . وبهذا التصحيح يصبح المعنى أقرب إلى الفهم كما في الترجمة الانجليزية « ارفعي صراخك يا بنت جليم ، اسمعيها ياليشة ، أجيبها يا عناتوت » .

(آية : ٣٤) : וְנִקַּח סִבְכֵי הַיַּעַר בְּבִרְזֵל וְהִלְבִּינוּ בְּאֵדִיר יְפוֹל :

« ويقطع غاب الوعر بالحديد ، ويسقط لبنان بقدير » .

وكلمة יְפוֹל هنا يورد كيتل تصحيحاً لها בְּקִרְדָּם יְפוֹל

أي بفأس بسقط « مع أن الحاجة هنا غير ماسة للتأويل والتصحيح إذ إن

كلمة יְפוֹל مألوفة ووردت ما يقرب من عشرين مرة في الكتاب المقدس .

أما الترجمة الإنجليزية فقد أخذت كلمة יְפוֹל على أنها קִדָּר أي فخر

The Jerusalem Bible.

(١)

(٢) المقصود بضمير الغائب هنا في كلمة « حملة » و « نيره » ويتقدم هو العدو الآشوري كما أن طريق

غزو العدو الآشوري هنا ليس هو في الواقع الطريق الذي سلكه سنحريب سنة ٧٠١ ق.م ، ولكن

المدن التي اختيرت هنا في الإصحاح العاشر كانت بسبب أن أسماءها تعطي تورية خاصة

ومناسبة ، أو تستعيد معارك ماضية . أنظر تعليق :

The Jerusalem Bible; P.987.

أو جلال لذلك جاء معنى الآية فيها : « أدغال الغابة تسقط تحت الفأس ، لبنان وأمجادها تهوي » (١) .

يتبين لنا من خلال عرض هذه المجموعة من سفر إشعيا مدى كثرة الخلافات في النص وفي التفسير وفي التأويل ، كذلك الخلافات في المفاهيم عند ترجمتها إلى ترجمات عديدة ، بالإضافة إلى اختلاف كثير مما ورد في النص الذي بين أيدينا عما ورد في مخطوطة البحر الميت وغيرها من مخطوطات كتلك التي أشار إليها كيتل ، ومرجع هذا أن أعمال أنبياء بني إسرائيل القدامى ومنهم إشعيا وإرميا وحزقيال وهوشع وصفنيا كانت مجموعة خطب في معظمها ، وأن هذا التقليد عند أنبياء بني إسرائيل لم ينته إلا عند العودة من السبي ، فكان هناك مثل نحميا وعزرا كُتَابٌ لا خطباء، ولما كانت الخطب تعتمد على السماع والرواية عن السابقين كان لا بد أن تتعرض لشيء من التحريف بالإضافة أو بالحذف أو بالتصرف مما أوجد كل هذا القدر من الخلافات في النص .

وبعد هذا العرض لخلافات النص بين النسخ المختلفة والمخطوطات وآراء المفسرين ، نتناول نفس المجموعة لدراسة اللغة في السفر فنتناول فيها أمثلة للخصائص اللغوية عند إشعيا .

هناك كلمات وصيغ واستعمالات انفرد بها إشعيا في كل الكتاب المقدس ومن هذه الكلمات :

- | | | |
|--------------|---|------------------------------|
| שָׁבִיב | - | معنى أعلام في (١٦ : ٢) (٢) |
| הַבְּלִיחִים | - | معنى تدميرهم أو إبادتهم (٣) |
| עָצָם | - | بمعنى أعتمت أو أظلمت (٤) |

(٢) أنظر مناقشتها اللغوية (في دراسة حالة النص في النصوص الشرعية)

(٣) أنظر مناقشتها اللغوية (في دراسة حالة النص في النصوص الشرعية)

(٤) أنظر مناقشتها اللغوية (في دراسة حالة النص في النصوص الشرعية)

— וְהַשְׂקָהּ (١٦ : ٣) ووردت هذه الكلمة في (١٦ : ٣) في الحديث عن خلاعة بنات صهيون : וְהַשְׂקָהּ הַלַּיְלָה בְּיַד הַבָּנוֹת בְּזִיוָן...
 وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيتهن ، ويخشخشن بأرجلهن .

والكلمة قد تكون بالشين בְּלִישִׁינָה بدلاً من السين كما يقول كيتل^(١) ولأنها في كثير من المخطوطات وردت بالشين ، ومما يقوي قول كيتل عدم ورودها بالشين إلا في هذا الموضع فقط .

وإذا كانت بالشين فيكون أصلها נִישִׁיקָה أي كذب وزيف ، وعلى هذا يكون تزيف بنات صهيون لحقيقة أعينهن بأن يدارين آثار السوء فيها بوضع مساحيق وأصباغ تغطي ما بأعينهن من سوء تزيفاً لحقيقتها .

وفي نفس الآية كلمة חֲטָטָה انفراد إشعيا بهذا الاستعمال في الكتاب المقدس . وكلمة חֲטָטָה بمعنى صنبور وبمعنى ضرب - خبط ، وبمعنى اتخذ خطوات قليلة سريعة^(٢) ، وفي السريانية حֲטָطָה بمعنى : طَفَّظَ السراج ، غَطَّظَ الماء^(٣) .

و חֲטָטָה مجموعة أفعال تعدو في خطوات سريعة ، חֲטָטָה و חֲטָטָה رذاذ - قطر - חֲטָטָה حَطَطَر ، وسال قطرة قطرة ومنها جاءت חֲטָטָה و חֲטָטָה بمعنى قطاره أو مزينته^(٤) .

ومن هذه المعاني تكون ترجمة الكلمة في النص (مترجمات) في صفة نساء صهيون كرجرجة النقطة من السائل وهذه من بلاغة أسلوب إشعيا التي اشتهر بها .

كذلك كلمة חֲטָטָה (تخشخش) في آخر الآية : انفراد إشعيا بهذا الاستعمال في الكتا المقدس وهي من الفعل חֲטָטָה في الماضي .

R.Kittel, (B.H.) P.556.

(١)

W.Gesenius (H.Lexicon) P.P. 377-381.

(٢)

(٣) الأب يوسف حبيقة : القطوف الدانية : معجم سرياني عربي ص ٩٩ .

(٤) ي . فوجمان : (قاموس عبري عربي) ص ٢٩٧ .

والمفرد **עָרָס** إسم مذكر بمعنى خلخال والجمع بمعنى خلاخيل ورد في إشعيا (١٨:٣) **בְּיַרְסוֹם** خلاخيل الزينة ، ووردت في الأمثال (٢٢:٧) بمعنى قيد أو سلسلة ،

وكلمة **קַסְיֹמָה** (٢٥:٥) بمعنى « كالقمامة » :

עַל־פֶּן חָרַח אֶת־יְחֹם בְּעַנְיֹ

מַט דָּו קָלוּ מַכּוּ מַרְטוֹ חַרְדִּים וְחָח בְּקִלְתָם פְּסִיקָה
בְּקָרֵב הַיָּלִה בְּקִלְזֹאת לְאִשָּׁב אִשָּׁו וְשָׂד דָּו וְסִיחָה :

« من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه فمد يده عليه وضربه حتى تزعزعت الجبال وأصبحت جيفتهم (رمتهم) كالقمامة في قلب الأزقة » .

وهذه الكلمة لم ترد في الكتاب المقدس كله إلا في هذا الموضع وهي من الجذر **סחה** ^(١) . و **סוּחָה** بمعنى روث - دمن - زبل - نفاية أو قمامة ^(٢) .

و **קָרָה** (٦:٥) بمعنى خراب أو دمار ^(٣) والكلمة كما تبدو في معناها ونطقها دخيلة من اللغة العربية . ويكون تشكيلها **קָרָה** بتشديد التاء بمعنى بَتَأ أي مقطوعة ، يقول الزمخشري : سار حتى اُنْبَتَّ أي انقطع ، وَاُنْبَتَّ الرجل أي انقطع ماؤه من الكبير ، وقال :

لَقَدْ وَجَدْتُ رُئِيَّةً مِنَ الْكِبَرِ عِنْدَ الْقِيَامِ وَإِنِّي تَأْتِئُ بِالسَّحَرِ ^(٤)

ومما يساعدنا على هذا الرأي أن إشعيا استعملها في صيغة الجمع بالتشديد بمعنى الأماكن المقطوعة في **הַבְּתוֹת** (١٩:٧) .

- **עָרַסָה** (٣٠:٥) معنى ربوعها ، وهي من الكلمات النادرة التي انفرد بها إشعيا في هذا الموضع فقط **וְהָיָה יָרַח וְאֶזְרַח בְּעָרַסָה**

W.Gesenius (H.E.) Lexicon P.691.

(١)

(٢) ي . فوجمان : (قاموس عبري عربي) ص ٥٨٤ .

(٣) أنظر الجزء الخاص بدراسة حالة النص في النصوص الشرعية

(٤) الزمخشري : أساس البلاغة ، ص ٢٩ ، طبعة الشعب سنة ١٩٦٠ .

« هوذا ظلام الضيق ، والنور قد أظلم بسحبها » .

- קָדָרָם (١٧:٥) بمعنى (حسب مروجها - مراعيها) :
וְרָעוּ כְּבָשִׁים כְּדָרְכָם וְהָרְבוּת מַחִים לָרִים יִאֲכְלוּ :

« وترعى الخراف بحس مروجها وخرائب الماشية يراعاها الغرباء » .

والكلمة من المفرد דָּקָר بمعنى مَرَعَى أو مَرَج^(١) ، والكلمة من الاستعمالات التي انفرد بها إشعيا^(٢) .

- נִעְצָוּ-בָּיָם 6 נִהְלָלִים

יָבֵא וְיָחַז כָּלֵם בְּנַחֲלֵי הַבְּתוּלֹת יִבְנִיקוּן הַפְּלָעִים וּבְכָל הַיַּעֲצָבִים וּבְכָל הַיְהוָה
הַיְהוָה : (١٩:٧) .

« فتأتي وتحل جميعها في الأودية الخربة وفي شقوق الصخور وفي كل غاب الشوك وفي كل المراعي » .

فكلمة נִעְצָוּ-בָּיָם لم ترد في الكتا المقدس إلا عند إشعيا في موضعين في هذا الموضع في صيغة الجمع وفي (١٣:٥٥) بصيغة المفرد נִעְצָوּ

والماضي منها נִעַץ بمعنى وخز - طعن - لعق - والكلمة נִעְצָוּ
إسم مذكر بمعنى شوك الأجمة ، وفي العبرية الحديثة معنى الشخص العاصي^(٣) مجازاً .

وكلمة : נִהְלָלִים .

ولم تأت هذه الكلمة بالجمع إلا عند إشعيا وفي هذا الموضع فقط .

والمفرد נִהְלָלُ بمعنى مرعي - كلاً ، وقد جاءت بمعنى منهل

(١) אָהַרָה דָּקָר הַיְהוָה (מלון אנגלי - עֵרָה - א. ע.)

(٢) أنظر الجزء الخاص بدراسة (حالة النص في النصوص الشرعية)

W.Gesenius (H.E. Lexicon) P.654.

(٣)

الماء^(١) ، وجاءت اسم موضع في زبولون (قضاة ١: ٣٠) ، (يشوع ١٩: ١٥) و (٣٥: ٢١) זְבֻלוֹן وهذا الموضع في كل مرة ينسب إلى زبولون وهو موضع غير معروف^(٢) و זְבֻלוֹן نوع من الأشواك^(٣) .

- وقد انفرد إشعيا دون بقية الكتاب المقدس كله بذكر الملك الأشوري (سرجون ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) وقائده (ترتان) في (١: ٢٠) و (ملوك ثان ١٧: ١٨) ، وانفرد كذلك بذكر بعض النباتات مثل نبات (الشونيز זְבֻלוֹן) في (٢٧ ، ٢٥: ٢٨) وكلمة (فتروس זְבֻלוֹן) بمعنى الجنوب المصري (١١: ١١) وذكرها كذلك إرميا (١: ٤٤) ، حزقيال (١١: ٢٩ ، ١٤: ٣٠) . وهي كلمة مصرية قديمة .

وكلمة זָק - (مَق) بمعنى نتن أو عفونة لم يستعملها سوى إشعيا
וְהָיָה תַּחַת בְּשֵׁת זָק יִהְיֶה וְתַחַת חֲגוּרָה זָקָה

(٢٤: ٣) « فيكون عوض الطين عفونة وعوض المنطقة جبل » ، وكذلك في (٢٤: ٥) .

والكلمة من זָק (مَق) بمعنى تَسْوَسَ - فَسَدَ - ذَبُلَ - تَعَفَّنَ - عَطِنَ ، تَقِيحَ - تَقْرُحَ ، وفي آرامية الترجوم^(٤) كذلك كلمة זָקָה من نفس الآية لم ترد إلا في هذا الموضع واستخدمها إشعيا بمعنى جبل .

وكلمة זָק من الكلمات الوحيدة في الكتاب المقدس (١٥: ٣٤) وجاءت ترجمتها العربية (نكازة) وهي بمعنى الحية السامة أو طائر يشبه اليوم وفي الترجمة الإنجليزية Viper أي حية سامة^(٥) .

G.H. Box; Encyc. Brit. Vol. I,P.614. (١)

W.Gesenius (H.E. Lexicon) P.625. (٢)

(٣) ي. قوجمان : قاموس عبري عربي (ص ٥٣٤) .

W.Gesenius (H.E. Lexicon) P.596. (٤)

The Jerusalem Bible. (٥)

ومن الملاحظ أن إشعيا قد أكثر من انفراده بالتصرف في استعمال الكثير من الكلمات والصيغ والاشتقاقات غير المأهولة ، فقد يكون أصل الكلمة أو الجذر معروفاً ولكن إشعيا ينفرد باستعمال خاص أو صيغة خاصة ، ومن أمثلة هذا بالإضافة إلى ما سبق :

- كلمة קָרַח في (٢٢:٨) קָרַחַהּ קָרַחַהּ

« الدجى المتشر » .

وهذه الكلمة بصياغتها هذه لم يستعملها غير إشعيا وهي من الأصل

קָרַח بمعنى حث - وأخرج - طرد - دفع - وتفيد في العبرية الحديثة معنى

خدع وغش .

وهي عند إشعيا إسم مفعول من وزن קָרַחַהּ وجاءت مرة أخرى

קָרַח من وزن קָרַחַהּ بمعنى طرد في إشعيا (١٣: ١٤) وقد ورد

المصدر اللامي منها קָרַחַהּ في ثنية (١٩: ٢٠) بمعنى وضع أو دفع ،

ووردت في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس بصيغ متعددة وفي أوزان متعددة

للمؤنث والمذكر^(١) غير أن إشعيا انفرده بالصيغة السابقة .

- كلمة קָרַחַהּ في (٣:٩) $\text{קָרַחַהּ קָרַחַהּ קָרַחַהּ קָרַחַהּ}$

« لأن نير ثقله وعصا كتفه » .

فهذه الصيغة انفردها بها إشعيا في (٣:٩) ، (١٠: ٢٧) وفي (١٤: ٢٥)

وأصلها קָרַח بمعنى حمل حملاً ثقيلاً والآرامي منها קָרַחַהּ ^(٢) .

وغير الصيغة التي استعملها إشعيا وردت في صيغ أخرى في الكتاب

المقدس^(٣) ووردت في الجزء الثاني من سفر إشعيا مما يؤيد نظرية نسبة السفر إلى

أكثر من كاتب فوردت في (٤: ٥٣) קָרַחַהּ في المفردة المؤنثة ، وفي

(١) أنظر مثلاً صمويل ثان : ١٤: ١٤ ، أيوب : ١٣: ٦ ، ورميا : ١٢: ٢٣ ، ميخا : ٦: ٤ ، حزقيال :

٤: ٣٤ ، ١٦ ، مزمور : ٢: ١٤٧ .

W. Gesenius (H.E. Lexicon) P. 687.

(٢)

(٣) أنظر مثلاً صمويل أول : ٤: ٤٦ ، مزمور : ١٤٤: ١٤ ، (٧: ٨١) وجامعة : (٥: ١٢) ، نحemia :

١١: ٤ .

(١١:٥٣) תִּפְצַל مضارع الغائب المفرد ، وفي (٧:٤٦)
 תִּפְצַלְהוּ بمعنى يحملونه والضمير يرجع إلى الصنم ، وفي (٤:٤٦)
 תִּפְצַל للمتكلم في مناسبة حديث الرب لبني إسرائيل .

أما الجزء الأول من السفر (إشعيا الأول ١:٣٩) فقد استعملت الكلمة
 ثلاث مرات في (٣:٩) ، (٢٧:١٠) ، (٢٥:١٤) وكلها بنفس الصيغة
 תִּפְצַל וيري جزيئوس أنها في (٣:٩) ، (٢٥:١٤) תִּפְצַל (١)
 بمعنى غابة .

- كلمة תִּפְצַל بمعنى لوح للكتابة بالنقش .
 וַיִּשְׁמַר יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל לְהַזְכִּירָם וְיִדְבָרֵם

« وقال لي الرب خذ لك لوحاً كبيراً واكتب » .

هذه الكلمة لم ترد بتشديد اللام إلا في هذا الموضع ، ووردت في
 (٢٣:٣) في صيغة الجمع תִּפְצַלְהֶם وبمعنى مخالف وهو المرايا
 وحتى هذا الجمع انفرد به إشعيا .
 والكلمة بدون تشديد وردت في التلموذ بمعنى حاشية فارغة أو بيضاء في
 الصحيفة أو الملف (٢) .

- كلمة תִּפְצַל وردت في استعمال الأمر بمعنى اطمس
 (١٠:٦) . תִּפְצַלְהֶם יְבִיב תִּפְצַלְהֶם תִּפְצַלְהֶם וְיִדְבָרֵם וְיִזְכְּרֵם
 « غَلِّظْ قلب هذا الشعب وثَقِّلْ أذنيه واطمَسْ عينيه . . »

وهذه الكلمة لم ترد في الكتاب المقدس كله سوى ثلاث مرات باشتقاقات
 مختلفة، وكلها في إشعيا ففي (٩:٢٩) جاءت תִּפְצַלְהֶם וְיִזְכְּרֵם
 لتلذذوا واعموا وأصل هذه الكلمة غير معروف إن كان هو תִּפְצַל أو
 תִּפְצַל بمعنى الصق - سد - أغلق .

W.Gesenius (H.E. Lexicon) P.688.

(١)

W.Gesenius (H.E. Lexicon) P.163.

(٢)

كذلك انفرد إشعيا باستعمال كلمة **בְּיָדָאָה** بمعنى فهمي أو ذكائي (١٣:١٠).

- كلمة **קָדְשׁ** في (١٢:٩).

فهذا الاستعمال لهذه الكلمة في صورة اسم الفاعل المعرف بهاء التعريف والمضاف إلى ضمير لم ترد إلا في هذا الموضع ، ويقول كيتل إنها وردت في مخطوط واحد دون إضافة إلى ضمير^(٢) ، وقد ورد نفس الاستعمال في غير هذه الكلمة فجاء في ثنية (٨:١٤) **קָדְשׁ אֱלֹהֵינוּ** - المخرجك وفي ١٥/٨ **קָדְשׁ אֱלֹהֵינוּ** السائر بك ، (١:٢٠) **קָדְשׁ** المصعدك ، وسفر الثنية كما نعرف متأخر عن بقية أسفار التوراة ويبدو أن هذا الأسلوب كان غريباً على إشعيا ومن هنا جاءت محاولات تصحيحه .

- وكلمة **בְּסֵט** بمعنى بسط أو انفراد أو مد

(٨:٨) **וְהָיָה כְּהַיָּבֵשׁוֹת בְּנִפְיָאָה אֶלְוָא - רַחֲבָא**

« .. ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك .. »

وانفرد إشعيا بهذا الاستعمال الذي يشبه الجمع ، وقد وردت **בְּסֵט** في حزقيال (٩:٩) ولكن بمعنى انحراف خلقي أو تعدد .

والكلمة متصلة بالمادة **בָּטַט** بمعنى مدَّ يمدُّ وأصلها وأدغمت النون في الطاء وهي في معناها ومبناها قريبة الشبه من الكلمة العربية (مَطَّ).

كذلك ينفرد إشعيا ببعض التراكيب مثل: **בְּפִסּוֹת דָּסָה**

- وردت في آخر (١٨:١٠) بمعنى كذوبان المريض وهي الوحيدة بهذا التركيب في الكتاب المقدس، ويقول كيتل إنها غامضة وسر من الأسرار^(١) ، ويقول دورم إن **דָּסָה** معناها هنا المحموم وهي في البابلية الأشورية

R.Kittel; (B.H.) P.566.

(١)

Edward Dhorma La Bible).

(٢)

Nassassu «نساسو» بمعنى ارتعش^(١).

ו יָסַס الماضي بمعنى ذاب - انصهر، والمستعمل منه أكثر هو יָסַס وإذا كان الفاعل له יָסַס أي יָסַס לְבַדָּא أي خاف^(٢)، وكذلك לְבַדָּא יָסַס بمعنى راح في غيبوبة أو أغمي عليه.

وقد جاء عند إشعيا استعمال قريب من هذه الكلمة وإن اختلف المعنى في كلمة יָסַס بمعنى فرح أو سرور وهذه الكلمة من الكلمات التي استعملها أنبياء الأزمنة مثل إرميا وحزقيال وهوشع وفي المزامير، ويقول كيتل إن الكلمة لا تأتي بعدها יָסַס المفعولية كما وردت في إشعيا: יָסַס יָסַס

יָסַס יָסַס יָסַס יָסַס «وسر برصين وابن رمليا» (٦: ٨)، ويقترح كيتل أن تكون الكلمة بالسین لا بالسامخ ثم يرجح أن تكون العبارة יָסַס יָסַס יָסַס «وسر من وجه رصين»^(٣).

ولكننا يمكن أن نتجنب التغيير والتأويل بتعديل بسيط هو أن نجعل بمعنى مع فيسير المعنى عادياً.

- كذلك من التركيبات التي انفرد بها إشعيا יָסַס יָסַס .
יָסַס יָסַס יָסַס (١٣/٥).

«ويصير شرفاؤه رجال جوع وعامته (جمهوره) يابسین من العطش».

وقد صحح كيتل كلمة יָסַס إلى יָסַס יָסַס יָסַס - موتي جوع^(٤).

وبالإضافة إلى تصحيح كيتل إذا أجرينا نفس التصحيح على יָסַס بفتح الصاد بمعنى أبيض فيمكن استقامة المعنى فتكون «يصبح عليه القوم أمواتاً من

R. Kittel (B.H.) P.564.

(١)

(٢) ي. قوجمان: (قاموس عبري عربي): ص ٤٦١.

R. Kittel; (B.H.) P.562.

(٣)

R. Kittel, (B.H.) P.558.

(٤)

الجوع وشاجين من الظما» .

ويبدو في هذا التعبير التجزيء الشعري في أسلوب إشعيا والمقابلة بين جوع وعطش وعلية وجمهور .

- ومن الآثار الأجنبية في لغة إشعيا بعض كلمات اتخذت نهايات آرامية مثل : פֶּה-אֶמְרָתֶיךָ (٦:٣٧ ، ١٠) أي هكذا تقولون ، والكلمة نفسها مسبوقه بالنهي אֲשֶׁר אֶמְרָתֶיךָ (١٢:٨) ، واستخدم إشعيا كلمة נִיבְּרָה بمعنى قرمز أو اللون الأحمر (١٨:١) ووردت كثيراً في العهد القديم ، وقرمز فارسية الأصل^(١) ، وقيل إنها من أصل كنعاني^(٢) .

- وكلمة זָבִיבָה بمعنى كبرياء (١١:٢ ، ١٧) وقد انفرد بها إشعيا في هذين الموضعين وهي من أصل آرامي لأن كل ما ينتهي في العبرية أو العربية بواو وتاء معظمه من أصول آرامية مثل ملكوت وجبروت وكهنوت ولاهوت وناسوت وطاغوت . . . الخ .

- وكلمة זָבִיבָה بمعنى اضطهاد ولم يستعمل هذه الكلمة غير إشعيا ووردت عنده في (١٠:٢٥) ، (١٦:١٤) ، (٢٤:٦) ، (٢٩:١٧) والأصل فيها זָבִיבָה بمعنى صغر ففي الآرامية זָבִיבָה ، זָבִיבָה بمعنى صغير^(٣) .

- وكلمة קָרָץ بمعنى قلم للنقش أو منقش (٨:١) ووردت في

(١) أنظر أصل كلمة قرمز تفصيلاً في « السيد أدي شير » : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ١٢٥ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٠٨ .

(٢) الكلمة العبرية هنا في صيغة الجمع ، ومفردها נִיבְּרָה ووردت بمعنى اللون القرمزي في صيغة المفرد في (تكوين ٢٨:٣٨ ، ٣٠) و(إرميا ٤:٣٠) و(خروج ٤:٢٥) وفي أماكن أخرى . أما في صيغة الجمع فالمقصود بها ألوان الملابس المزركشة باللون الأحمر ، وقد وردت بهذا المعنى في صيغة الجمع في عدد من أسفار العهد القديم غير سفر إشعيا . وينسب اللون الأحمر إلى دودة القرمز ، لأن الكنعانيين كانوا يجففونها ويستخرجون منها اللون الأحمر الذي كانوا يصبغون به الملابس .

(خروج : ٣٢ : ٤) **סִבְרָה** بمعنى قالب أو إزميل . وهي **סִבְרָה** في السريانية الحديثة بمعنى خشب مخروط أو آلة حديدية للمخروط وهي اسم بمعنى آلة حفر وبواسطتها صور هارون العجل المسبوك لبني إسرائيل (خروج : ٣٢ : ٤) وتستعمل هذه الآلة للكتابة على لوح **סִבְרָה** (أشعيا : ٨ : ١) ^(١) ، ومن الممكن أن تكون هناك علاقة بين **סִבְרָה** - **חֵרֶט** في العبرية والسريانية وبين كلمة **خَط** في العربية إذ إن الرءاء من الممكن سقوطها أو إدغامها . وإذا كان سقوط الرءاء غير مقنع ، فإن كلمة (**סִבְרָה**) تقابل في العربية (**خَرَط**) فيقال : **خَرَطَ** العود أي **سَوَّاهُ** بالمخرطة) .

ويمكن أن تتخذ كلمة **סִבְרָה** قرينة ثانية على تأثر إشعيا بالحضارة الآشورية البابلية لأن الكتابة المسمارية البابلية الآشورية هي التي كانت تتم بطريق الحفر أو النقش ^(٢) .

أما القرينة الأخرى فهي الصورة التي صور بها يهوه في الإصحاح السادس وأذياله تملأ الهيكل ومن حوله السرافيم واقفون لكل واحد ستة أجنحة .

- وكلمة **סִבְרָה** لم ترد معرفة بهاء التعريف إلا في إشعيا (١ : ٢٤) ، (٣ : ١) ، (١٠ : ١٦) ، (٣٣) ، (٤ : ١٩) ولم ترد بهذه الصورة عند غيره إلا في ملاخي (٣ : ١) .

أمثلة لقرائن لغوية تدل على أن السفر كله ليس لمؤلف واحد :

يرى المدافعون عن وحدة السفر أن التغيير في أسلوب كتابة النبي بين الجزء الأول من السفر (١ - ٣٩) وبين الجزء الثاني (٤٠ - ٦٦) أن هذا لا يقوم دليلاً على أن الكاتب مختلف في الحالتين فهم يقولون بأن الأسلوب يتابع الموضوع

(١)

(٢) دكتور حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، ص ٢٨ .

والظروف والأزمة المعينة في حياة الكاتب الواحد فهناك مثلاً اختلاف كبير بين كتابات شكسبير في حقبة ما في حياته وبين كتاباته في حقبة أخرى مع أن نشاطه الأدبي ومدة إنتاجه لم تتجاوز خمسة وعشرين عاماً ، وقد تمكن النقاد أن يتبينوا أربع مراحل متفاوتة في رواياته تظهر واضحة في اختلاف أسلوبه في مرحلة ما عن الأخرى ، أما مدة نشاط إشعيا وزمن إنتاجه فقد زاد كثيراً على الأربعين عاماً وربما امتد إلى الستين أو يزيد^(٢) .

ومع أن لغة السفر في معظمها تتسم بالرصانة والشاعرية إلا أن هناك سمات وقرائن يمكننا عن طريقها أن نقوي الدليل على أن المؤلف أكثر من واحد .
من هذه السمات :

- الميل إلى اللعب بالألفاظ في الجزء الأول مما يعطي جرساً موسيقياً واضحاً مثل قوله : **וְעַל כִּלְכִּלֵּיהֶם יִרְמִים וְעַל כִּלְכִּלְכֻּעוֹת הַשָּׂאוֹת :**

(١٤ : ٢)

(١١ : ٣)

(١٠ : ١)

(٣٠ : ١٠)

وقوله : **וְיָבִי אֲנִי (٤ : ١)**

و **אָדָם וְהָאָדָמָה (٦ : ١١)**

و **עֲנִיָּה עֲנִיּוֹת :**

و **וַיָּבֹאוּ לְמִישַׁעַם וְהָיָה מִישַׁעַם**

(٧ : ٥)

לְדָרְקָה וְהָיָה צִעֲקָה :

(١ : ٣)

و **מִשְׁעָן וּמִשְׁעָנָה**

و **מִדְּרִיקַי רִשָּׁע עֲקֹב שָׁחַר וְצִדְקַת צְדִיקִים יִסִּירוּ מִפָּנָיו :**

(٢٣ : ٥)

وحسن التقسيم والمقابلة مثل : **וַיֹּאמֶר לְךָ וְאָמַרְתָּ לְעַם הָיָה שְׁמוֹנִי**

(٩ : ٦)

שְׁמוֹנִי וְאֶל־תִּבְיֵנוּ וְרָאוּ רָאוּ וְאֶל־תִּדְעוּ :

ومن الواضح أن أسلوب أنبياء الأزمة مثل إشعيا وإرميا وحزقيال كانت أقوالهم مجموعة من الخطب الحماسية التي تناسب الجو العاصف الذي يعيشون فيه من

(١) جون ألكسندر طومسون : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٨٤ .

الفساد والانحراف لذلك نجد في الجزء الأول من سفر إشعيا الميل إلى الألفاظ
الطنانة الرنانة مثل :

שָׁמְרוּ שְׁמֵיכֶם

וְהָאֵלֹהִים אֲרָץ כִּי יִדְוָה דְבַר בְּנֵים גְּבֻלָּתִי וְהַמְּבִטִי יָדָם
סָשָׂא כִּי:

(٢:١) وقارن كذلك (١٠:١) .

فأسلوب الخطابة يعتمد على قصر الجمل وتتابعها أي المعنى وما يستدعيه من
والموازنات الشعرية ، والألفاظ الطنانة الحماسية وهذا اللون نفتقده في
الإصحاحات المتأخرة (٤٠ - ٦٦) تقريباً .

ونجد طابع الغضب والتهديد والوعد والوعيد يسيطر على (يهوه) في
عبارات الجزء الأول من السفر (١ - ٣٩) ومن ذلك تكرار عبارة يستخدمها قفلة
مناسبة لموقف معين . هذه العبارة هي :

בְּכִלְזָאָה לְאַשְׁבֵּ אֶפְוֹ וְעוֹד יָדוֹ נְטוּיָה:

(٢٥:٥) ، (١٢:٩ ، ١٧ ، ٢١) ، (٤:١٠) .

« ومع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد » .

ولم يرد هذا الاستعمال في الإصحاحات (٤٠ - ٦٦) قط .

كذلك (וַיִּטְּ יָדוֹ) ويمد يده) ويقصد بالعبارة العقاب

(٢٥:٥) ، (١١:٢٣) .

و (וְאַשְׁיִבָה יָדִי עָלֶיךָ) وأرد يدي عليك (٢٥:١) .

و (וְזָאת יְדִיד הַנְּטוּיָה עַל־בְּלִיַּת־הַגּוֹיִם:

« وهذه اليد الممدودة على كل الأمم (٢٦:١٤)

و (וְיָדוֹ הַנְּטוּיָה וְגַם יִשְׁיבָנָה:

« ويده هي الممدودة فمن يردّها » (٢٧:١٤)

وكذلك نجد من سمات الحماس الغاضب الذي يتسم به الجزء الأول من

السفر كلمات الويل بكل أنواعها مثل : הִזְ- גַּז- חִיִּילָא עָם

(٤:١) ، وتكرر كلمة הִזְ- في (٨:٥ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،

(٢٢) ، (١٠ : ١٠) ، (٥) ، (١ : ٢٨) ، (١ : ٢٩) ، (١٥) و (١ : ٣٠) ،
(١٣١) ، (١١ : ٣) ، (٥ : ٦) .

ولم ترد كلمة الويل في القسم الثاني من السفر (٤٠ - ٦٦) مطلقاً .

كذلك كلمة الهاوية נַפְתָּלוּ וوردت في القسم الأول من السفر
في (١٤ : ٥) ، (٩ : ١٤ ، ١١ ، ١٥) و (١٥ : ٢٨ ، ١٥ ، ١٨) ، (١٠ : ٣٨) ،
١٨) . ولم ترد في القسم الثاني إلا مرة واحدة في (٩ : ٥٧) .

وفي مقابل هذا الأسلوب الحماسي الغاضب في القسم الأول وهذه النبرة
العالية المهددة والمتوعدة التي تتناسب مع المجتمع الذي كان يعيش فيه إشعيا
مصلحاً معارضاً لكل انحراف ، نجد القسم الثاني من السفر هادئ الأسلوب لين
الخطا يفيض بالتبشير والصفح ويتوجه حديث يهوه إلى شعبه مطمئناً فيقول لا تخف
لأنني معك (אֲלֹהֵינוּ אֲנִי אֵלֹהֵי יִשְׂרָאֵל) ونجد هذه النعمة
في (١٠ : ٤١ ، ١٣ ، ١٤) ، (١ : ٤٣ ، ٥) ، (٢ : ٤٤) ، ويطلب من
الشعب أن يتغنى لإلهه ويتهج :

שִׁירוּ לַיהוָה יִשְׂרָאֵל

(١٠ : ٤٢)

والرب هنا ليس غاضباً حانقاً بل هو مسرور من أجل بره .

הִתְהַלַּחְתְּ מִפְּנֵי יְהוָה אֱלֹהֵינוּ

(٢١ : ٤٢)

كذلك نجد الفرق واضحاً بين القسم الأول من السفر (١ - ٣٩) وبين القسم
الثاني في موقف واحد وحالة واحدة هي مخاطبة يهوه للسماء والأرض ففي القسم
الأول كما رأينا يشهد السماء والأرض على عصيان شعبه وجحوده له في ألفاظ طنانه
تثير السامع ولكنه في القسم الثاني من السفر يخاطب السماء والأرض قائلاً :

רַנְּנוּ לַיהוָה אֱלֹהֵינוּ

(١٣ : ٤٩)

(ترنمي يا سماء وابتهجي أيتها الأرض) .

والأسلوب في القسم الثاني يتجه إلى الإقناع الهادئ بقوة (يهوه) وقد استه
ووجدانيته فيتبع في ذلك الأسلوب الإنشائي مستخدماً الاستفهام البلاغي في مثل
قوله : מִי־מָרַד בְּשִׁעְלוֹ מִיָּם וּשְׁמַיִם בְּיָרֵת תִּכְן וְכָל בְּשָׂלָשׁ

עַפְרָה הָאָרֶץ וְשָׂקֶל בַּפֶּלֶס הָרִים וּנְבֻעוֹת בְּמֵאוֹנִים: (١٢:٤٠)
من كال بكفه المياہ وقاس السموات بالشبر وبالكيل تراب الأرض ووزن
الجبال بالقبان والاکام بالميزان

ו מִי־תִכֵּן אֶת־רוּחַ יְהוָה וְאִישׁ עֲצָתוֹ יוֹדִיעֵנּוּ: (١٣:٤٠)
« مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ وَمَنْ مَشִيرَهُ يَعْلَمُهُ . »

ו אֶת־מִי נוֹעֵץ יִבְיִיחֵהוּ וְיִלְמְדֵהוּ בְּאֵרַח מִשְׁפָּט
וְיִלְמְדֵהוּ דַעַת וְיִרְרֵךְ תְּבוּנוֹת יוֹדִיעֵנּוּ: (١٤:٤٠) .

« من استشاره فأفهمه وعلمه في طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل
الفهم . »

ו וְאֶל־מִי תִדְמִינוּ וְאֲשֶׁרָה יֹאמַר קְדוֹשׁ:
« فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس . »

ו וְאֶל־מִי תִדְמִינוּ אֵל וּמֵה־דְמוֹת תַּעֲרֹבוּ לוֹ:
« فبمن تشبهون الله وأي شبه شبه تعادلون به . »

ويلاحظ هنا أن كلمة تִדְמִינוּ في الموضوعين متتهية بنهاية
الجمع في السريانية .

ו מִי־פָעַל וְשָׁעָה קָרָא הַדְּרוֹת מִרְאֵשׁ אֲנִי יְהוָה רֵאשׁוֹן וְאֶת־ (٤:٤١)
אֲחֵרִים אֲנִי־הוּא:

« من فعل وصنع داعياً من البدء ، أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو . »

ו הֲלוֹא זֶה צִוּם אֲבַחֲרֵהוּ פֶתַח חַרְצֻבוֹת לְשַׁע הַיַּם אֲנִי
מוֹטֵה וְשֹׁלַח רְצוּצִים חַפְשִׁים וְכָל־מוֹטֵה תַעֲתִיקוּ: (٦:٥٨)

« أليس هذا صوماً أختاره ، حل قيود الشر ، فك عقد النير ، وإطلاق
المسحوقين أحراراً وقطع كل نير . »

كذلك يتميز القسم الثاني من السفر باحتوائه على العبارات الخاصة
بشخصية (عبد الرب) وتقع هذه الفقرات في (٤٢ : ١ ، ٤) ، (٤٩ : ١ - ٦) ،
(٥٠ : ٤ - ٩) ، (٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢) .

ومما يميز القسم الأول أنه لا يعتمد كثيراً على الأساطير كذكر شمشون

وصمويل ويوشع وموسى مثلاً ، كذلك يخلو من الأحكام الدينية ، أما القسم الثاني فقد ورد فيه ذكر موسى مرتين في (١٢ : ٦٣ ، ١١) كما أنه يشدد على بعض الطقوس الدينية مثل شريعة السبت (١ : ٥٦ - ٨) ، والصوم (١ : ٥٧ - ٧) ، وأحياناً تقرأ تسابيح الحمد أو الندم والتأسي مثل (١٠ : ٦١ - ١٢) ، (٧ : ٦٣) ، (١٢ : ٦٤) .

أما في الجزء الأول فقد رفض إشعيا كل الطقوس الدينية ومنها شريعة السبت والأعياد والصلاة (١٣ : ١ - ١٤) .

ومن الفوارق التي نراها بين القسمين أننا نجد القسم الثاني يخلو تماماً من ذكر بعض الأسماء التي وردت بكثرة في القسم الأول ، وهذا له دلالة على إثبات عدم وحدة السفر ، فمن المعروف أن إشعيا النبي كان يعيش في فترة من أخرج فترات مملكة يهوذا في الجنوب ، ومملكة إسرائيل في الشمال حيث شهدا نزول أمام قوة الآشوريين وعاش أهم أحداث هذه الفترة أثناء تصارع القوى الآشورية والبابلية والمصرية في المنطقة ، ولذا فقد كثر الحديث عن هذه القوى في أوج تطاحنها في الجزء الذي ينسب لإشعيا في السفر ، وقد جاء ذكر إفرائيم في الإصحاحات التسعة والثلاثين الأولى (في ٢ : ٧ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٧) ، (٩ : ٩ ، ٢١) ، (١٣ : ١١) ، (٣ : ١٧) ، (٣ : ٢٨) وذكر فرعون (١١ : ١٩) ، (٢ : ٣٠ ، ٣) ، (٣ : ٣٦) وذكرت مصر في (١٨ : ٧) ، (١٠ : ٢٤ ، ٢٦) ، (١١ : ١١ ، ١٥ ، ١٦) ، (١ : ١٩) ، (١٣ ، ١٢ ، ٦ ، ٣) ، (١٤ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨) ، (١٩ : ١٩) ، و (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) ، (٢٥ : ٢٣) ، (١٢ : ٢٧ ، ١٣) و (٢ : ٣٠ ، ٣ ، ٧) ، (١ : ٣١) ، (٣٦ : ٦ - ٩) ، (٢٥ : ٣٧) ومصريون بالجمع وردت في (٢ : ١٩ ، ٤ ، ٢١) ، (٢٣ : ٣١) .

وذكرت بابل في (١ : ١٣ ، ١٩) ، (٢٢ : ١٤) ، (١ : ٣٩ ، ٣ ، ٦) . (٧

وفلسطين في (٢٩ : ١٤ ، ٣١) وفلسطينيون وردت في (٦ : ٢) و (١٢ : ٩) ، (١٤ : ١١) .

فإفرايم في القسم الثاني من السفر (٤٠ - ٦٦) لم يرد ذكرها قط لأنها لم يكن لها وجود في عصر من ألف أو من ألفوا هذا القسم منذ السبي وبعده .

وآشور كذلك لم يرد لها ذكر قط في القسم الثاني لأنها كانت قد انتهت على أيدي البابليين ولم تعد تعيش الأحداث التي تشغل مؤلف هذا القسم ، أما بابل فقد وردت في (٤٣ : ١٢) ، (٤٧ : ١) ، (٤٨ : ١٤ ، ٢٠) .

ومصر كذلك وردت في (٤٣ : ٣) ، (٤٥ : ١٤) ، (٥٢ : ٤) .

وهذا لأن مصر كانت ما تزال تعيش وكذلك بابل . كما أن استعمال كل من مصر وبابل في القسم الثاني لم يكن مثله في القسم الأول إذ إن كلاً منهما وردت في القسم الأول شريكه في الأحداث تنصب عليها الشتائم والتهديدات ، أما في القسم الثاني فمصر قد جعلها يهوه فدية لشعه (٤٣ : ٣) وهي في صورة مخزية تحت سلطان شعبه تمشي خلفه بالقيود متضرعة ساجدة (٤٥ : ١٤) بعد أن كان الشعب غريباً فيها (٥٢ : ٤) .

وبابل ألقاها الرب في المغاليق من أجل شعه (٤٣ : ١٤) وقد انحدرت على الأرض من عليائها وأصبح صولجانها في التراب (٤٧ : ١) وأصبح ذراع شعبه عليها يفعل بها ما يريد (٤٨ : ١٤) .

أما « كورش » المسيح والمخلص للشعب من الأسر فلم يذكر قط في الجزء الأول إذ إن إشعيا النبي لم يشهد عصره وإنما ذكر في القسم الثاني (٤٤ : ٢٨) ، (٤٥ : ١) لأن مؤلف هذا القسم من السفر شهد خلاصه ومن معه على يد (كورش) .

ومن القرائن كذلك على أن إشعيا النبي هو صاحب الجزء الأول فقط من السفر (١ - ٣٩) أن اسم إشعيا لم يرد مطلقاً في القسم الثاني (٤٠ - ٦٦) ، أما القسم الأول فقد افتتح السفر مؤكداً أن هذه « رؤيا إشعيا بن أموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عزيا ويوثام وآحاز ، وحزقيا ملوك يهوذا » وقد ورد اسم إشعيا بن أموص في القسم الأول خمس عشرة مرة (١ : ١) ، (٣ : ٧) ، (١٣ : ١) ، (٢٠ : ٢) ، (٣) ، (٣٧ : ٢) ، (٥ ، ٦ ، ٢١) ، (٣٨ : ١) ، (٤ ، ٢١) ، (٣٩ : ٣) ، (٥ ، ٨) ، ولأن كل نبوة في العهد القديم

يذكر صاحبها في سفره على أنه هو المبلغ لكلام الرب إلى شعبه ، ولما لم يذكر اسم صاحب النبوات في القسم الثاني من السفر فهو إذن مجهول المؤلف ، وهذا الذي جعل بعض الباحثين يطلقون على القسم الثاني اسم إشعيا الثاني مثل (دريفر) ، ومنهم من أطلق اسم إشعيا الثاني على الإصحاحات (٤٠ - ٥٥) فقط ثم أطلقوا اسم إشعيا الثالث على بقية السفر ، ومن أهم أصحاب نظرية إشعيا الثالث دوم Duhm ويستثني Duhm فقرات الخادم (أو عبد الرب) من إشعيا الثالث ويعزوها إلى كاتب عاش فيما بين سنة ٥٠٠ ، ٤٠٠ ق.م. (١) .

نلاحظ أيضاً قرينة أخرى تشير الى اختلاف المؤلف في كل من قسمي السفر هذه القرينة هي $\text{זֶה הַיּוֹם הַזֶּה}$ « في ذلك اليوم » وهي من اللوازم اللغوية عند أنبياء بني إسرائيل وخاصة أنبياء الأزمنة للإشارة إلى يوم الخلاص الذي سيأتي في آخر الأيام $\text{בְּאַחֶרֶת הַיָּמִים}$ كما استخدمها إشعيا في (٢: ٢) مشيراً إلى يوم الخلاص عندما يرتفع جبل بيت الرب على رأس كل الجبال وتجري إليه كل الأمم .

ولكن عبارة « في ذلك اليوم » عند إشعيا بن أموص استعملها في مواضع كثيرة للإشارة إلى يوم الرب יְוֵם הַיְהוָה وهو يوم العقاب الذي سينزل على بني إسرائيل لفسادهم وانحرافهم وبعدهم عن الرب وسينزل كذلك على الأمم الوثنية التي استخدمها الرب لعقاب بني إسرائيل حتى يتظهروا فيخلص الناجين التائبين منهم .

وقد كانت عبارة « في ذلك اليوم » عند إشعيا بن أموص من لوازمه التي لازمت أسلوبه في كل الإصحاحات التسعة والثلاثين الأولى تقريباً ، ومن هذه المواضع (١٧ : ٢ ، ٢٠) ، (٨ : ٣) ، (٤ : ١ ، ٢) ، (٥ : ٣٠) ، (١٨ : ٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣) ، (١٠ : ٢٧ ، ٢٠ : ١٠) ، (١١ : ١١) ، (١٢ : ١) ، (١٧ : ٤ ، ٧ ، ٩) ، (١٨ : ٧) ، (١٩ : ١٦ ، ١٩) ، (٢١ ، ٢٣) ، (٢٤ : ٢٠ ، ٢٢) ، (٢٥ : ٢٣) ، (٢٤ : ٢١) ، (٢٥ : ٩) ، (٢٦ : ١) ، (٢٧ : ١) ، (٢٨ : ٥) ، (٢٩ : ٥ ، ١٨) ، (٣١ : ٧) .

كما وردت $\text{קָרַבְתָּ אֵלַי הַיְהוָה}$ في ذلك الزمان في (١:٣٩) .
 ولم ترد في القسم الثاني من السفر إلا في موضع واحد فقط (٦:٥٢) ،
 واستعملت للإشارة إلى الخلاص وليس إلى العقاب كما هو الحال في معظم
 مواضعها عند إشعيا بن أموص .

هناك أيضاً بعض اللوازم اللغوية التي وردت مشتركة في قسمي السفر ولكنها
 في واحد منهما تغلب كثيراً ، من هذا :

$\text{בָּרַבְרָתְךָ יְהוָה}$ رب الجنود فإظهار يهوه بصفته
 محارباً عند إشعيا الأول في معظم المواضع التي ذكره فيها إنما هو أمر طبيعي
 يناسب فترة القلاقل السياسية والعسكرية التي عاشها النبي إشعيا بن أموص ولكن
 بني إسرائيل وهم في الأسر البابلي ينزعون إلى تعميق إيمانهم بالرب فيصبح رب
 الجنود رب القداسة ، وعلى ذلك يكون عدد المرات التي وصف بها يهوه بأنه رب
 الجنود في الإصحاحات (٦٦:٤٠) أقل منه كثيراً في القسم الأول حيث وصف
 يهوه برب الجنود في أكثر من أربعين مرة (٩:١) ، (١٢:٢) ، (٥:٧ ، ١٦ ،
 (٢٤ ، (٣:٦ ، (٥ ، (١٣:٨ ، (١٨ ، (٧:٩ ، (١٣ ، (١٩ ،
 (٢٦:١٠) ، (٤:١٣ ، (١٤ ، (٢٧ ، (٢٤:١٤) ، (٧ ، (٧:١٨) ،
 (مرتين) ، (١٢:١٩ ، (١٦ ، (١٧ ، (١٨ ، (٢٠ ، (٢٥) (١٤:٢٢) ،
 (٩:٢٣) ، (٢٣:٢٤) ، (٦:٢٥) ، (٥:٢٨ ، (٢٩) ، (٦:٢٩) ،
 (٥:٣١) ، (٣٢:٣٧) ، (٥:٣٩) .

بينما ذكر في الإصحاحات الأخيرة خمس مرات فقط هي (٦:٤٤) ،
 (٤:٤٧) ، (٢:٤٨) ، (١٥:٥١) ، (٥:٥٤) .

وينعكس الأمر بالنسبة لوصف يهوه بالقداسة فقد اتصف بالقداسة في
 الإصحاحات الأخيرة (٤٠ - ٦٦) أربعين مرة بينما في الإصحاحات الأولى (١ -
 ٣٩) ، اثنتي عشرة مرة فقط .

كذلك نجد لفظ الخلاص $\text{יְהוָה יַצִּילְךָ$ بمشتقاته يرد في الإصحاحات
 (٦:٤٠) أكثر منه في الإصحاحات الأولى ، فنجد في القسم الثاني من السفر

في (٤٣: ٣ ، ١٢) ، (٤٥: ٨ ، ١٥ ، ٢٠ ، ١٠) ، (٤٦: ٧ ، ١٣) ،
(٤٩: ٦ ، ٨ ، ٢٥ ، ٢٦) ، (٥١: ٥ ، ٦) ، (٥٢: ٧) ، (٩: ١١ ، ١٦) ،
(١٧: ١١) ، (٦٠: ١٨) ، (٥٦: ١) ، (٦١: ١٠) ، (٦٢: ١) ، (٦٣: ١ ، ٨ ، ٩) .

بينما في القسم الأول من السفر (١٣: ٢ ، ٣) ، (١٧: ١٠) ،
(١٩: ٢٠) ، (٢٥: ٩) ، (٢٦: ١ ، ١٨) ، (٣٣: ٢ ، ٢٢) ، (٣٥: ٤) ،
(٣٧: ٢٠) .

ولفظ الفداء פָּדוּת في القسم الثاني من السفر (٤١: ١٤) ،
(٤٣: ٣ ، ١٤) ، (٢٤: ٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) ، (٤٧: ٤) ، (٤٨: ١٧) ،
(٢٠: ٢٠) ، (٤٩: ٢٦) ، (٥٠: ٢) ، (٥١: ١٠) ، (٥٩: ٢٠) ، (٦٢: ١٢) .
ينما في القسم الأول (١: ٢٧) ، (٢٩: ٢٢) ، (٣٥: ٩) .

فالفداء والخلاص عند إشعيا بن أموص كان مجرد إغراء للمنحرفين أن يتوبوا
ويقلعوا عن غيهم ولما كان يراهم يزدادون في عمايتهم وجهالتهم جعل القدح
المعلّى في قاموس خُطْبِهِ لألفاظ الوعيد والتهديد بالويل والثبور حتى يزدجروا ، أما
عند إشعيا الثاني أو مؤلف القسم الأخير فإن الأمر في زمنه لم يكن يستدعي هذا
اللون من الخطاب للشعب ولم يكن ليستخدم أسلوب التهديد طالباً من الشعب أن
يعود إلى الإيمان الصحيح وإنما يطلب من الشعب أن يمهد طريق العودة إلى
فلسطين عبر الصحراء « صوت صارخ ، في البرية أعدوا طريق الرب مهدوا في
القفر سبيلاً لإلهنا »^(١) .

فهذا يشير إلى أن موعد العودة أصبح وشيكاً^(٢) .

كما أننا نجد اختلافاً نسبياً في مفهوم البر والصلاح צְדָקָה في

(١) ترى العقيدة المسيحية أن المقصود بهذه العبارة هو يوحنا المعمدان . أنظر متي (٣: ٣) ولوقا
(١: ٣ - ٤) ويوحنا (١: ٢٣) .

(٢) قارن كذلك (٤٦: ١٣) ، (٤٨: ٢٠) .

استعمال كل من قسمي السفر للكلمة فالبر في عصر إشعيا بن أموس هو خلق الإنسان وواجبه الديني فيما يتضمنه من تقوى ونقاء وعدل وخدمة للمجتمع .

צִיּוֹן בְּמִשְׁפַּט תְּפִידָה וְשִׁבְיָה בְּצַדִּיקָה:

صهيون تفدي بالحق وتائبوها بالبر (٢٧: ١) .

וְיָרֵה צֶדֶק אֲזוּר מִתִּיבָה וְהָאֲמִינָה אֲזוּר הַלְצִי:

ويكون البر منطقة متينة والأمانة منطقة حقوبية (٥: ١١) وكذلك

(١٦: ٥) ، (٧: ٩) أما البر والصلاح في القسم الثاني من السفر (٤٠ - ٦٦)

فيما عدا حالات قليلة فهو الشيء الذي يتوقعه الناس من الرب :

בְּיָאֲדֵי יְהוָה יִצְמַח צֶדֶק וְיִתְהַלַּל

هكذا السيد الرب ينبت برأ . . (١١: ٦١) ، وهكذا (١٠: ٤١) ،

(٤٢: ٦ ، ٢١) ، (٤٥: ٨ ، ٢٤) ، (٤٦: ١٣) ، (٤٨: ١٨) ، (٥١: ١) ،

(٧ ، ٥) ، (٥٤: ١٧) ، (٥٧: ٢) ، (٦٨: ٢ ، ٨) ، (٥٩: ١٦) ،

(٦٠: ١٧) ، (٦١: ٣ ، ١٠ ، ١١) ، (٦٢: ٢) ، (٦٣: ١) .

كذلك نجد استخدام كلمة جزائر في كل من القسمين يختلف عن الآخر ،

ففي القسم الأول (١ - ٣٩) وردت الكلمة مرتين فقط بمعناها الأصلي جزيرة

البحر أو الشاطئ

עֲלֵפֶן בְּאֲרָיִם כִּבְדוּ יְהוָה בְּאֵי דָהִם שֵׁם יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל:

كذلك في المشارق مجدوا الرب ، في جزائر البحر ومجدوا اسم الرب إله

إسرائيل (١٥: ٢٤) وكذلك (١١: ١١) .

أما في القسم الثاني من السفر فكلمة الجزائر تعني الأماكن البعيدة لا جزائر

البحر بالذات فيما عدا القليل .

לֹא יִכְהֶה וְלֹא יִדְחַץ עַד יִשִּׁים בְּאֶרֶץ מִשְׁפַּט וּלְחֹרְתוֹ אִיִּם יִזְחֲלוּ:

لا يكلم ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ومنتظر الجزائر شريعته

(٤٢: ٤) ، (٤٠: ١٥) ، (٤١: ١ ، ٥) ، (٤٢: ١٠) ، (٤٩: ١) ،

(٥١: ٥) ، (٦٠: ٩) ، (٦٦: ١٩) .

ونجد مثلاً الغرض نفسه والمعنى ذاته يتكرر في كل من قسمي السفر ولكننا نلاحظ اختلافاً في استعمال كلمة معينة تقوم قرينة على إثبات عدم وحدة السفر فمثلاً الفقرة (٢٥ : ٦٥) الخاصة بوصف العهد المسيحاني بأن يرعى الذئب والحمل نجد كلمة معاً أو سوياً يختلف شكلها عن تلك التي وردت في الإصحاح الحادي عشر فالكلمة التي وردت في (١١ : ٦ - ٩) هي **בְּיָמַי** وهي الكلمة العبرية الشائعة بمعنى معاً أو سوياً ، نجدها قد استبدلت في (٢٥ : ٦٥) بكلمة **בְּיָמַי** وهي من الصيغة الآرامية **בְּיָמַי** مما يشير إلى تأخر تاريخ الفقرة المشتملة على هذه الكلمة بدليل أن هذه الكلمة في (٢٥ : ٦٥) لا نجدها إلا في الأسفار المتأخرة فقط مثل أيام ثان (١٣ : ٥) ، عزرا (٢ : ٦٤) ، نحميا (٦٦ : ٧) ، (٩ : ٣) ، (٢٠ : ٦) والجامعة (٦ : ١١) .

ومن خصائص أسلوب إشعيا الثاني (أ) ازدواجية الكلمات مثل :

عزوا عزوا شعبي (١ : ٤٠)	נְחַמְנוּ נְחַמְנוּ עַמִּי
أنا أنا الرب (١١ : ٤٣) ، (٢٥ : ٤٣) ، (١٢ : ٥١)	אֲנִי אֲנִי יְהוָה
من آجلي من آجلي أفعل (١١ : ٤٨)	לְמַעַן לְמַעַן אַעֲשֶׂה
أنا أنا تكلمت (١٥ : ٤٨)	אֲנִי אֲנִי דִבַּרְתִּי
استيقظي استيقظي (٩ : ٥١) ، (١ : ٥٢) .	עוֹרְרִי עוֹרְרִי
انهضي انهضي (١٧ : ٥١) .	הִתְעוֹרְרִי הִתְעוֹרְרִי
اعتزلوا اعتزلوا (١١ : ٥٢) .	סִגְרוּ סִגְרוּ

وهكذا في كثير من الآيات مثل (٦ : ٥٧ ، ١٤ ، ١٩) ، (١٠ : ٦٢) ، (١ : ٦٥) .

ولا نجد موازياً لهذه الخاصية في إشعيا الأول إلا في ثلاث مواضع هي (٩ : ٨) ، (٩ : ٢١) ، (١ : ٢٩) .

(ب) تكرار كلمة أو كلمات في عبارات أو آيات متجاورة مثل :

تكرار كلمة **יָדַע** (يَعْلَمُه) في نهاية كل من الآيتين (١٣ : ٤٠) ، (١٤) .

ومن الكلمات التي وردت في القسم الثاني من السفر (٤٠ - ٦٦) في استعمال خاص غير الذي ورد في القسم الأول (١ - ٣٩) نجد :

- اختار **קָחַ** من اختيار الرب لإسرائيل

וַתִּחַ שְׁמֵעַ יַעֲקֹב עֲבָדֵי יִשְׂרָאֵל בְּחַרְתִּי בָּ:

والآن اسمع يا يعقوب عبدي وإسرائيل الذي اخترته (١:٤٤) وكذلك (٨:٤١ ، ٩) ، (١٠:٤٣) ، (٢:٤٤) وورد الاختيار للأمة المثالية في (١:٤٢ ، ٧:٤٩) . وكلمة مختاري **בְּחַרְתִּי** في (٢٠:٤٣) ، (٤:٤٥) ، (٢:٦٥ ، ١٥ ، ٢٣) ولم ترد هذه الكلمة في القسم الأول إلا في (١:١٥) وهذا الموضع من الفقرات التي قال النقاد عنها إنها ليست لإشعيا وإنما هي مقحمة على السفر في فترة متأخرة .

- وكلمة تسبيح **דָּבַרְתָּ לְךָ** ومشتقاتها انفرد بها القسم الثاني من السفر في (٨:٤٢ ، ١٠ ، ١٢) و(٢١:٣٠) ، (٩:٤٨) ، (٦:٦٠ ، ١٨) ، (٢:٦١ ، ١١) ، (٧:٦٢ ، ٩) ، (٧:٦٣) ، (١٠:٦٤) .
- وكلمة ترنم أو شدا **רָנַתָּ** و **פָּקַדְתָּ** في (٢٣:٢٤) ، (١٣:٤٩) ، (٩:٥٢) ، (١:٥٤) ، (١٢:٥٥) .

ووردت **פָּקַדְתָּ** في (٧:١٤) وهي من الفقرات التي نسبها النقاد لمؤلف متأخر عن عصر إشعيا .

- وكلمة **פָּקַדְתָּ** سعادة وردت في القسم الأخير من النص في غرضين :
أ - غرض إلهي (٢٨:٤٤) ، (١٠:٤٦) ، (١٤:٤٨) ، (١٠:٥٣) .
ب - غرض إنساني أو عمل إنساني (٣:٥٨ ، ١٣) ، وبشمول أكثر في (١٢:٥٤) ، (٤:٦٢) .

- وكلمة **בָּקַדְתָּ** كإرادة طيبة ، إرادة الرب .

כִּהְיוּ אֲמֵר יְדָהָהּ בְּעַת רַחֲמָן עֲנִיתָהּ וּבְיוֹם יִשְׁעֶיהָ עָרַחְתָּהּ

هكذا قال الرب : في وقت القبول استجبت لك وفي يوم الخلاص أعتك (٨:٤٩) ، (٧:٥٦) ، (٥:٤٨) ، (٧:٦٠ ، ١٠) ، (٢:٦١)

- وكلمة **בְּנֵי־אֲבֹתָיִךְ** أبناؤك بإضافة كاف المخاطبة عائداً على صهيون في
(١٧ : ٢٢ ، ٢٥) ، (٢٠ : ٥١) ، (١٣ : ٥٤) ، (٤ : ٦٠) ، (٩) ،
(٥ : ٦٢) ، (٨ : ٦٦) .

ونفس الكلمة عندما يستعملها إشعيا بن أموص يأتي بها بدون إضافة وتشير
ضمنياً إلى يهوه مثل (١ : ٢ ، ٤) ، (١ : ٣٠ ، ٩) وقد وردت كاستعمال إشعيا
لها في تثنية (١٤ : ١) في صورة الجمع **בְּנֵי־אֲבֹתָיִךְ** أبناء .

- وكلمة **זְרָעַי בְּהַרְהֵךְ** (ذراع يهوه) قد استخدمت في القسم الثاني
(٤٠ - ٦٦) استخداماً مجازياً رائعاً .

קָרִיב לְדַרְכֵי יְהוָה חֲרֵץ עֲרֵב עַמִּים שֹׁמֵם אֶלֶּי

قريب بري . قد برز خلاصي وذراعي يقضبان للشعوب (٥ : ٥١) ،
(١٢ : ٤٤) ، (٩ : ٥١) ، (١٠ : ٥٢) ، (١ : ٥٣) ، (١٦ : ٥٩) ،
(٨ : ٦٢) ، (٥ : ٦٣) ، (١١) .

وقد وردت في القسم الأول في موضع واحد (٣٠ : ٣٠) في معنى مختلف يعبر
عن غضب يهوه المنتقم .

- وكلمة **בְּיָמַי כְּאֵתֶּךָ** بمعنى ذرية في (٣ : ٤٤) ، (١٩ : ٤٨) ،
(٩ : ٦١) (٢٣ : ٦٥) .

ووردت بمعنى نتاج الأرض في (٥ : ٤٢) .

ونفس الكلمة وردت في القسم الأول من السفر بمعنى فروع (٢٤ : ٢٢) ومرة
أخرى بمعنى نتاج الأرض في (٥ : ٤٢) .

ونفس الكلمة وردت في القسم الأول من السفر بمعنى فروع (٢٤ : ٢٢) ومرة
أخرى بمعنى نتاج الأرض (١ : ٣٤) .

أما اللوازم اللغوية التي كثرت في القسم الثاني من السفر فهي :

أ - **אֲנִי יְהוָה וְאֵין עִוָּה לְפָנַי** أنا الرب وليس آخر في (٥ : ٤٥) ،
(١٨ ، ٦ ، ٢١ ، ٢٢) .

ب - **אֲנִי רִאשׁוֹן וְאֲנִי אַחֲרִון** أنا الأول والآخر (٦ : ٤٤) ،

(١٢:٤٨) وفي (٦:٤٤) أضاف إلى العبارة **וּמִכְלֵד אֶן אֱלֹהִים**:

ولا إله غيري ، وفي (٤:٤١) **אֲנִי יְהוָה רִאשׁוֹן וְאֶת־אַחֲרָיִם אֲנִי־הוּא**:

أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو .

ج- **אֲנִי הוּא** أنا هو بمعنى هو الذي يكون (٤:٤١) ، (٤٣:١٠ ، ١٣) ، (٤:٤٦) ، (١٢:٤٨) . وهذه اللوازم اللغوية عند إشعيا الثاني لم يستعملها إشعيا الأول إذ أن إشعيا الأول له لوازمه التي ذكرناها من قبل مثل عبارة (في ذلك اليوم) وعبارة « مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد » .

كذلك نجد في القسم الثاني (٤٠ - ٦٦) أنه كثيراً ما يقرن اسم الرب بكنية اشتقاقية تبين صفة من صفاته الإلهية في صيغة **אֱלֹהִים** اسم الفاعل مضافاً مثل : **וְהוֹחֵה כְּהוֹאֲמֵר יְהוָה כְּרֹאֲךָ** والآن هكذا يقول الرب خالقك (١:٤٣) أو صانعك أو جابلك (١٥:٤٣) ، (٤٤:٢ ، ٢٤) ، (١١:٤٥) ، (٥:٤٩) . ومثل (٢٨:٤٠) ، (٥:٤٢) ، (٢٤:٤٤) ، (٧:٤٥ ، ١٨) ، (١٣:٥١) .

وخلافاً لهذه القرائن اللفظية المتميزة التي تفصل بين أسلوب إشعيا بن أموص وبين أسلوب نبي السبي مجهول الاسم الذي أطلقوا عليه إشعيا الثاني نجد ملامح أدبية تتميز بأنها أكثر عمومية من المقارنات السابقة فأسلوب إشعيا بن أموص أنيق محكم وفي بلاغته رصانة وانضباط ، أما في إشعيا الثاني (٤٠ - ٦٦) فإننا نجد الموضوع غالباً ما يميل إلى الطول الملحوظ ، وعبارته ليست هندسية كعبارة إشعيا بن أموص بل هي انسيابية متدفقة ، في بلاغته دفء وحماس ، وغالباً ما ينطلق وراء إيقاع الطبيعة « غنوا للرب أغنية جديدة ، تسيحة من أقصى الأرض (١٠:٤٢) ، (ترمي أيتها السموات) (٢٣:٤٤) ، (اقطري أيتها السموات من فوق) (٨:٤٥) ، (ترنمي أيتها السموات وابتهجي أيتها الأرض لتشدو الجبال) (١٣:٤٩) .

هذا النظام لم يرد ما يوازيه عند إشعيا بن أموص اللهم إلا ما ورد في

الإصحاح الثاني عشر ، لأن القوة هي السائدة في خطب إشعيا الأول كما رأينا في استخدام الألفاظ الطنانة في إشهاد السموات والأرض على انحراف الأبناء وضلال الشعب وجحوده لربه الذي رعاه ورباه (١ : ٢ - ٤) .

فأعاد بأسلوبه ومفرداته الرنانة تقديم أصوات الطبيعة وحركاتها بصورة مثيرة ، الزئير الكثيب للكتل البشرية وضجيج المعارك ، وضوضاء الشعب في أوصاف البحار الهائجة العاصفة ودرجة الأمواج العارمة^(١) .

« آه ضجيج شعوب كثيرة كضجيج البحر ، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة ، ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً ، وتطرد كعصافة الجبال أمام الريح ، وكالجبل أمام الزوبعة ، في وقت المساء إذا رعب ، قبل الصبح ليسوا هم (١٧ : ١٢ - ١٤ » .

فهذا الأسلوب الرصين يذكرنا بأغنية (دبورا) :
« حينئذ ضربت أعقاب الخيل من السوق سوق أقويائه (قضاة ٥ : ٢٢) ، ومدت يدها الى الوند ويمينها الى مضراب العملة وضربت سيسرا وسحقت رأسه ، شدخت وخرقت صدغه ، بين رجلها انطرح سقط اضطجع ، بين رجلها انطرح سقط حيث انطرح فهناك سقط مقتولاً . . . » (قضاة ٥ : ٢٦ ، ٢٧) .
وإذا كان أسلوب إشعيا النبي يتناسب مع الفترة التي عاشها في إثارتها للعواصف والظوفان وألوان الهزائم وألفاظ الويل والتهديد والإنذار ، فإن أسلوب إشعيا الثاني مثير للعواطف يحدوه الأمل القريب بالعودة إلى فلسطين بعد طول العناء .

بهذه المقارنة بين لغة كل من قسمي السفر يتضح لنا أن مؤلف الإصحاحات الأولى (١ - ٣٩) نبي عاش أزمة الكيان اليهودي بكل قوتها وهدير أحداثها فانفق المقال مع الحال ، وفي المقابل كانت الإصحاحات الأخيرة نبوءة نبي عاش في أواخر سنوات السبي البابلي يتطلع إلى الأمل المشرق القريب ، أمل العودة إلى فلسطين بنفوس ثابتة إلى رشدتها بعد أن هزتها قسوة النكبة فعادت لتسير في طريق قداسة الرب الذي كانوا قد نسوا عهده وابتعدوا عنه حتى لقنهم الدرس وأدبهم .

Edward R. Bevan & Hrls Singer; The Legacy of Israel, P.12.

(١)

وأما عن هذه النكبة التي هزتهم والخلص الذي كانوا ينتظرونه وطبيعة يهوه الذي كان لهم معه مواقف متباينة فذلك ما سنتناوله في الباب الثالث الذي أفردناه للأثر الديني للسفر والأثر السياسي من خلال دور إشعيا في عصره .



الباب الثالث

الأثر السياسي والديني للسفر

١ - إشعياء ودوره السياسي

٢ - أسس العقيدة اليهودية كما تمثلت في السفر



الفصل الأول

إشعيا ودوره السياسي

إشعيا بن أموص

(إشعيا بن أموص) هاتان الكلمتان هما كل ما يجده الباحث في العهد القديم عن نسب هذا النبي الذي لم يحظ نبي من أنبياء العهد القديم بمثل ما حظي به من اهتمام ودراسة وبحث واختلاف في الآراء وتباين في وجهات النظر على المستوى الديني والتاريخي فيما ترك من تراث .

وقد ذهب بعض الباحثين^(١) إلى أن إشعيا ينتسب إلى بيت داود ، البيت المالك على يهوذا ، فهو إذن من أصل ملكي ، أبوه أموص كان أخواً لأمصيا ملك يهوذا (٨٣٩ - ٨١٠ ق.م) ، ومن ثم كان جد إشعيا - يوأش بن أخزيا (٨٧٨ - ٨٣٩ ق.م) وعمه أمصيا وابن عمه (عزيا بن أمصيا) (٨١٠ - ٧٥٨ ق.م) ملوكاً ليهوذا .

وربما تكون هذا الرأي عند الباحثين بناء على ما كان عليه إشعيا من منزلة عظيمة وحظوة بالغة في البلاط الملكي ، إذ كان مستشاراً موثقاً به عند الملك حزقيا^(٢) ويقول متي هنري^(٣) إن انتساب إشعيا إلى الأسرة الملكية في يهوذا يرجع إلى المعتقد اليهودي في أن أموص والد إشعيا أخ أو ابن لأمصيا ملك يهوذا ، ويرى متي هنري أن هذا خبر غير مؤكد تماماً كالخبر الذي ورد عنهم بأنه ما دام قد

(١) الأب لويس برسوم : إشعيا النبي وملوك يهوذا ، ص ٢٦ .

(٢) Charles F. Pfeiffer & E.F. Harrison; The Wychiffe Bible Comm. P.605.

(٣) M.Henry; M.Henry's Comment. Vol. IV. P.117.

ذكر اسم والد النبي معه فهذا دليل على أن والده كان نبياً كذلك . وإذا كان تلاميذ النبي وتابعوه يوصفون بأنهم أبناءه فإن الأدلة لدينا قليلة بل نادرة فيما يثبت خلافة الأبناء الحقيقيين لأبائهم في النبوة .

بينما تنظر الكنيسة الكاثوليكية إلى خبر انتساب إشعيا إلى بيت داود الملك على أنه تقليد من التقاليد المقبولة في الكنسية من أقدم عهدا^(١) . ويروي النويري عن الكسائي أن إشعيا النبي من ولد هارون بن عمران^(٢) .

وإن انتساب إشعيا إلى البيت المالك في يهوذا قد لا يكون مبالغاً فيه وبخاصة إذا ما أنعمنا النظر في شخصية إشعيا وجرأته في مجابهة القصر والحكومة بمعارضاته القوية في أخطر المواقف ، ثم قربه الدائم من البلاط الملكي وفيما يبدو أنه كان يشعر بأحقيته في إدارة سياسة الدولة بصفته سليل الأسرة الحاكمة ، ولما لم تتح له أو لأبيه هذه الفرصة فقد نصب من نفسه قائداً للمعارضة القوية والحساب العسير ليس فقط للمنحرفين من بيت داود الجالسين على مقاعد الحكم بل كان كذلك شديد النقد عنيف الهجوم على كل من يمسك بزمام من أزمة الأمور في بلده ، فهاجم القادة الدينيين ولم يسلم من غضبته أولئك المتحكمون في اقتصاد البلد من كبار الأغنياء والموسرين ، وهاجم كل مستورد ورخيص من العادات الاجتماعية السيئة وبخاصة ما يتعلق منها بزينة النساء وتبرجهن ولم يغمض عينيه عما أصاب القضاء من بطلان وانحراف عن العدل وانحراف في تيار الجور والعسف بالقدر الذي يمكن أن يوصف به بأنه مصلح اجتماعي وديني عظيم إلا أن دوره لم يكن مقصوراً على هذا وحسب بل كانت له وقفات رائعة في أحلك المواقف السياسية التي مرت بها يهوذا وكانت آراؤه في علاج الأمور كفيلاً بأن تضعه في مصاف السياسيين ذوي الدرية والحكمة وطول الخبرة .

واسم إشعيا יִשְׁעִיָּהוּ في العبرية يتكون من مقطعين ، المقطع

(١) أنظر تعليق الترجمة الكاثوليكية على سفر إشعيا .

(٢) شهاب الدين النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ح ١٤ ص ١٤١ ، ومحمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، ح ١ ص ٦٣٧ .

الأول יִישׁׁיָא بمعنى يخلص ، والثاني יִישׁׁיָא بمعنى الرب ، فيكون معنى الاسم « الرب يخلص » وهذا المعنى إنما هو عنوان مناسب تماماً لأهم ما يميز رسالة هذا النبي في مضمونها العام لأن أهم أفكار سفر إشعيا إنما هي فكرة الخلاص الذي أعده يهوه لشعبه بعد أن يطهرهم من آثامهم في يوم عاصيب هو يوم تأديب الرب لشعبه المتمرد .

وأقدم من تسمى باسم إشعيا قبل إشعيا بن أموص هو (إشعيا بن بيروثون) وكانت وظيفته عازفاً مقدساً في عهد داود وكان يعمل مع إخوته تحت يد أبيهم (بيروثون) المتنبئ بالعود لأجل الحمد والتسبيح للرب^(١) .

وثاني اسم يذكره الكتاب المقدس لمن تسموا بإشعيا غير إشعيا بن أموص هو (إشعيا بن حنانيا) وهو ثاني أبناء حنانيا بن زربابل حفيد (يكنيا بن يهوياقيم) ملك يهوذا^(٢) ، غير أن إشعيا بن حنانيا هذا لم يكن قبل إشعيا النبي وإنما كان بعده بحوالي قرنين من الزمان (٥٣٦ ق.م)^(٣) .

وثالث هذه الأسماء هو (إشعيا بن رحبيا) من أسرة اليعازر اللاوية وكان من نسله شلوميت وأخوته الذين كانوا على جميع خزائن الأقداس التي قدسها داود الملك^(٤) .

وهناك أيضاً (إشعيا بن عثليا) رئيس أسرة عيلام ، وقد عاد من بابل مع سبعين ذكراً حوالي سنة ٤٥٧ ق.م^(٥) .

كذلك نجد (إشعيا) رجلاً من خدام بيت الرب الذين طلبهم عزرا ، ولم يرد اسم أبيه ، ولكن عزرا يقول عنه «إشعيا من بني مراري وإخوته وبنوهم عشرون»^(٦) وقد جاء إشعيا المراري هذا بصحبة (حشيبا) وقد قابل عزرا عند

(١) أيام أول : ٣ : ٢٥ .

(٢) أيام أول : ٣ : ٢١ .

(٣)

(٤) أيام أول : ٢٦ : ٢٥ .

(٥) عزرا : ٨ : ٧ .

(٦) عزرا : ٨ : ١٩ .

« أهوا » في الطريق من بابل إلى فلسطين .

وهناك أيضاً (إشعيا) والد إيثييل ، وهو بنياميني ، وكان من نسل إشعيا هذا (سلو) الذي كان واحداً من عشرة وقع عليهم اختيار الشعب للسكنى في أورشليم يقول نحemia : « وهؤلاء بنو بنيامين ، سلّوبن مثلاً بن يوعيد بن فدايا بن قولايا بن معسيا بن ايثييل بن إشعيا » (نحemia ١١ : ٧) .

وكان كل من إشعيا بن عثليا وإشعيا المراري في حوالي سنة ٤٥٧ ق.م ، أما إشعيا البنياميني والد ايثييل فكان حوالي سنة ٤٤٥ ق.م. (١) .

وأما الذين تسموا بهذا الاسم من اليهود بعد الميلاد فمن أشهرهم : إشعيا بن آبا ماري ويسمى كذلك «Astruc de Savoie» وهو حبر فرنسي من النصف الثاني من القرن الرابع عشر واشتهر بمجادلاته وبالانقسامات التي أحدثها بين جماعات فرنسا ، وقد جنده ربي مثير هليلفي بثينا إذمنحه سلطه الأخبار السامية ، وقد سعى لكي يجعل كل اليهود في فرنسا تحت سلطته وهدد بالحرمان كل من لم يخضع لسلطته ، ويقال إنه هدد حبراً معروفاً اسمه (ربي سيميون) بفقد مركزه إذا لم يزوجه من ابنة أخيه ، كما كان دائم التهديد ليوحنا بن متي حبر فرنسا الأكبر بإيعاز من مثير هليلفي ، فقد حاول خلع يوحنا بن متي من عمله الذي كان قد أقره التاج رسمياً ، فلجأ يوحنا إلى حسداي كريسكاس وشيشت وموسى اللاوي الذين ناصروه ولاموا إشعيا بن آبا ماري بشدة ، كما أدانوا التصرف غير الشرعي لمثير هليلفي رغم أن نتيجة هذا النزاع لم تعرف إلا أن إخراج اليهود من فرنسا الذي تم بعد هذا النزاع بقليل ربما يكون قد وضع حداً لهذه المنازعات (٢) .

أما إشعيا بن أبراهام فهو من الأخبار اللامعين في القرن السابع عشر وهو مؤلف شرح **נְזִילְתֵּן עַרְוֹךְ** « شولحان عرُوخ » ومؤلف (أورح حاييم) الذي أسسه على فتاوى « شولحان عرُوخ » في أمستردام سنة ١٧٠٨ ، ويقول

M.F.Unger; Unger's Bible Dictionary; P.657.

(١)

The Jewish Encyc. Vol. VI.P.643.

(٢)

Furst إن إشعيا بن أبراهام وأسرته قد ماتوا محترقين عندما كانوا في طريقهم الى فلسطين سنة ١٧٢٣^(١) .

وهناك إشعيا مناخم بن إسحق وكان من أحبار بولندا المعروفين وهو أول من تولى منصب (أب بيت دين = אב בית דין) وقد مات في كراكوف في أغسطس سنة ١٥٩٩^(٢) .

أما (إشعيا بن إيليا) فهو تلمودي إيطالي ومفسر عاش في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، وكان بكر أمه ، وكان يرمز إليه عادة بـ "א"ל"א" أي ربي إشعيا هارون أو "א"ל"א" أي ربي إشعيا بن إيليا ، وقد كتب شروحا لسفر يشوع في ليزيغ سنة ١٧١٢ ، والقضاة وصمويل وأجزاء من سفر الملوك ، وأيوب ، وترجع أهمية شروحه هذه إلى أنها أول شروح صدرت في إيطاليا خالية من التفسيرات المجازية الرمزية ، وكان يستشهد في شروحه بالنقل عن نحاة أسبانيا اليهود مثل ابن جناح وابن حيوج ، وأبراهام بن عزرا ، وله مؤلفات أخرى في الديانة اليهودية .

كذلك كان (إشعيا بن مالي) من تلمودي إيطاليا البارزين وقد ولد حوالي سنة ١١٨٠ وعاش في فينسيا ، ومات حوالي سنة ١٢٥٠ ، وربما عاش إشعيا بن مالي بعض الوقت في المشرق ، وقد كتب إشعيا هذا شرحاً للأسفار الخمسة متضمنفا تعليقات على (رشي) والأهمية الأساسية لإشعيا بن مالي هذا تأسست على حقيقة أنه كان من أبرز ممثلي الدراسة التلمودية في إيطاليا^(٣) .

وأما ما ورد في تراث العرب عن إشعيا النبي فإنه يكاد يكون من مصدر واحد لتشابه الرواية في كتب مؤرخي العرب كالطبري والنويري والشعالبي والمسعودي فإن النويري يروي عن المسعودي^(٢) أنه بعد أن قبض الله (صديقه)^(٤) ملك بني

The Jewish Encyc. Vol. VI. P.643.

(١)

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٤٤ .

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ح ١٤ ص ١٤٥ .

(٤) ربما كان صديقه هذا هو عزيا .

إسرائيل فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً ونبههم
إشعيا معهم لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله تعالى الى
إشعيا أن قم في قومك أوح على لسانك ، فلما قام أوحى الله على لسانه وأنطقه
بالوحي فقال : يا سماء اسمعي ، ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن
بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطنعهم لنفسه ، وخصهم بكرامته وفضلهم
على عباده واستقبلهم بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة ، فويل لهذه الأمة الخاطئة
الذين لا يدرون ما جاءهم من الخير ، إن البعير مما يذكر وطنه فيأتيه ، وإن الحمار
مما يذكر الأري^(١) الذي يشبع عليه فيراجعه ، وإن الثور مما يذكر المرج الذي
يسمن فيه فينتابه ، وإن هؤلاء القوم لا يدرون » .

ويلاحظ أن إشعيا ورد في التراث العربي باسم « شَعِيَّة » أو « سَعِيَّة »
بالسين كما ورد في اسم أحد شعراء اليهود وهو « سعية بن غريص » ويروي
صاحب الأغاني أن سعية بن غريص هذا حفيد السموأل بن غريص بن عاديا^(٢) .

ويقول الأصفهاني « وأسلم سعية وعمر طويلا ، ويقال إنه مات في آخر
خلافة معاوية . ولكن الأستاذ محمود شاكر^(٣) يرى أن شعية بالشين هذا كان أخوا
السموأل بن غريص بن عاديا ويحيلنا في أصل هذا الخبر إلى « المختلف
والمؤتلف » .

ولم يخبرنا العهد القديم عن عمر إشعيا بعد موته كما أخبرنا عن عمر
موسى^(٤) وعمر يوشع بن نون^(٥) بل ذكر العهد القديم عمر يهوياذاع الكاهن^(٦) .
ولكن من المرجح أن عمر إشعيا قارب أو تجاوز قرناً من الزمان ، وإذا كان

(١) الأري : عيس الدابة .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج ٣ ص ١٢٩ طبعة دار الكتب .

(٣) محمد بن سلام الجمجمي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ص ٢٤٠ هامش ٣ .

(٤) تثنية : ٣٤ : ٧ .

(٥) يشوع : ٢٤ : ٢٩ .

(٦) أيام ثان : ٢٤ : ١٥ .

أحد ممن كتبوا في إشعيا لم يشر إلى عمره إلا أننا يمكننا الاعتماد فيما ذكرنا على ما ورد من نصوص العهد القديم إذ من المعروف أن إشعيا بدأ عمله النبوي في سنة وفاة عزيا ملك يهوذا ورغم الاختلاف الواضح في تحديد سنوات حكم ملوك بني إسرائيل إلا أنه يمكن الوصول الى تاريخ تقريبي لنهاية حكم عزيا وهو حوالي سنة ٧٤٠ ق.م . ومن الثابت في العهد القديم أن مدة حكم يوثام بن عزيا ست عشرة سنة^(١) ومدة حكم آحاز بن يوثام ست عشرة سنة كذلك^(٢) ومدة حكم حزقيا بن آحاز تسع وعشرون سنة^(٣) فيكون مجموع سنوات حكم يوثام وآحاز وحزقيا إحدى وستين سنة ، ونفترض أن إشعيا لم يشهد من حكم منسي أكثر من عام على الأقل^(٤) فتكون المدة مع السنة التي مات فيها عزيا لا تقل عن ثلاث وستين عاماً منذ بدأ إشعيا رسالته النبوية حتى موته في عهد منسي ، فإذا كان إشعيا قد بدأ تكليفه برسالته وهو في الأربعين من عمره ، فلا بد أن يكون قد تجاوز عمره مائة عام عند موته .

وإشعيا بن أموص شخصية مثقفة واسعة الأفق ، ويمكننا أن نستنتج من نصوص السفر أن ثقافته ترجع إلى أنه قد يكون عمل في بداية حياته قبل أن يضطلع بدوره النبوي بمهنة التجارة وأنه قد تسنى له بهذا العمل أن يزور كثيراً من البلاد والأمم المجاورة التي كانت المملكة قد كونت معها علاقات تجارية منذ حكم سليمان ، ومما يقوي الرأي في هذا أن إشعيا يصف كثيراً من هذه البلاد ووصف إنسان عليم بها وبأخلاق مجتمعاتها وصناعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم في الحرب والسلم ، فهو يتحدث بعد إشارته إلى غزو سنحريب لمصر سنة ٧٢٠ ق.م عن الدمار الذي سيقبض بمصر مثل جفاف مياه مصر في سواقيها وتلف القصب والأسل والرياض الواقعة على حافة النيل وكل مزرعة على النيل ويتحدث كذلك عن

(١) أيام ثان : ٢٧ : ١ .

(٢) أيام ثان : ٢٨ : ١ .

(٣) أيام ثان : ٢٩ : ١ .

(٤) وما يدل على حضور إشعيا زمناً غير قليل من حكم منسي أن إشعيا قد وصف كثيراً من المفاصل التي ارتكبت في عهد منسي كما جاءت في ملوك ثان : ٢١ : ٦ من أن منسي عبر ابنه في النار وعاف وتفاءل واستخدام جانا وتوايع ، قارن إشعيا : (٨ : ١٩) ، (٢ : ٥) .

الصيادين الذين يستخدمون الشص وأولئك الذين يستخدمون الشباك ويتحدث عن الذين يعملون بالكتان الممشط وعن الذين يعملون في صناعة نسيج الكتان الأبيض (١٩: ٥ - ٩) كذلك يتحدث عن قوارب البردي (٢: ١٨) ، (٧: ٣٥) (١) .

كما أنه يفهم جيداً أساليب الأمم المجاورة في حربها كأسلوب آشور الشبيه بأسلوب مصر (١٠: ٢٤ ، ٢٦) ، كذلك نجد إعلاناً عن أدوات زينة النساء يذكر منها إشعيا الخلاخيل والصفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشامامات والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرقة والمعاطف والأردية والأكياس والمرايا والقمصان والعمائم والأزر وأنواع الطيب والديباج (٣: ١٨ - ٢٤) .

ويكاد ينفرد إشعيا بذكر أنواع شتى من المحاصيل النباتية وطرق زراعتها وحصادها وإعدادها كالشونيز^(١) والكمون والحنطة والشعير ويقول : « إن الشونيز لا يدرس بالنورج ، ولا تدار بكرة العجلة على الكُمون بل بالقضيب يخطط الشونيز والكمون بالعصا (٢٨: ٢٣ - ٢٨) ، (١١٨: ٤ - ٥) .

كذلك يصف أرض وشعب أثيوبيا التي أشار إليها بأنها أرض حفيف الأجنحة بأنها أرض قد خرقتها الأنهار ، وأن شعبها شعب طويل وأجرد ، شعب مخوف منذ القدم ، شعب ذو قوة وبأس وشدة ودوس (١٨: ٢ ، ٧) ، « وأن الماديين شعب لا يعتد بالفضة ولا يسر بالذهب (١٣: ١٧) .

كما أنه يذكر أهم ما تشتهر به لبنان من أرز مرتفع عال ، وبلوط باشان^(٣) وسفن ترشيش (٢: ١٣ - ١٦) ، وذهب أوفير (١٣: ١٢) .

(١) لم يرد ذكر قوارب البردي في الكتاب المقدس إلا عند إشعيا وأيوب (٩: ٢٦) .

(٢) لم يرد ذكر نبات الشونيز في الكتاب المقدس كله إلا عند إشعيا فقط (٢٨: ٢٥ ، ٢٧) وهو نبات من الفصيلة الشقيقة واسمه اللاتيني : *Nigella Sativa* وله أزهار خيمية شبيهة بنبات اليانسون وبذره يسمى حبة البركة (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٠) .

(٣) باشان اسم عبري معناه أرض مستوية ، وباشان اسم مقاطعة في أرض كنعان تقع شرقي الأردن بين جبلي حرمون وجلعاد (عدد ٢١: ٣٣) وسميت باشان من جبل في تلك البلاد (مزمور ٦٨: ١٥) وتشمل حوران والجولان واشتهرت بخصوبة أرضها (قاموس الكتاب المقدس ص ١٥٩) .

دوره السياسي

كان الارتباط بين السياسة والدين في العالم القديم ارتباطاً قوياً ، حتى أنهم كانوا يعتقدون أن هزيمة المدن هزيمة لألهتها ، يبدو ذلك واضحاً في الحوار الذي دار بين ربشاقى قائد الجيش الآشوري الذي يحاصر أورشليم ، وبين كل من الياقيم بن حلقيا وشبنة الكاتب ويواخ بن آساف مبعوثي الملك حزقيا للتفاوض مع ربشاقى ، وأثناء الحوار بين الطرفين قال لهم ربشاقى ولبقية الشعب : « لا يغركم حزقيا قائلاً الرب ينقذنا ، هل أنقذ آلهة الأمم كل واحد أرضه من يد ملك آشور ، أين آلهة حماة وأرفاد أين آلهة سفروايم ، هل أنقذوا السامرة من يدي ، من كل آلهة هذه الأراضي أنقذ أرضهم من يدي حتى ينقذ الرب أورشليم من يدي .

وكان دخول مملكة إسرائيل في محالفات دولية معناه في أفهام الشعب مباشرة أنها محالفات بين « يهوه » وبين آلهة هذه الدول ، ففي الحلف الذي كان بين سليمان وحيرام ملك صور أو بين آسا وبين بنهدد ملك دمشق ، كان ذلك يعني وضع يهوه على نفس مستوى الآلهة الأخرى وبالتالي أدخلت هذه المحالفات عبادات الدول المحالفة وفي كل مرة كانت إسرائيل تدخل في حلف سياسي مع آشور أو مع مصر ، وكان إسرائيل عادة الشريك الأضعف ، وبالتالي كان مركز يهوه أمام الآلهة الأخرى في مركز الأقل^(١) وإذا كان الشعب قد غفل عن ذلك فإن الأنبياء تنبهوا إلى هذا . ومن هنا كانت رسالة إشعيا دينية سياسية في آن واحد ، من منطلق الدفاع عن وحدانية « يهوه » ورفض مساواته بغيره من آلهة الأمم الأخرى الوثنية .

(١) هـ. ل. إيلسون « تفسير الكتاب المقدس » ج ١ ص ٢٦١ .

انبرى إشعيا يعارض سياسة الأحلاف ، وكان هجومه الشديد على حزقيا ورجال الدين والساسة من أجل تحالفهم مع مصر ضد آشور ، ذلك الحلف الذي جر على يهوذا الولايات والدمار الذي ألحقه آشور بمدن يهوذا ومحاصرة أورشليم ، وتبدو غضبة آشور من تحالف حزقيا مع مصر في قول ربشاقى القائد الآشوري لمبعوثي حزقيا إليه : « قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك العظيم ملك آشور :

.... والآن على من اتكلت حتى عصيت عليّ ، إنك قد اتكلت على عكاز هذه القصبه المرضوضه ، على مصر التي إذا توكلأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها ، هكذا فرعون مصر لجميع المتوكلين عليه »^(١) .

وكان إيمان إشعيا الشديد بوطنه وبيوهه ، قد ضايقه كثيراً ذلك الحلف الذي عقده حزقيا مع مصر ، هذا بالإضافة إلى أن إشعيا كان يتمتع بقدرة بالغة على التحليل السياسي للأحداث ورؤية ثاقبة لنتائج المواقف المختلفة ، فقد كان يعرف ما سترتب على ذلك الحلف الإسرائيلي المصري وما سيجره على البلاد من ويلات فيقول : « ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جداً ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب »^(٢) .

فهو علاوة على أنه مدرك للخطورة السياسية من سياسة الأحلاف يدرك كذلك وينبه على مدى الخطورة الدينية من جراء سياسة الأحلاف تلك السياسة التي تجعل يهوه في مركز أقل من مركز آلهة الدول المحالفة الوثنية فيقول : « وأما المصريون فهم أناس لا آلهة ، وخيلهم جسد لا روح ، والرب يمد يده فيعثر المعين ويسقط المعان ويفنيان كلاهما معاً »^(٣) .

(١) إشعيا (١٨: ٣٦ - ٢٠) ، ملوك ثان (١٨: ٣٢ - ٣٥) .

(٢) هـ. ل. أليسون « تفسير الكتاب المقدس » ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(٣) إشعيا : ٤٠ : ٦ - ٤ .

(٤) إشعيا : ٣١ : ١ .

(٥) إشعيا : ٣١ : ٣ .

ويحاول إشعيا إقناع المسئولين بأهمية الاعتماد على قوتهم الذاتية التي لن يشعروا بها إلا بإيمانهم بأن يهوه وحده القادر على حمايتهم فعليهم أن يلتمسوا منه وحده العون « لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل، بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم ، فلم تشاءوا ، وقلتم لا بل على خيل نهرب ، لذلك تهربون . وعلى خيل سريعة نركب لذلك يسرع طاردوكم » (١) .

ولم يكن إشعيا يصدر عن انفعال موقوت أو عاطفة دينية ضيقة الأفق حين يدلي برأيه في المواقف السياسية ، ولكنه كان واسع الأفق ، يدرك في وعي ما يدور حوله من أحداث دولية ، يأخذ من التاريخ دروسه فيتناول المواقف والأحداث تناوياً ذكياً لما يدور حوله من أحداث دولية ، يمكنه من إدراك النتائج ومستقبل الأحداث ويبدو ذلك واضحاً في هجومه على سياسة التحالف وعلى الأخص التحالف مع مصر ، فهو يعرف دور مصر في تفتيت مملكة بني إسرائيل الموحدة وكان يربعم بن نباط هو الألة التي استخدمتها مصر في إحياء الروح القبلية بين أسباط بني إسرائيل الذين أمكن توحيدهم ولم يشملهم في عهد المملكة الموحدة وبالذات في عهد داود وسليمان ، ويدرك إشعيا كذلك أن قوة مصر آخذة في الإضمحلال ولن نستطيع حمايتهم من قوة آشور الصاعدة المكتسحة لأن مصر لم تستطع رد الدمار الآشوري عن حليفها مملكة إسرائيل الشمالية إذ كان لجوء « هوشع بن أيلة » آخر ملوك إسرائيل الشمالية إلى الاعتماد على معونة مصر ضد آشور سبباً في زوال مملكة إسرائيل الشمالية إلى الأبد على يد شلمانصر الآشوري : « ووجد ملك آشور في هوشع خيانة لأنه أرسل رسلاً إلى « سوا » ملك مصر . . . فصعد ملك آشور على كل الأرض ، وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور » (٢) .

كان إشعيا يدرك ويعي هذه الأحداث فعرف أن الاعتماد على قوة مصر سوف يؤدي بيهودا إلى نفس المصير الذي لاقته إسرائيل في الشمال ، ولم يكن قد مضى

(١) إشعيا : ٣٠ : ١٥ - ١٦ .

(٢) ملوك ثان : ١٧ : ٤ - ٦ .

وقت طويل على سقوط السامرة حتى ينسأه شعب يهوذا وقادتها ، وقد تحقق ما كان يخشاه إشعيا إذ تقدمت جيوش آشور بقيادة سنحريب نحو الجنوب بعد تدمير السامرة وخربت مدن يهوذا وسبت شعبها وحاصرت أورشليم ، وقد صور إشعيا هذا العدوان بقوله : « بلادكم خربة ، مدنكم محرقة بالنار ، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهي خربة كإنقلاب الغرباء ، فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم ، كخيمة في مقشأة كمدينة محاصرة » (٧ : ١ - ٨) .

ثم يؤكد لهم إشعيا خطأ الاعتماد على القوى الغربية والبعد عن الرب إذ إنه « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنأ عموره » (٩ : ١) .

وقد اختلف الباحثون في تحديد أسباب الخراب الذي وصفه إشعيا لمدن يهوذا في النص السابق ، فمنهم من قال إن الأعداء الذين أشار إليهم إشعيا هم جيوش الحلف السوري الإفرأيمي بقيادة رصين وفقح بن رمليا ، وعلى هذا يكون تاريخ الحادثة في حوالي سنة ٧٣٤ ق.م في حكم آحاز^(١) ، وآخرون يرون أن هؤلاء الأعداء هم الأشوريون بقيادة سنحريب سنة ٧١١ ق.م وحصاره لأورشليم بعد تدمير مدن يهوذا^(٢) .

ولكن « جورج آدم سميث »^(٣) يذكر أن Cheyne يرى أن تاريخ الحادثة كان سنة ٧١١ ق.م في غزوة قام بها الأشوريون بقيادة سرجون غير الغزوة التي حاصر فيها أورشليم .

وعلى أي حال فإن إشعيا استطاع أن يعيد إلى حزقيا وإلى الشعب ثقتهم في يهوه حين أخبرهم بأن الرب سيضرب جيوش الأشوريين ويقتل قائدهم ويزول

(١) ملوك ثان : ١٥ : ٣٧ .

S.R. Driver, An Intridue. To the Lit. of the O.T. P.207.

G.A. Smith; Expositor's Bible; Vol. II. P.617.

الخطر والحصار عن اورشليم^(١) .

ولكننا نرى في هذه الحادثة بالذات تأكيداً لما قلناه عن قدرة إشعيا على التحليل الصحيح للأحداث فقد استطاع نتيجة قدرته هذه أن يتأكد من أن آشور لا بد أن تلقن حزقيا درساً لتحالفه مع مصر التي ما زالت ترغب في مد نفوذها إلى المنطقة وحدث ذلك فعلاً بتخريب سنحريب لمدن يهوذا ومحاصرته لأورشليم ، ولكن إشعيا في نفس الوقت أدرك أن اورشليم إذا صمدت ولم تسلم بسرعة للعدو فسوف ينتهي هذا الحصار إذ أن الجيوش الآشورية كانت قد كلت قوتها من كثرة المعارك السابقة كما أن كثرة القتلى وتتن الجثث من شأنه أن يساعد على انتشار الأوبئة بين صفوف الجنود وقد حدث أن الفئران نشرت الطاعون بين صفوف الجيش الآشوري فحصدتهم الوباء جملة^(٢) . وكان سنحريب قد عاد إلى أرضه^(٣) ولقي حتفه على يدي أبنائه ، فخَلَصَت البلاد من هذا الخطر . ورغم أن زوال هذا الخطر يبدو في رواية العهد القديم بسبب حدث خارق للطبيعة ، إلا أن هناك رواية تسجلها النصوص الآشورية تعزو انسحاب الآشوريين من يهوذا إلى اقتراب الأثيوبيين^(٤) .

(١) إشعيا : ٣٧ : ٣٣ - ٣٨ .

(٢) أنظر نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ج٣ ص ٤٣٣ هامش (١) يقول « ويشير هيرودوت إلى أن ملك مصر أرسل فيرانا إلى معسكر الآشوريين فقطعت خيوط قسيهم ودرعهم ولم يجدوا محيصاً من الهرب ، ولكن ربما كان الأمر أبعد من ذلك وربما كان للفيران دور ولكن لا في تقطيع الخيوط وإنما في نشر وباء الطاعون بين جنود سنحريب » .

(٣) ربما كانت عودته لتوصيل الغنائم والأسرى إلى بلاده ، أو من أجل إخماد ثورات في القصر بدليل أن أبناءه قتلوه بعد عودته وهو في بيت إلهه « نسروخ » . إشعيا : ٣٧ : ٣٨ .

(٤) دكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ح٣ ص ٤٣٩ ، ويرى الدكتور نجيب ميخائيل أن الرواية الأخيرة أقرب إلى العقل .

لقد أمعن إشعيا في تمثّل القضاء الذي سيحلّ بمصر وأثيوبيا فسار حافياً عارياً ثلاث سنوات حتى يعتبر أولئك الراغبون في مخالفة مصر (٢٠ : ٣ - ٥) .

ونستطيع أن نقول إن إشعيا في عصر الملك حزقيا كان ذا أثر كبير في سياسة المملكة الداخلية والخارجية ومن الواضح أن حزقيا اتخذ من إشعيا مستشاراً له في كثير من أمره لثقته في سداد رأيه وحسن تصرفه وقدرته على التصرف في الأزمات ، كما أن إشعيا كان يدرك تماماً مدى أطماع القوى المحيطة بهم فقد أدرك ما ينويه (مردوخ بلادان) ملك بابل حين أرسل إلى حزقيا وفداً يحمل رسائل وهدايا بمناسبة شفائه من مرضه ، ولما عرف إشعيا أن حزقيا قد أطلع الوفد البابلي على أسرار قصره وخزائنه وسلاحه وكل شيء في بيته وفي مملكته ، ثار إشعيا وغنّف حزقيا على هذه الغفلة وبين له أن هذا الوفد عين من عيون ملك بابل أراد به أن يعرف كل شيء عن أسرار المملكة حتى إذا وافته الفرصة استولى على كل شيء حتى الأبناء سيكونون خصيانا في قصر ملك بابل (١) .

ومن الواضح أن حزقيا في محاولة تحالفه مع مصر كان واقعاً تحت تأثير بعض حاشيته في القصر دون استشارة إشعيا (٢) ، وعلى رأسهم « شبنا » الذي كان يشغل وظيفة مدير للقصر الملكي ، ويرجح « دريفر » (٣) أن شبنا واحد من أصدقاء مصر ، ومما يقوي هذا الترجيح أن العلاقة بين شبنا وبين إشعيا لم تكن حسنة فإننا نجد إشعيا يخاطب شبنا بلهجة عنيفة مهدداً إياه بطرده من وظيفته ويصمه بالخيانة إذ يقول له « يا خزي بيت سيدك » ثم يصرح إشعيا بأن منصب « شبنا » سيتولاه « إلياقيم بن حلقياء » وتتحول ثقة القصر والمملكة إلى إلياقيم (٤) ، ويبدو أن حادث

(١) إشعيا : ١ : ٣٩ - ٨ .

(٢) « ويل للبنين المتمردين يقول الرب ، حتى أنهم يجرون رأياً وليس مني ، وسيكون سكييا وليس بروحي ، ليزيدوا خطيئة على خطيئة ، الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمي لينتجثوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر » . إشعيا : ١ : ٣٠ - ٢ . وقارن كذلك ٢٩ : ١٥ .

S.R.Driver; An Introduc. to the Lit. of the O.T. P.218.

(٣)

(٤) إشعيا : ١٥ : ٢٢ - ٢٥ .

خلع شبنا من منصبه وإحلال إلباقيم محله كان قبل حصار أورشليم ، لأنه عند حصار آشور لأورشليم يظهر إلباقيم في المنصب الذي طرد منه شبنا ويبدو شبنا في وظيفة أقل من وظيفة كاتب « فخرج إليه إلباقيم بن حلقياء الذي على البيت وشبنا الكاتب ويوآخ بن آساف المسجل » (٣ : ٣٦) .

والإصحاح الثلاثون كله يسجل غضبة إشعيا من أجل الاتجاه إلى التعامل مع مصر وإنجاز سفارة بقصد إتمام المعاهدة ، وقد تنبأ إشعيا بفشل المشروع^(١) ويقول رأيه بصراحة في مصر فهي تتفاخر بتقديم الوعود ، مماثلة عاجزة عن تحقيق ما تعد به ، ثم يبين النتائج الرهيبة التي ستحقيق بالشعب نتيجة قصر النظر السياسي لقادة الشعب (٨ - ١٧) « الذين يتعمقون ليكتفوا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا » (٢٩ : ١٥) . ولم يكن إشعيا ضد التحالف مع مصر بخاصة بل كانت سياسته ضد التحالف مع أي أمة غريبة لا تؤمن بيهوه إلهاً واحداً ، كما أنه كان حريصاً على استقلال وطنه بعيداً عن مناطق النفوذ ، يتمثل ذلك في موقفه من الحلف السوري الإفرائيمي الذي كان يريد احتواء يهوذا في حلفهما ضد آشور وقد وقف إشعيا إلى جانب الملك آحاز آنذاك حين هددته القوة السورية الإفرائية بإسقاطه لرفضه الانضمام إلى الحلف وبالرغم من كراهية إشعيا لآحاز لانحرافه الديني إلا أنه وقف إلى جانبه ضد القوة المعادية التي تريد الزج بيهوذا في سياسة الأحلاف ليخرج إشعيا وابنه « شتار يشوب » ليلتقي بآحاز عند قناة البركة العليا ويطمئنه ويقوي قلبه المرتجف من تلك القوة المهددة ويقول له « لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل هاتين الشعلتين بحمور غضب رصين وآرام وابن رمليا » (٧ : ٤) ، ثم يهاجم إشعيا الحلف السوري الإفرائيمي « لأن رأس آرام دمشق ، ورأس دمشق رصين ، وفي مدة خمس وستين سنة ينكسر إفرام ، حتى لا يكون شعباً ، ورأس إفرام السامرة ورأس السامرة ابن رمليا إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا » (٧ : ٨ - ٩)^(٢) .

(١) إشعيا : ٣٠ : ٣ - ٤ .

(٢) قارن كذلك إشعيا : ٩ : ٨ - ١٢ .

وكان هذا الحلف السوري الإفرايمي هو الحدث الذي جذب إشعيا إلى قلب الحياة السياسية للمملكة ، وكان إسراع إشعيا مع ابنه ليطمئن قلب آحاز إنما هو محاولة منه ليقنع آحاز بعدم ضرورة التحالف مع آشور لرد العدوان ، وأعلن تحذيره من طلب العون من آشور ، لأنه سيطبق على رقبة يهوذا تحت ثقل نير تلك القوة العاتية وسيجلب على الشعب عبودية أبدية مقابل إنقاذ وقتي ، ولكن رغم المحاولات التي بذلها إشعيا لمنع أي ارتاط بأشور ، فإن شدة خوف آحاز من أعدائه جعله يتذلل تغلات فلاسر ملك آشور قائلاً « أنا عبدك وابنك ، إصعد وأنقذني من قبضة ملك آرام وقبضة ملك إسرائيل القائمين ضدي » (ملوك ثان : ١٦ : ٧) .

وكان إشعيا يحاول قدر طاقته أن يبعد شعبه عن ذل الخضوع لأي من القوتين المتطاحتين آنذاك ، قوة مصر وقوة آشور ، ووجد أن الأمل الوحيد في إنقاذ يهوذا يكمن في تمسكها بالبعد عن الأمم^(١) ، وقد شاء له قدره أن يتحمل المسؤولية في عصر عظمة المملكة الآشورية وغطرستها وانبساط سلطانها على كل دول البحر الأبيض وإسرائيل ، فقد كانت فترة حكم مملكة يهوذا منذ وفاة عزيا حتى بداية حكم منسي تقابل في الزمن فترة حكم تغلات فلاسر الرابع وشلمانصر الخامس وسرجون وسنحريب ، وهم حكام أزهى فترة للقوة الآشورية ، وقد امتد عمل إشعيا النبوي طوال هذه الفترة مما جعل مهمته ليست بالهينة على المستوى الديني والمستوى السياسي ، فقد كان كما وصفه أحد المفكرين اليهود شخصية نبوية ممتازة بعمله النبوي ، وتأثيره العظيم على مسيرة الحياة السياسية في أمته وعلى تطور شريعة النبوة التي كانت مصدر الحياة الوطنية على مدى أجيال عدة^(٢) .

وقد ظل إشعيا يؤدي رسالته في حماس وجرأة ولم يكن مع الملوك يخشى

W.O.E. Oesterly & T.H.Robinson; An Introduc. to the Books of the O.T., P.260.

(١)

(٢) ص ٦ .

لومة لاثم^(١) ، وقد تكون هذه الجرأة سبباً في وضع النهاية الأليمة لحياته إذ يروي التقليد اليهودي أن الملك الشرير الوثني مَنَسَّى قد قتله نشرأ بالمنشار^(٢) ، ويعتقد البعض أن هناك إشارة إلى ذلك في العهد الجديد^(٣) ، ولذا فقد يكون دم إشعيا من الدماء الكثيرة التي سفكها مَنَسَّى « وسفك أيضاً مَنَسَّى دمأ برأياً كثيراً جداً حتى ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب »^(٤) .

وقد روى النويري عن أبي إسحق الثعلبي في موت إشعيا قوله « ولما فرغ نبيهم شعيا من مقاتله عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فانفلقت له شجرة فدخل فيها ، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها ... »^(٥) .



(١) W.O.E. Oesterly & T.H. Robinson; An Introduc. To the Books of the O.T., P.259.

(٢) دكتور بطرس عبد الملك : قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢ ، Ch. F. Pfeiffer; The Wycliffe Bible ، Comm., P.605.

(٣) رسالة إلى العبريين : ١١ : ٣٧ .

(٤) ملوك ثان : ٢١ : ١٦ .

(٥) شهاب الدين النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب : ح ١٤ ص ١٤٩

الفصل الثاني

أسس العقيدة اليهودية كما تمثلت في السفر

سفر إشعيا من الأسفار النبوية الهامة التي يستشهد بها الباحثون عند حديثهم عن الديانة اليهودية وأصولها ، كما أن قيمة السفر الدينية لها اعتبارها عند كل من المسيحيين واليهود على السواء .

فالمسيحيون يرون فيه أهم البشارات بالمسيح عيسى عليه السلام ، واليهود يستعملون كثيراً من آياته في بركات صلواتهم^(١) .

ومن أهم الأفكار الدينية في سفر إشعيا فكرة المسيح المخلص وفكرة يوم الرب وقداسة الرب والوحدانية التي برزت في سفر إشعيا بشكل جديد واضح كما برزت عند معاصريه من الأنبياء مثل عاموس^(٢) وهوشع وميخا ومن تلاهم .

(١) يهوه في سفر إشعيا :

يروى المؤرخون أن العبرانيين في طريقهم من مصر إلى فلسطين بقيادة موسى تعرفوا إلى عبادة إله عربي صحراوي في شمال الجزيرة العربية أصبح فيما بعد إلههم يهوه إله إسرائيل .

وكان مقام يهوه في خيمة ينقلونها معهم في ترحالهم وكان إلهاً يرضى بالنقمة والثأر إلى حد القسوة ، وكان يتطلب منهم أن يقدموا له ذبائح من أبقار ماشيتهم .

(١) دكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي : ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٢) دكتور فيليب حتي : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٨٩ .

ولكن هذا الإله على أيدي الأنبياء العبرانيين استحال كلياً إلى إله منزه يتصف بالرحمة والبر والعدل ، وارتفع مقامه إلى إله عالمي شامل فأصبح فيما بعد الإله الواحد . وأما عن اسم الإله (يهوه)^(١) فلا يعرف له معنى على وجه اليقين ، فقد فسره بعض العلماء بأن معناه (هو الذي يكون) ، وفسره آخرون بأن معناه (هو الذي يوجد) بكسر الجيم أي هو الخالق ، وهناك تفسيرات أخرى غير هذا^(٢) .

وكانت عقيدة الإيمان بإله واحد هو يهوه قد أصيبت بهزة عنيفة في نفوس العبريين ، ذلك لأنهم بعد أن استقروا في أرض فلسطين الخصبة أرض كنعان ذات الحضارة العريقة والمدنية القديمة ، عاشوا أول أمرهم حياة عزلة وانفصال عمن يحيط بهم ، لأن البون شاسع بين العقليتين ، عقلية اليهود الصحراوية وعقلية الكنعانيين الحضرية ، وبالتالي كان الفرق شاسعاً بين العقيدتين ، لكن مع مرور الزمن أخذ اليهود يخرجون من عزلتهم ويمتزجون بسكان البلاد الأصليين ، فأخذوا عنهم إلى جانب ما أخذوه ، بعض المعبودات أمثال (بعل) إله الخصوبة ، وإن كان قد عز عليهم أن يتركوا (يهوه) ويعتفوا عبادة إله أعدائهم ، ولكن وطن الإسرائيليين الجديد الغني بتربته وحاصلاته اضطهرهم إلى تقديس إله يتناسب والبيئة الجديدة ، فوفقوا بين القديم والحديث واحتفظوا بيهوه وخلعوا عليه صفات (بعل) ، وأصبح (يهوه) ليس إله الحرب وحسب بل إله الخصوبة والنسل ومن هنا كانت الطقوس التي يعبد بها مزرية لا تتفق وأخلاق أمة راقية كوضع اليد على

(١) « فقال موسى لله ، فمن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر ، فقال : إني سأكون معك ، فقال موسى لله ، ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم ، فقال الله لموسى : **אֲנִי יְהוָה** (إيهيه أشير إيهيه) ، وقال : هكذا تقول لبني إسرائيل (إيهيه) أرسلني إليكم وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبني إسرائيل (يهوه) إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم ، هذا اسمي إلى الأبد ، وهذا ذكري جيلاً بعد جيل ... الخ » خروج : ٣ : ١١ - ١٥ .

(٢) س . موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٨ وانظر كذلك تعليق مترجم الكتاب الدكتور السيد يعقوب بكر ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .

عضو التناسل إذا أراد أحد أن يقسم به ، حتى يحل القسم وتتحقق الغاية^(١) .
كذلك كان يهوه في الفكر اليهودي قبل ظهور أنبياء الملكية كثيراً ما يقع في
الخطأ ثم يندم^(٢) ، وهو يحض على السرقة^(٣) كما أنه إله قاس مدمر منحاز
لشعبه^(٤) وهو غير عالم بكل شيء بدليل أنه طلب من بني إسرائيل أن يميزوا بيوتهم
بدماء الكباش المضحاة حتى لا يخطيء في إنزال الضربات عليهم^(٥) .

كذلك نجد أن تصور العبرانيين فيما يختص بأخلاق إلههم قد مر في عدة
مراحل منذ الوقت الذي كانوا فيه مبتهجين بقوة إلههم الطبيعي التي كانت تحطم
الكنعانيين وتذببهم إلى أن وصلوا إلى تصور الإله بارا رحيماً^(٦) .

وكان وصولهم إلى هذه المرحلة كما قلنا نتيجة جهود الأنبياء وبالذات أنبياء
الأزمة وفي مقدمتهم إشعيا^(٧) ، حيث إن الفكرة السائدة في تخطيط أفكار إشعيا
هي فكرة القداسة^(٨) .

(١) دكتور فؤاد حسين علي : التوراة عرض وتحليل ص ١١ ، ١٢ .

(٢) خروج : ١٤:٣٢ ، صمويل أول : ١٥:١٠ .

(٣) س. موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٨ وانظر كذلك تعليق مترجم الكتاب الدكتور
السيد يعقوب بكر ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .

(٤) دكتور فؤاد حسين علي : التوراة عرض وتحليل ص ١١ ، ١٢ .

(٥) خروج : ١٤:٣٢ ، صمويل أول : ١٥:١٠ .

(٦) خروج : ٣:٢٢ .

(٧) خروج : ١٢:١٢ ، تثنية : ١:٧ ، ١٠:٢٠ - ١٦ .

(٨) خروج : ٧:١٢ ، وانظر الدكتور أحمد شليبي : مقارنة الأديان : ج ١ ، اليهودية ص ١٥٥ .

(٩) ج. هـ. برستد : (فجر الضمير) ترجمة دكتور سليم حسن ص ٣٧٨ .

(١٠) الحديث هنا عن السفر كله من الوجهة الدينية .

القداسة :

فكرة القداسة في سفر إشعيا من الأفكار الهامة التي نهضت عليها نبوة إشعيا فالإصحاح السادس من السفر يقول « هذا نادى ذاك ، وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود » (٦ : ٣) ، ولذلك قال الباحثون إن إشعيا هو نبي القداسة تلك القداسة التي تتطلب من الإنسان تواضعاً واحتراماً وتذليلاً^(١) .

وقد اشتمل كل من قسمي السفر على فكرة القداسة وإن كانت القداسة في القسم الأول من السفر قداسة مشتركة بين يهوه وبين الأماكن التي يعبد فيها (بل يتوكلون على الرب قدوس إسرائيل بالحق) (١٠ : ٢٠) .

كما أن قدوس إسرائيل في القسم الأول من السفر غاضب على من استهانوا به وتركوا شريعته (١ : ٤) ويصير قدوس إسرائيل ناراً تحرق أولئك الجاحدين (١٠ : ١٧) .

وتقديس الرب لا يكون بأضحية ولا محرقة ولا بخور ولا صلاة ولا أعياد ولا أي نوع من الطقوس ، وإنما يكون بالطهارة والنقاء والكف عن فعل الشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقداسة في القسم الأول من السفر (١ - ٣٩) تتطلب العدل والصلاح والرحمة والاستقامة خلقاً في الانسان ، وبالعامل الطيب يتقدس يهوه (٥ : ١٦) وخشيته واجبة (٢٩ : ٢٣) لأنه هو خشية شعبه ورهبتهم ، وهو حجر صدمة وصخرة عثرة (٨ : ١٣ ، ١٤) .

والقداسة عند إشعيا تنسحب على الأماكن التي يحل فيها أو يباركها مثل جبل صهيون حين يجتمع عليه شتات اليهود عائداً من الأمم التي قهرته (٢٧ : ١٣) و (٥٧ : ١٣) ، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس (٣٥ : ٨) ، (٥٢ : ١) .

Brigg, Caird, Micklem; The Shorter Oxford Bible, P.260.

(١)

والمقدس الذي داسه المضايقون ينتقل إليه مجد لبنان، السرو والسنديان
لزينة مكان مقدس الرب وموضع رجله (١٣:٦٠).

وقد ألح أنبياء الأزمة على قداسة يهوه بعد أن رأوا الشعب وقد اتجه إلى
الشرك بالله وعبادة آلهة الأمم الوثنية، الآلهة المصرية والآشورية والبابلية والآرامية،
والتي كانت قد تأسست ورسخت في كلتا المملكتين في الشمال ألقى بذورها
يربعام بن نياط وتعهدها من خلفه حتى كبرت وترعرعت وضربت جذورها في
المملكة على عهد أسرة آخاب وايزابيل.

أما في الجنوب فلم تنقطع الوثنية من يهوذا حتى اكتسحها السبي البابلي
فكما رأينا في الحديث عن النظام الملكي في الجنوب أن كل ملك يستجد كان
يحاول إزالة السواري والأوثان ولكنها سرعان ما تنمو بعد قطعها. . .

ولذلك كان يهوه في عهد إشعيا بن أموص يعلن عن نفسه بأنه قدير (ويسقط
لبنان بقدير) (٣٤:١٠)، وهو عزيز منتقم من خصومه (لذلك يقول السيد رب
الجنود عزيز إسرائيل آه إنني أستريح من خصمائي وأنتقم من أعدائي) (٢٤:١).

وهو يدخل مع شيوخ شعبه ورؤسائهم في محاكمة وخصومة (١٣:٣)
غضوب يقطع في يوم واحد من إسرائيل الرأس والذنب والنخل والأسل (١٤:٩)
و(٩:١٣).

وهو القوي البطل الذي ينقل التخوم، وينهب الذخائر ويسقط الملوك
(١٣:١٠) وهو المتعطش للدم يملأ به سيفه (٥:٣٤، ٦).

وهو إلى جانب هذا لا يستطيع أن يغرر به أحد لأنه حكيم وفهيم (١٣:١٠)
ويهوه في إشعيا الأول إله حرب «رب الجنود».

(٩:١)، (١٢:٢)، (٣:٥، ٩، ١٦، ٢٤)، (٥، ٣:٦)، (١٣:٨، ١٨)، (٧:٩، ١٣، ١٩)، (٢٦:١٠)، (٤:١٣، ١٤)،
(٢٢:١٤، ٢٣، ٢٤، ٢٧)، (٣:١٧)، (٧:١٨)، (١٢:١٩، ١٦)، (٢٥، ٢٠، ١٨، ١٧)،
(٢٥، ٢٠، ١٨، ١٧)، (١٤:٢٢، ٢٥)، (٩:٢٣)، (٢٣:٢٤).

(٦:٢٥) ، (٥:٨ ، ٢٩) ، (٦:٢٩) ، (٤:٣١ ، ٥) ، (٣٢:٣٧) ، (٥:٣٩) .

أما القسم الثاني من السفر فلم ترد فيه صفة يهوه بأنه رب الجنود إلا في مواضع قليلة (٦:٤٤) ، (٤٥:١٣) ، (٤:٤٧) ، (٢:٤٨) ، (١٥:٥١) ، (٥:٥٤) .

كذلك يتميز القسم الثاني من السفر (٦٦:٤٠) ببيروز فكرة الوحدانية بصورة جديدة^(١) ، فهو الأول والآخر ولا إله غيره ومن مثله ينادي (٦:٤٤) .

وهو كذلك باسط الأرض ورافع السماء : « أنا الأول وأنا الآخر ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السموات ، وأنا أدعوهم فيقفن معاً » (١٢:٤٨) ، (١٣) ، وهو الواحد الذي لا يخفى عن علمه شيء (هل يوجد إله غيري) (٨:٤٤) ، وهو العلي الأبدي « لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد » (١٥:٥٧) ويكون للرب اسم علامة أبدية لا تنقطع (١٣:٥٥) .

وهو عادل يحب العدل ويبغض الظلم ، « لأنني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم » (٧:٦١) ومن عدله أنه لا يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع كما كان في (خروج ٥:٢٠) وهو الأول والآخر

(١) ويقول W.E. Lofthouth في الجزء الرابع من : The Clarendon Bible; P.114 : لا نستطيع أن نؤكد أن إشعيا كان أول عبري موحد ، ولكن الجديد في إشعيا أنه يتحدث عن علاقة يهوه بالنسبة للعالم ، فهي علاقة عالمية مباشرة ولكن فيليب حتي (موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٨٥) يرى أن النبي عاموس (حوالي سنة ٧٥٠ ق.م) كان أول داعية في تاريخ الفكر إلى التوحيد النظري لأنه تصور (يهوه) إلهاً لجميع الشعوب لا لإسرائيل وحدها (عاموس : ٧-٥:٩ ، ٢١:٥-٢٤) ، ويرد الدكتور أحمد نسيم سوسة (العرب واليهود في التاريخ ص ١٧٣) ، على زعم فيليب حتي قائلاً : « إن إبراهيم الخليل عليه السلام ظهر في القرن التاسع عشر ق.م أي قبل عاموس بحوالي ١١٥٠ سنة ، والذي يبدوننا من مجرى الأحداث التاريخية هو أن عاموس أخذ بهذه العقيدة من وحدانية إخناتون التي تدعو إلى نفس العبادة والتي كان قد اعتنقها موسى وجماعته » .

(٤١ : ٤) والرافع والخافض (٤٦ : ٤) . وهو الرب العالمي الشامل (١٩ : ٢٣ - ٢٥) ، قدوس منزه عن الشبيه^(١) يدعو إلى التفكير في خلق السموات والأرض ذو القدرة لا يدركه الكلال ولا الإعياء ، يعين الضعفاء ولا تحيط بعلمه العقول « فبمن تشبهوني فأساويه يقول القدوس ، إرفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه ، من الذي يخرج بعدد جندها يدعو كلها بأسماء لكثرة القوة ، وكونه شديد القدرة لا يفقد أحد أما عرفت أم لم تسمع ، إله الدهر ، الرب خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيا وليس عن فهمه فحص ، يعطي المعنى قدرة ، ولعديم القوة يكثر شدة » (٤٠ : ١٨ ، ٢٥ - ٢٩) ، (٤٦ : ٥) .

يهوه وإسرائيل في إشعيا الثاني :

يظهر يهوه عند إشعيا في صورة جديدة كذلك في إشعيا الثاني فهو الرحيم الذي يرعى شعبه (كراع يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان ، وفي حضنة يحملها ويقود المرضعات) (٤٠ : ١١) .

وبالرغم من أن (يهوه) هو الذي أسلم إسرائيل فريسة لأعدائها إلا أن هذا لم يكن لإضاعتها إلى الأبد ولكنه درس لها حتى تفيق من غيها فليس غضبه للأبد على إسرائيل (٥١ : ١٦) ، ولكنه معها وعليها ألا تخاف « إذا اجتزت في المياه فأنا معك ، وفي الأنهار فلا تغمر ، إذا مشيت في النار فلا تلذغ ، واللهيب لا يحرقك لأنني أنا الرب إلهك ومخلصك » (٤٣ : ٢ - ٣) .

ويهوه في إشعيا الثاني لا يتوعد ولا يهدد شعبه بل يقول ، لأنني أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك لا تخف ، أنا أعينك (٤١ : ١٣) ، (٤٣ : ٥) ، (٨) ، (٤٩ : ١٤ - ١٦) ، (٤٩ : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦) .

(١) وهنا ملحوظة جميلة أبداهها W.E.Lofthouth في 115-114 P.P. V.IV. The Clarendon Bible; يقول : إنها إحدى مناقضات تاريخ الديانة اليهودية أن الرب الذي كان في فلسطين حيث كان شعبه مستقلاً وقوياً كان فقط واحداً بين أرباب الأمم ، ثم أصبح في بابل حيث شعبه نفسه مجموعة من العبيد الذين لا حول لهم ولا قوة أصبح يهوه الواحد البقدير العالمي .

وهو العليم بالأولين وبالآخرين (هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت . أعلمكم بها) (٩ : ٤٢) .

وهو غافر الذنب وقابل التوب (٢٣ : ٢٥) .

وتبرز صورة جديدة في القسم الثاني من السفر صورة (يهوه) في علاقته الجديدة مع إسرائيل ، ويظهر الزوج العائد إلى مطلقته بعد أن هجرها من أجل آثام أبنائها :

« هكذا قال الرب : أين كتاب طلاق أمكم التي طلقتها ، أو من هو من غرمائي الذي بعته إياكم ، هوذا من أجل آثامكم قد بعتمكم ، ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم » (١ : ٥٠) .

ثم يخاطب مطلقته إسرائيل ، يطمئنها بأنه سيجعلها تنسى خزي صباها وعار ترم لها : « لأن بعلك هو صانعك ، رب الجنود اسمه ، ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى ، لأنه ، كامرأة مهجورة ومحزونة الروح ، دعاك الرب ، وكزوجة الصبا ، إذا رزلت قال إليك ، لحيفة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك بفيضان الغضب حجت وجهي عنك لحظة ، وبإحسان أبدي أرحمك ، قال وليك الرب » (٥ : ٥٤ - ٨) .

ثم يظهر يهوه في صورة عريس يفرح بزفافه إلى عروسه إسرائيل :

« لا يقال لك بعد مهجورة ، ولا يقال بعد لأرضك موحشة ، بل تُدْعَيْنَ حفصية وأرضك تدعى بَعُولَة ، لأن الرب يُسَرُّ بك ، وأرضك تصير ذات بعل ، لأنه كما يتزوج الشاب عذراء ، يتزوجك بنوك ، وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك » (٤ : ٦٢ - ٥) .

ثم يأذن لها بالفرح والغناء :

« ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخص لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب » (١ : ٥٤) .

وقد ورد في العهد الجديد ما يفيد أن هذه الآية تشير إلى أن أورشليم تلك

التي ولدت من غير بعل إنما هي أم المسيحيين : « وأما أورشليم التي هي أمانة جميعاً فهي حرة ، لأنه مكتوب لإفرحي أيتها العاقرة التي لم تلد . . . » (رسالة بولس إلى أهل غلاطية : ٤ : ٢٦ - ٢٧) ، لذلك حين يذكر المسيحيون اليوم كلمة (إسرائيل) في كتبهم وأدعيتهم وقراءات كتابهم المقدس لا يفكرون في إسرائيل الحالية بل في إسرائيل الحقيقي كما يعتقدون وهو الكنيسة المسيحية اليوم التي ورثت عهود الله ومواريثه في مجيء المسيح الذي قطع الصلة الأبوية بين الله وبين إسرائيل القديم ، وأصبحت فكرة الشعب المختار عند المسيحية أسطورة قديمة ، عفا عليها الزمن وأبطلها التاريخ^(١) .

(٢) فكرة البعث :

خلت أسفار العهد القديم من ذكر البعث واليوم الآخر ويقول أحد مؤرخي العرب^(٢) « وليس في التوراة ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ، ولا فيها ذكر البعث ولا الجنة ولا النار ، وكل جزاء فيها إنما هو معجل في الدنيا ، فيجزون على الطاعة بالنصر على الأعداء وطول العمر وسعة الرزق ، ويجزون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر . . . » .

ويقول جوستاف لوبون في الغرض نفسه^(٣) : « واليهود على خلاف معظم الشرقيين كانوا يخشون الموت لما لا يبصرون وراءه سوى راحة كئيبة في مكان مظلم » فقد راودت اليهود فكرة غامضة عن عالم تحفه الظلال عالم سفلي مظلم أطلقوا عليه (شيول)^(٤) ، أو الهاوية ، وكان هذا العالم المظلم خارجاً عن سلطان

(١) القس حبيب سعيد : أديان العالم ، ص ١٦٧ .

(٢) أنظر الدكتور محمد جابر الحيثي : في العقائد والأديان ، ص ٢١٨ نقلاً عن تاريخ أبي الفدا ص ٨٧ .

(٣) جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : ترجمة عادل زعير ص ٥٧ .

(٤) أنظر رأي طه باقر في تأثر العبريين في هذا البابليين : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ص ١٠٢٤ .

يهوه^(١) واقتصر دين إسرائيل على الاهتمام بهذا العالم وشئونه .

فحين جاء إخوة يوسف إلى يعقوب أبيهم بقميص يوسف ملطخاً بالدم حزن يعقوب ومزق ثيابه وقام أبناؤه يعزونه فأبى أن يتعزى وقال : « إني أنزل إلى ابني نائماً إلى الهاوية وبكى عليه أبوه » (تكوين ٣٧ : ٣٥) .

وجاء : « ولكن إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدرروا بالرب » . (تكوين ٣٠ : ١٦) .

وفي الهاوية تنقطع صلة الإنسان بالرب : « لأنه ليس في الموت ذكرك . في الهاوية من يحمذك » (مزمو ٥ : ٦) ، ويوصي داود ابنه سليمان بأن يقضي على يثاب بن صروية فيقول له « .. ولا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية » (ملوك أول ٦ : ٢) .

ولا يكاد يخلو سفر من أسفار الكتاب المقدس من ذكر الهاوية على أنها العدم الذي لا حياة بعده .

وقد ذكرت بهذا المعنى في سفر إشعيا في عدة مواضع ، فالهاوية قد وسعت نفسها وفغرت فاها بلا حد (٥ : ١٤) ، وهي عالم سفلي تفتش فيها الرمم ويكون الدود غطاء لمن يحل فيها وهي تبتلع الجميع العظماء والملوك (٩ : ١٤ - ١١) .

وهي مرادفة للموت فمن مات ذهب إلى الهاوية « لأنكم قلت قد عقدنا عهداً مع الموت ، وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية .. ويمحي عهدكم مع الموت ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية » (١٥ : ٢٨ ، ١٨) .

ويقول الملك حزقيا ملك يهوذا إذ مرض وشفي من مرضه « أنا قلت في عز أيامي اذهب إلى أبواب الهاوية ، قد أعدمتم بقية سني » (١٠ : ٣٨) .

ومع هذا فإن أول إشارة إلى البعث في الديانة اليهودية قد وردت في سفر

(١) حبيب سعيد : أديان العالم ، ص ١٨٢ .

إشعيا بوضوح حين يقول « تحيا أمواتك تقوم الجثث ، استيقظوا ، تنموا يا سكان التراب » ، (١٩ : ٢٦) .

كذلك وردت الإشارة إلى البعث والنشور في قوله :

« ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العلاء وملوك الأرض على الأرض ويجمعون جمعا كأساري في سجن ، ويغلق عليهم في حبس ثم بعد أيام كثيرة يتمهدون » (٢٤ : ٢١ ، ٢٢) .

كذلك وردت إشارة صريحة إلى يوم البعث في دانيال « وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للآذراء الأبدية » (دانيال ١٢ : ٢) .

وفي الأطوار الأخيرة من تطور الدين اضطر القوم إلى قبول عقيدة قيامة الأموات والحياة بعد الموت ، ولئن كان لدين الفرس بعض الأثر في هذا التطور فإن هذه العقيدة كانت في الواقع نمواً داخلياً في هذا الدين وكان مردها إلى عوامل ثلاثة^(١) :

أولها : الإحساس بعدالة الله ، وذلك من أجل النتيجة المنطقية التي أقحمها الاختبار البشري على العقول ومؤداها أنه لا بد أن يكون لله مجال أوسع من هذا العالم يزكي فيه عدله ، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله » (أيوب ١٩ : ٢٦) .

ثانيها : الرقي المطرد في الدين الشخصي وعلاقة الإنسان بالله « الله ليس إله أموات بل إله أحياء ، لأن الكل يحبون الله ، وليس مستساعاً ولا مقبولاً أن أنفس البشر التي تستمتع بمثل هذه الصلة مع الله تنحدر إلى اللاشيئية » عند الموت : « أما أنا فبالبر أنظر وجهك ، أشبع إذا استيقظت بشبهك » (مزمور ١٧ : ١٥) .

(١) القس حبيب سعيد : أديان العالم ، ص ١٨٢ .

والثالث : توقع مجيء ملكوت الله بعد كل أسباب الفشل والخيبة التي عانتها الأمة ، لتحقيق آمالها ، حتى يكون لهم نصيب في ذلك اليوم المجيد كما قال إشعيا في (١٩ : ٢٦) .



يوم الرب ومفهوم النكبة والخلص عند إشعيا

(١) يوم الرب :

لقد كان على أنبياء بني إسرائيل في مواجهة الفساد الاجتماعي والديني أن يرفعوا لواء المعارضة مشفوعاً بالترهيب والترغيب ، وتبلور الترهيب في إعلان الشعب بما سيحل به من غضب يهوه لانحرافهم عن شريعته ، وأن غضب الرب هذا لا بد أن يتمثل في صور عدة من التأديب أهمها وقوعهم في أيدي عدوهم قتلى وأسرى ومشردين وأن الدمار سيلحق بمدنهم ومعبدهم ، أما الترغيب فإنه يتمثل في التبشير بالنجاة وأن الرب سيكتب النجاة للصالحين من شعبه ، المحافظين على عهده ، وأن البقية الباقية سيكون لها أن ترى مجد الرب وخلصه لهم (مزمو ١١٨) .

وفكرة يوم الرب من أعظم الأفكار التي تربط بين العهد القديم وبين العهد الجديد ، فقد نشأت عن فكرة يوم الرب فكرة الملك المثالي أو المسيح والمملكة المثالية ، مما ترك أعمق انطباع على الفكر اللاحق^(١) ، وإذا كان توقع يوم الرب توقعاً قديماً إلا أنه اتخذ مفهوماً جديداً عند عاموس ، فقد رأى بعض الباحثين^(٢) أن عاموس قد أعطى ليوم الرب معنى أخلاقياً عالمياً .

ولم يكن عاموس أول من أشار إلى يوم الرب بل وردت الإشارة إلى هذا اليوم في نصوص أقدم من عاموس ، فقد أشير إلى عاقبة الشرير بأنها ستكون يوماً

Stanley Cook; An Introduction to the Bible; P.117.

(١)

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

مظلماً عسيراً يوم بوار يتعجب له المتأخرون وقد وردت هذه الإشارات عند أيوب :
 « الشرير هو يتولى كل أيامه وكل عدد السنين للعتاتي ، صوت رعوب في أذنيه في
 ساعة سلام يأتيه المخرب ، لا يأمل الرجوع من الظلمة ، وهو مرتقب للسيف ،
 تائه هو لأجل الخبز حيثما يجده ، ويعلم أن يوم الظلمة مهياً بين يديه »^(١) ، وقوله
 عن مصير الشرير « إنه ليوم البوارِ يمسك الشريرُ ليوم السُّخَطِ يُقَادُونَ »^(٢) ، ثم
 يصف يوم الأشرار بقوله : « يدفع من النور إلى الظلمة ومن المسكونة يطرد ، لا
 نسل ولا عقب له بين شعبه ولا شارد في مَحَالِّه ، يتعجب من يومه المتأخرون
 ويقشعر الأقدمون . . »^(٣) ، وأن يوم الرب لا يراه عارفو الرب « لماذا إذ لم
 تختبئ الأزمئة من القدير لا يرى عارفوه يومه »^(٤) ويقول : « ألم أبك لمن عَسَرَ
 يومه »^(٥) .

وجاء في انتظار يوم الرب على الشرير : « الشرير يتفكر ضد الصديق
 ويحرق عليه أسنانه ، الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت »^(٦) وأن الرب إذا جاء
 يوم انتقامه فلن تغلج معه وساطة ما « فلا يشفق في يوم الانتقام ، لا ينظر إلى فدية
 ولا يرضى ولو أكثر الرشوة »^(٧) ، كما أنه « لا ينفع الغني في يوم السخط »^(٨) .

كانت هذه الإشارات إلى يوم عقاب الشرير في مجملها إشارات إلى
 عقوبات فردية وهي إشارات سبقت عاموس ولذلك لم يكن عاموس ومن جاء بعده

(١) أيوب : ١٥ : ٢٠ - ٢٣ .

(٢) أيوب : ٢١ : ٣٠ .

(٣) أيوب : ١٨ : ١٨ - ٢٠ .

(٤) أيوب : ٢٤ : ١ .

(٥) أيوب : ٣٣ : ٢٥ .

(٦) مزمو : ٣٧ : ١٣ .

(٧) أمثال : ٦ : ٣٤ - ٣٥ .

(٨) أمثال : ١١ : ٤ .

أول من أشاروا إلى فكرة يوم الرب بل وجدها عاموس عقيدة شائعة بين قومه وفي عصره^(١).

ولكن عاموس ومن تلاه من أنبياء جعلوا من يوم الرب عقوبة جماعية تشمل الأمة العاصية جميعها بل كل الشعوب^(٢).

ازدواجية مفهوم يوم الرب :

يقول جنيبير^(٣) بأنه يبدو أيضاً من عبارة يوم الرب أن اليهود على عهد عاموس كانوا قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء قضيتهم بقضية الله ، فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل لهم انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى التي ستكون قد دانت لهم بالخضوع ، أما عاموس نفسه فمن الواضح أنه يرى أن يوم الرب سوف يتميز بانتصار العدالة الإلهية التي سيرتعد منها الشعب الإسرائيلي نفسه رعباً من ما اقترفه من جرائم وآثام^(٤).

وتتضح ازدواجية يوم الرب عند إشعيا النبي فهو يرى أن يوم الرب يشمل كلاً من الأمة اليهودية وأعداءها على السواء فتصير الأرض خراباً وتعاقب المسكونة على شرها يقول : « هوذا يوم الرب قاسياً بسخط وحمو غضب ، ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها . . . وأعاقب المسكونة على شرها والمنافقين على إثمهم وأبطل تعظم المستكبرين وأضع تجبر العتاة . . . لذلك أزلزل السموات ، وتزعزع الأرض من مكانها في سخط رب الجنود وفي يوم حمو غضبه »^(٥).

(١) دكتور حسن ظاها : الفكر الديني ، ص ١١٠ .

(٢) إشعيا (١١: ١٣) ، (٢٦: ١٤) ، (٢: ٣٤) وهو شح (١٨: ١) ، (١: ٤) ، وصفنيا (١٤: ٢) وذكريا (١٢: ١٤) .

(٣) Ch. Guignbert; Le monde Juif versle temps de Jésus; P.P.162.

نقلًا عن د. حسن ظاها ، الفكر الديني ، ص ١١٠ .

(٤) عاموس (١٨: ٥ - ٢٠) .

(٥) إشعيا (١٣: ٩ - ١٣) .

ويرد إشعيا على أولئك المستخفين من شعبه بيوم الرب ، أولئك الذين يرون
أن يوم الرب بعيد جداً وسيكون في آخرة الأيام אַחֲרֵי יְמֵי הַיָּמִים
فيقول :

« ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء »^(١) .
ويصور إشعيا يوم الرب أو يوم العقاب واقعاً على شعب بني إسرائيل الذين
يقضون بالباطل ويسلبون حق البائس وعلى المزورين وعلى ظالمي الأرملة واليتيم
ويقول لهم : « وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد »^(٢) .

ويرى أن يوم الرب على يهوذا سيكون ممثلاً في غضب الرب على بني
إسرائيل وأن يهوه سيؤدبهم بعصا غليضة وهذه العصا التي سيؤدبهم بها إنما هي
القوة الأشورية :

« ويل لأشور قضيب غضبي ، والعصا في يدهم هي سخطي على أمة منافقة
أرسله وعلى شعب سخطي أوصيه ليغنم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم مدوسين
كطين الأزقة »^(٣) . ولن تفلت يهوذا كذلك من العقاب : « أفليس كما صنعت
بالسامرة وبأوقاتها أصنع بأورشليم وأصنامها »^(٤) .

ولن يكون غضب الرب مقصوراً على إسرائيل ويهوذا بل سيشمل أعداءهما
كذلك « فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم أني أعاقب
ثمر عظمة قلب ملك آشور وفخر رفعة عينيه »^(٥) ذلك لأن ملك آشور^(٦) الذي
استخدمه يهوه عصا تأديب لإسرائيل ويهوذا قد اغتر في نفسه وظن أنه هو صانع

(١) إشعيا (٦ : ١٣) وانظر يوثيل (١٥ : ١) ، (١ : ٢) ، (١٤ : ٣) ، صغنيا (٧ : ١ ، ١٤) .

(٢) إشعيا (٣ : ١٠) .

(٣) إشعيا (١٠ : ٥ - ٦) .

(٤) إشعيا (١٢ : ١٠) .

(٥) إشعيا (١٢ : ١٠) .

(٦) قد يكون هذا الملك هو سنحريب الذي حاصر أورشليم في عهد حزقيا أنظر أيام ثان ٣٢ : ٩ .

المعجزات دون الرب ويصور إشعيا هذا الأمر في صورة بلاغية رائعة : « هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المتشار على مردده ، كأن القضيب يحرك رافعه ، كأن العصا ترفع من ليس هو عوداً » (١) .

كذلك يشير إشعيا إلى بابل التي خربت يهوذا وأحرقت بيوتها ومعبدتها وقتلت وأسرت الشعب بأنها سيقع عليها التأديب وسوف يسلط الرب عليها الماديين فتصبح في خرابها مثل سدوم وعمورة : « هأنذا أمهيج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب فتحطم القيسيّ الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن ، ولا تشفق عيونهم على الفتيان وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقلب سدوم وعمورة . . . الخ » (٢) .

ويكرر إشعيا تأكيده بأن الرب سيدمر بابل وأشور لظلمهما لشعبه :

« فأقوم عليهم يقول رب الجنود وأقطع من بابل اسماً وبقية ونسلاً وذرية يقول الرب ، وأجعلها ميراثاً للقنفذ وآجام مياه وأكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود . قد حلف رب الجنود قائلاً إنه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت ، أن أحطم آشور في أرضي وأدوسه على جبالي » وأن يوم القضاء سيضم كل الأرض والأمم :

« هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم ، فإن رب الجنود قد قضى ، فمن يبطل ويده هي الممدودة فمن يردّها » (٣) .

وقد كان يوم الرب عند حزقيال ضد الأنبياء الكذبة (٤) وضد جميع الأمم :

(١) إشعيا (١٥: ١٠) .

(٢) إشعيا (١٣: ١٧ ، ٢٢) وانظر (١٤: ٢٢) .

(٣) إشعيا (٢٢: ١٤ - ٢٧) .

(٤) حزقيال (١: ١٣ - ٦) .

« لأن اليوم قريب ويوم للرب قريب يوم غيم يكون وقتاً للأمم » وضد رؤساء إسرائيل كذلك^(١) .

ويستخدم الأنبياء فكرة يوم الرب تارة لوصف حالة خاصة وتارة أخرى تشبهاً لشيء ما فإشعيا يطبقها على الكبرياء والقوة : « فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان وعلى كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة فيخفض تشامخ الانسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم . . . الخ »^(٢) .

كما يرى يوثيل في يوم الرب محاكمة لكل الأمم والشعوب^(٣) كذلك هوشع يرى أن للرب محاكمة مع سكان الأرض لانعدام الأمانة والإحسان ولعدم معرفة الله في الأرض^(٤) .

وتتضح الازدواجية كذلك عند هوشع فهو يرى يوم الرب ضد يهوذا وأورشليم (١ : ٤ ، ٨) ، (١ : ٢) ، (١ : ٣ - ٤) وضد كل الناس وكل سكان الأرض في (١٨ : ١) ، كذلك سيكون عند صفنيا ضد غزة وأشقلون وأشدود وكل ساحل البحر وكنعان ، ومؤاب وعمون تكونان كسدم وعمورة ، كذلك الكوشيون وأشور ونيوي^(٥) .

أما زكريا فهو يرى أن يوم الرب سيكون ضد أورشليم : « وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتفضح النساء ، ويخرج

(١) حزقيال (٢ : ٣٠) ، (٢٥ : ٢١) قارن عوبديا (١٥ - ١٧) .

(٢) إشعيا (١٢ : ٢ - ٢٢) ، (١ : ٣ - ٧) .

(٣) يوثيل (١٢ : ٣) .

(٤) هوشع (١ : ٤) .

(٥) صفنيا (٤ : ٢ - ١٣) .

نصف المدينة إلى السبي ، وبقية الشعب لا تقطع من المدينة» (١) .

ثم يراه مرة أخرى ضد كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم (٢) .

من هذا نجد أن الازدواجية في مفهوم يوم الرب أخذت شكلها الواضح في نبوءة إشعيا ومعاصريه ، ذلك لأن حالة المجتمع في القرن الثامن ق.م كانت قد وصلت الى خد خطير من الانهيار الخلقي والديني شمل كل طبقات المجتمع حاكمة ومحكومة حتى أننا نرى أن هذه الفترة استلزمت أن يوحد فيها أكثر من نبي ، من الأنبياء البارزين الذين تميزوا بالجرأة والنقد اللاذع ومعارضة كل انحراف مهما كان مصدره ، فقد تعاصر كل من عاموس وهوشع وإشعيا وميخا وكان الأولان يجاهدان في المملكة الشمالية غير غافلين عما يجري في الجنوب ، وبينما إشعيا وميخا في مملكة الجنوب يهودا غير غافلين عما يدور في الشمال وأعقب هؤلاء بقليل النبي الكبير إرميا الذي قدر له أن يرى سقوط أورشليم على أيدي البابليين سنة ٥٨٦ ق.م كما قدر لإشعيا من قبل أن يشهد سقوط السامرة على أيدي الآشوريين سنة ٧٢٢ ق.م .

وكان لا بد أن يتضمن كفاح الأنبياء ضد الفساد والانحراف عنصراً هاماً لا تكاد تخلو منه شريعة من الشرائع وهو عنصر الترهيب والتخويف ، فكانت فكرة يوم الرب عند هؤلاء الأنبياء إنذاراً للمنحرفين من شعب بني إسرائيل بأن لهم يوماً رهيباً عصيباً قاسياً حالك الظلمة إلا من وميض النار المحرقة (٣) ، وقد كان تركيز هؤلاء الأنبياء في معظمه على أن يوم الرب سيحل ببني إسرائيل في هذه الدنيا وأنه قريب لا بعيد ، بل كما وضح إشعيا بأن تأديب هذا الشعب المنحرف العاصي سيجعله الرب على أيدي آشور وبابل (٤) .

(١) زكريا (١٤: ١ ، ٢) .

(٢) زكريا (١٤: ١٢) .

(٣) أنظر مثلاً وصف صفييا لبشاعة يوم الرب (١٤: ١ - ١٨) .

(٤) كثير من الأنبياء غير إشعيا عرفوا يوم الرب بأنه يوم حرب عصيب وقد أشار إلى هذا صفييا حين قال :

« يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة » (صفييا ١ : ١٦) .

ولما كانت نبوءة إشعيا لا تتسم بالمحلية الضيقة بل تتحدث باسم يهوه رب العالم كله وإله كل الشعوب ، فقد ظهر يوم الرب عند إشعيا أو على الأصح مبدأ العقاب بمظهر الشمول لكل مذنب ومنحرف ، ولما كانت الأمم الأخرى الوثنية سبباً في سقوط شعب إسرائيل ويهوذا في هوة الكفر والوثنية ونشروا عبادة آلهتهم بين شعب الرب لذلك استحققت هذه الأمم الشريرة العاصية أن تنال نصيبها من التأديب والعقاب ، وعلى هذا فإن يوم الرب سيضم كل الأمم والشعوب وكل الأرض^(١) حتى تطهر الأرض ويستوي الرب الواحد ملكاً على كل الأرض « فيخفض تشامخ الإنسان ، وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم »^(٢) .

ومن هنا كان منشأ الازدواجية في مفهوم يوم الرب عند إشعيا ومن عاصره ومن تلاه من أنبياء بني إسرائيل ، فالدينونة ليست عنده مقصورة على شعب بني إسرائيل فقط وكذلك ليست تحل بأعداء شعب الله فقط كما كان يظن هذا الشعب ، ولكن القضاء سيحل بكل العصاة والمذنبين في كل الأرض بما فيهم شعب الله وأن هذا اليوم ليس ببعيد . . . ومن هذا المنطلق كان مفهوم النكبة ومفهوم الخلاص عند إشعيا . . .

(٢) مفهوم النكبة :

كان المفهوم القديم الضيق للنكبة عند بني إسرائيل هو ضعف إله الشعب المغلوب ، وقوة آلهة الشعب الغالب^(٣) ، أما الأنبياء فقد ردوا السبب في النكبة والهزيمة إلى سلوك الناس وانحرافهم عن الطريق السوي لا بسبب ضعف الرب أمام قوة غيره من الأرباب .

(١) إشعيا (١٣:٣) قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب ج .

(٢) إشعيا (١٧:٢) .

(٣) طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

ولقد شهد إشعيا سقوط السامرة على أيدي الآشوريين وأدرك أن يهوذا لا بد سائرة إلى نفس المصير إذ رأى جرثومة الداء الذي هدم كيان السامرة هي نفسها تتوغل في جسد يهوذا ويستحفل الخطب يوماً بعد يوم، هذه الجرثومة هي ضياع الأخلاق الذي يترتب عليه ضياع الأمم، وأدرك إشعيا أن أزمة كيان المجتمع الذي يحيط به هي النكبة التي ستكون وخيمة العاقبة، وأن سدوم وعمورة ستعاد سيرتهما من جديد بين شعبه، وهو منذ البداية يُشهد السماء والأرض على انحراف الشعب وعصيانه ذلك الشعب الذي وصل به الجحود والغباء إلى درجة دون الثور والحمار، فثقل ذنبه وخرب رأسه وسقم قلبه واستهان بقدوس إسرائيل^(١) وأصبح اشعيا نجس الشفتين يسمع ولا يفهم، يرى ولا يعقل^(٢)، رؤساء الشعب متمردون ولصوص يحبون الرشوة ويتبعون العطايا ولا يقضون لليتيم ولا ينصفون الأراامل^(٣)، وانحرف القضاة والحكماء والفهماء والأبطال^(٤) وتفشى الغش والكفر وسفك الدماء^(٥)، وزاد الجشع بين أمراء القوم حتى أنهم عملوا على أن تتصل ممتلكاتهم يصلون بيتاً ببيت ويقرنون حقلاً بحقل حتى لم يبق لغيرهم موضع، وصاروا يسكنون وحدهم في وسط الأرض^(٦)، وانغمس الناس في الرذيلة طوال اليوم إذ يبكرون منذ الصباح يتبعون المسكر ويعودون ليلاً متأخرين في العتمة تلهبهم الخمر بعد أن غرقوا طوال اليوم في اللهييين الخمر والرباب والدف والناي دون النظر إلى فرائض الرب^(٧) حتى النساء تفشى بينهم الفجور وأصبحن يتشامخن ويمشين بمدودات الأعناق غامزات بالعيون لا هم لهن إلا الزينة من الرأس حتى

(١) إشعيا (١: ٢-٥) .

(٢) إشعيا (٦: ٥، ٩) .

(٣) إشعيا (١: ٢٣) .

(٤) إشعيا (٥: ٢١، ٢٢) ، (٣: ٢، ٣) .

(٥) إشعيا (١: ٢١) .

(٦) إشعيا (٥: ٨) .

(٧) إشعيا (٥: ١١-١٢) .

الأرجل^(١) ، وانصرف الجميع عن الرب وجُدُّوا وراء الفضة والذهب وجمع الكنوز والخيل وامتلات أرضهم أوثاناً يسجدون لها دون الرب^(٢) وتحول الدين إلى مجرد شكليات وطقوس كل ذلك كان في نظر إشعيا سبب البلاء وأصل الداء .

(٣) مفهوم الخلاص عند إشعيا :

يرى إشعيا أن المعدن المشوب بالخبث لا يظهر ولا ينقى إلا بصهره بالنار ليتسنى تنقيته من الخَبَثِ والشوائب ، ولذلك نرى أن مفهوم الخلاص في جوهره عند إشعيا ما هو إلا تنقية الشعب وتطهير المجتمع من كل ما شابه من خبث ، وأن أمثل وسيلة للتطهير إنما هي النار التي تطهر وتنقى نجاسات هذا المجتمع ، ومما نستند إليه في هذا الأمر ما أشار إليه إشعيا أساساً في أن النار وحدها هي التي ستزيل نجاسة هذا الشعب وقد كان هذا المبدأ من أهم أسس اختيار الرب له نبياً لهذا الشعب فبعد أن تجلى له يهوه جالساً على كرسيه العالي المرتفع تملأ أذنيه الهيكل ومن حوله الملائكة الناريون يحفون به بأجنحتهم قال إشعيا : « فقلت ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود ، فطار إليّ واحد من السرافيم وبيده جمره قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمي وقال إن هذه قد مست شفثيك فانتزع إثمك وكُفِّرَ عن خطيئتك »^(٣) .

والى جانب هذا الشاهد الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من أن نبوة إشعيا تقوم على أساس أن بالنار ينتزع الإثم وبها يكفر عن الخطيئة ، نجد شواهد أخرى تؤكد هذا من خلال أقوال إشعيا في مفهومه للخلاص فهو يقول عن طريقة تأديب الرب للأشرار توطئة لخلاصهم وتكفير خطاياهم : « ويصير القوى مُشاقَّةً وَعَمَلُهُ شَراراً

(١) إشعيا (٣ : ١٦ - ٢٣) .

(٢) إشعيا (٢ : ٧ ، ٨) وانظر موسكاتي ص ١٤٧ إذ يقرر أن إشعيا الثاني يرى في الشقاء وسيلة للتطهير أتاحتها الله .

(٤) إشعيا (٦ : ٥ - ٧) .

فيحترقان كلاهما وليس من مطفىء (١ : ٣١) . ويقول : « إذا غسل المولى قدر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق ، يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهاراً ودخاناً ولسمعان نار ملتبهة ليلاً (٤ : ٤ ، ٥) .

ويقول : (لذلك كما يأكل لهيب النار القش ، ويهبط الحشيش الملتهب ، يكون أصلهم كالعفونة ، ويصعد زهرهم كالغبار لأنهم ردلوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل (٥ : ٢٤) .

ويقول : « بسخط رب الجنود تحرق الأرض ويكون الشعب كماكل للنار لا يشفق الإنسان على أخيه (٩ : ١٩) .

ويقول (ويصير نور إسرائيل ناراً ، وقدوسه لهيباً فيحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد (١٠ : ١٧) .

ثم يصور غضب الرب المشتعل : « هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم ، شفتاه ممتلئتان سخطاً ، ولسانه كنار آكلة (٣٠ : ٢٧) .

ثم يقول مشيراً إلى العدو الغازي : « لأنه من الشمال يأتي دخان وليس شاذ في جيوشه (١٤ : ٣١) ويتأكد هذا المعنى في تعبير إشعيا عن الطريقة التي يظهر بها الرب أورشليم التي انحرفت وانحرف بها رؤساؤها : « كذلك يقول المولى رب الجنود عزيز إسرائيل : آه إني أستريح من خصمائي ، وأنتقم من أعدائي ، وأرد يدي عليك ، وأنقى زغلك كأنه بالبورق ، وأنزع قصديرك ، وأعيد قضاتك كما في الأول ، ومشيريك كما في البداية بعد ذلك تُدعَيْن مدينة العدل القرية الأمانة (١ : ٢٤ - ٢٦) .

ويقول : (نفسكم نار تأكلكم ، وتصير الشعوب وقود كلس ، أشواكاً مقطوعة تحرق بالنار (٣٣ : ١١ ، ١٢) .

ويقول : (ارتعب في صهيون الخطاة ، أخذت الرعدة المنافقين ، من منا يسكن في نار آكلة ، من منا يسكن في وقائد أبدية (٣٣ : ١٤) .

هذا هو المفهوم الجوهرى عند إشعيا للتكفير عن الخطايا والتطهر من الآثام .

والى جانب هذا ، ينصح إشعيا شعبه بالإقلاع عن كل ما يرتبكون من مفساد وذنوب وانحرافات ، ويبين لهم أن غضب الرب لن يرده كل ما يقدمونه من ذبائح وتقدمات لأن هذا كله مجرد شكليات ، وطقوس لا تعبر عن جوهر الإيمان الصادق . إذ الإيمان عنده هو ما وفر في القلب وصدقه العمل ، ولن تكفر خطاياهم كثرة الطقوس وانشغال الألسنة دون القلب بالدعاء .

وهذا المبدأ الذي يؤكد إشعيا هنا من أن الطاعة أفضل من الذبيحة ، والإصغاء أفضل من شحم الكباش ، هو مبدأ أقدم من إشعيا فقد ورد في (صمويل أول ١٥ : ٢٢) بل ربما كان أقدم من هذا بكثير ، يقول برستد^(١) : « وهذا الحث على أن الطاعة أفضل من الأضحية ، والإصغاء أفضل من الكبش السمين ، هذا الحث يتردد صداه في الأذان كأنه صدى نصائح « بتاح حتب » الذي نصح بها ابنه منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة قبل عهد صمويل وبين له قيمة الإصغاء .

وقد أكد إشعيا أهمية هذا المبدأ (لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات ، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر ، حينما تأتون لتظهروا أمامي ، من طلب أيديكم أن تدوسوا سوري ، لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة . (١١ : ١ - ١٣) .

حتى الأعياد لن يقبل الرب الاحتفال بها ، والصلوات والابتهاالات لن يتقبلها منهم لأنها لا تنهاهم عن الفحشاء والآثام : (رأس الشهر والسبت ، ونداء المحفل ، لست أطيق الإثم والاعتكاف ، ورؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي ، صارت علي ثقلاً ، مللت حملها ، فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم ، وإن كثرت الصلاة لا أسمع أيديكم مملوءة دماً ، اغتسلوا ، تنقوا ، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني ، كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير ، أطلبوا

(١) ج. هـ. برستد « فجر الضمير » ص ٣٨٢ .

الحق ، أنصفوا المظلوم ، أقضوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة (١٣ : ١ - ١٧) .
 فهنا يؤكد إشعيا أن خلاص الشعب لن يكون بالطقوس وإحياء الشعائر
 الشكلية للدين ، وإنما هو بالتطهر والنقاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
 وسيكون الخلاص للأتقياء الذين يخشون ربهم (أنظر إلى المسكين والمنسحق
 الروح والمرتعذ من كلامي (٢ : ٦٦) وليس الخلاص لأولئك الذين يصفون
 لصوت الأوثان التي صنعوها بأيديهم ثم يسجدون لها (٢ : ٢٠) وإنما الخلاص
 للذين لا يتوكلون إلا على الرب قدوس إسرائيل فقط (بل يتوكلون على الرب
 قدوس إسرائيل بالحق (١٠ : ٢٠) .

هذا هو مفهوم الخلاص عند إشعيا ، أما عن الخلاص المسيحاني عنده
 فذلك ما سنتناوله في المبحث التالي تحت عنوان (المسيحانية) .

(٤) المسيحانية :

الفعل مسح في اللغة العبرية **מָשַׁח** - **מָשַׁח** بمعنى ذَهَنَ
 - مسح بالزيت - ضمخ^(١) بمعنى صيغة نفع **מָשַׁח** بمعنى مسح
 بالزيت تقديسًا ومنها المؤنث **מָשַׁחָה** أو **מָשַׁחָה** بمعنى دهان أو
 مرهم أو شيء مكرس ، وجاءت منها كلمة **מָשַׁח** أي مسيح أو ممسوح
 أو المسيح^(٢) ، وعرفها قوجمان بأنها المسيح المنتظر أو المهدي^(٣) وفي السريانية
ܡܫܚܐ أي المسيح أو الممسوح أو المدهون (بالزيت المقدس)^(٤) ،
 والمَسْح (بفتح الميم) في الكتاب المقدس ، صب الزيت أو الدهن على الشيء
 لتكريسه لخدمة الرب ، وأول ما ذكر ذلك كان عندما أقام يعقوب الحجر الذي كان
 قد وضعه تحت رأسه عموداً ومسحه للرب « وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر

(١) אהוד בן יהודה "מלון אנגלי-ערבי" ע.א. " "

(٢) ה.דאנכ.מ.ס-סגל: "מלון נשימות" א.עבר.עבר.א.

(٣) קוגמן: "מלון ערבי-עברי"

(٤) الأب يوسف حيقة البسكتاوي « القطوف الدانية » معجم سرياني - عربي .

الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه» (١) ، كما أوصت الشريعة الموسوية بمسح أشخاص وأماكن وآنية وأمرت بأن يجهز لذلك دهن مقدس (٢) .

وقد كان التدهن علامة فرح عند العبريين يدهنون رؤوسهم بالأدهان العطرية أيام الأعياد والفرح (٣) ، وكان العزوف عنه علامة حزن عندهم (٤) .

وقد استخدم الزيت المقدس فضلاً عن تكريس الأواني المقدسة والأماكن استعمل كذلك في تنصيب الأشخاص لوظائفهم في أعمال معينة كمسح الكهنة (٥) والأنبياء (٦) والملوك (٧) .

أما المسح من الله فكان يراد به تكريس الله نفس المؤمن لخدمته (٨) ، ويشار إلى المسيح في هذه الحالة بـ « مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أفضل من رفقاك » (٩) ، أو كما جاء في إشعيا : « الرب مسحني لأبشر المساكين » (١٠) .

ثم تطور معنى المسيح في الفكر الديني اليهودي على أيدي أنبياء بني إسرائيل وبخاصة أنبياء أزمنة الكيان اليهودي القديم الذي أدت به ألوان الانحلال الديني وفساد الأخلاق وانحراف الحكام والقضاة وقهر الأقوياء للضعفاء ، وبطش

(١) تكوني (١٨: ٢٨) ، (١٣: ٣١) .

(٢) خروج (٢٣: ٣٠ - ٢٥) .

(٣) راعوث (٣: ٣) ومزمور (٥: ٢٣) ، (١٠: ٩٢) والجامعة (٨: ٩) .

(٤) صمويل ثان (٢: ١٤) .

(٥) خروج (٤١: ٢٨) .

(٦) أيام أول (٢٢: ١٦) .

(٧) صمويل ثان (١٠: ١٩) ، ملوك أول (٣٩: ١) ، (١٥: ١٩) .

(٨) القس جورج خورق « قاموس الكتاب المقدس » ص ٨٦٠ .

(٩) ومزمور (٧: ٤٥) .

(١٠) إشعيا (٦١ : ١) .

الأغنياء بالفقراء وتمزق الروابط بين طبقات المجتمع مما أدى إلى وقوعهم في أيدي أعدائهم بين قتلى ومشردين وأسرى يعانون ذل العبودية ، وقد صور أنبياء أزمه الكيان اليهودي كل ما ألم بالمجتمع العبري من فساد فأندروا وتوعدوا وصوروا للشعب ما سيحل به من عقاب صارم يؤدب الرب به شعبه الذي انحرف عن دينه وعن تعاليم ربه ، غير أن الرب لن يجعل تأديبه لشعبه استئصالاً أبدياً له بل سيجعل للبقية الباقية من شعبه مجداً يعوضهم به عن كل ما قاسوه ، وعلى ذلك برزت في أقوال أنبياء الأزمة فكرة الخلاص وبشروا بمجيء المسيح الفادي المنقذ لشعب الرب ، وقد بلغت فكرة المسيحية هذه ذروتها أيام السبي وقبل السبي كانت هذه الفكرة تبرزها الأزمات السياسية من حين إلى حين فلما زال ملك إسرائيل ويهوذا خرجت هذه الفكرة إلى الصدارة في وضوح وجلاء ، ولم يكن التطلع إلى مسيح منتظر سوى التوكل العبري الدائم على ميثاق الرب^(١) الذي عقده مع إبراهيم عندما اختاره ليكون أباً لأمة تعلن وحدانية الرب ، وأن النعمة والبركة التي وعد بها الرب إبراهيم لم تكن ليستمتع بها هو في وقته وإنما ليستمتع بها نسله في المستقبل البعيد^(٢) (وتبارك فيك جميع قبائل الأرض)^(٣) .

ويشير ه.ج. ويلز^(٤) إلى فكرة المسيح المخلص لدى اليهود على أنها نشأت نشوءاً طبيعياً جداً على أفكار ثلاث هي :

١ - القول بأن كل الناس قاطبة أبناء إبراهيم المخلص الدماء وهذه الفكرة كانت تدحضها أسفارهم المقدسة .

٢ - فيما يختص بوعده يهوه لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودي على جميع الأجناس الأخرى .

٣ - ما كان يخالج اليهود قبل كل شيء من الاعتقاد في أن يهوه هو أعظم وأقوى

(١) سباتينو موسكاتي « الحضارات السامية القديمة » ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

M.Friedlander; The Jewish Religion; P.155.

(٢)

(٣) تكوين (١٢: ٣) .

(٤) ه.ج. ويلز « معالم تاريخ الانسانية » ترجمة عبد العزيز جاويد ج ٢ ص ٣٠٠ .

آلهة القبائل طُرًا ، وأنه كان على ذلك رباً يعلو كل الأرباب ، وأخيراً أنه كان الرب الحق الوحيد . وانتهى الأمر بالشعب اليهودي بأن اقتنعوا - على بكرة أبيهم - بأنهم الشعب المختار للرب الأوحد في الأرض قاطبة .

« ويكاد المعلقون على أمثال تلك النصوص - المسيحانية العبرية - يتفقون على أمر واحد هو أن مبعثها إنما كان تعصباً قومياً ضيق الأفق ، شديد الحقد ، وتعلقاً بفكرة الحق الإلهي في السلطة « الشيوقراطية » الشديدة الغيرة ، وتعطشاً لمغانم مادية ضخمة كل ذلك ينبثق من حضيض الخوف والدمار ليخلق صورة ساحرة تداعب عواطف هؤلاء الموتورين^(١) .

وكما سبق أن أشرنا « فإن النصوص التي تضمنت التبشير بالمسيح المنتظر لم تظهر بوضوح إلا في أسفار أنبياء أزمة الكيان اليهودي تلك الأزمة التي بدأت بانحراف المجتمع الملكي واكتملت بالسبي ، ولم يكن لفكرة المسيح المنتظر أي مظهر في أسفار موسى الخمسة التي بين أيدينا اللهم إلا ما تأوله الباحثون اليهود بالذات تاولاً يشوبه التعسف وهذا التاول في موضعين فقط من توراة موسى هما (تكوين : ٤٩ : ١٠) و (عدد : ٢٤ : ١٢)^(٢) .

كذلك يشير « مريل أونجر » إلى قول بعض الباحثين بأن هناك إشارة إلى المسيح المنتظر في قول موسى « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون » (تثنية : ١٨ : ٩ ، ١٥) يرد « أونجر » على هذا بأن المشار إليه هنا ليس المسيح المنتظر ، بل يمكن أن يكون أحد الأنبياء الذين تتابعوا بين موسى والمسيح في مملكة بني إسرائيل^(٣) .

ويرى كثير من الباحثين أن النبوة المسيحانية متأخرة بالضرورة ولكن

(١) د. حسن ظاغا « الفكر الديني الاسرائيلي » ص ١١٣ .

(٢) أنظر تفصيل ذلك في :

M. Friedlander: (The Jewish Religion) P.P.113-115.

Meriel Unger: Unger's Bible Dictionary, P.890.

(٣)

Oesterly يرد على هؤلاء بأنها في أبسط أشكالها الخاصة بالتوقع والأمل في ملك
مثالي قد تكون مبكرة جداً^(١) .



W.O.E. Oesterly & Robinson: An Introduc. to the Books of the O.T. P.245.

(١)

ويقول العقاد في « حياة المسيح » ص ٣٠ « .. ثم ترقى الإيمان « بالمسيح » بمعنى الملك إلى الإيمان بالمسيح بمعنى المختار أو المنذور للهداية والصلاح ، وبلغ هذا التحول غايته في بعض النبوءات ومنها نبوءة إشعيا التي امتازت بتكرار هذه الوعود ، فمن وصف القوة والبطش والصلوة والصلوجان ، إلى وصف الدعة والتضحية والصبر على المكارة في سبيل التحذير والتبشير ، كما ورد في إشعيا (٣ : ٥٣) « محترق ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمسَّتْ عنه وجوهنا محترق فلم نعتد به » .

المسيح في إشعيا

لم يتناول أي باحث قديم أو حديث سفر إشعيا دون أن يشير إلى ما تضمنه من فقرات مسيحية ، كذلك لا يمكن لباحث في المسيحية أن يغفل سفر إشعيا فإن للسفر أهميته المسيحية سواء في العقيدة اليهودية أو في العقيدة المسيحية ، وسنحاول أن نعرض لنظرة كل من العقيدتين في مسيحية إشعيا إذ تأولت كل من العقيدتين المسيحية الإشعائية تأولاً خاصاً بها .

١ - التأويل اليهودي :

ينحصر التصور اليهودي للمسيح المخلص في أنه إنسان يتميز بقوة ما حربية أو دينية سيجيء في وقت ما ليخلص الأمة اليهودية مما تعانيه ويعيد إليها مجدها الديني والسياسي والعسكري ويكون عهده عهد مجد وسعادة حيث تصبح أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدن إذ يعود إليها من تشرد وسيطر عليها السلام وتزول الأحقاد ، ويتحلق الجميع حول جبل صهيون حيث يقيم الرب الذي يشمل ببركته كل الأمم .

يقول إشعيا النبي مثلاً : « ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة مسمنات ، وليمة خمر على دردي سمانن ممخة ، دردي مصفى ، ويفني في هذا الجبل وجه النقب ، النقب الذي على كل الشعوب ، والغطاء المغطى به على كل الأمم ، يموت الموت إلى الأبد ، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الرب قد تكلم ، ويقال في

ذلك اليوم هو ذا الهنا انتظرناه فخلصنا ، هذا هو الرب انتظرناه ، نبتهج ونفرح
بخلاصه^(١) .

وفكرة المسيح المخلص هنا أبرز فيها إشعيا عنصر المكان وحدد مركزه
بجبل صهيون في أورشليم ، كما أبرز عنصر شمول رحمة الرب ومسرته لكل
الشعوب وليس لبني إسرائيل وحدهم ، ولكن إشعيا في هذه النبوءة لم يحدد الزمن
الذي سيتحقق فيه الخلاص ، وإن كان قد أشار في نبوءة أخرى إلى عنصر الزمن
إلى جانب المكان والشمول إلا أن عنصر الزمن هنا مبهم وينحصر تحديده في أنه
سيأتي في آخر الأيام يقول : « ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً
في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم ، وتشير شعوب كثيرة
ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرفه ونسلك
في سبيله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين
الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيفوفهم سيككا ورماحهم مناجل ، لا ترفع
أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد »^(٢) .

فهنا يتحدث إشعيا عن المكان ويحدده في أورشليم وجبل صهيون ويتحدث
عن عنصر الشمول في قوله « تجري إليه كل الأمم ، ويتحدث عن صفة هامة لهذا
العهد وهي أنه عهد سلام إذ يحول الناس آلات الحرب إلى آلات زراعية وما
يستتبع ذلك من استقرار وازدهار وأمان ، ويعلن انتهاء زمن الحروب .

ونفس النبوءة بكلماتها تنبأ بها ميخا المعاصر لإشعيا ، وكل منهما تناول
عنصر الزمن بغير تحديد إلا قوله في أخريات الأيام .

ويعتقد اليهود في أن زمن مجيء المسيح المخلص إنما هو من الأمور الغيبية
التي خباها الله عنهم ، ويستشهدون في ذلك بأقوال بعض الأنبياء ومنهم حبقوق :

(١) إشعيا : ٦: ٢٥ - ٩ .

(٢) إشعيا : ٢: ٢ - ٤ .

« لأن الرؤيا بعد إلى النيعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب ، فانظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر»^(١) .

وإذا كان معظم أنبياء بني إسرائيل الذين تحدثوا عن مجيء المسيح المخلص لم يحددوا زمناً معيناً لمجيئه اللهم إلا قولهم في أخريات الأيام أو كما قال حبقوق إنها لا تتأخر إلا أننا نجد النبي دانيال يذكر عدتها في قوله :

« سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوءة ولمسح قدوس القديسين فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيسي ، سبعة أسابيع وإثنا وستون أسبوعاً يعود وبني سوق وخليج في ضيق الأزمة ، وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له»^(٢) .

ويقول كذلك : « فسمعت الرجل اللابس الكتان الذي من فوق مياه النهر إذ رفع يماه ويسراه نحو السموات وحلف بالحي إلى الأبد ، أنه إلى زمان وزمانين ونصف فإذا تم تفريق أيدي الشعب المقدس تتم هذه»^(٣) .

وإن دانيال لم ينص على كيفية حساب هذه الأيام والأسابيع والأزمنة مما حدا ببعض اليهود إلى أن يلتمسوا هذه الفترة في زمن العودة تحت قيادة زروبابل أو في زمن المكابيين ، أو إلى الافتداء النهائي الذي ما يزال في علم الغيب ولكن بعض اليهود^(٤) يشير إلى كلمات دانيال بأنها من الممكن أن تكون هذه الأعداد ذات دلالة رمزية لأن الأعداد هنا غامضة ، كما أن دانيال يقول محذراً لكل أولئك الذين يميلون إلى إحصاء دقيق للأعداد التي وردت في النبوءة للوصول إلى سنة معينة لمجيء المسيح : « وأنا سمعت وما فهمت ، فقلت يا سيدي ما آخر هذه ، فقال

(١) حبقوق : ٢ : ٣ .

(٢) دانيال : ٩ : ٢٤ - ٢٧ .

(٣) دانيال : ١٢ : ٧ .

(٤)

اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية ، كثيرون يتطهرون وبييضون ويُمَحَّصُونَ ، أما الأشرار فيفعلون شراً ولا يفهم أحد الأشرار ، لكن الفاهمون يفهمون» (١) .

ولكن الفكر اليهودي المتأخر يؤكد أن مسيحهم المنتظر لم يأت بعد وذلك رداً على الفكر المسيحي الذي قال إن المسيح الذي تنبأ به أنبياء بني إسرائيل إنما هو المسيح عيسى بن مريم ، وحجة اليهود في هذا استشهادهم ببعض أقوال النبي إشعيا في تحديد أوصاف العهد المسيحاني :

« فيسكن الذئب مع الحمل ، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمُسَمَّنُ معاً ، وصبي صغير يسوقها ، والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادهما معاً - والأسد كالبقر يأكل تبنياً ، ويلعب الرضيع على سَرَبِ الصَّلِّ ويمد الفطيم يده على حُجْرِ الأفعوان . لا يسوءون ولا يُفْسِدُونَ في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر ، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يَسَى القائم راية للشعوب ، إياه تطلب الأمم ، ويكون محله مجدداً» (٢) .

كذلك قول إشعيا في وصف المسيح المنتظر « ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضي بالعدل للمساكين ، ويحكم بالأنصاف لبائسي الأرض . ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفثيه» (٣) .

وقوله كذلك في ملامح العصر المسيحاني « ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس (٤) ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر ، ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض ، فيزول حسد

(١) دانيال : ١٢ : ٨ - ١٠ .

(٢) إشعيا : ١١ : ٦ - ١٠ .

(٣) إشعيا : ١١ : ٣ - ٤ .

(٤) فتروس تعني صعيد مصر الجنوبي .

افرايم وينقرض المضايقون من يهوذا ، افرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق
إفرايم وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بني المشرق معاً ، يكون
على إدوم ومؤاب امتداد يدهما ، وبنو عمون في طاعتهما »^(١) .

كذلك ما ورد في إشعيا « الذئب والحمل يرعيان معاً والأسد يأكل التبن
كالبقر ، أما الحية فالتراب طعامها ، لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسي قال
الرب »^(٢) .

فيقول اليهود إن شيئاً واحداً من هذا لم يتحقق على عهد عيسى بن مريم
فالذئب ما يزال يأكل الحمل والأسد لا يذوق التبن بل يعيش على قتل الفريسة
وتمزيقها والحية ما تزال تهلك الإنسان ويهوذا ذليلة مشردة في الأرض »^(٣) .

كذلك يستمر تنكر اليهود للمسيح عيسى بن مريم فينكرون أي صفة لاهوتية
للمسيح المنتظر ويصفون المسيح بأن كل خواصه هي تلك التي تخص الإنسان في
أسمى كمال ممكن له^(٤) ، ولم تنسب له قط أي صفات فوق الطبيعة البشرية فكل
مجده وكل نجاحه مستمد من إرادة الله خالقه ، هو إنسان مثالي وملك مثالي ليس
أكثر فإذا كانت هناك معجزات تحدث فليس المسيح هو موجدتها وإنما هو الرب
الذي يصنع عجباً مع المسيح ومع إسرائيل ، وليس من المتوقع أن يغير المسيح
طبيعة الإنسان أكثر مما عليه مسلك العالم من حولنا ، والتغيير الوحيد المتوقع هو
أن وحدانية الله سوف تصبح معترفاً بها في العالم كله^(٥) وأن العدل والبر سوف
يزدهران في كل العالم وأن أولئك الذين يعتقدون في طبيعة ما فوق البشرية للمسيح

(١) إشعيا : ١١ : ١١ - ١٦ .

(٢) إشعيا : ٦٥ : ٢٥ .

(٣) الدكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي ص ١٢٩ .

(٤) إشعيا : ٥٢ : ١٣ .

(٥) « والرب سيكون ملكفا على كل الأرض ، وفي ذلك اليوم سيكون الرب واحداً واسمه واحداً »

زكريا : ١٤ : ٩ .

إنما هم وثنيون آثمون وأن حكماء اليهود قد عبروا عن هذا المبدأ في الكلمات :
 אֱמִן בֵּינָן הַעֲזוּלִים הַזֶּה לְיִמּוֹת הַמִּשְׁכָּח אֱלוֹ שְׁעָבְרוּ
 שְׁלָבֵיהֶם .

« ليس هناك أي اختلاف آخر بين الوقت الحاضر وبين أيام المسيح إلا عودة استقلال إسرائيل (١) » .

ولقد كان لمبدأ عدم تحديد زمن لمجيء المسيح في نبوءات أنبياء بني إسرائيل أن آراءهم وتوقعاتهم اختلفت في هذا المسيح فكانوا ينتظرونه في مبدأ الأمر ملكاً فاتحاً من نسل داود ويسمونه إبناً لله ، ثم أطلقوا اسم المسيح على كل من يعاقب أعداءهم ويفتح لهم باب الخلاص من أسرهم كما جاء في إشعيا عن قورش الملك الفارسي الذي أعاد اليهود إلى أورشليم ، « وهكذا يقول الرب لمسيحه لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك أجل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق » (٢) .

كما خطر حيناً للنبیین زكريا وحجاي في أواخر القرن السادس قبل الميلاد أن المسيح هو زوربابل لأنه أعاد بناء البيت في السنة الثانية للملك داريوس ثم تهذبت هذه العقيدة مع الزمن فأصبحوا ينتظرون الخلاص على يد الهداة العادلين بعد أن طال انتظارهم له دون جدوى على أيدي الغزاة الفاتحين فقال زكريا في رؤياه « ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور ووديع راكب على حمار . . على جحش ابن أتان » (زكريا : ٩ : ٩) (٣) .

وقد كان هذا الارتقاء في فهم الرسالة المسيحانية يصاحب أطوار الشعب الإسرائيلي في تاريخه المتعاقب ، فيقوي الرجاء في (المسيح الملك) كلما ضعفت الدولة المسيطرة على فلسطين وهان خطب الثورة عليها وتعاظم الأمل في استقلال رعاياها ، ويعود الرجاء إلى (المسيح الهادي) كلما استحكم سلطان

M.Fridelander: The Jewish Religion; P.160.

(١)

(٢) إشعيا : ٤٥ : ١ .

(٣) د. نجيب ميخائيل ابراهيم « مصر والشرق الأدنى القديم » ج ٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

الغاليلين وبدا أن الأمل في الخروج عليهم بقوة السلاح بعيد عسير ، وهكذا تراوح تفسير الرسالة المنتظرة بين رجعة الدولة وبعثة الهداية على حسب أطوار التاريخ ،^(١) .

وقال اليهود كذلك إن المسيح هو (إيلياهو) أو (إيليا التشبي) كما يسميه اليهود وذلك لما لهذا النبي من مواقف عظيمة في وقوفه في وجه وثنية آخاب وزوجته إيزابل ، بل إن النبي (إلياس) أو إيلياهو كما يقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا^(٢) بقي إلى يومنا هذا من الأركان الغيبية في الفكر اليهودي وكثر عنه الحديث في التلمود والمدراش ، وفي كتب التصوف اليهودي واعتبر في نظر أكثر اليهود مساوياً لموسى ، بل اعتبر الوحيد في أنبياء بني إسرائيل الذي يمكن أن يقارن بموسى .

واعتبر اليهود مرة أخرى أن المسيح هو ابن الأرملة الذي أعاده إيليا إلى الحياة وأنه سيأتي في آخر الزمان بعد أن يتقدمه إيلياهو ، بل اعتقد بعض اليهود أن إيلياهو والمسيح شيء واحد ، واعتقدوا بأنه سينزل آخر الزمان ليشر بالمسيح ومن هنا أنكر اليهود أن المسيح هو عيسى بن مريم لأن إيلياهو لم ينزل مرهناً له^(٣) .

وهكذا أخذت فكرة المسيح المنتظر في عقلية اليهود بحسب العصور والظروف التي عاشوا فيها أشكالاً مختلفة جداً ، كل جيل منهم صنع مسيحه حسب هواه وطبقاً للصورة الخيالية الوجدانية التي يحلم بأن يكون عليها هذا المسيح^(٤) .

حتى أن الحلم المسيحاني لم يكف عن مداعبة خيال اليهود منذ السبي البابلي وحتى القرن العشرين ، وككل الأحلام التي تداعب خيال الشعوب ، ظفر

(١) عباس محمود العقاد « حياة المسيح » ص ٣٠ .

(٢) دكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي ، ص ١٢٣ .

(٣) د. حسن ظاظا « الفكر الديني لاسرائيل » ص ١٢٨ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١١٥ ، ١١٦ .

الحلم اليهودي المسيحاني على مدى التاريخ بكثير من اليهود الذين يدعي كل منهم أنه المسيح المنتظر^(١) .

وهناك وجهة نظر وردت في التلموذ للربي (هليل) Rabbi Hillel^(٢) مؤداها أنه « ليس هناك مسيح للإسرائيليين لأنهم قد تمتعوا ببركة المسيح في حكم حزقيا »^(٣) مشيراً بذلك إلى الاندحار المريع للعدو وما أحرزه الإسرائيليون من بركات مباشرة . وكان ذلك بفضل تحذير إشعيا لحزقيا بعدم التسليم للعدو لذلك هكذا يقول الرب عن ملك آشور لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي هناك سهماً ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة . في الطريق الذي جاء فيه سيرجع وإلى هذه المدينة لا يدخل ، يقول الرب ، وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي . . إلخ^(٤) .

ولهذا يعارض الربي هليل على الإطلاق المعتقد اليهودي في أن المسيح سيحيى ومعهُ الدعوة العالمية بوحداية الرب والممارسة العالمية للفضيلة في جميع أشكالها والسلام الشامل ، ولكن « رشى » يقول إن الربي هليل كان يقصد أن يقول إن اليهود لا يُفدُونَ بأي مسيح ولكن بالرب نفسه ، مستشهداً في ذلك بما ورد في : (Hagada for Seder- evening) وسوف أعبر خلال أرض مصر أنا نفسي وليس ملاكاً ويقول : M.Friedländer^(٥) : « وعلى أي حال فإن هليل لم يجد تعضيداً لرايه إذ إنه نسي الأنبياء الذين تنبأوا بعد حزقيا »^(٦) .

(١) أنظر تفصيل ذلك في المرجع السابق من ص ١٣٠ حتى ص ١٥١ .

(٢) ليس هو الربي هليل الأكبر البابلي الذي كان من سنة ٦٠ حتى سنة ١٠ قبل الميلاد وهو حبر يهودي درس في أورشليم .

(٣) التلموذ البابلي - سنهدرين ، سنة ٩٨ ب وانظر :

M.Friedlander; The Jewish Religion; P.161. (Babyl. Talm. Samhldrim, 986).

(٤) إشعيا (٣٧ : ٣٣ - ٣٨) .

The Jewish Religion; P.161.

(٥)

(٦) يقصد المؤلف بهذا أنه لو كان رأي هليل صحيحاً لما بشر الأنبياء الذين تنبأوا بعد حكم حزقيا حتى

وهناك من اللاهوتيين اليهود كذلك من افترض أن العهد المسيحاني سيكون حالة حضارة كاملة ، ولكنهم لم يعتقدوا في عودة مملكة داود وإعادة بناء الهيكل أو استعادة اليهود امتلاك فلسطين . ويرد M.Friedländer على هؤلاء غاضباً كقمة من قمم الصهيونية قائلاً : « إن هؤلاء اللاهوتيين إما مُحَرَّفُونَ وإما يجهلون تماماً تعاليم الكتاب المقدس وإن الوعود السماوية إنما تمت من خلال رجال الله ، وإن هؤلاء اللاهوتيين جميعاً إنما يعارضون أمل اليهود القومي ، وإن الآمال التي توحى بها العقيدة اليهودية لا يمكن أن تؤدي بهم إلى مؤامرات أو تشكيلات سياسية أو فتنة أو حرب من أجل استعادة فلسطين وتعيين حكومة يهودية^(١) .

(٢) التأويل المسيحي :

أ- أهمية السفر في العقيدة المسيحية :

ينال سفر إشعيا في العقيدة المسيحية من الإجلال والقداسة ما جعلهم يسمون إشعيا بالنبي الإنجيلي^(٢) أو الإنجيلي الخامس بعد متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، ذلك لأن المعتقد المسيحي يرى في سفر إشعيا النبي ما يفوق كل أسفار العهد القديم من حيث التبشير بمقدم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، والدلالة على شخصه وصفاته وناسوته ولاهوته ، ومن أسباب اعتزاز المسيحيين بإشعيا أن يسوع المسيح كان يستشهد بأقواله : « من أجل هذا أكلهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون ، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون ، فقد نمت فيهم نبوة إشعيا القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون »^(٣) .

كذلك استشهد بإشعيا كل من متى ولوقا ويوحنا وورد اسمه في أكثر من

السي بمجيء المسيح المخلص .

M.Friedlander; The Jewish Religion; P.161.

(١)

(٢) متى بهنام « مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية » ص ٢٢٥ .

(٣) متى (١٣: ١٣ - ١٤) .

موضع في أعمال الرسل والرسالة إلى رومية وإشعيا في العهد الجديد يقع موقع التبرجيل والاحترام . .

ومما زاد من قيمة سفر إشعيا في العقيدة المسيحية كثرة ما ورد في العهد الجديد من اقتباسات من سفر إشعيا بلغت ما يقرب من أربعين اقتباساً^(١) نذكر منها على سبيل المثال :

١ - « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة » إشعيا (١ : ٩) . وفي العهد الجديد يقابلها : « كما سبق إشعيا فقال لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة » رسالة إلى أهل رومية (٩ : ٢٩) .

٢ - « فقال اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا ، وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » إشعيا (٦ : ٩ ، ١٠) . يقابلها في العهد الجديد « لأن إشعيا قال أيضاً قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » يوحنا (١٢ : ٤٠ - ٤١) ، مرقس (٤ : ١١ ، ١٢) .

٣ - « هنا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » إشعيا (٧ : ١٤) . ويقابلها في العهد الجديد « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا » متي (١ : ٢٢ - ٢٣) .

٤ - وهانذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » إشعيا (٨ : ١٨) . ويقابلها « ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » رسالة إلى العبريين (٢ : ١٣) .

٥ - « لنمورياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد » اشعيا (٩ : ٦ - ٧) .

(١) متي بهنام « مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية » ص ٢٣٢ .

ويقابلها « هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعي ويعطيه الرب الإله كرسي داود
أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » لوقا (١ : ٣٢ ،
٣٣) .

٦ - « ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب ، إياه تطلب الأمم
ويكون محله مجدداً » إشعيا (١١ : ١٠) .

ويقابلها : « وأيضاً يقول إشعيا سيكون أصل يسى والقائم ليسود على الأمم
عليه سيكون رجاء الأمم » رسالة إلى أهل رومية (١٥ : ١٢) .

٧ - « فأجاب وقال سقطت سقطت بابل » إشعيا (٢١ : ٩) .

ويقابلها « ... سقطت سقطت بابل العظيمة » رؤيا يوحنا (١٨ : ٢) .

٨ - « واجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح وليس من يغلُق ، ويغلُق وليس من
يفتح » إشعيا (٢٢ : ٢٢) .

ويقابلها في العهد الجديد « هذا يقوله القدوس الحق الذي له مفتاح داود الذي
يفتح ولا أحد يغلُق ، ويغلُق ولا أحد يفتح » رؤيا يوحنا (٣ : ٧) .

٩ - « هانذا أؤسس في صهيون حجراً ، حجر امتحان ، حجر زاوية ، كريماً أساساً
مؤسساً من آمن لا يهرب » إشعيا (٢٨ : ١٦) .

ويقابلها : « لذلك يتضمن أيضاً في الكتاب هانذا أضع في صهيون حجر زاوية
مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخزي » رسالة بطرس الأول (٢ : ٦ - ٨) ،
رسالة إلى أهل رومية (٩ : ٢٣) .

١٠ - « صوتُ صارخٍ ، في البرية أعدوا طريق الرب ، قَوْمُوا في الفجر سبيلاً »
إشعيا (٤٠ : ٣) .

ويقابلها : « ... قيل عنه بإشعيا النبي القائل صوتُ صارخٍ في البرية ،
أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » متي (٣ : ٢٣) ، لوقا (٣ : ٤) .

١١ - « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها » إشعيا (٥٣ : ٤) .

ويقابلها : « لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل هو أخذ أسقامنا
وحمل أمراضنا » متي (٨ : ١٧) .

١٢- « ... وَبَجُرِّه شُفِينَا » إشعيا (٨:٥٣) .
ويقابلها : « ... بَجَلْدَتِهِ شُفَيْتُمْ » رسالة بطرس الأولى
(٢٤:٢) .

١٣- « ... وَهُوَ عَمَلٌ خَطِيئَةٌ كَثِيرِينَ وَشَفَعُ فِي الْمَذْنِبِينَ » إشعيا (١٢:٥٣) .
ويقابلها : « الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ » رسالة
بطرس الأولى (٢٤:٢) .

١٤- « رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأَبْشُرَ الْمَسَاكِينَ ، أُرْسَلَنِي
لَأُعْصِبَ مَنْكَسِرِي الْقَلْبِ ، لِأَنَادِي الْمَسِييِينَ بِالْعَتَقِ ، وَلِلْمَاسُورِينَ
بِالإِطْلَاقِ ، لِأَنَادِي بِسَنَةِ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ » إشعيا (٦١:١ ، ٢) .
ويقابلها : « فَدَفَعُ إِلَيْهِ سَفْرَ إِشْعِيَا النَّبِيِّ وَلَمَّا فَتَحَ السَّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي
كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأَبْشُرَ الْمَسَاكِينَ ، أُرْسَلَنِي
لَأَشْفِيَ الْمَنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لِأَنَادِي لِلْمَاسُورِينَ بِالإِطْلَاقِ ، وَلِلْعُمَى بِالْبَصْرِ ،
وَأُرْسِلُ الْمَنْسَحَقِينَ فِي الْحَرِيَةِ وَأَكْرِزُ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ » لوقا (٤: ١٨) ،
(١٩) .

١٥- « مَا بَالُ لِبَاسِكَ مَحْمَرٌ وَثِيَابُكَ كَدَاثِسِي الْمَعْصَرَةِ ، قَدْ دَسَتْ الْمَعْصَرَةَ
وَحَدِي .. فَرَشَ عَصِيرَهُمْ عَلَى ثِيَابِي فَلَطَخَتْ كُلَّ مَلَاسِي » إشعيا
(٦٣:٢ ، ٣) .

ويقابلها : « وَهُوَ مَتَسْرِبِلٌ بِثُوبٍ مَغْمُوسٌ بِدَمٍ ... وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرٍ
سَخَطَ وَغَضِبَ اللَّهُ » رؤيا يوحنا (١٩:١٣ ، ١٥) .

١٦- « أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا ، وَجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي » إشعيا
(١:٦٥) .

ويقابلها : « ثُمَّ إِشْعِيَا يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ : وَجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي ،
وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي » رسالة إلى أهل رومية (١٠: ٢٠) .

١٧- « لِأَنَّ دُودَهُمْ لَا يَمُوتُ ، وَنَارُهُمْ لَا تَطْفَأُ » إشعيا (٦٦: ٢٤) .
ويقابلها : « حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَطْفَأُ » مرقس (٩: ٤٤) .

نظرت المسيحية إلى نبوءة إشعيا على أنها نبوءة متنبئة بمجيء المسيح عيسى بن مريم متضمنة كل صفات المسيح الناسوتية واللاهوتية على السواء دالة على حقيقة تجسده بكل وضوح في قوله : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عِمَانُوثِيل ، زبدا وعسلأ يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير »^(١)

ومؤكدة موته الكفَّارِي في قوله : « ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبنها مصاباً مضروباً من الله ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبجُبرِهِ شفينا . . . والرب وضع عليه إثم جميعنا »^(٢) .

كذلك ترى العقيدة المسيحية من صفات المسيح في نبوءة إشعيا أن قوله : (ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق ، كما أهان الزمان الأول أرضَ زبولون وأرضَ نفتالي يُكرم الأخير طريقَ البحر عبر الأردن جليلَ الأمم ، الشعبُ السالكُ في الظلمة أبصر نوراً عظيماً ، الجالسون في أرضٍ ظلال الموت أشرق عليهم نور عظيم »^(٣) .

هذا القول إشارة إلى مناداته بالبشارة في الجليل وأن دليل تحقق هذه النبوءة قد ورد في إنجيل متي « وترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل وأرضُ زبولون وأرضُ نفتاليم طريقُ البحر عبر الأردن جليلَ الأمم . الشعبُ الجالسُ في ظلمة أبصر نوراً عظيماً . والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور ، من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز . . . »^(٤) .

(١) إشعيا (٧ : ١٤ ، ١٥) .

(٢) إشعيا (٥٣ : ٤ - ٦) .

(٣) إشعيا (٩ : ١ ، ٢) .

(٤) متي (٤ : ١٣ - ١٧) .

كذلك أشارت نبوءة إشعيا إلى أن اليهود سيرفضون هذا المسيح : « محترق ومخزون من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستّر عنه وجوهنا محترق فلم نعتد به »^(١) .

كما تناولت نبوءة إشعيا كذلك صمت المسيح عندما اتهم : « ظلم ، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامته أمام جازئها فلم يفتح فاه »^(٢) .

ومن صفاته كذلك أنه سيكون وارثاً لعرش داود « لنمورثاسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد » ، (ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من غصونه)^(٣) .

وفي دخوله منتصراً إلى أورشليم « ... قولوا لابنة صهيون هوذا مخلصك آت ... »^(٤) .

كذلك نبوءة إشعيا النبي عن المسيح بأنه سيصلب مع الأثمين : « لذلك أقسم له بين الأجزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أئمة »^(٥) . وقد تمت هذه النبوءة في إنجيل متي (٢٧ : ٣٨) « حينئذ صلب معه لسان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار » وفي إنجيل مرقس (١٥ : ٢٧ ، ٢٨) : « وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره » فتم الكتاب القائل وأحصى مع أئمة . وفي إنجيل لوقا (٢٣ : ٣٣) : « وجاءوا أيضاً باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه » .

(١) إشعيا (٥٣ : ٣) .

(٢) إشعيا (٥٣ : ٧) .

(٣) إشعيا (٦٢ : ١١) .

(٤) إشعيا (٦٢ : ١١) .

(٥) إشعيا (٥٣ : ١٢) .

وجاء كذلك في نبوءة إشعيا أنه سيدفن مع غني عند موته : « وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته ، على أنه لم يعمل ظلاماً ولم يكن في فمه غش »^(١) وقد تحققت هذه النبوءة في إنجيل متي (٢٧ : ٥٧ - ٦٠) .

ويرى رجال الكنيسة الكاثوليكية^(٢) أن مسيحانية سفر إشعيا تبدأ من أول إصحاح فيه فيقولون هل يتوجه مضمون الإصحاح الأول إلى معاصري إشعيا أم النظر فيه إلى زمان مستقبل ؟ أي هل المقصود به النبوءة بالجلء البابلي أم بما سيكون في عهد السيد المسيح ؟ ولتحقيق ذلك نبدأ بالمواضع الجليلة التي لا تحتل شبهة في تعيين المراد منها . فيرون أن قوله « لذلك يقول المولى رب الجنود عزيز إسرائيل آه إني أستريح من خصمائي وأنقم من أعدائي ، وأعود بيدي نحوك فأسبك معدنك الخبيث في الكور وأنحي كل شوائبك ، وأرد قضاتك كالأولى ، ومشيريك كالابتداء بعد ذلك تُدْعَيْنُ مَدِينَةَ الْعَدْلِ الْقَرِيَةَ الْأَمِينَةَ ، لأن صهيون تغدى بالحق وتائبوها بالبر ، وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء ، وتاركو الرب يفنون ، لأنهم يخجلون من أشجار البطم^(٣) التي اشتهيموها وتخزون من الجنات التي اخترتموها ، لأنكم تصيرون كبطمة قد ذبل ورقها وكجثة ليس لها ماء ، ويصيّر القويّ مُشاقَّةً وعمله شراراً فيحترقان كلاهما معاً وليس مَنْ يظفيء^(٤) .

هذه النبوءة إنما توميء إيماء جلياً إلى زمن المسيح لأنه في ذلك الزمن يتم الانفصال الدائم بين أبناء إبراهيم الجسدیین وبين أبنائه الروحیین الذين هم على إيمانه وبره ، فإذا تقرر هذا الموضوع وتعين المقصود به لم يبق إشكال في تعبير

(١) إشعيا (٩:٥٣) .

(٢) الترجمة العربية الكاثوليكية مقدمة لسفر إشعيا ص ٤٩ .

(٣) شجرة البطم هذه هي شجرة العبادة . أنظر :

(٤) إشعيا (١ : ٢٤ - ٣١) .

المقصود ببقية الإصحاح كله لما بين أجزائه من الارتباط الوثيق ، وفهم من ثمَّ أن المواعيد المشار إليها في - الفقتين (٢ - ٩) ، (١٠ - ٢٠) لا يراد بها إلا ما ذكر .

وعلى ذلك فالآية التاسعة « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية لصرنا مثل سدوم وشابها عمورة » إنما تتوجه إلى زمن المسيح وتمتعت فيه بالخلاص الروحي والنجاة الزمنية أيضاً عند دمار أورشليم على أيدي الرومان ، ويرون أن القديس بولس نظر إلى هذا المعنى وهو النجاة الزمنية بالذات ، حيث نقل هذا الموضوع في رسالته إلى الرومان^(١) .

كذلك يرى المسيحيون أن الآية ١٩ « إن شتمم وسمعتم فإنكم تأكلون طيبات الأرض » أن هذه الطيبات ينبغي أن تحمل على الفوائد الروحية بوجه الخصوص ولا تخرج عن الفوائد الزمنية كما فسرها القديس باسيليوس والقديس ايرويلمس .

ثم يخرج رجال الدين المسيحيون من الكاثوليك بنتيجة عامة لمسيحانية الإصحاح الأول كله قائلين : وإن قد ثبت من هذه الآيات إنما هي تصدق على السيد المسيح وهي كما أسلفنا مرتبطة بما تقدّمها ارتباطاً غير منفك ومنزلة منه منزلة النتيجة تعين أن الفصل كله بما فيه من تقريع ووعد ووعيد يشير إلى زمن المسيح . ثم يقولون : ولبيان ذلك نقول : إن الذي جهله إسرائيل ونبذوه بحمق كانوا فيه أشد غباوة من الثور والحمار^(٢) إنما هو الرب الكلمة الذي طالما أرشد شعب إسرائيل بالملائكة والأنبياء وأخيراً تجسد بينهم ليرشدهم بنفسه إلى مواطن السعادة ، وأن ما أعلنه الرب من إعراضه عن أعياد اليهود وذبائحهم^(٣) يومئذ إلى ما حدث بعد مجيء المسيح من نسخ الشريعة السّنة لهذه الأعياد والذبائح لعدم

(١) انظر الرسالة إلى أهل رمية (٩ : ٢٩) .

(٢) إشعيا (١ : ٣ - ٤) .

(٣) إشعيا (١ : ١١ - ١٤) .

منفعتها في الخلاص كما بين ذلك القديس بولس بقوله : « إذن نرفض الوصية السابقة لضعفها وعدم نفعها »^(١) وهذه الدماء المملوءة منها أيدي اليهود^(٢) إنما هي دم المسيح الذي ودوا أن يقع عليهم بقولهم : « دمه علينا وعلى بنينا »^(٣) .

كما أن هذا الاغتسال والتطهر المذكورين في إشعيا (١ : ١٦) إنما هما إشارة إلى المعمودية المسيحية . والرؤساء المذكورون في الآية (٢٣) هم رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون والقضاة والمشيرون الذين سيعيدهم في موضعهم^(٤) هم الرسل والأساقفة وسائر رعاة صهيون الجديدة .

ثم يتصور رجال الدين المسيحي هؤلاء اعتراضين للقرارىء أحدهما أن يقول إن الله في إشعيا (١ : ٢٩) إنما يؤنب اليهود على عبادتهم للأوثان واليهود منذ رجعوا من سبي بابل لم يكونوا في شيء من عبادة الأوثان ، والجواب هو أن هذه التأنيبات الموجهة هنا إلى جملة الشعب لا تختص بمن كان منهم في عهد السيد المسيح ، ولكنها تشمل كل من تقدمهم لا منذ عهد موسى فقط ولكن منذ عهد هابيل ، وكل دم سفك منذ باكورة الشهداء المذكورين ينبغي أن يقع على رؤوسهم كما قال السيد له المجد^(٥) ، وجميع اليهود الجسدانيين من جرثومتهم في عين النبي بمنزلة شخص واحد جرائمه المستقبلية ستجتم مكيال الجرائم السالفة .

أما الاعتراض الثاني فهو أن يقول : إن كثيراً من الآباء يحملون النقم المذكورة في هذا الموضع على سبي اليهود إلى بابل .

والجواب هو إنما يحملونها على السبي المذكور بوجه ثانوي وباعتبار أن هذا السبي كان بداءة لها ، ومن وجه آخر يحملونها على دمار أورشليم المشار إليه على

(١) رسالة إلى العبريين (١٨ : ٧) .

(٢) إشعيا (١ : ١٥) .

(٣) متي (٢٧ : ٢٥) .

(٤) إشعيا (١ : ٢٦) .

(٥) متي (٢٣ : ٣٥) .

أيدي الرومان بطريق الأصالة ، وباعتبار كونه محققاً لتمام نفوذها .

ولقد وجدت العقيدة المسيحية في سفر إشعيا شواهد على كثير من صفات المسيح عيسى بن مريم في لاهوته فيتساءل علماء اللاهوت المسيحي ما هي بعض الأدلة على لاهوت المسيح في نبوءة إشعيا؟ (١) .

وفي إجابتهم على هذا السؤال يذكرون قول إشعيا : « في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجداً ، وثمر الأرض فخراً وزينة للناجين من إسرائيل » (٢) ويقولون إنه مما يرجح كل الترجيح أن ذلك يشير إلى المسيح ، اصطلاح الأنبياء على تلقيه بالغصن فقد قال إرميا : « ها أيام تأتي يقول الرب ، وأقيم لداود غصن بر ، فيملك ملك وينجح ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض » وقال إرميا كذلك : وفي تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الأرض » (٣) ، وقول زكريا « . . . لأنني هاأنذا آتي بعبدي الغصن » وقوله كذلك : « وهوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب » (٤) .

وفي كل هذه الآيات اللفظة المترجمة بغصن هي نفس اللفظة المترجمة بغصن في إشعيا (٢ : ٤) .

وقال إشعيا أيضاً : « ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله » (٥) ولكن كلمة غصن هنا في رأي اللاهوتيين المسيحيين تختلف عنها في الآية السابقة رغم أنها تشير إلى المسيح كما يظهر من القرائن كما يقولون ، ولما كان الأنبياء قد استعملوا هذه اللفظة للمسيح حين ينبتون عن لاهوته كما يتضح على الخصوص في إشعيا (١ : ١١) ، وإرميا ٢٣ : ٥ ، ترجح دلالتها على ذلك

(١) « علم اللاهوت النظامي » ، ص ٣١٩ .

(٢) إشعيا (٢ : ٤) .

(٣) إرميا (٥ : ٢٣) ، (١٥ : ٣٣) .

(٤) زكريا (٨ : ٣) ، (١٢ : ٦) .

(٥) إشعيا (١ : ١١) .

في الآية التي نحن بصددنا .

كما يرون أن الإصحاح السادس من سفر إشعيا والذي يظهر فيه يهوه للنبي في هيكله المقدس محاطاً بجنود الملائكة المسبحين له دوماً ، فقد أخبر يوحنا الرسول أن يهوه الذي ذكر في كلام النبي هو المسيح نفسه الذي يعبد الآن كل المسيحيين « قال إشعيا هذا حين رأى مجده وتحدث عنه »^(١) .

كذلك يقول المسيحيون إن نبوءة إشعيا عن مولود من عذراء^(٢) يدل على أن ذلك المولود هو ابن الله الأزلي المساوي للأب وذلك بناء على أربعة أشياء هي :

١ - من تسميته عمانوئيل أي الله معنا .

٢ - من تسمية أرض إسرائيل أرضه (٨ : ٨) وتسميته عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبا أبدياً رئيس السلام .

٣ - من كون مملكته عامة وأبدية .

٤ - من كون نتائج إتيانه وملكه مما يختص بملك الله وحده .

أما الجزء الثاني من سفر إشعيا وهو الجزء الذي سماه بعض المحققين ومنهم Driver بإشعيا الثاني وهو مجموعة الإصحاحات من ٤٠ - ٦٦ فقد رأى رجال الديانة المسيحية مسيحانية هذا الجزء جملة وقد كتب فيه أحدهم كتاباً بعنوان « المسيح في إشعيا »^(٣) ، وقال علماء اللاهوت المسيحي إن الموضوع الأهم في هذه الإصحاحات هو المسيح وملكوته ، وفيها نبوات صريحة يتبين منها سمو شأنه وكونه هو فادي شعبه ومنقذهم ليس من سبي بابل فقط بل من كل شر

(١) يوحنا (٤١ : ١٢) .

(٢) « علم اللاهوت النظامي » ص ٣٢٤ .

إشعيا (٧ : ١٣ - ١٦) ، (٧ : ٦ - ٩) .

(٣) دكتور ف. ن. ماير « المسيح في إشعيا » تعريب القس مرقس داود .

وأنه سيعيد لهم مغفرة الخطية والمصالحة مع الله^(١) ، ويتغلب على جميع أعدائه ، وأن ملكوته يمتد إلى أقاصي الأرض ويبيد ملكوت الظلمة ، وديانته تنتشر في كل العالم وكل ذلك دليل على لاهوته^(٢) .

وقد اتخذت المسيحية آيات من سفر إشعيا واعتبرتها متضمنة لقباً للاهوت مستعملة في العهد الجديد على أنها تشير إلى المسيح من هذه الآيات :

١ - إشعيا (٦ : ٣ - ٥) « وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض ، واهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلاً البيت دخاناً^(٣) . فقلت ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأنا الملك رب الجنود » حيث نجد في يوحنا (١٢ : ٤١) أن الذي قال عنه إشعيا إنه الملك رب الجنود هو المسيح .

٢ - إشعيا (٤٣ : ٣) « لأنني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك . . » حيث تشير إليها رسالة بطرس الثانية (٣ : ١٨) ربنا ومخلصنا يسوع المسيح .

٣ - إشعيا (٤٣ : ١١) « أنا أنا الرب وليس غيري مخلص » . حيث تشير إلى لاهوت المسيح فيها أعمال الرسل ٤ : ١٢ « وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن يخلص » .

٤ - إشعيا (٩ : ٦) « لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً . . . الخ . وتشير هذه الآية إلى ما ورد من صفات لاهوتية ليسوع في لوقا (٢ : ١١) : « إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » وفي رسالة إلى العبرانيين (١ : ٨) وفي رؤيا يوحنا (١٩ : ١٢) ، (١ : ٨) وفي يوحنا

(١) إشعيا (٥٣ : ٥ - ١٢) ، (٦٣ : ٩ - ١٤) .

(٢) « علم اللاهوت النظامي » ص ٣٢١ .

(٣) ويرى إدوارد دورم أن هذا الدخان يظهر مع التجلي الإلهي . . . Edward Dhorm, La Biblio.

(٥٨ : ٨) : « قال لهم يسوع: الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »
وفي أفسس (١٤ : ٢ - ١٧) « لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقص
حائط السياج المتوسط أي - العداوة ، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في
فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ،
ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به ، فجاه
وبشركم بسلام أنتم البعيدين والغريبين » .

فآية العهد القديم في إشعيا هي نبوءة عن المسيح ، وآيات العهد الجديد تشير
إلى صدق هذه النبوءة على يسوع أي أنه هو الولد المولود وهو الرب وله
رياسة ، والذي له اسم عجيب ليس يعرفه أحد إلا هو والقادر على كل شيء
والذي كان قبل إبراهيم ورئيس السلام فجميع ألقاب المسيح في آية إشعيا
مخصصة بيسوع بالمعنى وفي العهد الجديد بالوحي^(١) .

٥ - وما ورد في إشعيا (٤٠ : ١٠) « هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له
هوذا أجزته معه وعملته قدامه » .

يشير إلى صفة لاهوتية ليسوع في رؤيا يوحنا (١٢ : ٢٢) « وها أنا آتي سريعاً
وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله » .

٦ - كذلك قول إشعيا في (٤٤ : ٦) « هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه ، رب
الجنود ، أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري » .

يتوافق مع ما ورد عن وصف يسوع لنفسه في رؤيا يوحنا (١٣ : ٢٢) : « أنا
الآلف والياء ، البداية والنهاية ، الأول والآخر » .

كذلك ترى العقيدة المسيحية أن ما ورد في إشعيا (٥٣ : ١٠ ، ١٢) : « أما
الرب فسراً بأن يسحقه بالحزن ، إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلأ تطول أيامه
ومسرة الرب بيده تنجح . . . الخ » .

تدون في ذلك إشارة إلى كهنوتية المسيح عيسى تلك الصفة التي دلت عليها

(١) « علم اللاهوت النظامي » ، ص ٣٢٤ .

إشارات في عديد من أسفار العهدين الجديد والقديم فمن إشارات العهد القديم إلى كهنوتية المسيح عيسى كما ترى النظرة المسيحية مزمو (١١٠ : ٤) و زكريا (١٣ : ٦) ، وإشعيا (١٠ : ٥٣) ودانيل (٩ : ٢٤ ، ٢٥) وفي العهد الجديد مثل رسالة العبرانيين (٥ : ٦) ، (٦ : ٢٠) كما أشير إلى أنه هو المرموز إليه في الكهنوت اللاوي ولاسيما في رئيس الكهنة العظيم وفي الذبائح وقد وضع ذلك كاتب الرسالة إلى العبرانيين في (٢ : ١٦) ، وله حق الاقتراب إلى الله والقبول لديه تعالى في النيابة عنهم كرئيس كهنتهم العظيم كما وضع ذلك في إنجيل يوحنا (١٦ : ٢٨) ، (١١ : ٤٢) ، ولذلك يرى أصحاب العقيدة المسيحية أن كون المسيح كاهناً ينوب عنهم فيما يختص بالرب في الذبائح والشفاعة من أوضح تعاليم الكتاب المقدس^(١) كما يرى لاهوتيو المسيحية أن الإصحاح (٥٣) كله من إشعيا يعبر عن صفة الخلاص والفداء في المسيح عيسى ، وترى العقيدة المسيحية كذلك أن ما ورد في إشعيا (٤٤ : ٣) في قوله : « وأسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك » إشارة إلى الأقبوس الثالث للمسيح وهوروح القدس . وكذلك ما ورد في إشعيا (٦٣ : ١٠) « ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدواً . . . » إنما هذا إشارة إلى المسيح في أقبومه الثالث روح القدس .

أما ما يستشهد به المسيحيون من إشعيا على الصفة الملكية للمسيح فهو في الآيات (٧ : ١٤) ، (٩ : ٦ - ٧) ، كذلك يرون في قول إشعيا (قدوس قدوس قدوس) في (٦ : ٣) إشارة إلى عقيدة التثليث .

أما عن شخصية (عبد الرب) التي تشتمل عليها أربع فقرات من سفر إشعيا (٤٢ : ١ - ٤) ، (٤٩ : ١ - ٦) ، (٥٠ : ٤ - ٩) ، (٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢) فإن العقيدة المسيحية كذلك تعتقد أن عبد الرب هذا هو المسيح عيسى للأسباب التالية :

في المجموعة الأولى يصف الله نفسه أنه هو ذلك العبد وأن عمله سيضم

(١) علم اللاهوت النظامي ص ٨١١ .

الديوننة (أنتم شهودي يقول الرب ، وعبدي الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أنني أنا هو (٤٣: ١٠) ، وفي المجموعة الثانية يتكلم العبد نفسه ويقول إن الله قد اصطفاه وصانه ليجعله نوراً للأمم (٤٩: ١ - ٦) ، وفي المجموعة الثالثة يتكلم العبد نفسه أيضاً متحدثاً عن العناء والآلام التي كافأه بها من ابتغى خدمتهم وخلصهم (٥٠: ٤ - ٩) أما المجموعة الرابعة فهي بيان عن حياة العبد وعمله وموته ، وقد جاء الحديث على لسان الشعب الذي عرفه معرفة أكمل بعد موته .

أما عن شخصية العبد هذه فقد تفرعت فيها الآراء وتعددت فقال فريق إنه إرميا أو إشعيا الثاني نفسه ، وذهب فريق آخر إلى أنه زربابل أو موسى ، وقيل إن العبد يمثل الشعب كله كأنه فرد واحد أو هو على الأقل النخبة المختارة من هذا الشعب التي اصطفاهما الله ، أما الكنيسة المسيحية فقد فكرت أن العبد المشار إليه في هذه المجموعات من السفر هو يسوع المسيح ذاته .

ويقول أحد رجال الدين المسيحي ممن عرفوا بكثرة الكتابة في مسائل الدين^(١) : إنه يصعب علينا الجزم بقول فاضل في شخصية ذلك العبد الذي رسمه النبي في أناشيده ثم يقول : وينبغي أن نلزم جانب الحرص في التطبيق والتخريج ، ذلك لأن العبد المشار إليه في المجموعة الرابعة أبرص ، ويسوع لم يكن أبرص ، وينبغي أن نذكر أن الصورة التي رسمتها الأناشيد للعبد تنطبق على الأقل في بعض أجزائها - على كل إنسان يرتضي أن يكون عبداً لله .

وقد شارك بعض كتاب المسلمين في مسألة التخريج والتفسير للمسيح الذي أشار إليه إشعيا فقد رأى النويري أن نبوءة إشعيا تشير إلى خلاص العالم على يد النبي محمد عليه السلام ، وفي ذلك يروي النويري نصاً لنبوءة إشعيا في هذا الشأن يختلف عن النص الذي بين أيدينا إذ يروي النويري حديث الرب لإشعيا قائلاً : « إني باعث لذلك نبياً آمياً لا أعمى من العميان ، ولا ضالة من الضالين ،

(١) الفس حبيب سعيد (المدخل الى الكتاب المقدس) ص ١١٠ .

ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحَّاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ، ولا قوَال
للخنا، أسدوه بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ،
والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ،
والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه
والإسلام ملته ، أحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة . .
الخ^(١) .

أما برستد^(٢) فإنه يرى أن فكرة التبشير بعصر جديد يظهر فيه المخلص الذي
يخلص العالم من الشرور والآلام هذه الفكرة قد نشأت بحذافيرها من التفكير
الاجتماعي الذي قام به رجال الفكر المصري في وقت لم تكن قد أشرقت فيه بعد
على روح الإنسان مثل تلك الصور للمثل العليا الإنسانية في أي بقعة من بقاع
الأرض ، فقد نظر المفكر المصري الاجتماعي الى ما وراء الأمور الواقعة وتجاسر
على الاعتقاد بحلول عصر عدالة مثلى ، وحينما علق بذهن النبي العبراني بهاء
تلك الرؤيا وارتفع إلى أفق أعلى منها فإنه كان في الواقع يقف فوق كتفي المصري
القديم - حيث إن التفكير الديني عند هؤلاء القوم الذين سكنوا فلسطين - كما يقول
برستد - يعتمد جوهره في هذه الحالة كما اعتمد في تجاريب كثيرة مشابهة لها على
الاستقاء من تراث الماضي كما وجدوه باقياً في الجماعات الكنعانية التي اندمجوا
فيها تدريجاً ، وكان هذا التراث مفعماً بالأفكار المصرية التي تتناول صفات إله
الشمس وتعدده حاكماً عادلاً بين الناس . . .

(١) شهاب الدين النويري (نهاية الأرب في فنون الأدب) نشر وزارة الثقافة ج ١٤ ، ص ١٤٨ .

(٢) ج. هـ. برستد (فجر الضمير) ص ٣٨٩ .

الخاتمة

وبعد فقد انتهت مناقشة العناصر المختلفة التي يتكون منها البحث وقد أوردنا آراء العلماء والباحثين اللازم إثباتها وعرضها في موضعها من المناقشة حتى يتسنى على ضوئها إبراز نتيجة معينة أو رأي في المسألة المطروحة للمناقشة أو ترجيح أحد هذه الآراء لأسباب لها وجاهاها .

ومن مناقشة عناصر الباب الأول من البحث بصدد الحديث عن السلطة الاجتماعية التي كانت متمثلة في المجتمع العبري إبان العهد الملكي القديم ، أمكن أن ندرك أن النظام الملكي ولد عدواً للسلطة الدينية التي ساعدت على قيامه وتأسيسه كرهاً ، لأنها تدرك تماماً أن هذا النظام سيسلبها الكثير من سلطانها على الناس ، دليل هذا أن صمويل النبي الذي أسس الملكية في المجتمع العبري تحت ضغط الشعب وإلحاحهم ، كان يعمل دائماً على أن يظل شاءول الملك خاضعاً له ياتمر بأمره ، وظل يثير حفيظة الشعب على شاءول كلما أتيح له ذلك ، بل أراد صمويل أن يجعل السلطة الجديدة يحطم بعضها البعض حين مسح داود ملكاً و شاءول ما يزال في الحكم ، وظل الصراع بين السلطين ، كل منهما تحاول السيطرة على الأخرى وقد تنبه داود إلى هذا فجعل الكهانة مجرد إدارة من إدارات البلاط تخضع للقوة الملكية العليا وأصبح من سلطة الملك أن يخلع من يشاء ويعين من يشاء رئيساً للكهنة بما يراه متفقاً مع سياسته واتجاهاته ، كما فعل سليمان مع أبيئثار وصادوق . وكل ما استطاعت السلطة الكهنوتية أن تحتفظ به هو أن تقوم بمسح الملك الجديد عند تنويجه .

كما أن النتيجة الأخرى هي أن النكبة أو الأزمة التي عانت منها إسرائيل كان للنظام الملكي فيها دور كبير واضح .

أما بالنسبة للسفر نفسه فإن أوضح ما يبرز لنا بعد مناقشة آراء العلماء وعرض وجهات النظر المتباينة أن سفر إشعيا في كثير من محتوياته شديد الغموض بالغ الاضطراب ، ولم يظهر لنا باحث حتى الآن يدعي أنه وصل في توثيق السفر إلى نتيجة تقلل من حدة الخلاف فضلاً عن أن تنهيه . فقد رأينا أثناء محاولة تأريخ كثير من فقراته مدى التباين في وجهات النظر والتفاوت بين قوة وضعف الأدلة التي يسوقها أصحاب الآراء من استقراء التاريخ ، بل كثيراً ما نجد من يقف عاجزاً أمام فقرة معينة معترفاً بأن النص هنا غامض أو مضطرب ، ويعزون هذا إلى ما تسرب إلى السفر من حشو وزيادات على أيدي الجُمَاع والنساخ . غير أن هذا لا يمنع وجود ما يشير بوضوح إلى حادثة معينة حدثت في تاريخ معين .

وعلى ضوء بعض هذه الإشارات أمكننا أن نصل إلى أن السفر لم يكن في مجمله من عمل نبي واحد إذ إن به إشارات واضحة في القسم الثاني منه (٤٠ - ٦٦) تجعلنا لا نشك في أن هذه الإشارة خاصة من خصائص فترة السبي البابلي كذكر اسم قورش مثلاً ، وتصوير أورشليم بأنها أصبحت مهجورة خرج منها ذوها ، أو الإشارة في بداية الإصحاح الأربعين إلى ما يداعب أمل المسبيين القريب في العودة إلى فلسطين حين ينطلق صوت صارخ في البرية يطلب تمهيد الطريق في الصحراء أمام العائدين أو ما يشير إليه النص من أن الرب عاد إلى اسرائيل كما يعود الرجل إلى طليقته التي هجرها ، ومن الأدلة على ذلك أيضاً نعمة الفرح والتفاؤل والبهجة التي تسود الإصحاحات الأخيرة من السفر مما يشف عن نفسية مشبعة بالأمل والبهجة لصاحب هذه التعبيرات .

كما أن الإصحاحات التسعة والثلاثين الأولى باستثناء بعض الفقرات التي أشير إليها أثناء مناقشتها ، تشتمل على ذكر أحداث حدثت في عصر إشعيا النبي في أورشليم وبالذات تلك الأحداث التي حدثت في عهد آحاز وابنه حزقيا كاتفاق رصين مع فقح بن رمليا على ضم يهوذا إلى حلفهما ضد آشور ومحاولة خلع آحاز وتعيين ابن طبثيل حليفهما بدلاً منه ، وكذلك حصار سنحريب لأورشليم في عهد حزقيا ، إذ لم يذكر اسم سنحريب إلا في القسم الأول من السفر بل لم يذكر قط في العهد القديم إلا في هذا الموضع .

كما دلت المناقشة اللغوية كذلك على قرائن لغوية تثبت أن مؤلف الجزء الأول من السفر يختلف اختلافاً واضحاً عن مؤلف الجزء الثاني في كثير من خصائص الأسلوب واللغة ، فعبارات الجزء الأول حماسية غاضبة قصيرة والأسلوب رصين جزل يناسب المرحلة الكلاسيكية في اللغة ، وأن مفردات وتراكيب الجزء الأول تتناسب مع عصر إشعيا الذي يعج بالانحراف والفساد والغني ، فتسود لذلك ألفاظ الويل والعذاب والنار والقتل والهزيمة ، بينما الجزء الثاني من السفر تغلب عليه ألفاظ الفرح والبهجة والغناء ، والعبارة فيه هادئة مناسبة ليست غاضبة هادئة كما في الإصحاحات الأولى . أيضاً هناك ألفاظ وتعبيرات ولوازم لغوية خاصة لا نجد ما يوازيها أو يقاربها في الجزء الآخر المقابل من السفر .

لكل ذلك نرجح الرأي القائل بأن للسفر كاتبين مختلفين ، هذا بالإضافة إلى أن بالسفر كثيراً من الألفاظ والتعبيرات المقحمة .

كذلك يتبين لنا من خلال مناقشة السفر على ضوء الأحداث التاريخية أن السفر يفتقد الترتيب الزمني في ترتيب فقراته وإصحاحاته ، إذ من الواضح أن الإصحاح الأول ليس هو أول نبوءة إشعيا ، كما هو واضح في الإصحاح السادس الذي يصف مشهد تكليف الرب لإشعيا برسالته إلى بني إسرائيل .

من النتائج أيضاً التي نستطيع الوصول إليها بالنسبة لإشعيا نفسه أنه واحد من أفراد الأسرة الملكية الذين لم تتح لهم المشاركة في الحكم ، بدليل مكانته العالية في البلاط الملكي رغم عنفه وجراته البالغة في الهجوم والنقد اللاذع الذي يوجهه إلى الحكام وتدخله في خلع وتعيين كبار موظفي القصر الملكي كما يتضح من دوره في خلع شبنو مدير القصر وتعيين إياقيم بن حلقيا بدلاً منه .

كما أن ثقافته العالية وإلمامه الواسع بأساليب الدول الأخرى في الحرب والسلام وإلمامه بعاداتهم وتقاليدهم وخبرته بالاتجاهات السياسية للأمم الأخرى ووصف الأماكن بدقة ، كما وصف ضفاف النيل في مصر ، والذين يعملون في صيد السمك بالشص والشباك ، والعاملين في صناعة النسيج والكتان ، وسفن

البردى ، والمزارع والنخيل ، كل ذلك يدعونا إلى استنتاج أنه عاش فترة من حياته الأولى في هذه البقاع وخالط أهلها ، وقد تكون زيارته لهذه البلاد من أجل التجارة ، فهو يعدد أدوات زينة النساء ويصفها وصف تاجر خبير متمرس بها يعرف أنواعها بدقة ، كما أنه يصف بالتفصيل بعض طرق زراعة وحصد وإعداد أنواع من النباتات لا بد رآها في مواطنها .

أما ما نخرج به من نتائج دينية فهو أن سفر إشعيا يمثل مرحلة جديدة في الديانة العبرية يتمثل ذلك في صفات يهوه الذي يظهر لأول مرة إلهاً عالمياً لا يختص بإسرائيل وحدها بل هو يجمع كل الشعوب على وليمة واحدة وتتأكد القداسة له بصورة لم تكن موجودة من قبل ، كما أن تنزيه يهوه عن الشبيه والمثيل يظهر واضحاً في سفر إشعيا الثاني بعد أن كان يهوه واحداً بين بقية الأرباب والآلهة من قبل .

والله الموفق



ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

- ١ - الكتاب المقدس : جمعية الكتاب المقدس ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
- ٢ - الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت ، مدارس الأحد المرقسية بالاسكندر ، ١٩٧٥ .
- ٣ - تفسير الكتاب المقدس : تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة فرنسيس دافيدسون ، مركز المطبوعات المسيحية ، بيروت سنة ١٩٦٦ ، ترجمة القس الدكتور توفيق صالح - الاستاذ صمويل عبد الملك ، الأستاذ عزرا مرجان ، القس طانيوس زخاري .
- ٤ - علم اللاهوت النظامي ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ١٩٧١ .
- ٥ - قاموس الكتاب المقدس ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت سنة ١٩٧١ .
- ٦ - أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر القاهرة ، ١٣٤٦هـ .
- ٧ - أحمد شلبي (دكتور) ، مقارنة الأديان (اليهودية) القاهرة سنة ١٩٦٦ .
- ٨ - أحمد نسيم سوسه (دكتور) ، العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ، سنة ١٩٧٣ .
- ٩ - إدون بفن ، أرض النهرين ، ترجمة الأب أنستاس ماري الكرمللي والأب لويس مرتين الكرمللي ، بغداد ، ١٩٦١ .

- ١٠ - برستد : جيمس هنري ، فجر الضمير ، ترجمة الدكتور سليم حسن ،
القاهرة ، ١٩٥٦ .
- ١١ - جوستاف لوبون ، في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ،
القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ١٢ - جون إلدز ، الأحجار تتكلم ، ترجمة دكتور عزت زكي القاهرة ، بدون
تاريخ .
- ١٣ - حبيب سعيد ، المدخل إلى الكتاب المقدس ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ١٤ - حبيب سعيد ، أديان العالم ، القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٥ - حسن ظاظا ، (دكتور) ، الساميون ولغاتهم ، القاهرة ، سنة ١٩٧١ .
- ١٦ - " " الفكر الديني الاسرائيلي ، أطواره ومذاهبه ، القاهرة ١٩٧١ .
- ١٧ - " " القدس ، مدينة الله أم مدينة داود ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٠
- ١٨ - رولى هـ.هـ. أطلس الكتاب المقدس ، طبعة بيروت (بدون
تاريخ) .
- ١٩ - سبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة الدكتور حسن
حنفي ، القاهرة ١٩٧١ .
- ٢٠ - سيجال م. ص ، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل ، ترجمة وتعليق
الدكتور حسن ظاظا ، بيروت .
- ٢١ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ،
القاهرة ١٩٣٨ .
- ٢٢ - طه باقر ، في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، سنة ١٩٥٦ .
- ٢٣ - ظفر الاسلام خان ، تاريخ فلسطين القديم ، بيروت ١٩٧٣ .
- ٢٤ - عباس محمود العقاد ، ابراهيم أبو الأنبياء ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ٢٥ - عبد الحميد زايد (دكتور) القدس الخالدة ، القاهرة ١٩٧٤ .
- ٢٦ - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٢٧ - فؤاد حسنين علي (دكتور) التوراة عرض وتحليل ، القاهرة سنة ١٩٤٦ .
- ٢٨ - " " " " التوراة الهيروغليفية ، القاهرة بدون تاريخ .
- ٢٩ - فيليب حتي (دكتور) : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ترجمة الدكتور أنيس
فريحة ، بيروت ١٩٦٥ .

- ٣٠- ماير ف. ب ، المسيح في إشعيا ، ترجمة القس مرقس داود .
- ٣١- محمد جابر الحيني (دكتور) : في العقائد والأديان ، القاهرة سنة ١٩٧١ .
- ٣٢- موسكاتي ، سباتينو ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٣- نجيب ميخائيل إبراهيم (دكتور) مصر والشرق الأدنى القديم دار المعارف ، الاسكندرية . ١٩٦٦ .
- ٣٤- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٥- ولز ه.ج . معالم تاريخ الانسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق القاهرة ١٩٥٦ .

ثانياً : المصادر والمراجع الأجنبية :

- 1— Anderson, George, W.
A Critical introduction to the O.T. London; 1959.
- 2— Beven, Edward, R. and Singer Harles.
The legacy of Israel, Oxford 1928.
- 3— Blaikie, William, G.
Amanual of Bible History, New York 1940.
- 4— Briggs, G.W. & Caird, G.B. & Micklem, N.
Thr shorter Oxford Bible, 1967.
- 5— Browne, Lewis.
The wisdom of Israel; London, 1960.
- 6— Cook, Stanly,
An introduction to the Bible, London, 1950.
- 7— Cundall, Arthur E.
Daily Bible Commentary, Vol II. New York 1974.
- 8— Dhorme, Edouard,
La Bible: Ancien Testament EDOUARD DHORME. Paris 1956-1971.
- 9— Driver, S.R.
An introduction to the literature of the O.T. New York 1913.
- 10— Elliott- Binns, L.
The clarendon Bible, Vol II. 6th. odd. Oxford 1952.
- 11— Friedländer, M.
The Jewish Religion, London, 1913.

- 12— Goodman, Paul,
A History of the Jews, London, 1917.
- 13— Harrison, R.K.
The Archaeology of the O.T. New York 1966.
- 14— Henry, Mattew,
Mattew Henry's Commentary, New York. U.S.A. 1612.
- 15— Jenning F. Charles,
Studies in Isaiah, U.S.A. 1970.
- 16— Jessie Lace, O.
The Cambridge Bible Commentary introductory Voll. Cambridge
1972.
- 17— Jones, Alexander,
The Jerusalem Bible, Liverpool, Britain 1968.
- 18— Kittel, Rud,
Biblia Hebraika, Leipzig 1909.
- 20— Lofthouse, W.F.
The Clarendon Bible, Oxford 1945.
- 21— Pfeiffer, Charles F. and Harrison Evot F. The Wycliffe Bible Com-
mentary, U.S.A. 1972.
- 22— Robinson, Theodore H.
Prophecy and the Profets in ancient Israel, Edinburgh 1950.
- 23— Smith, George Adam;
The Expositor's Bible; Vol III. Michigan 1956.
- 24— Unger, Merril. F.
Unger's Bible Dictionary in 16th edd. Chicago 1970.

ثالثاً : دوائر المعارف :

- 25— Encyclopaedia Britancia; London 1929.
- 26— Encyclopadia Religion and Ethics. New York 1914.
- 27— The Jewish Encyclopaedia U.S.A. 1904.

رابعاً : المراجع العبرية :

- א. אל עזר ל-פא סוקניק "מגילות גנוזות" ירושלים. 1955-
- ב. גרדון. ש.ל. "ישעיהו" תל-אביב.
- ג. יחזקאל קויפמן יתולדות האמונה הישראלית "תל-אביב.

الفهرس

٥	الإهداء
٧	مقدمة
- مدخل -	
١١	نشأة النظام الملكي في المجتمع العبري حتى اتياره بالسبي البابلي
١٩	المملكة الموحدة (شاهول، داود، سليمان)
٢١	شاهول
٢٦	داود - (تتويج داود - سياسة داود في الحكم)
٣٣	سليمان (سياسة سليمان في المملكة)
٤٢	المملكة المنقسمة
٤٣	مملكة الشمال إسرائيل
٥٢	مملكة الجنوب يهوذا

الباب الأول

السلطة الاجتاهية عند العبريين

٦٧	الفصل الأول: الكاهن
٧١	الكهانة في بني إسرائيل
٧٣	كهنة لديانات أخرى غير ديانة يهوه
٧٥	المهنة اللاويون
٧٦	الكهنة الصدوقيون
٧٧	الكاهن الأعظم
٧٨	الكاهن الرأس
٨٠	الكاهن الثاني
٨١	عمل الكهنة ومخصصاتهم
٨١	عمل الكاهن
٨٣	مخصصات الكهنة
٨٥	سلطة الكاهن في ظل النظام الملكي
٩٥	الفصل الثاني: الملك
١٠٤	الحالة السياسية:
١٠٤	نظام اعتلاء الحكم
١٠٧	علاقة كل من النظامين الشمالي والجنوبي بالآخر
١١١	السلطة الملكية والحالة الدينية

١١٧	الفصل الثالث: النبي
١١٧	- أصل النبوة وتطور دلالتها
١٢٧	- وسيلة التنبؤ
	- صوت المعارضة النبوية في المجتمع العربي وأمثلة
١٣٠	لأهم أنبياء الأئمة
١٤٥	- موقف السلطة الملكية من المعارضة النبوية
١٤٧	- علاقة النبي بالمعبد والكاهن

الباب الثاني

١٥٧	الفصل الفصل الأول: سفر إشعيا، تاريخ تكوينه ووحده
١٨٠	نبوءة عن بابل
١٨٣	النبوءة الخاصة بأشور
١٨٣	النبوءة الخاصة بفلسطين
١٨٤	الرؤيا الخاصة بمؤاب
١٨٧	نبوءة الإصحاح (١٨) (أرض حفيف الأجنحة)
١٨٩	نبوءة عن مصر (الإصحاح ١٩)
١٩٣	الإصحاح (٢٣) الأمم الأجنبية
٢١٢	إشعيا الثاني
٢٢٢	إشعيا الثالث
٢٢٣	١ - الإصحاحات من ٤٠ - ٤٨
٢٢٣	٢ - الإصحاحات من ٤٩ - ٥٥
٢٢٤	٣ - الإصحاحات من ٦٠ - ٦٦
٢٤٢	سفر صعود إشعيا
٢٤٣	محتوى السفر وتاريخه
	- المجموعة ١ : ١ - ٣ : ١٢ - المجموعة ٣ : ١٣ - ٥ - المجموعة ٥ : ١
	- المجموعة ٦ : ١ - الفقرة (١١ : ٤١ - ٤٣)
٢٤٧	أسطورة موت إشعيا
٢٤٧	بليار
٢٤٨	قصة رحلة إشعيا إلى السموات السبع
٢٥٠	الفصل الثاني: لغة السفر
٢٥٠	حالة النص في النصوص الشرعية
٢٥٠	الإصحاح الأول:

فقرة: ١٨	فقرة: ٥
فقرة: ٢٥	فقرة: ٧
فقرة: ٢٧	فقرة: ٨
فقرة: ٢٩	فقرة: ١٥
فقرة: ٣١	فقرة: ١٧

٢٥٤	الإصحاح الثاني :		
	فقرة : ٢	فقرة : ١٠	فقرة : ١٦
	فقرة : ٦	فقرة : ١٢	فقرة : ١٨
	فقرة : ١٩	فقرة : ٢٠	
٢٥٩	الإصحاح الثالث :		
	فقرة : ٣	فقرة : ١٠	فقرة : ١٣
	فقرة : ٥	فقرة : ١١	فقرة : ١٦
	فقرة : ٧	فقرة : ١٢	فقرة : ١٧
	فقرة : ٢٤		
٢٦٥	الإصحاح الرابع :		
	فقرة : ١	فقرة : ٢	فقرة : ٥
٢٦٦	الإصحاح الخامس :		
	فقرة : ٤		فقرة : ١٣
	فقرة : ٥		فقرة : ١٧
	فقرة : ٦		فقرة : ٢٣
	فقرة : ٩		
٢٧٠	الإصحاح السادس :		
	فقرة : ١		فقرة : ٤
	فقرة : ٣		فقرة : ١١
٢٧١	الإصحاح السابع :		
	فقرة : ١		فقرة : ٩
	فقرة : ٢		فقرة : ١١
	فقرة : ٣		فقرة : ١٧
	فقرة : ٥		فقرة : ٢٢
٢٧٥	الإصحاح الثامن :		
	فقرة : ٣		فقرة : ١٢
	فقرة : ٨		فقرة : ١٣
	فقرة : ٩		
٢٧٩	الإصحاح التاسع :		
	فقرة : ٢		فقرة : ١٦
	فقرة : ٤		فقرة : ١٨
	فقرة : ٧		فقرة : ١٩
	فقرة : ١٠		
	الإصحاح العاشر :		
	فقرة : ٤		فقرة : ٢٥

فقرة : ٢٧

فقرة : ٣٠

فقرة : ٣٤

فقرة : ٥

فقرة : ١٣

فقرة : ١٧

٢٨٩	تحليل لنصوص السفر
٢٨٩	تحليل لبعض الألفاظ
٢٩٦	تحليل لبعض التراكيب
	أمثلة لقرائن لغوية تدل على أن السفر كله
٢٩٩	ليس لمؤلف واحد
٣١٠	خصائص أسلوب إشعيا الثاني
٣١٢	اللوازم اللغوية

الباب الثالث

الأثر السياسي والديني

٣١٩	الفصل الأول: إشعيا ودوره السياسي
٣١٩	- إشعيا بن أموص
٣٢٧	- دوره السياسي
٣٣٦	الفصل الثاني: أسس العقيدة اليهودية كما تمثلت في السفر
٣٣٦	يهوه في سفر إشعيا
٣٣٩	القداسة
٣٤٢	يهوه وإسرائيل في إشعيا الثاني
٣٤٤	فكرة البعث
٣٤٨	يوم الرب ومفهوم النكبة والخلاص عند إشعيا
٣٤٨	يوم الرب
٣٥٠	ازدواجية مفهوم يوم الرب
٣٥٥	مفهوم النكبة عند إشعيا
٣٥٧	مفهوم الخلاص عند إشعيا
٣٦٠	المسيحانية
٣٦٥	المسيح في إشعيا
٣٦٥	التأويل اليهودي
٣٧٣	التأويل المسيحي أهمية السفر في العقيدة المسيحية
٣٨٩	الخاتمة
٣٩٣	ثبت المصادر والمراجع
٣٩٣	أولاً - المصادر والمراجع العربية والمعربة
٣٩٥	ثانياً - المصادر والمراجع الأجنبية
٣٩٦	ثالثاً - دوائر المعارف
٣٩٦	المراجع العبرية